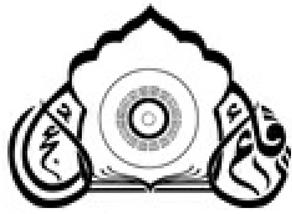


مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان



السلام علیک یا صاحب الزمان

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدّس سرّه

الجزء الثامن

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۸

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تتمه المختار المأه و التاسع

تتمه المعنى من المختار المأه و التاسع

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ثمّ انّه علیه السّلام لما فرغ من تعداد أفضل الوسائل إلی اللّه سبحانه و أشرف ما یتقرّب به إلیه تعالی أردفه بالأمر بما هو موجب لکماله و تمامه فقال علیه السّلام:

(أفیضوا) أی اندفعوا (فی ذکر اللّه فانّه أحسن الذّکر) لما یترتب علیه من الثّمرات الدّنیویّه و الأخرویه حسبما عرفته فی التنبیه الثانی من تنبیهات الفصل السّادس من فصول الخطبه الثانیه و الثمانین (و ارغبوا فیما وعد المتّقین) بقوله: «للّذین اتّقوا عند ربّهم جنّات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها و أزواج مطهّره و رضوان من اللّه و اللّه بصیر بالعباد».

و الرّغبه فیه إنّما هو بتحصیل التقوی و الاتّصاف بأوصاف المتّقین الّذین:

«یقولون ربّنا إنّنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النّار الصّابرین و الصّادقین و القانتین و المنفقین و المستغفرین بالأسحار».

(فإنّ وعده) سبحانه (أصدق الوعد) أی لا یخلف المیعاد لأنّ الخلف منشاه إمّا البخل أو العجز، و کلاهما محالان علی اللّه سبحانه (و اقتدوا بهدی نبیّکم) أی بسیرته صلّی اللّه علیه و آله (فانّه أفضل الهدی) لأنّه إذا کان أفضل الأنبیاء کانت سیرته أفضل السّیر (و استنّوا بسنّته) أی بطریقته سلام اللّه علیه و آله (فانّها أهدی السّنن)

ص:٢

و أقرب الطرق الموصله إلى الحقّ سبحانه (و تعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث) أى أحسن الكلام، و سمّى الكلام به لتجدّده و حدوثه شيئا فشيئا، و قد مضى فى شرح الفصل السّابع عشر من فصول الخطبه الاولى بعض امور المهمّه المتعلّقه بالقرآن، و لعلوّ مقامه و سموّ مكانه و حسن نظمه و جلاله قدره و بعد غوره و عذوبه معناه و دقّه مغزاه و اشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين كان أحسن الكلام و أمر عليه السّلام بتعلّمه بذلك الاعتبار مضافا إلى ما يترتّب على تعلّمه من عظيم الفوائد و مزيد القسم و العوايد.

كما يشهد به ما رواه ثقه الاسلام الكلينىّ عطر اللّه مضجعه عن علىّ بن محمّد عن علىّ بن العبّاس عن الحسين بن عبد الرّحمن عن سفيان الحريرى عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا سعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتى يوم القيامه فى أحسن صوره نظر إليه الخلق، و النّاس صفوف عشرون و مأئه ألف صفّ ثمانون ألف صفّ امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أربعون ألف صفّ من ساير الامم فيأتى على صفّ المسلمين فى صوره رجل فيسلّم فينظرون إليه، ثمّ يقولون: لا إله إلا اللّه الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منّافى القرآن، فمن هناك اعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه، ثمّ يتجاوز حتّى يأتى على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون لا إله إلاّ اللّه الرّبّ الرّحيم انّ هذا الرّجل من الشّهداء نعرفه بسمته و صفته غير أنّه من شهداء البحر فمن هناك اعطى من البهاء و الفضل ما لم نعطه، قال فيجاوز حتّى يأتى صفّ شهداء البحر فى صوره شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم و يقولون إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته و صفته غير أنّ الجزيره التى اصيب فيها كانت أعظم هولا من الجزيره «الجزائر خ» التى اصبنا فيها فمن هناك اعطى من البهاء و الجمال و النّور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتّى يأتى صفّ النبيّين و المرسلين فى صوره نبىّ مرسل، فينظر النّبيون و المرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم و يقولون: لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم إنّ هذا النبىّ مرسل نعرفه

ص:٣

بصفته و سمته غير انه اعطى فضلا كثيرا، قال: فيجتمعون فيأتون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه و يقولون: يا محمّد من هذا؟ فيقول لهم: أ و ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه هذا ممّن لم يغضب اللّه عليه فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا حجّه اللّه على خلقه فيسلم، ثمّ يجاوز حتّى يأتى على صفّ الملائكه فى صوره ملك مقرّب فينظر اليه الملائكه فيشتدّ تعجّبهم و يكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله و يقولون: تعالى ربّنا و تقدّس إنّ هذا العبد من الملائكه نعرفه بسمته و وصفه غير أنّه كان أقرب الملائكه إلى اللّه عزّ و جلّ مقاما فمن هناك البس من النور و الجمال ما لم نلبس، ثمّ يجاوز حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه تبارك و تعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك و تعالى: يا حجّتى فى الأرض و كلامى الصادق الناطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول اللّه تبارك: كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا ربّ منهم من صاننى و حافظ علىّ و لم يضيّع شيئا، و منهم من ضيّعنى و استخفّ بحقّى و كذب بى و أنا حجّتك على جميع خلقك فيقول اللّه تبارك و تعالى: و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، و لأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب، قال فيرفع القرآن رأسه فى صوره اخرى قال: فقلت له: يا ابا جعفر فى أىّ صوره يرجع؟ قال: فى صوره رجل شاحب متغيّر ينكره أهل الجمع، فيأتى الرّجل من شيعتنا الذى كان يعرفه و يجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفنى فينظر إليه الرّجل فيقول: ما أعرفك يا عبد اللّه، قال:

فيرجع فى صورته التى كانت فى الخلق الأوّل، فيقول: ما تعرفنى؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الذى أسهرت ليلك و أنصبت عيشك، و سمعت فىّ الأذى و رجمت بالقول، ألا و انّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته و انا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزّه تبارك و تعالى فيقول: يا ربّ عبدك و أنت أعلم به قد كان نصبا بى مواظبا علىّ يعادى بسببى و يحبّ فىّ و يبغض، فيقول اللّه عزّ و جلّ ادخلوا عبدى جنّتى و اكسوه حلّه من حلل الجنّه و توّجوه بتاج، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقول له: هل رضيت بما صنع بوليّك؟ فيقول: يا ربّ إنىّ أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه، فيقول عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى و علوّى و ارتفاع مكانى لأنحلنّ له اليوم

خمسه أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته ألا أنّهم شباب لا يهرمون، و أصحّاء لا يسقمون، و أغنياء لا يفتقرون، و فرحون لا يحزنون، و أحياء لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآيه «لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى ».

قال قلت: يا أبا جعفر و هل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم عليه السّلام ثمّ قال: رحم اللّه الضّعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثمّ قال عليه السّلام: نعم يا سعد و الصّلاه تتكلّم، و له صوره و خلق تأمر و تنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لونى و قلت: هذا شىء لا أستطيع التكلّم به فى النّاس، فقال أبو جعفر عليه السّلام: و هل الناس إلاّ شيعتنا، فمن لم يعرف الصّلاه فقد أنكر حقّنا، ثمّ قال: يا سعد اسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى اللّه عليك، فقال: إنّ الصّلاه تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر اللّه أكبر، فالنهى كلام و الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكر اللّه و نحن أكبر (و تفقّهوا فيه)أى تفهّموا فى القرآن(فانه ربيع القلوب)و استعار له لفظ الرّبيع باعتبار كونه جامعا لأنواع الأسرار العجيبه و النكات البديعه و المعانى اللّطيفه و العلوم الشريفه التى هى متنزّه القلوب كما أنّ الرّبيع جامع لأنواع الأزهار و الرياحين التى هى مطرح الأنظار و مستمتع الأبصار و محصّل المعنى أنّه يجب عليكم أخذ الفهم فى القرآن كيلا تحرموا من فوائده و لا تغفلوا عن منافعه فانه بمنزله الرّبيع المتضمّن للفوائد الكثيره و المنافع العظيمه هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالتفّقه التبصّر على حذو ما ذهب اليه بعض الشارحين فى شرح قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من حفظ على أمّتى أربعين حديثا بعثه اللّه فقيها عالما، حيث قال: ليس المراد به الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب المقام، و لا العلم بالأحكام الشرعيه عن أدلّتها التفصيليّه فانه مستحدث، بل المراد البصيره فى أمر الدّين، و الفقه أكثر ما يأتى فى الحديث بهذا المعنى، و إليها أشار صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله: لا يفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت الناس فى ذات اللّه و حتّى يرى للقرآن وجوها كثيره ثمّ يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتا.

ثمّ قال: هذا البصيره إمّا موهبيّه و هى التى دعا بها النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأمير المؤمنين عليه السّلام حين أرسله إلى اليمن حيث قال: اللّهم فقّهه فى الدّين، أو كسبيّه و هى التى أشار اليها أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال لولده الحسن عليه السّلام و تفقّه يا بنىّ فى الدّين انتهى.

و على هذا الاحتمال فتعليل الأمر بالتفقّه بكونه ربيعا إشاره إلى أنّ الرّبيع كما أنّه مورد الاعتبار بما أودع اللّه فيه من عجايب العبر و الأسرار و أخرج فيه من بدايع النبات و الأزهار و غيرها من شواهد الحكمه و آثار القدره، فكذلك القرآن محلّ الاستبصار بما تضمنّه من حكايه حال الامم الماضيه و القرون الخاليه و تفصيل ما أعطاه اللّه سبحانه للمطيعين من عظيم الثواب و جزاه للمسيئين من أليم العقاب و العذاب، و غير ذلك مما فيه تذكره لاولى الأبصار و تبصره لأولى الألباب (و استشفوا بنوره فانه شفاء الصدور) من الاسقام الظاهره و الباطنه و الأمراض الحسيّه و العقليّه.

كما يدلّ عليه ما رواه فى الكافى باسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى، فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره، فانّ التّفكر حياه قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنّور.

و فيه عن أبى جميله قال قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام: كان فى وصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه: اعلموا أنّ القرآن هدى النهار و نور الليل المظلم على ما كان من جهل و فاقه.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوافلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عن آبائه عليهم السّلام قال: شكى رجل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجعا فى صدره فقال: استشف بالقرآن فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول و شفاء لما فى الصّدور، إلى غير ذلك مما لا نطيل برواياتها و يأتى طائفه كثيره منها فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه المأه و السابعه و التسعين إنشاء اللّه تعالى (و أحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص) يعنى أنه لما كان أحسن القصص و أنفعها

كما يرشد إليه قوله تعالى: نحن نقصّ عليك أحسن القصص، لا جرم ينبغى أن يحسن تلاوته و أن يتلى حقّ التلاوه بحسن التّدبّر و النظر لتدرك منافع قصصه و تنال بها فيها من الفوائد العظيمه.

روى فى الكافى باسناده عن عبد اللّه بن سليمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: و رتّل القرآن ترتيلا، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّنه تبيانا و لا تهذّه(۱) هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرّمل و لكن افرغوا قلوبكم القاسيه و لا يكن همّ أحدكم آخر السّوره.

ثمّ إنه عليه السّلام لما أمر بتعلّم القرآن و عقّبه بامور ملازمه للعمل به من التفقّه فيه و الاستشفاء بنوره و حسن تلاوته، علّل ذلك بقوله:(فانّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير) أى المتحيّر (الّذى لا يستفيق من جهله) فى اشتراكهما فى التورّط فى الضلال و العدول عن قصد السبيل (بل الحجّه عليه أعظم) لانقطاع معذرته بمعرفته و عدم تمكّنه من أن يعتذر و يقول: إنّا كنّا عن هذا غافلين و قد مرّ فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين تحقيق الكلام فى ذلك بما لا مزيد عليه، و روينا هنالك عن حفص بن غياث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (و الحسره له ألزم) كما يوضحه روايه سليم بن قيس الهلالى المتقدّمه ثمّه و قال الشارح البحرانى «قد»: إنّ النفوس الجاهله غير عالمه بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فإذا فارقت أبدانها فهى و إن كانت محجوبه عن ثمار الجنّه و ما أعدّها اللّه فيها لأوليائه العلماء، إلاّ أنها لما لم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوه المعارف الالهيه لم تكن لها كثير حسره عليها و لا أسف على التقصير فى تحصيلها، بخلاف العارف بها العالم بنسبتها إلى اللّذات الدّنيويّه، فانّه بعد المفارقه إذا علم

١- (١) الهذّ سرعه القرائه أى لا تسرع فيه كما تسرع فى قراءه الشعر و لا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد تجتمع كذرّات الرمل، و المراد به الاقتصاد بين السرعه المفرطه و البطؤ المفرط «صافى»

و انكشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضره جلال اللّه هو تقصيره فى العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات و الدّرجات، كان أسفه و حسرته على ذلك أشدّ الحسرات، و جرى ذلك مجرى من علم قيمه جوهره ثمينه تساوى جمله من المال ثمّ اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه فانّه يعظم حسرته عليها و ندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها (و هو عند اللّه ألوم) و شدّه اللاّئمه مساوق لشده العقوبه، و هو باعتبار أنّ عدم قيامه بوظايف علمه و اتّباعه هواه كاشف عن منتهى جرأته على مولاه، فبذلك يستحقّ من اللؤم و العتاب و الخزى و العذاب ما لا يستحقّه غيره ممّن ليس له هذه الجرأه، فهو عند اللّه أشد لؤما و عتابا، و أعظم نكالا و عقابا

تكمله

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه حسبما أشرنا إليه ملتقطه من خطبه طويله روى تمامها الشيخ المحدّث الثقه أبى محمّد الحسن بن علىّ بن شعبه قدّس اللّه سرّه فى كتاب تحف العقول.

قال: خطبته عليه السّلام المعروفه بالدّيباج: الحمد للّه فاطر الخلق و خالق الاصباح و منشر الموتى و باعث من فى القبور، و أشهد أن لا اله إلا اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عباد اللّه إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى اللّه جلّ ذكره الايمان باللّه و برسله و ما جاءت به من عند اللّه، و الجهاد فى سبيله فانه ذروه الاسلام، و كلمه الاخلاص فانها الفطره، و إقامه الصلاه فانّها الملّه، و إيتاء الزكاه فانها فريضه و صوم شهر رمضان فانّه جنّه حصينه، و حجّ البيت و العمره فانهما ينفيان الفقر و يكفّران الذنب و يوجبان الجنّه، و صله الرّحم فانها ثروه فى المال و منساه فى الأجل و تكثير للعدد، و الصّدقه فى السّر فانها تكفّر الخطاء و تطفى غضب الرّب تبارك و تعالى، و الصّدقه فى العلانيه فانها تدفع ميته السوء، و صنايع المعروف أنها تقى مصارع السوء، و أفيضوا فى ذكر اللّه جلّ ذكره فانه أحسن الذكر، و هو

أمان من النفاق و برائه من النار و تذكير لصاحبه عند كلّ خير يقسمه اللّه جلّ و عزّ له دوىّ تحت العرش، و ارغبوا فيما وعد المتّقون فانّ وعد اللّه أصدق الوعد، و كلّما وعد فهو آت كما وعد، فاقتدوا بهدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانّه أفضل الهدى، و استنّوا بسنّته فانها أشرف السنن، و تعلّموا كتاب اللّه تبارك و تعالى فانه أحسن الحديث و أبلغ الموعظه، و تفقّهوا فيه فانه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فانّه شفاء لما فى الصّدور، و أحسنوا تلاوته فانّه أحسن القصص، و إذا قرء عليكم القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون، و إذا هديتم لعلمه فاعلموا بما علمتم من علمه لعلّكم تفلحون.

فاعلموا عباد اللّه أنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله، بل الحجّه عليه أعظم و هو عند اللّه ألوم و الحسره أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على هذا الجاهل المتحيّر فى جهله و كلاهما حاير باير مضلّ مفتون مبتور ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون.

عباد اللّه لا ترتابوا فتشكّوا، و لا تشكّوا فتكفروا فتندموا، و لا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا و تذهب بكم الرّخص مذاهب الظلمه فتهلكوا، و لا تداهنوا فى الحقّ إذا ورد عليكم و عرفتموه فتخسروا خسرانا مبينا.

عباد اللّه إنّ من الحزم أن تتّقوا اللّه، و إنّ من العصمه أن لا تغترّوا باللّه.

عباد اللّه إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه، و أغشّهم لنفسه أعصاهم له عباد اللّه إنه من يطع اللّه يأمن و يستبشر، و من يعصيه يخب و يندم و لا يسلم عباد اللّه سلوا اللّه اليقين فانّ اليقين رأس الدّين، و ارغبوا اليه فى العافيه فانّ أعظم النعمه العافيه فاغتنموها للدّنيا و الآخره و ارغبوا اليه فى التوفيق فانه اسّ وثيق، و اعلموا أنّ خير ما لزم القلب اليقين، و أحسن اليقين التّقى، و أفضل امور الحقّ عزائمها، و شرّها محدثاتها، و كلّ محدثه بدعه و كلّ بدعه ضلاله، و بالبدع هدم السّنن، المغبون من غبن دينه، و المغبوط من سلم له دينه و حسن يقينه، و السّعيد

من وعظ بغيره، و الشقى من انخدع لهواه.

عباد اللّه اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، و انّ اخلاص العمل اليقين، و الهوى يقود إلى النار، و مجالسه أهل الهوى ينسى القرآن و يحضر الشّيطان، و النسىء زياده فى الكفر و اعمال العصاه تدعو الى سخط الرّحمن و سخط الرّحمن يدعو إلى النّار، و محادثه النساء تدعو إلى البلاء و تزيغ القلوب، و الرّمق لهنّ يخطف نور أبصار القلوب، و لمح العيون مصائد الشيطان، و مجالسه السّلطان يهيج النّيران.

عباد اللّه أصدقوا فانّ اللّه مع الصّادقين، و جانبوا الكذب فانّه مجانب للايمان و إنّ الصّادق على شرف منجاه و كرامه، و الكاذب على شفا مهواه و هلكه، و قولوا الحقّ تعرفوا به، و اعملوا به تكونوا من أهله، و أدّوا الأمانه إلى من ائتمنكم عليها، و صلوا أرحام من قطعكم، و عودوا بالفضل على من حرمكم، و إذا عاقدتم فأوفوا، و إذا حكمتم فاعدلوا، و إذا ظلمتم فاصبروا، و إذا اسىء إليكم فاعفوا و اصفحوا كما تحبّون أن يعفى عنكم، و لا تفاخروا بالآباء، و لا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان، و لا تمازحوا، و لا تغاضبوا، و لا تباذخوا، و لا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، و لا تحاسدوا فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب، و لا تباغضوا فانها الحالقه، و افشوا السّلام فى العالم، و ردّوا التحيّه على اهلها بأحسن منها، و ارحموا الأرمله و اليتيم، و اعينوا الضعيف و المظلوم و الغارمين و فى سبيل اللّه و ابن السّبيل و السّائلين و فى الرّقاب و المكاتب و المسكين، و انصروا المظلوم، و اعطوا الفروض، و جاهدوا انفسكم فى اللّه حقّ جهاده فانّه شديد العقاب، و جاهدوا فى سبيل اللّه، و أقروا الضيف و أحسنوا الوضوء، و حافظوا على الصّلوات الخمس فى أوقاتها، فانها من اللّه عزّ و جلّ بمكان.

«فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ »... «فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ » «تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ » «وَ «اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ الأمل يـذهب العقل و يكـذب الوعـد و يحثّ على الغفله و يورث الحسـره، فاكـذبوا الأمل فانّه غرور و أنّ صاحبه مأزور، فاعملوا فى الرغبه و الرهبه فان نزلت بكم رغبه فاشكروا و اجمعوا معها رغبه، فانّ اللّه قد تأذّن للمسلمين بالحسنى و لمن شكر بالزياده، فانّى لم أر مثل الجنّه نام طالبها، و لا كالنّار نام هاربها، و لا أكثر مكتسبا ممن كسبه ليوم تذخر فيه الذخائر و تبلى فيه السّراير، و أنّ من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، و من لا يستقيم به الهدى تضرّه الضّلاله، و من لا ينفعه اليقين يضرّه الشّك و انكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزّاد، ألا انّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنان: طول الأمل و اتّباع الهوى ألا و إنّ الدّنيا أدبرت و آذنت بانقلاع، ألا و انّ الآخره قد أقبلت و آذنت باطلاع، ألا و إنّ المضمار اليوم و السباق غدا، ألا و إنّ السبقه الجنّه و الغايه النار، ألا و إنكم فى أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص للّه عمله فى أيّامه قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضرّه أجله، و من لم يعمل فى أيّام مهله ضرّه أجله و لم ينفعه عمله عباد اللّه أفزعوا إلى قوام دينكم باقام الصّلاه لوقتها، و ايتاء الزكاه فى حينها و التضرّع و الخشوع و صله الرّحم، و خوف المعاد و إعطاء السّائل و إكرام الضعيفه و الضعيف و تعلّم القرآن و العمل به و صدق الحديث و الوفاء بالعهد و أداء الأمانه إذا ائتمنتم، و ارغبوا فى ثواب اللّه و ارهبوا عذابه و جاهدوا فى سبيل اللّه بأموالكم و أنفسكم، و تزوّدوا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم و اعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير، أقول قولى و أستغفر اللّه لى و لكم.

بيان

لا يخفى على الضّابط المحيط بما تقدّمت من الخطب أن الأشبه أن تكون الخطبه الثّامنه و العشرون، و أو آخر الخطبه الخامسه و الثمانين، و هذه الخطبه التى نحن فى شرحها جميعا ملتقطه من تلك الخطبه المعروفه بالدّيباج، فانّك إذا لاحظتها ترى توافق هذه الخطبه لأوائل تلك الخطبه، و أواخر الخامسه و الثمانين لأواسطها، و الثامنه و العشرين لأواخرها، و إن كان بينها اختلاف يسير فى بعض

العبارات، و تقدیم و تأخیر فی بعض الفقرات، و لا ضیر فیه فانّه من تفاوت مراتب حفظ الرّواه فی القوّه و الضعف، و هو عمده جهات الاختلاف فی الأخبار کما هو غیر خفیّ علی اولی الأبصار.

الترجمه

از جملهٔ خطبه ای شریفهٔ آن حجت زمان و قدوه عالمیانست در وصف شعائر اسلام و حثّ و ترغیب بر آن می فرماید:

بتحقیق بهترین چیزی که تقرّب میکنند بآن تقرب جویندگان بسوی پروردگار عالمیان که منزّه و مقدّس است از هر گونه عیب و نقصان، ایمان و تصدیق است بذات او و به پیغمبر برگزیدهٔ او، و جهاد است در راه او پس بتحقیق که جهاد بلندی اسلام است، دیگر از اسباب تقرّب کلمهٔ اخلاص یعنی کلمهٔ طیبه لا إله الاّ اللّه است پس بدرستی که آن کلمه مبارکه توحید است و معرفت، دیگر بر پا داشتن نماز پنج گانه پس بتحقیق که او است ملّت، و دادن زکاه است که او است فرض و واجب و روزهٔ ماه مبارك رمضان است که سپر است از عقوبت، و حجّ خانهٔ خدا و عمره بجا آوردن است در آن که آن حجّ و عمره بر می دارند فقر و پریشانی را و می شویند گناه را، وصلهٔ أرحام است که مایه أفزونی مال است و درازی عمر، و صدقه دادن است پنهان که کفّارهٔ گناهانست، و صدقه دادنست آشکارا که دفع کنندهٔ مردن زشت است چون سوختن و غرق شدن و مثل آن، و کارهای نیکو کردنست که نگه می دارد کردن آنها از کشته شدن در مواضع ذلّت.

کوچ نمائید و سیر کنید در ذکر خدا پس بدرستی که ذکر خدا بهترین ذکرها است، و رغبت نمائید بچیزی که وعده فرموده پرهیزکاران را پس بتحقیق که وعده او راست ترین وعدها است، و متابعت کنید بسیرت پیغمبر خودتان که بهترین سیرتها است، و راه بروید بطریقهٔ او که هدایت کننده ترین طریقها است، و یاد بگیرید و بیاموزید قرآن کریم را که بهترین کلامها است، و بفهمید نکات آنرا که

ص:۱۲

آن بهار قلبها است، و طلب شفا کنید با نور قرآن که آن شفای سینها است، و خوب تلاوت نمائید آنرا پس بدرستی که آن نافع ترین قصّه ها است، بتحقیق که عالمی که بعلم خود عمل نکند مثل جاهل و نادان سرگردانی است که از مستی و جهالت خود بهوش نیاید، بلکه حجّت خدا بر آن عالم بزرگتر است، و حسرت و أفسوس مر آن عالم را لازم تر است، و او در نزد خدا بیشتر مستحقّ مذمّت و ندامت است.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و العاشره

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و رواها المحدّث العلامه المجلسی (قد) فی البحار من کتاب مطالب السؤول باختلاف کثیر تطلع علیه انشاء اللّه بعد شرح ما رواه الرضیّ (قد) و هو قوله أمّا بعد فإنّی أحذّرکم الدّنیا فإنّها حلو خضره حفّت بالشّهوات، و تحبّبت بالعاجله، و راقت بالقلیل، و تحلّت بالآمال، و تزیّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعتها، غرّاره، ضرّاره، حائله زائله، نافده، بائده، أكّاله، غوّاله، لا تعدو إذا تناهت إلی أمنیّه أهل الرّغبه فیها و الرّضا بها أن تکون کما قال اللّه تعالی سبحانه: «کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ وَ کانَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ مُقْتَدِراً » لم یکن امرء منها فی حبره إلاّ أعقبته بعدها عبره، و لم یلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا، و لم تطلّه فیها دیمه رخاء إلاّ هتنت علیه مزنه بلاء، و حریّ إذا أصبحت له منتصره

ص:١٣

أن تمسى له متنكّره، و إن جانب منها اعذوذب و احلولى أمرّ منها جانب فأوبى، لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلّا أرهقته من نوائبها تعبا، و لا يمسى منها فى جناح أمن إلّا أصبح على قوادم خوف، غرّاره غرور ما فيها، فانيه فان من عليها، لا خير فى شىء من أذوادها إلّا التّقوى، من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه، و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه، و زال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، و ذى طمأنينه قد صرعته، و ذى أبّهه قد جعلته حقيرا، و ذى نخوه قد ردّته ذليلا، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبها أجاج، و حلوها صبر، و غذائها سمام، و أسبابها رمام، حيّها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، و عزيزها مغلوب، و موفورها منكوب، و جارها محروب، أ لستم فى مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا، و أبقى آثارا، و أبعد آمالا، و أعدّ عديدا، و أكثف جنودا، تعبّدوا للدّنيا أىّ تعبّد، و آثروها أىّ إيثار، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ، و لا ظهر قاطع، فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفسا بفديه، أو أعانتهم بمعونه، أو أحسنت لهم صحبه، بل أرهقتهم بالفوادح، و أوهنتهم بالقوارع، و ضعضعتهم بالنّوائب،

ص:۱۴

و عفرتهم للمآخر، و وطئتهم بالمناسم، و أعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها و آثرها و أخلد إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد، هل زوّدتهم إلاّ السّغب، أو أحلّتهم إلاّ الضّنك، أو نوّرت لهم إلاّ الظّلمه، أو أعقبتهم إلاّ النّدامه، أ فهذه تؤثرون؟ أم إليها تطمئنّون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدّار لمن لم يتّهمها و لم يكن فيها على وجل منها، فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها و ظاعنون عنها، و اتّعظوا فيها بالّذين قالوا من أشدّ منّا قوّه، حملوا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبانا، و أنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، و جعل لهم من الصّفيح أجنان، و من التّراب أكفان، و من الرّفات جيران، فهم جيره لا يجيبون داعيا، و لا يمنعون ضيما، و لا يبالون مندبه، إن جيدوا لم يفرحوا، و إن قحطوا لم يقنطوا، جميع و هم آحاد، و جيره و هم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، و قريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، و جهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، و لا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطنا، و بالسّعه ضيقا، و بالأهل غربه، و بالنّور ظلمه، فجاءوها كما فارقوها حفاه عراه، قد ظعنوا بأعمالهم إلى الحياه الدّائمه، و الدّار الباقيه، كما قال سبحانه: «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ »

«نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ».

اللغه

(الحبره) بفتح الحاء المهمله و ضمّها ايضا و سكون الباء الموحده النعمه و الحثن و الوشى و (حائله) من حال الشىء الحول إذا تغيّرو (غاله) غو لا- من باب قال قتله و (الهشيم) من النبات اليابس المتكسّر و لا يقال له الهشيم و هو رطب و (ذرت) الرّيح الشىء ذروا و أذرّت و ذرّته أطارته و نسفته و (الطّل) المطر الخفيف و يقال أضعف المطر و (الدّيمه) بالكسر المطر يدوم أيّاما فى سكون بلا- رعد و برق و (هتنت) السماء تهتن هتنا و هتونا و تهاتنت انصبّت و (المزنه) القطعه من السّحاب ذى الماء أو الأبيض منه و (رغبا) بفتح الغين مصدر رغب مثل تعب تعبا و (أرهقته) تعبا الحقت ذلكك به و اغشته ايّاه و (القوادم) مقاديم الريش و (منتصره) فى أكثر النسخ بالنون ثمّ التاء من الانتصار بمعنى الانتقام و فى بعضها بالعكس من تنصّر أى تكلّف النّصره و (الابّهه) و زان سكّره العظمه و البهجه و الكبر و النخوه و (الصبر) بكسر الباء نبات معروف ثمّ يطلق على كلّ مرّ و (السمام) بالكسر جمع السّم مثلّثه و (المناسم) جمع منسم بكسر السّين كمسجد و هو باطن الخفّ و قيل هو للبعير كالسنبك للفرس و (السغب) محرّكه الجوع فى تعب و (الصفيح) وجه كلّ شىء عريض

الاعراب

قوله: أن تكون كما قال اللّه تعالى بحذف حرف الجرّ متعلّقه بتعدو أى لا تتجاوز عن أن تكون، و حذفها عن ان المصدريه و اختها ان مطّرد و منه قوله سبحانه:

«وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ».

و فاعل حرىّ ضمير مستكن عايد الى الدّنيا، و التذكير باعتبار أنّ المراد و ان شأنها جدير بأن يفعل كذا، و اللّام فى قوله: له منتصره، للتعليل، و فى قوله: له متنكّره

للتقويه، و على روايه متنصّره من التنصّر، فاللاّم ثمّه أيضا للتقويه كما لا يخفى و جانب فى قوله: ان جانب اعذوذب اه، مرفوع بفعل محذوف يفسّره ما بعده على حدّ قوله تعالى «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ ».

و زال، عطف على استكثر اى من استكثر منها زال المستكثر منها عما قليل عنه، و قوله: أ لستم فى مساكن، استفهام تقريرىّ، و قوله عليه السّلام: تعبّد و اللدّنيا الجمله استينافيه بيانيه و أىّ تعبّد، بنصب أىّ صفه محذوف الموصوف أى تعبّدوا للدّنيا تعبّدا أىّ تعبّد، و الظاهر أنّ أىّ هذه فى الأصل هى أىّ الاستفهاميّه، لأنّ معنى مررت برجل أىّ رجل برجل عظيم أو كامل يسأل عن حاله لأنه لا يعرفه كلّ أحد حتّى يسأل عنه ثمّ نقلت عن الاستفهاميّه الى الصفه فاعتور عليها اعراب الموصوفو الاستفهام فى قوله فهل بلغكم، على سبيل الانكار و الابطال، و فى قوله: هل ذوّدتهم إلاّ السّغب للتقرير و فى قوله: أ فهذه تؤثرون، على سبيل التوبيخ و التقريع، و قوله: فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها، تعديه اعلموا بالباء لتضمينه معنى اليقين، أو أنّ الباء زايده و جمله و أنتم تعلمون معترضه على حدّ قوله:

ألا هل أتاها و الحوادث جمّه بأنّ امرء القيس بن تملك يبقرا

فانّ جمله و الحوادث جمّه معترضه بين الفعل أعنى أتاها، و معموله الذى هو بأن اه. و الباء زايده فيه أيضا و يحتمل جعل الجمله حالاـ من مفعول اعلموا فتكون فى محلّ النصب، و على هذا فهى فى المعنى قيد لعامل الحال و وصف له بخلاف ما لو كانت معترضه فانّ لها تعلّقا بما قبلها لكن ليست بهذه المرتبه أشار إلى ذلك صاحب الكشاف فى تفسير قوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ ».

حيث قال: انّه حال أى عبدتم العجل و أنتم واضعون العباده فى غير موضعها، او اعتراض، أى و أنتم عادتكم الظلم هذا.

و فى بعض نسخ المتن: فاعلموا، بدل فاعلموا، و عليه فتكون قوله عليه السّلام بأنّكم معمولا لتعلمون، كما هو واضح.

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبه الشريفه هو التحذير عن الدّنيا و التنفير عنها بالاشاره إلى عيوباتها و مساويها و التنبيه على زوالها و فنائها و انقضائها على ما فصّله بقوله:

(أما بعد فانى أحذّركم الدّنيا فانّها حلوه خضره) أى متّصفه بالحلاوه و الخضره، و استعارتهما للدّنيا باعتبار التذاذ النفس بهما و تخصيصهما من بين ساير الأوصاف لكونهما من أقوى المستلذّات و أكملها (حفّت بالشّهوات) يعنى أنّها محاطه بالشهوات لا ينال بها الاّ بالانهماك فيها و لا يمكن إدراكها الاّ بالاقتحام فى مشتهياتها (و تحبّبت) إلى النّاس (بالعاجله) أى صارت محبوبه عندهم أو أظهرت المحبه لهم بلذّاتها العاجله الحاضره الّتى مالت اليها القلوب بسببها، و ذلك لأنّ القلوب انما تميل إلى العاجل دون الآجل، و النفوس ترغب إلى النقد دون النسيه قال الشاعر:

فأطعمنا من فومها و سنامها شواء و خير الخير ما كان عاجله

(و راقت بالقليل) أى أعجبت أهلها بشىء قليل حقير عند متاع الآخره كمّا و كيفا (و تحلّت بالآمال) أى تزيّنت لأهلها بما يؤمّلون فيها من الآمال الّتى أكثرها باطله (و تزيّنت) عند النّاس (بالغرور) أى بما هو فى نفس الامر غرور و باطل لا حقيقه له و لا أصل «كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً» (لا تدوم حبرتها) و نعمتها (و لا تؤمن فجعتها) و رزيّتها (غرّاره ضرّاره) أى كثيره الغرور و الضرر (حائله زائله) أى متغيّره لا بقاء لها (نافده بائده) أى فانيه هالكه

ص:۱۸

لا دوام لها (أكّاله غوّاله) أى كثيره الأكل و الاغتيال للنّاس مثل السّبع العقور الذى يأكل النّاس و يغتا لهم أى يأخذهم و يهلكهم من حيث لا يدرون و لا يشعرون (لا تعدو إذا تناهت إلى امنيّه أهل الرغبه فيها و الرّضا بها أن تكون كما قال اللّه تعالى)يعنى أنها إذا بلغت و انتهت إلى غايه ما يريده الراغبون فيها و الرّاضون بها لا تعدو و لا تتجاوز عن كون حالها مثل المثل الذى ضرب اللّه سبحانه لها حيث قال فى سوره الكهف:«وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِراً ».

فانّ المراد بالآيه تشبيه حالها فى نضرتها و بهجتها و زهرتها و كونها على وفق منيه أهلها و طبق بغيه طالبيها مع ما يتعقّبها من الهلاك و الفناء بحال النّبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضرا شديد الخضره و الطراوه يعجب الزّرّاع ثمّ ييبس فيكون هشيما تذروه الرياح، و هو من باب ٥. التّشبيه المركب على ما حقّقناه فى الدّيباجه.

(لم يكن امرء منها فى حبره الاّ اعقبته بعدها عبره) يعنى أنّ سرورها و لذّتها معاقب للحزن و الحسره، و نعمتها منابع للنقمه (و لم يلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها) أى لم يلق امرء من خيرها و فضلها بطنا لها إلاّ بذلته من مشقّتها و شدّتها (ظهرا) لها و هو كنايه عن كون اقبالها ملازما لادبارها و كون خيرها معقبّا لشرّها.

و المقصود أنّه إن أقبلت إلى أحد بالخير و المنفعه و استقبلته بالوجه و البطن عقبت ذلك لا محاله بذلّ الضرر و المشقّه و أردفته بالضروره بالادبار، و بما ذكرنا علم وجه تخصيص البطن بالسّراء و الظّهر بالضّراء، فانّ من يلقى صاحبه بالبشر و السّرور يلقاه بوجهه و بطنه و من يلقاه بالمسائه و التنكير يلقاه بظهره مولّيا عنه دبره.

و قوله: منحته، من باب الاستعاره التهكّميه اذ المنح هو البذل و الاعطاء اعنى ايصال النّفع فاستعير لا يصال الضّرر على سبيل التهكّم نظير قوله تعالى فبشّرهم:

بعذاب أليم، حيث استعير التبشير الذى هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر له للانذار الّذى هو ضدّها بادخاله فى جنسها على سبيل التهكّم، أى انذرهم بعذاب أليم.

(و لم تطلّه فيها ديمه رخاء إلاّ هتنت عليه مزنه بلاء) اسناد هتنت إلى مزنه من باب التوسّع و المعنى أنّه لم تمطر على أحد فى الدّنيا ديمه أى مطر خفيف موجب على رخاء حاله و سعه عيشه إلاّ انصبّت عليه أمطار كثيره من مزنه البلاء و سحابه فتوجب شدّه حاله و ضيق عيشه، و الغرض أنها إذا اعطت أحدا قليلا من الخير أعقبت ذلك بكثير من الضّر (و حرىّ إذا أصبحت له منتصره أن تمسى له متنكّره) يعنى أنها جديره حين أصبحت محبّه لامرء منتقمه لأجله من عدوّه أو متكلّفه لنصره بأن تمسى مبغضه و متغيّره له (و ان جانب منها اعذوذب و احلولى) أى صار عذبا و حلوا (أمرّ منها جانب فأوبى) أى صار مرّا فأوقع فى المرض و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ألا انّما الدّنيا غضاره أيكه إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب

فلا تكتحل عيناك منها بغيره على ذاهب منها فانك ذاهب

(لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعبا) أراد أنّه لا يبلغ أحد من طيب عيشها وسعتها و نعمتها رغبته و إرادته إلّا حملته و أغشته من نوائبها و مصائبها التعب و المشقه كما هو يدرك بالعيان و مشاهد بالوجدان، و لا يخفى ما فى اتيان ينال بصيغه المضارع و ارهقته بصيغه الماضى من النّكته اللطيفه، و هى الاشاره إلى أنّ نيل الرّغبه من غضارتها أمر متوقّع مشكوك و ارهاق التعب من نوائبها أمر محقق ثابت.

(و لا يمسى منها فى جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف) أراد به عدم ثبات أمنها و سرعه انتقاله منه الى الخوف، و لا يخفى ما فى تخصيص الأمن بالجناح و الخوف بالقوادم لأنّ الجناح محلّ الأمن و السّاكن تحته مصون من الأذى و نيل المكروه متحصّن بحصن السّلامه ألا ترى أنّ الطائر يحصّن فرخه بجناحه حفظا له من المكاره و الآلام، و أما القوادم و هى مقاديم الرّيش فلا ريب أنّ الرّاكب عليها فى معرض خطر عظيم و سقوط قريب هذا.

و قال الشارح البحرانی (ره) و إنما خصّ الامن بالجناح، لأنّ الجناح محلّ التغیّر بسرعه فتنبه به علی سرعه تغییراتها و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هی رأس الجناح و هی الأصل فی سرعه حرکته و تغیّره، و هو فی مساق ذمّها و التخویف منها، فحسن ذلک التخصیص و مراده أنّه و إن حصل فیها أمن و هو فی محلّ التّغیر السّریع و الخوف الیه أسرع لتخصیصه بالقوادم انتهی، و الأظهر ما ذکرناه.

(غرّاره غرور ما فیها فانیه فان من علیها) لا یخفی ما فی هاتین القرینتین من حسن الاشتقاق و جزاله المعنی، فانّ القرینه الأولی تنبیه علی خسّه الدّنیا و حقارتها و علی أنّ ما فیها تدلیس و تلبیس و غرور و باطل بمنزله امرأه شوهاء هتماء زخرفت من ظاهرها و البست انواع الحلیّ و الحلل تدلیسا و تفتینا فاغترّ بها و افتتن من رأی حسن ظاهرها غافلا عن قبح باطنها، و القرینه الثانیه تذکره لکونها مع هذه الخسّه و الحقاره فی معرض الفناء و الزوال و الازوف و الانتقال، و کذلک الرّاغبون فیها و الخاطبون لها کما قال عزّ من قائل «کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ » (لا خیر فی شیء من أزوادها إلّا التّقوی) لأنه هو الذی یتقوّی به لسلوک سفر الآخره و طیّ منازلها، و الوصول الی حظیره القدس الّتی هی غنیه کلّ طالب و منیه کلی راغب، و لذلک امر بذلک ربّ العزّه بقوله:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی ».

و قد تقدّم توضیح ذلک بما لا مزید علیه فی شرح الخطبه الخامسه و السّبعین، و إنما جعله من أزواد الدّنیا لأنّ تحصیله إنما یکون فیها و الآخره دار جزاء لا تکلیف کما سبق بیانه فی شرح الخطبه الثانیه و السّتین، و تقدّم ثمّه أیضا ما یوضح أنّ غیر التقوی من أزواد الدّنیا لا خیر فیها، و یشهد بذلک قوله سبحانه:

«اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا ».

(من أقلّ منهـا اسـتكثر ممّـا يؤمنه و من اسـتكثر منها اسـتكثر ممّا يوبقه) يعنى أنّ من ذهب فى الـدّنيا و اكتفى بالقليل من متاعها طلب الكثير ممّـا يوجب أمنه و نجـاته فى الآـخره، و من رغب فيها طلب الكثير من متاعها اسـتكثر مما يوجبه هلاكه فيها، لأنه ان كان من الحلال ففيه طول الحساب، و ان كان من الحرام ففيه أليم العذاب.

(و زال عمّا قليل عنه) إشاره إلى مفسـده اخرى فيما استكثره مضافه إلى ايجابه هلاكه و هى أنّه لم يبق له بل زال بعـد حين قليل عنه.

ثمّ أشـار عليه السّـلام إلى مفاسـد الرّكون اليها و الاعتماد عليها بقوله:(كم من واثق بها قـد فجعته) بأنواع الأحزان (و ذى طمأنينه اليها قـد صـرعته) فى مصارع الهوان (و ذى ابّهه) و عظمه (قـد جعلته حقيرا) مهينا (و ذى نخوه) و كبر (قـد ردّته ذليلا) مسـتكينا (سـلطانها دول) يتـداوله السّـلاطين بينهم يكون تاره لهؤلاء و لهؤلاء اخرى (و عيشـها رنق) متكـدّر(و عذبها اجاج)مالح(و حلوها صبر)مرّ استعار لفظى العـذب و الحلو للـذّاتها و لفظى الاجـاج و المرّ لمـا يشوبهـا من الكـدر و الأسـقام و الجـامع الاشتراک فى الالتذاذ و الايلام (و غذائها سـمام) قاتله (و أسـبابها) أى حبالها (رمام) باليه (حيّها بعرض موت و صـحيحها بعرض سقم) أراد به إشـراف الأحيـاء بالممـات و الأصـحاء بالأسـقام و قربهم منهـا (ملكهـا مسـلوب و عزيزهـا مغلـوب و موفورهـا منكـوب و جـارها محروب) أى وافر المال و صاحب الثروه فيها مثاب و جارها حريب أى مأخوذ منه جميع ماله هذا.

و لما حذّر من الدّنيا بذكر معايبها أكدّ ذلک بالتنبيه على السّابقين فيها و قال (أ لستم فى مساكن من كان قبلكم) لكونهم (أطول أعمارا) فقد لبث نوح عليه السّلام فى قومه ألف سنه الاّ خمسين عاما، و مثله كثير (و أبقى آثارا) كما يشهد به الهرمان

و الایوان و سدّ یأجوج و مناره الاسکندریّه و نحوها (و أبعد آمالا) لأنّ الأعمار إذا کانت أطول کانت الآمال أبعد لترتّب طول الأمل علی طول العمر غالبا (و أعدّ عدیدا) أی عدّد کثیرا من الجیوش (و أکثف جنودا) کفرعون و بخت نصر و غیرهما.

(تعبّدوا للدّنیا أیّ تعبّد) أی قصّروا هممهم فی الدّنیا و أظهروا العبودیّه و التذلل لها و أخذوها معبودا لهم و تعبّدوا الها کمال تعبّد (و آثروها أیّ إیثار) أی اختاروها علی الآخره تمام اختیار (ثمّ ظعنوا) و ارتحلوا(عنها بغیر زاد مبلّغ)له إلی منزله(و لا ظهر)أی مرکوب(قاطع)لطریقه و هما استعارتان للّطاعات و القربات المؤدیه له إلی حظیره القدس الموصله إلی مجلس الانس (فهل بلغکم أنّ الدّنیا سخت لهم نفسا بفدیه) استفهام علی سبیل الانکار کما أشرنا إلیه سابقا، و المراد أنها جادت(۱) لهم حین ارتحالهم منها بطیب نفسها فداء لیکون عوضا عنهم حتّی لا یموتوا و لا یرتحلوا، أو أنها ما بذلت لهم نفسا بأن تکون فی هذا النفس فداء لهم (أو أعانتهم بمعونه أو أحسنت لهم صحبه) مع فرط محبّتهم لها و غایه رغبتهم الیها و شدّه انسهم بها (بل أرهقتهم بالفوادح) أی أغشتهم بالمثقلات (و أوهنتهم بالقوارع) أی أضعفتهم بالمحن و الدّواهی القارعات (و ضعضعتهم بالنوائب) و المصائب (و عفرتهم للمناخر) أی ألصقتهم علی العفر و التراب لانوفهم (و وطئتهم بالمناسم) و الاخفاف و داستهم بالسّنابک و الاظلاف (و أعانت علیهم ریب المنون) أی کانت معینا لحوادث الدّهر علیهم (فقد رأیتم تنکّرها) و تغیّرها (لمن دان لها) و تقرّب بها (و آثرها) و اختارها علی غیرها (و أخلد إلیها) و اعتمد علیها (حتّی ظعنوا عنها لفراق الأبد) أی مفارقه دائمه لا عود بعدها (هل زوّدتهم إلاّ السّغب) و الجوع (أو أحلّتهم إلاّ الضنک) و الضّیق (أو نوّرت لهم إلاّ الظّلمه) أی جعلت الظلمه نورا لهم کما جعلت الجوع لهم زادا

۱- (۱) الاول مبنی علی جعل نفسا تمیزا من قبیل طاب زید نفسا، و الثانی علی من جعله مفعول سخت لتضمّنه معنی بذلت و الأول أظهر منه

(أو أعقبتهم إلاّ الندامه) و الحسره (أ فهذه) الغدّاره الغرّاره (تؤثرون أم اليها تطمئنّون أم عليها تحرصون) مع ما رأيتم من مكائدها و جرّبتم من خياناتها (فبئست الدار لمن لم يتّهمها) فى نفسه (و لم يكن فيها على وجل منها) على عرضه فكانت موجبه لهلاكه و عطبه و أمّا المتّهم لها بالخديعه و الغرور و الخائف منها و الحذر فنعمت الدّار فى حقّه لكونه منها على و جل دائم و خوف لازم، فيأخذ حذره بعد عدّته و يقدم الزاد ليوم المعاد و يتزوّد لحال رحيله و وجه سبيله (فاعلموا و أنتم تعلمون) و استيقنوا (بأنكم تاركوها و ظاعنون) أى مرتحلون (عنها و اتّعظوا فيها بالّذين) كانوا قبلكم و (قالوا من أشدّ منّا قوّه) و عدّه و انتقلوا عن دورهم و (حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا و انزلوا الأجداث) بعد الادعاث(۱)(فلا يدعون ضيفانا)يعنى انهم انقطعت عنهم بعد ارتحالهم أسماء، الأحياء فلا يسمّون بالركبان و لا بالضيفان و كانت عاده العرب انهم إذا ركبوا يسمّون ركبانا، و إذا نزلوا يسمّون ضيفانا، و هؤلاء الأموات مع كون الجنائز حموله لهم و كونهم محمولين عليها كالراكبين لا يطلق عليهم اسم الركب(۲) ،و كذلك هم مع نزولهم بالأجداث و القبور لا يطلق عليهم اسم الضيف و ان كان تسميه الضيف إنما هى بذلك الاسم باعتبار نزوله، و هذا الاعتبار موجود فيهم مأخوذ من ضافه ضيفا إذا نزل عنده فافهم (و جعل لهم من الصّفيح أجنان) أى من وجه الأرض العريض قبور(و من التراب أكفان)و فى بعض النسخ بدله أكنان، و هى السّتاير جمع الكن و هى السترہ أى ما يستتر به، و على ذلك فالكلام على حقيقته، و على الروايه الاولى فلا بدّ من ارتكاب المجاز بأن يقال إنّ جعل التراب أكفانا لهم باعتبار إحاطته عليهم كالأكفان أو باعتبار المجاوره بينه و بينها، أو من أجل اندراس الكفن و انقلابه ترابا كما قيل، و الأظهر الأوّلان (و من الرفات) و العظام الباليه (جيران فهم جيره) أى جيران كما فى بعض

۱- (۱) الدعث المرض و الجمع ادعاث م

۲- (۲) الركب جمع راكب كالركبان منه.

النسخ (لا يجيبون داعيا و لا يمنعون ضيما) أى ظلما عن أنفسهم أو عمّن استجار بهم لانقطاع الاقتدار عنهم (و لا يبالون مندبه) أى لا- يكترثون بالندب و البكاء على ميّت (إن جيدوا لم يفرحوا و إن قحطوا لم يقنطوا) يعنى أنّهم إن جادت السماء عليهم بالمطر لا يفرحون و ان احتبست عنهم المطر لا ييأسون كما هو شأن. الأحياء فانّهم يفرحون عند الخصب و يحزنون عند الجدب (جميع) أى مجتمعون (و هم آحاد) متفرّدون (و جيره و هم أبعاد) متباعدون (متدانون لا- يتزاورون و قريبون لا يتقاربون) إلى هذا المعنى نظر السّجاد عليه السّلام فى ندبته حيث قال:

و اضحوا رميما فى التراب و اقفرت مجالس منهم عطّلت و مقاصر

و حلّوا بدار لا تزاور بينهم و أنّى لسّكان القبور التزاور

فما أن ترى إلّا جثى قد ثووا بها مسنمه تسفى عليه الأعاصر

و قال آخر:

لكلّ اناس معمر فى ديارهم فهم ينقصون و القبور يزيد

فكاين ترى من دار حىّ قد اخربت و قبر بأكنان التّراب جديد

هم جيره الأحياء أما مزارهم فدان و أمّا الملتقى فبعيد

(حلماء قد ذهبت أضغانهم و جهلاء قد ماتت أحقادهم) يعنى أنهم بموتهم و انقطاع مادّه الحياه عنهم صار و احلماء جهلاء لا يشعرون شيئا فارتفع عنهم الضغن و الحقد و الحسد و ساير الصّفات النفسانيّه المتفرّعه عن الحياه، و توصيفهم بالحلم و الجهل فى تلك الحال من باب التوسّع و المجاز باعتبار أنهم لا يستفزّهم الغضب و لا يشعرون و إلّا فالحلم هو الصّفح و الاناه و العقل و الجهل عدم العلم عمّن من شأنه أن يكون عالما و هما من صفات الأحياء كما لا يخفى.

(لا يخشى فجعهم و لا يرجى دفعهم) يعنى أنهم بارتفاع الاقتدار عنهم لا يخشون و لا يرجون فلا يخشى أحد من أن ينزل عليه بهم فجيعه و رزيّه و لا يرجو أحد أن يدفع بهم من نفسه نازله و بليه (استبدلوا بظهر الأرض بطنا و بالسّعه ضيقا و بالأهل غربه و بالنّور ظلمه).

ضربوا بمدرجه الفناء قبائهم من غير أطناب و لا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجّى منهم قصد لاتهام و لا انجاد

كرهوا النزول فانزلتهم وقعه للدّهر نازله لكلّ مفاد(۱)

فتهافتوا عن رحل كلّ مذلّل و تطاوحوا عن سرج كلّ جواد

بادون فی صور الجميع و انّهم متفرّدون تفرّد الأحياء

(فجاءوها كما فارقوها حفاتا عراتا) قيل:(۲) انّ المراد بمجيئهم اليها فيها و بمفارقتهم لها خروجهم عنها، و وجه الشبه كونهمحفاتا عراتاو قيل(۳) انّ المراد بمجيئهم اليها دفنهم فيها و بمفارقتهم لها خلقتهم منها كما قال تعالى:

«هُوَ الَّذِی خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ » و هو أقرب من الأوّل بل أقوى، لأنّ جمله فجاءوها معطوفه على جمله استبدلوا، و الفاء العاطفه موضوعه للتعقيب و الترتيب و لا ترتيب كما لا تعقيب بين مضمون الجملتين على الأوّل، و أمّا على الثانی فهو من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل على حدّ قوله:

«وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی » الآيه و هاهنا لما ذكر عليه السّلام استبدا لهم بظهر الأرض بطنها عقّب ذلك ببيان تفصيل حالهم بأنّهم جاءوا اليها حالكونهم حافين عارين ليس لهم نعال و لا لبايس. و لكن ينبغی أن يعلم أنّ اللازم على هذا القول حمل المفارقه على الولاده حتّى يستقيم كونهم حفاتا عراتا.

أقول: و الأظهر عندی يرجع الضمير فی قوله فجاءوها كما فارقوها إلى ظهر الأرض، و التأنيث باعتبار المضاف إليه، فانه قد يكتسب المضاف المؤنث من المضاف إليه المذكر التأنيث إذا صحّت اقامته مقامه كما فی قوله: «كما شرقت صدر القناه من الدّم» و يراد بمجيئهم إليها بعثهم فيها و إعادتهم إليها بعد مفارقتهم لها

۱- (۱) مفد الرجل فی ناعم عيش عاش و تنعم

۲- (۲) القائل الشارح البحرانی (ره)

۳- (۳) القائل الوبری منه

كما قال تعالى:

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ » و على هذا فالأنسب جعل حفاتا عراتا حالين من ضـمير الجمع فى جاءوها لا فارقوها إلاّ أنّه يبعده قوله: (قـد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياه الدّائمه و الدّار الباقيه)إذ الظاهر كونه حالا من فاعلفارقوهامؤكّده لعاملها كما أنّ حفاتا عراتامؤسّـسه و إن أمكن توجيهه بأنّه على جعله حالا من ضـميرجاءوهايكون فيه نحو من التوكيـد أيضا، و يؤيّـد ذلك أنّ الحياه الدائمهإنما هو بعد البرزخ و البعث.

فـان قلت: هـذا التوجيه ينـافيه الضـمير فى عنهـا، لأـنّ ظعنهم على مـا ذكرت إنمـا هو عن بطن الأـرض، و الضـمير فيجاءوهاكـان راجعاظهر الأرض.

قلت: غـايه الأـمر يكون أنه من بـاب الاسـتخدام، و لاـ يقـدح ذلك فى كونه حالا منه فافهم جيـدا، و يقرّب ما ذكرناه من الوجه استشـهاده عليه السّـلام بالآيه الشـريفه أعنى قوله (كما قال سـبحانه) أى فى سوره الأنبياء: يوم نطوى السّماء كطىّ السّجلّ للكتب (كما بـدئنا أوّل خلق نعيـده وعـدا علينا إنّا كنّا فاعلين) فانّها مسوقه لبيان حال البعث و النشور، و معناها نبعث الخلق كما ابتدأناه، أى قدرتنا على الاعاده كقدرتنا على الابتداء.

روى فى الصّافى عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أنه قال: تحشـرون يوم القيامه عراتا حفاتا كما بدئنا أوّل خلق نعيده، و قيل معناها كما بدأناهم فى بطون امّهاتهم حفاتا عراتا عز لا كذلك نعيدهم.

قال الطبرسـىّ روى ذلك مرفوعا و هو يؤيّد القول الثانى أعنى قول من قال أنّ المراد بفارقوها خلقهم منها و ان كان لا يخلو عن دلاـله على ما اسـتظهرناه أيضا فليتأمل و قوله تعالى: وعـدا، منصوب على المصـدر أى وعـدناكم ذلك وعـدا علينا انجازه إنّا كنّا فاعلين ذلك لا محاله.

ص:٢٧

تکمله

اعلم أنّ هـذه الخطبه رواها المحدّث العلاّمه المجلسی «قد» فی البحار من کتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحه باختلاف کثیر أحببت ایرادها بتلک الطریق علی عادتنا المستمرّه.

قال: قال علیه السّلام: احذّرکم الدّنیا فانّها خضره حلوه حفّت بالشّهوات و تخیبت بالعاجله و عمّرت بالآمال و تزیّنت بالغرور و لا یؤمن فجعتها و لا یـدوم خیرها، ضـرّاره غدّاره غرّاره زایله بایده أکّاله عوّاله، لا تعدو إذا تناهت إلی امنیّه أهل الرّضا بها و الرّغبه فیها أن یکون کما قال اللّه عزّ و جلّ: «کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ » علی أنّ امرأ لم یکن فیهـا فی حیره «حبره ظ» إلاّ أعقبته بعـدها عبره، و لم یلق من سـرّائها بطنا إلاّ منحته من ضـرّائها ظهرا، و لم تنله فیها دیمه رخاء إلاّ هتنت علیه مزنه بلاء، و حریّ إذا أصبحت له متنصّره أن تمسی له متنکّره، فان جانب منها اعذوذب لامرء و احلولی، أمرّ علیه جـانب و أوباه، و ان لقی امرء من غضارتها زوّدته من نوابئها تعبا، و لا یمسـی امرء منها فی جناح أمن إلاّ أصبـح فی خوافی خوف و غرور.

فانیه فان من علیها من أقلّ منها استکثر مما تؤمنه و من اسـتکثر منها لم تـدم له و زال عما قلیل عنه، کم من واثق بها قد فجعته و ذی طمأنینه الیها قد صـرعته، و ذی خدع قد خدعته، و ذی ابّهه قد صیّرته حقیرا و ذی نخوه قد صیّرته خائفا فقیرا، و ذی تاج قد أکبّته للیـدین و الفم، سـلطانها دول، و عیشـها رنق، و عـذبها اجاج، و حلوها صبر، و غذائها سـمام، و أسـبابها رمام، حیّها بعرض موت، و صحیحها بعرض سقم، و منیعها بعرض اهتضام، عزیزها مغلوب، و ملکها مسلوب، و ضیفها مثلوب، و جارها محروب.

ثمّ من وراء ذلـک هـول المطلع و سـکرات الموت و الوقوف بین یـدی الحکم العـدل لیجزی الّـذین أسـاءوا بمـا عملوا و یجزی الذین أحسنوا بالحسنی، ألستم فی منازل من کان أطول منکم أعمارا و آثارا، و أعدّ منکم عدیدا، و أکثف جنودا و أشدّ

منکم عنودا تعبّدوا الدّنیا أیّ تعبّد، و آثروها أیّ ایثار، ثمّ ظعنوا عنها بالصغار فهل یمنعکم أنّ الدّنیا سخت لهم بفدیه أو أغنت عنهم فیما قد أهلکهم من خطب، بل قد أوهنتهم بالقوارع، و ضعضعتهم بالنوائب، و عفّرتهم للمناخر، و أعانت علیهم ریب المنون.

فقد رأیتم تنکّرها لمن دان بها و أجدّ الیها حتّی ظعنوا عنها بفراق ابدالی آخر المستند، هل أحلّتهم الاّ الضنک، أو زوّدتهم إلاّ التّعب، أو نورّت لهم إلاّ الظلمه، أو أعقبتهم إلاّ النّار، أ فهذه تؤثرون، أم علی هذه تحرصون، أم إلی هذه تطمئنّون، یقول اللّه جلّ من قائل:

«مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاهَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِیها وَ هُمْ فِیها لا یُبْخَسُونَ أُولئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ إِلَّا النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِیها وَ باطِلٌ ما کانُوا یَعْمَلُونَ » فبئست الدار لمن لا یتّهمها و ان لم یکن فیها علی و جل منها، اعلموا و أنتم تعلمون أنکم تارکوها لا بدّ فانما هی کما نعّتها اللّه لهو و لعب، و اتّعظوا بالذین کانوا یبنون بکلّ ریع آیه تعبثون و یتّخذون مصانع لعلّهم یخلدون، و اتّعظوا بالّذین قالوا من أشدّ منّا قوّه، و اتّعظوا باخوانکم الّذین نقلوا إلی قبورهم لا یدعون رکبانا قد جعل لهم من الضّریح أکنانا و من التراب أکفانا و من الرّفات جیرانا، فهم جیره لا یجیبون داعیا، و لا یمنعون ضیما، قد بادت أضغانهم، فهم کمن لم یکن و کما قال اللّه عزّ و جلّ:

«فَتِلْکَ مَساکِنُهُمْ لَمْ تُسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّ قَلِیلاً وَ کُنّا نَحْنُ الْوارِثِینَ » استبدلوا بظهر الأرض بطنا، و بالسّعه ضیقا، و بالأهل غربه، جاءوها کما فارقوها بأعمالهم إلی خلود الأبد کما قال عزّ من قائل:

«کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنا إِنّا کُنّا فاعِلِینَ »

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن بزرگوار امام انام است در مذمّت دنیا و تحذیر خلایق از آن غدّار و بی وفا که فرموده:

أما بعد از حمد و ثناء خداوند ربّ الأرباب و صلوات بر سیّد ختمی مآب، پس بدرستی که من می ترسانم شما را از دنیا پس بتحقیق که آن شیرین است و سبز یعنی نفس لـذّت می برد از آن بجهت حلاوت و خضرویت و طراوت آن در حالتی که أحاطه کرده شده است بخواهشات نفسانیه، و اظهار محبّت نموده است بطالبان خود بلذّتهای عاجلهٔ خود، و بشکفت آورده مردمان را بزیورهای قلیل و اندک، و آراسته گشته بامیدهای بی بنیاد، و آرایش یافته بباطل و فساد، دوام نمی یابد سرور آن، و ایمن نمی توان شد از درد و مصیبت آن، فریبنده ایست مضرّت رساننده تغییر یابنده ایست زایل شونده، موصوف است بفنا و هلاک، و متّصف است بکثرت خوردن مردمان و أخذ نمودن و هلاک کردن ایشان، تجاوز نمی کند وقتی که متناهی شد بنهایت آرزوی کسانی که راغب هستند در آن، و خوشنودند بآن از این که باشد حال آن بقراری که خداوند متعال بیان فرموده و وصف نموده در سوره کهف که فرموده:

مثل زندگانی دنیا همچه آبی است که نازل کردم آنرا از آسمان پس آمیخته شد بآن آب گیاه زمین پس برگشت آن گیاه خشک و درهم شکسته پس پراکنده می گرداند آنرا بادها و از بیخ بر میکند و هست خدا بهر چیز صاحب اقتدار محصّل مرام اینست که خدا تشبیه نموده صفت زندگانی دنیا را در بهجت و لذّت و سرور و شکفتگی آن که آخرش منتهی می شود بمرگ و هلاک بصفت گیاهی که می روید از زمین بسبب آبی که از آسمان نازل می شود که پنج روز سبز و خرّم و تر و تازه میباشد، و بعد از آن در زمان قلیلی خشک و شکسته می گردد، و بادها آن را از بیخ کنده و می پرانند.

بهار عمر بسی دلفریب و رنگین است ولی چه سود که دارد خزان مرگ از پی

ص:۳۰

پس فرمود: نیست هیـچ مردی از دنیـا در سـرور و شـادی مگر این که در پی در آورد او را بعـد از آن شـادی بگریه و زاری، و ملاقات نکرد هیـچ أحدی از خیر و منفعت دنیا بشـکمی مگر این که بخشـش نمود بآن از دشواری و مشـقت خود آتشـی را، و نبارید بأحدی در دنیا باران نرم آسانی و رفاهیّت مگر این که ریخته شد بر او باران بزرگ قطره از أبر بلا و مصیبت، و سـزاوار است زمانی که بامداد کند مر او را داد سـتاننده آنکه شـبانگاه کند او را تغییر نماینده و ناخوش شـمرنده، و اگر بسیار خوش و شیرین باشد جانبی از آن دنیا تلخ می گردد جانبی دیگر از آن، و ناخوشـی می آورد، نرسد هیچ مردی از طیب عیش و نعمت دنیا برغبت و ارادتی مگر این که پوشانیـد و بار کرد او را از حوادث و مصائب خود تعب و مشـقّتی، و شـبانگاه نکرد احدی از دنیا در بال امنیت و آسایش مگر این که صباح نمود بر پرهای دراز خوف و ترسی.

دنیا بسـیار فریبنده است فریب است آنچه در او است، فنا یابنده است فانیسـت آن کسـیکه بر او است، هیچ خیر و منفعتی نیسـت در چیزی از توشهای دنیا مگر پرهیزکاری و تقوی، هر کس که اندک نمود از لذایذ دنیا و شهوات آن بسیار خواست از چیزی که ایمن گرداند او را از عذاب قیامت و هر کس که بسـیار خواست از شهوات دنیا بسیار خواست از چیزی که هلاک نماید او را در آخرت و زایل شد بعد از اندک زمانی از آن.

بسـا اعتماد کننـدهٔ بـدنیا که دردمنـد ساخت او را، و بسا صاحب اطمینانی بسوی آن که در خاک هلاک انـداخت او را، و بسا صاحب عظمتی که گردانیـد او را حقیر و بی مقـدار، و بسا صاحب نخوتی که گردانیـد او را ذلیل و خوار، سـلطنت و پادشاهی آن دوران کننده است از دستی بدستی، و عیش آن کدر آمیز است و آب شـیرین آن شور است و بیمزه، و حلاوتهای آن تلخ، و طعامهـای آن زهرهـای قاتـل اسـت، و ریسـمانهای آن پوسـیده است، زنـدهٔ آن در معرض مرگست و صـحیح آن در معرض ناخوشی است، ملک و مال آن ربوده شده است، و عزیز آن مغلوب

است، و صاحب ثروت آن صاحب نكبت شده است، و همسايۀ آن ربوده شده از آن تمام مال او.

آيا نيستيد شما در مسكنهاى كسانى كه بودند پيش از شما در حالتى كه درازتر بودند از حيثيّت عمرها، و باقى تر بودند از حيثيّت اثرها، و دورتر بودند از حيثيت آرزوها، و آماده تر بودند از حيثيّت شمار، و انبوه تر بودند از حيثيت لشكر پرستيدند از براى دنيا پرستيدنى و برگزيدند آنرا چه برگزيدنى، پس از آن كوچ كردند از آن بدون توشه كه بمنزل برساند، و بدون مركبى كه قطع مراحل نمايد.

پس آيا رسيد بشما كه دنيا سخاوت ورزيد از براى آنها از روى طيب نفس بفديه دادن، و رها نمودن ايشان، يا آنكه يارى كرد ايشان را بمعاونتى، يا اين كه خوب نمود از براى ايشان صحبتى و معلوم است كه هيچكدام از اينها ننمود بلكه پوشانيد بايشان و بار نمود ايشان را كارهاى سنگين، و ضعيف نمود بمحنتهاى كوبنده و مضطرب كرد ايشان را بحوادث، و بخاك ماليد ايشان را بسوراخهاى دماغها، و لگدكوب كرد ايشان را بدستها و پايها، و اعانت نمود بضرر ايشان حادثات دوران را.

پس بتحقيق ديديد شما تغير دنيا را مر آن كسى را كه تقرّب جست بآن و برگزيد او را و چسبيد بآن تا اين كه كوچ كردند از آن بفراق دائمى آيا توشه داد ايشان را بغير از گرسنگى، يا فرود آورد ايشان را غير از تنگى، يا روشن كرد از براى ايشان غير از تاريكى، يا آنكه از پى در آورد ايشان را غير از پريشانى، آيا پس اين دنياى بى اعتبار اختيار مى كنيد؟ يا بسوى آن مطمئن مى باشيد؟ يا بر او حريص مى شويد؟ پس بد سرائى است آن از براى كسى كه متّهم ندارد او را و نباشد در او بر ترس و هراس از آن.

پس بدانيد و اعتقاد نمائيد و شما عالم هستيد بآن كه شما ترك كننده آن هستيد، و كوچ كننده ايد از آن، و پند گيريد در آن به آن كسانى كه گفتند كه كيست

ص:٣٢

سخت تر از ما از حیثیت قوت، برداشته شدند بسوی قبرهای خود، پس خوانده نشدند سواران، و فرود آورده شدند در قبور پس خوانده نشدند مهمانان، و گردانیده شد از برای ایشان از روی زمین قبرها و از خاک کفنها یا پوشاکها و از استخوانهای پوسیده همسایها، هستند که اجابت نمی کنند خواننده را، و ممانعت نمی کنند ظلم را، و باک نمی دارند از نوحه و زاری، اگر داده شدند باران شاد نگشتند، و اگر رسیدند بقحط و تنگی نومید نشدند.

اجتماع دارند و حال آنکه ایشان تنهایند، و همسایگانند و حال آنکه ایشان دورند، نزدیکند بیکدیگر و حال آنکه ایشان زیارت یکدیگر نمی توانند کنند، و خویشند بهمدیگر و حال آنکه اظهار خویشی نمی نمایند، حلیم هستند در حالتی که رفته است کینهای ایشان، نادانند در حالتی که مرده است جسدهای ایشان، ترسیده نمی شود از اندوه و مصیبت ایشان، و امید گرفته نمی شود دفع نمودن ایشان، عوض کردند بظاهر زمین باطن را، و بفراخی تنگیرا، و بانسیت غریبی را، و بنور و روشنی تاریکی را.

پس آمدند بروی زمین چنانچه مفارقت کردند از آن در حالتی که پا برهنگان و تن برهنگانند در حالتی که کوچ نمودند از آن با عملهای خودشان بسوی زندگانی دائمی و سرای باقی چنانکه فرموده است حق سبحانه و تعالی: همچنان که در ابتداء آفریدیم خلق را اعاده می کنیم ایشان را وعده کردیم آن را وعده کردنی در حالتی که بر ما است وفا کردن بآن بدرستی که ما کنندگانیم آنرا لا محاله وعده بعث و اعاده را داده و قادر هستیم بر انجاز آن وعده.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الحادیه عشر

اشاره

من المختار فی باب الخطب

یذکر فیها ملک الموت و توفّیه الأنفس

هل یحسّ إذا دخل منزلا، أم هل تراه إذا توفّی أحدا، بل کیف

يتوفّى الجنين فى بطن أمّه، أ يلج عليه من بعض جوارحها، أم أجابته بإذن ربّها، أم هو ساكن معه فى أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفه مخلوق مثله؟

اللغه

(توفّيه الأنفس) فى بعض النسخ على وزن التفعّل مصدر توفّاه اللّه أى قبض روحه و أماته، و فى بعض الاخرى توفيه الأنفس وزان التّفعله مصدر باب التفعيل و (يحسّ) بالبناء على المفعول و فى بعض النسخ بدله تحسّ به بصيغه الخطاب و (الجنين) الولد فى البطن و الجمع أجنّه (الأحشاء) جمع الحشاء و هو ما فى البطن من المعاء و غيره.

الاعراب

توفيه الأنفس من اضافه المصدر إلى فاعله، و على ما فى بعض النسخ من توفيه الأنفس من اضافته إلى مفعوله، و قوله هل يحسّ استفهام على سبيل الانكار.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل على ما فى شرح البحرانى من خطبه طويله ذكره عليه السّلام فى معرض التّوحيد و التنزيه للّه تعالى عن اطلاع العقول البشريّه على كنه وصفه و ما ظفرت بعد على هاهنا «عليها ظ»و قد ذكر فيها ملك الموت و توفيه الانفس أى قبضه للأرواح على سبيل الاستطراد، و هو نوع من فنون البيان و هو أن تخرج بعد أن تمهّد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذى تروم ذكره فتذكره و كأنّك غير قاصد لذكره بالذّات بل قد حصل و وقع ذكره عن غير قصد فتمرّ به مرورا كالبرق الخاطف ثمّ تتركه و تنساه و تعود إلى ما مهّدته أوّلا كالمقبل عليه و كالملغى عمّا استطردت بذكره إذا عرفت ذلك فأقول :

ص:۳۴

قوله:(هل يحسّ إذا دخل منزلا أم هل تراه إذا توفّى أحدا) تنبيه على عدم امكان الاحساس به فى دخول منازل المتوفّين و على عدم امكان رؤيته عند اماته الناس، و ذلک لكونه جسما لطيفا هوائيا غير قابل للادراک بالحواس، و قال الشّارح البحرانى: و نبّه باستنكار الاحساس به على أنّه ليس بجسم، اذ كان كلّ جسم من شأنه أن يحسّ باحدى الحواس الخمس «انتهى»، و هو مبنيّ على كون الملائكه جواهر مجرّده غير متحيّزه كما هو مذهب الفلاسفه، و تحقيق ذلک موكول الى محلّه.

ثمّ قال (بل كيف يتوفّى الجنين فى بطن امّه) و هو استعظام لأمره فى قبض روح الجنين، و الأقسام المتصوّره فى كيفيّه ذلک القبض ثلاثه أشار إليها بقوله:

(أ يلج عليه من بعض جوارحها أم الرّوح أجابته باذن ربّها أم هو ساكن معه فى احشائها) و هذا التّقسيم حاصر لا يمكن الزياده عليه. لأنّه اذا فرضناه جسما يقبض الأرواح الّتى فى الأجسام إمّا أن يكون مع الجنين فى جوف امه فيقبض روحه عند حضور أجله، أو خارجا عنها، و الثانى ينقسم قسمين: أحدهما أن يلج جوف امه لقبض روحه، و ثانيهما أن يقبضها من غير حاجه إلى الولوج إلى جوفها، و ذلک بأن يطيعه الرّوح و تكون مسخّره له و منقاده لأمره إذا أراد قبضها امتدّت إليه.

و الاظهر الاقوى أن يكون توفيه الجنين من قبيل القسم الأخير، و يدلّ عليه الرّوايه الآتيه للصّدوق فى الفقيه عن الصّادق عليه السّلام و غيرها أيضا، و على مذاق المعتزله فهو من قبيل الوسط، لأنّهم قالوا: إنّ كيفيّه القبض و لوج الملک من الفم إلى القلب، لأنّه جسم لطيف هوائى لا يتعذّر عليه النفوذ فى المخارق الضيقه فيخالط الرّوح التى هى كالشبيهه بها، لأنّها بخارى، ثمّ يخرج من حيث دخل و هى معه، و يلزم عليهم أن يغوص الملک فى الماء لقبض روح الغريق تحت الماء و التزموا ذلک، و أجابوا بأنّه لا يستحيل أن يتخلّل الملک مسام الماء فانّ فى الماء مسام و منافذ كما فى غيره من الأجسام، و لو فرضنا أنه لامسام فيه لم يبعد أن يلجه الملک فيوسع لنفسه مكانا كالحجر و السمک و نحوهما، و كالرّيح الشّديده التى تقرع ظاهر

البحر فتقعره و تحفره، و قوّه الملک أشدّ من قوّه الرّیح.

و کیف کان فلما بیّن أنّ ملک الموت لا یمکن للانسان وصف حاله و عرفان صفته أردفه بالتنبیه علی عظمه اللّه سبحانه بالنسبه إلیه فقال (کیف یصف الهه من یعجز عن صفه مخلوق مثله) یعنی أنه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق هو مثله فبالأولی أن یعجز عن وصف خالقه و إدراک ذات مبدعه الذی هو أبعد الأشیاء عنه مناسبه.

تنبیه

فی بیان معنی الموت و ایراد بعض الأخبار الوارده فی وصف حال ملک الموت فأقول: قال الشّارح البحرانی أخذا من أبی حامد الغزالی فی کتاب احیاء العلوم: إنّ الموت لیس إلاّ عباره عن تغیّر حال، و هو مفارقه الرّوح لهذا البدن الجاری مجری الآله لذی الصّنعه، و إنّ الرّوح باقیه بعده کما شهدت به البراهین العقلیه بین مظانها، و الآثار النبویّه المتواتره، و معنی مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فیه لخروجه عن حدّ الانتفاع به. فما کان من الامور المدرکه لها تحتاج فی إدراکه إلی اللّه فهی منقطعه عنه بعد مفارقه البدن إلی أن تعاد إلیه فی القبر أو یوم القیامه و ما کان مدرکا لها لنفسها من غیر اللّه فهو باق معها یتنعّم به و یفرح أو یحزن من غیر حاجه الی هذه الآله فی بقاء تلک العلوم و الادراکات الکلیه لها هناک.

قال الغزالی تعطل الجسد بالموت یضاهی تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج یقع فیه و بشدّه تقع فی الاعصاب تمنع نفوذ الرّوح فیها، فتکون الرّوح العالمه العاقله المدرکه باقیه مستعمله لبعض الأعضاء و قد استعصی علیها بعضها، و الموت عباره عن استعصاء الاعضاء کلّها و کلّ الأعضاء آلات، و الرّوح هی المستعمله لها، فالموت زمانه مطلقه فی الأعضاء کلّها، و حقیقه الانسان نفسه و روحه و هی باقیه، نعم تغیّر حاله من جهتین إحداهما أنه سلب منه عینه و اذنه و لسانه و یده و رجله و جمیع أعضائه، و سلب منه أهله و ولده و أقاربه و سایر معارفه، و سلب منه خیله و دوابه و غلمانه و دوره و عقاره و سایر أملاکه، و لا فرق بین أن یسلب هذه الأشیاء من الانسان أو یسلب

الانسان من هذه الأشياء، فانّ المؤلم هو الفراق، و الفراق يحصل تاره بأن ينهب مال الرّجل و تاره بأن يسلب الرّجل عن الملك و المال، و الألم واحد فی الحالتین و إنما معنی الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلی عالم آخر لا یناسب هذا العالم، فان کان له فی الدّنیا شیء یأنس به و یستریح إلیه و یعتدّ بوجوده فیعظم تحسّره علیه بعد الموت، و یصعب شقاؤه فی مفارقته و یلتفت إلی واحد واحد من ماله و جاهه و عقاره حتی إلی قمیص کان یلبسه مثلا، و یفرح به، و إن لم یکن یفرح إلاّ بذکر اللّه و لم یأنس إلاّ به عظم نعیمه و تمّت سعادته، إذ خلی بینه و بین محبوبه و قطعت عنه العوائق و الشواغل المانعه له عن ذکر اللّه.

و الجهه الثانیه أنه ینکشف له بالموت ما لم یکن له مکشوفا فی الحیاه کما ینکشف للمتیقّظ ما لم یکن مکشوفا فی النوم، و النّاس نیام فاذا ماتوا انتبهوا، هذا و قد مضی الکلام فی شرح حاله الاحتضار و کیفیّه زهوق الروح و شرح حال المیت حینئذ فی التذییل الثالث من تذییلات الفصل السّابع من فصول الخطبه الثانیه و الثمانین، و فی شرح الفصل الثانی من الخطبه المأه و الثمانیه و مضی ثمه أیضا وصف حال ملک الموت و نورد هنا ما لم یسبق ذکره هناک فأقول:

روی فی الکافی باسناده عن اسباط بن سالم مولی أبان قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: جعلت فداک یعلم ملک الموت بقبض من یقبض؟ قال علیه السّلام: لا إنما هی صکاک(۱) تنزل من السّماء اقبض نفس فلان بن فلان.

و عن زید الشّحام قال: سئل أبو عبد اللّه علیه السّلام عن ملک الموت فقال: یقال:

الأرض بین یدیه کالقصعه یمدّ یده منها حیث یشاء فقال علیه السّلام نعم.

و عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: ما من أهل بیت شعر و لا وبر إلاّ و ملک الموت یتصفّحهم فی کلّ یوم خمس مرّات.

و عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال سألته عن لحظه ملک الموت قال علیه السّلام

۱- (۱) الصکّ الکتاب الذی یکتب فی المعاملات و الاقاریر، لغه

أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتريهم السّكينه فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم.

و فى الفقيه قال الصّادق عليه السّلام: قيل لملك الموت عليه السّلام: كيف تقبض الأرواح و بعضها فى المغرب و بعضها فى المشرق فى ساعه واحده؟ فقال: ادعوها فتجيبنى، قال: و قال ملك الموت عليه السّلام: إنّ الدّنيا بين يدىّ كالقصعه بين يدى أحدكم فيتناول منها ما شاء، و الدّنيا عندى كالدّرهم فى كفّ احدكم يقلّبه كيف يشاء.

بقى الكلام فى أنّ قابض الأرواح هل هو اللّه سبحانه، أم ملك الموت فقط، أم هو مع ساير الملائكه.

فأقول: الآيات فى ذلك كالرّوايات مختلفه، و وجه الجمع بينها امور اشير إليها فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام.

ففى الفقيه و سئل الصادق عليه السّلام عن قول اللّه عز و جلّ:

«اَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها » و عن قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ » و عن قوله تعالى «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ » وَ «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ » و عن قوله عزّ و جلّ «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا » و عن قوله عزّ و جلّ: «وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ».

و قد يموت فى الساعه الواحده فى جميع الآفاق ما لا يحصيه إلاّ اللّه عزّ و جلّ فكيف هذا؟ فقال عليه السّلام: إنّ اللّه تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكه يقبضون الأرواح بمنزله صاحب الشّرطه له أعوان من الانس، فيبعثهم فى حوائجه فتتوفّاهم الملائكه و يتوفّاهم(۱) ملك الموت من الملائكه مع ما يقبض هو و يتوفّاهم

۱- (۱) اى يقبض أرواحهم منهم.

اللّه من ملك الموت.

و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه سئل عن قول اللّه تعالى:

«اَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها » و قوله: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ » و قوله عزّ و جلّ: «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا » و قوله تعالى «تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ » فمرّه يجعل الفعل لنفسه، و مرّه لملك الموت، و مرّه للرّسل، و مرّه للملائكه فقال عليه السّلام: إنّ اللّه تبارك و تعالى أجلّ و أعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، و فعل رسله و ملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى من الملائكه رسلا و سفره بينه و بين خلقه، و هم الذين قال اللّه فيهم:

«اَللّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ » فمن كان من أهل الطاعه تولّت قبض روحه ملائكه الرّحمه، و من كان من أهل المعصيه تولّت قبض روحه ملائكه النقمه، و لملك الموت أعوان من الملائكه الرّحمه و النقمه يصدرون عن أمره و فعلهم فعله، و كلّ ما يأتونه منسوب إليه، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت ففعل ملك الموت فعل اللّه لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، و يعطى و يمنع و يثيب و يعاقب على يد من يشاء، و انّ فعل امنائه فعله كما قال:

«وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ » و فى التوحيد بسند ذكره عن أبى معمر السّعدانى، أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّى قد شككت فى كتاب اللّه المنزل قال له علىّ عليه السّلام: ثكلتك امّك و كيف شككت فى كتاب اللّه المنزل؟ قال:

لأنى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا فكيف لا أشكّ فيه، فقال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إنّ كتاب اللّه ليصدق بعضه بعضا و لا يكذب بعضه بعضا، و أظنّك لم ترزق عقلا تنتفع به

ص:۳۹

فهات ما شككت فيه من كتاب اللّه - فذكر الرجل آيات مختلفه الظواهر و من جملتها الآيات التى قدّمناها - فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ اللّه تبارك و تعالى يدبّر الامور كيف يشاء، و يوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فانّ اللّه يوكّله بخاصّه من يشاء، و يوكّل رسله من الملائكه خاصّه بمن يشاء من خلقه و الملائكه الذين سماهم اللّه عزّ ذكره، وكلهم بخاصه من يشاء من خلقه تعالى يدبّر الامور كيف يشاء و ليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ النّاس، لأنّ منهم القوىّ و الضعيف، و لأنّ منه ما يطاق حمله و منه ما لا يطيق حمله إلاّ من يسهل اللّه حمله و أعانه عليه من خاصّه أوليائه، و إنّما يكفيك أن تعلم أنّ اللّه المحيى و المميت، و أنّه يتوفّى الأنفس على يدى من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم، قال: فرّجت عنّى يا أمير المؤمنين امتع اللّه المسلمين بك.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن بزرگوار و سيد أبرار است كه ذكر فرمود در آن ملك الموت و قبض نمودن او روحها را.

آيا ادراك كرده مى شود بحواس زمانى كه داخل بشود منزلى، يا آيا مى بينى او را زمانى كه بميراند أحديرا بلكه چه نحو قبض ميكند روح بچه را در شكم مادر خودش، آيا داخل مى شود بر او از بعض أعضاء مادر او، يا آنكه روح بچه اجابت ميكند او را باذن پروردگار خود، يا آنكه ملك الموت ساكن است با آن بچه در آلات اندرون مادر، چگونه وصف ميكند معبود خود را كسى كه عاجز است از وصف مخلوقى كه مثل او است در امكان افتقار.

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و الثانيه عشر من

اشاره

المختار فى باب الخطب.

و أحذّركم الدّنيا فإنّها منزل قلعه و ليست بدار نجعه، قد تزيّنت بغرورها، و غرّت بزينتها، دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها،

ص:۴۰

و خيرها بشرّها، و حياتها بموتها، و حلوها بمرّها، لم يصفّها اللّه تعالى لأوليائه، و لم يضنّ بها على (عن خ) أعدائه، خيرها زهيد، و شرّها عتيد، و جمعها ينفد، و ملكها يسلب، و عامرها يخرب، فما خير دار تنقض نقض البناء، و عمر يفنى فناء الزّاد، و مدّه تنقطع انقطاع السّير، اجعلوا (فاجعلوا خ) ما افترض اللّه عليكم من طلبتكم، و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم، و أسمعوا دعوه الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم، إنّ الزّاهدين فى الدّنيا تبكى قلوبهم و إن ضحكوا، و يشتدّ حزنهم و إن فرحوا، و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا بما رزقوا، قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، و حضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخره، و العاجله أذهب بكم من الآجله، و إنّما أنتم إخوان على دين اللّه ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر، و سوء الضّمائر، فلا توازرون، و لا تناصحون، و لا تباذلون، و لا توادّون، ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه، و لا يحزنكم الكثير من الآخره تحرمونه، و يقلقلكم اليسير من الدّنيا (حين خ) يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك فى وجوهكم و قلّه صبركم عمّا زوى منها عنكم، كأنّها دار مقامكم و كأنّ متاعها باق عليكم، و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف

من عيبه إلاّـ مخافه أن يستقبله بمثله، قد تصافيتم على رفض الاجل، و حبّ العاجل، و صار دين أحدكم لعقه على لسانه، صنع «صنيع» من قد فرغ من «عن خ» عمله، و أحرز رضى سيّده.

اللغه

(القلعه) بالضمّ العزل و المال العاريه أو مالاـ يروم و منزلنا منزل قلعه و قلعه و قلعه و زان همزه أى ليس بمستوطن أو لا تدرى متى تتحول عنه او لاـ تملكه و (النجعه) بالضمّ طلب الكلاء فى موضعه و (يخرب) بالبناء على الفاعل مضارع باب فعل كفرح و فى بعض النسخ بالبناء على المجهول مضارع اخرب و فى بعضها يتخرّب مضارع باب التفعل مبنيا على الفاعل أيضا و (الطلبه) بفتح الطاء و كسر اللام ما طلبته و (مقته) مقتا أبغضه فهو مقيت و ممقوت.

و قوله (فلاـ توازرون) بفتح التاء من باب التفاعل بحذف احدى التائين، و فى بعض النسخ بضمّها و كسر الزّاء مضارع باب المفاعله، و مثله الافعال الثلاـثه بعده و قوله (ما بالكم) فى بعض النسخ بدله مالكم و (اللّعقه) بالضمّ اسم لما يلعق أى تؤكل بالاصبع أو بالملعقه و هى آله معروفه.

الاعراب

جمله قد تزيّنت فى محل النّصب على الحال من الدّنيا، و فى بعض النسخ و قد تزيّنت بالواو، و الفاء فى قوله فخلط حلالها بحرامها فصيحه أى إذا كانت مهانه على اللّه فخلط و فى بعض النسخ عن أعدائه بدل على أعدائه فلا بدّ من تضمين معنى القبض أى لم يضر بها قابضا لها عن أعدائه، و قوله فما خير دار تنقض اه ما استفهاميّه و اضافه خير إلى دار بمعنى فى، أى منفعه فى دار وصفها كذا، و من فى قوله: من طلبتكم للتبعيض، و يحتمل الزياده على مذهب الأخفش و الكوفيّين من تجويز زيادتها فى الايجاب استدلالا بقوله تعالى: و «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ »، و ذهب سيبويه

ص:۴۲

إلى أنها فيه للتبعيض أيضا.

وقوله:و اسألوه من أداء حقه ما سألكم،اى اسألوا منه على الحذف و الايصال، و ما موصوله منصوبه المحلّ مفعول اسألوه و سألكم صلتها و العايد محذوف أى الّذى سأله منكم، و من أداء حقّه، بيان لما، كما فى قولك: عندى من المال ما يكفى، و انّما جاز تقديم من المبينه على المبهم فى هذا و أمثاله، لأنّ المبهم الذى فسّر بمن مقدّم تقديرا كأنّك قلت عندى شىء من المال ما يكفى، فالمبيّن بفتح الباء فى الحقيقه محذوف، و الّذى بعد من عطف بيان له، و المقصود بذلك تحصيل البيان بعد الابهام، لأنّ معنى أعجبنى زيد، أى شىء من أشيائه بلا ريب، فاذا قلت: كرمه أو وجهه، فقد تبيّنت ذلك الشّىء المبهم.

و الفاء فى قوله: فصارت الدّنيا فصيحه، و فى قوله: فلا توازرون، عاطفه مفيده للسّببيه نحو يقوم زيد فيغضب عمرو أى صار قيامه سببا لغضب عمرو، و جمله تفرحون و تدركونه و تحرمونه و يفوتكم فى محال النصب على الحال، و فى بعض النسخ حين يفوتكم، باضافه حين، و قلّه صبركم، بالجرّ عطف على وجوهكم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه للتنفير عن الدّنيا و الترغيب فى الآخره، و نبّه على جهات النفره بقوله (و احذّركم) من (الدّنيا) و الرّكون إليها و الاعتماد عليها و الاغترار بها و بزخارفها (فانها منزل قلعه) أى لا تصح للسّكنى و الاستيطان أو لا تدرى متى يكون لك منها التحوّل و الارتحال و المضىّ و الانتقال(و ليست بدار نجعه)يطلب فيها الكلاء و يروى من الظماء، و هو كنايه عن انّها لا ينال فيها المراد و لا يوفّق فيها للسّداد (قد تزيّنت) للناس (بغرورها) و أباطيلها (و غرّت) المفتونين بها أى خدعتهم (بزينتها) و زخارفها.

و هى (دار هانت على ربّها) و اتصفت بالذّل و الهوان لعدم تعلّق العنايه الالهيه عليها بالذات و إنما خلقت لكونها وسيله إلى غيرها.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بجدى أسك ملقى على مزبله،

ص:٤٣

فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيّا يساو درهما، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى نفسى بيده الدّنيا أهون على اللّه من هذا الجدى على أهله.

و قوله (فخلط حلالها بحرامها و خيرها بشرّها و حياتها بموتها و حلوها بمرّها) يعنى أنها من أجل حقارتها لم تكن خيرا محضا، بل كان كلّ ما يعدّ فيها خيرا مشوبا بشرّ يقابله، بخلاف الدّار الآخره، فانها خير كلّها وصفو كلّها و لذلك (لم يصفّها اللّه لأوليائه) بل جعلهم فيها مبتلى بأنواع الغمص و المحن، و أصناف المصائب و الحزن فمشربهم فيها رنق و مترعهم فيها روغ (و لم يضنّ بها على أعدائه) بل أعطاهم فيها غايه المأمول، و منتهى المسئول، فحازوا نفايس الأموال و فازوا نهايه الآمال، و ليس عدم التّصفيه للأولياء و عدم الضنّه بها فى حقّ الأعداء إلاّ اكراما للأوّلين و إضلالا للآخرين.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إنّ المؤمن ليكرم على اللّه حتى لو سأله الجنّه بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ الكافر ليهون على اللّه حتى لو سأله الدّنيا بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ اللّه ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغايب أهله بالطرف، و إنّه ليحميه الدّنيا كما يحمى الطّبيب المريض.

و فى روايه اخرى عنه عليه السّلام قال: ما كان من ولد آدم مؤمن إلاّ فقيرا و لا كافر إلاّ غنيّا، حتّى جاء إبراهيم فقال:

«رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ».

فصيّر اللّه فى هؤلاء أموالا و حاجه، و فى هؤلاء أموالا و حاجه.

و بالجمله فعدم تصفيتها للأولياء و جعلهم فيها مبتلى بأوصاف البلاء ليس إلاّ ليصبروا أيّاما قليله و يصيروا إلى راحه طويله، و عدم قبضها من الأعداء لهوانها عليه سبحانه

كهوانهم عنده و لو تساوى(۱) عنده تعالى جناح بعوضه لما اعطى أعدائه منها حبّه و لا سقاهم منها شربه.

(خيرها زهيد) قليل (و شرّها عتيد) حاضر (و جمعها ينفد) و يفنى (و ملكها يسلب) و يؤخذ (و عامرها يخرب) و يهدم (فما خير دار) اى أىّ خير و منفعه فى دار(تنقض نقض البناء و عمر يفنى فناء الزاد و مدّه تنقطع انقطاع السير)لا يخفى حسن التشبيه فى القراين الثلاث و تمام المناسبه و الايتلاف بين طرفى التشبيه فى كلّ منها هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على معايب الدّنيا و مساويها عقّبه بالأمر بأخذ ما هو لازم فيها فقال (اجعلوا ما افترض اللّه عليكم) من العقائد الحقّه و المعارف الالهيّه و العبادات الفرعيّه (من طلبتكم) أى من جمله ما تطلبونه أو نفس ما تطلبونه على زياده من و على الثانى ففيه من المبالغه ما لا يخفى، يعنى أنّ اللّازم عليكم أن يكون مطلوبكم فى الدّنيا الفرائض و أدائها و تكون همّتكم مقصوره فيها (و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم) أى اسألوا منه سبحانه التّوفيق و التّسديد و الاعانه لما أمركم به و فرضه عليكم من أداء حقوقه الواجبه و تكاليفه اللّازمه، فانّ الاتيان بالواجبات و الانتهاء عن السّيئات لا يحصل إلّا بحول اللّه و قوّته و توفيقه و تأييده و عصمته، فيلزم على العبد أن يقرع باب الرّب ذى الجلال بيد الذلّ و المسكنه و السؤال لأن يسهّل له مشاقّ الأعمال، و يصرفه عما يورطه فى ورطه الضّلال، و يوقعه فى شدايد الأهوال، كما قال سيّد العابدين و زين السّاجدين سلام اللّه عليه و على آبائه و أولاده الطّاهرين فى دعاء يوم عرفه:

و خذ بقلبى إلى ما استعملت به القانتين، و استعبدت به المتعبّدين، و استنقذت به المتهاونين، و أعذنى مما يباعدنى عنك و يحول بينى و بين حظّى منك و يصدّنى

۱- (۱) هذه العباره مقتبس من الحديث النبوى قال (صلّى اللّه عليه و آله) لو كانت الدنيا عند اللّه تزن جناح بعوضه لما سقى كافرا منها شربه ماء منه

عمّا احاول لدیک، و سهّل لی مسلک الخیرات الیک، و المسابقه إلیها من حیث أمرت و المشاحه فیها علی ما أوردت.

و فی دعاء الاشتیاق إلی طلب المغفره:

اللّهم و إنّک من الضعف خلقتنا، و علی الوهن بنیتنا، و من ماء مهین ابتدئتنا و لا حول لنا إلّا بقوّتک، و لا قوّه لنا إلّا بعونک، فأیّدنا بتوفیقک، و سدّدنا بتسدیدک و أعم أبصار قلوبنا عمّا خالف محبّتک، و لا تجعل لشیء من جوارحنا نفوذا إلی معصیتک.

و فی دعائه علیه السّلام فی ذکر التّوبه:

اللّهم انّه لا وفاء لی بالتوبه إلاّ بعصمتک، و لا استمساک بی عن الخطایا إلّا عن قوّتک، فقوّنی بقوّه کافیه، و تولّنی بعصمه مانعه، هذا.

و اطلاق السّؤال علی الفرائض و الأوامر فی قولهما سألکممن باب المجاز بجامع الطّلب، أو أنّ الاتیان بلفظ السؤال لمجرّد المشاکله بینه و بین قولهو اسألوهو هی من محسّنات البدیع کما مرّ فی دیباجه الشرح و قوله (و اسمعوا دعوه الموت آذانکم قبل أن یدعی بکم) أراد به التهیّؤ للموت قبل حلول الفوت و الاستعداد له قبل نزوله، بأن یجعله نصب عینیه، یذکر شدّه ما یکون فی تلک الحال علیه من سکره ملهثه و غمره کارثه و أنّه موجعه و جذبه مکربه و سوقه متعبه.

ثمّ نبّه علیه السّلام علی أوصاف خیره العباد من العبّاد و الزّهاد لترمق أعمالهم و یقتدی لهم فی أفعالهم فقال:(إنّ الزاهدین فی الدّنیا) الرّاغبین فی الآخره (تبکی قلوبهم) من خشیه الحقّ (و إن ضحکوا) مداراه مع الخلق (و یشتدّ حزنهم) من خوف النار و غضب الجبّار (و إن فرحوا) حینا ما من الأعصار (و یکثر مقتهم) و بغضهم (أنفسهم) لکونها أمّاره بالسّوء و الفساد صارفه عن سمت السّداد و الرشاد فلا یطیعونها و لا یلتفتون إلیها و لا یخلعون لجامها لتقتحم لهم فی العذاب الالیم و توردهم فی الخزی العظیم (و ان اغتبطوا) ای اغتبطهم الناس (بما رزقوا) من فوائد النّعم و عوائد المزید و القسم.

ثمّ وبّخهم علی ما هم علیه من حاله الغرّه و الغفله فقال (قد غاب عن قلوبکم

ذكر الآجال) فلم تمهدوا فى سلامه الأبدان (و حضرتكم كواذب الآمال) فلم تعتبروا فى أنف الأوان (فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخره) لاستيلائها عليكم و نفوذ تصرّفها فيكم و اتّباعكم عليها اتّباع العبد على سيّده و المملوك على مولاه (و العاجله أذهب بكم من الآجله) لفرط محبّتكم لها و دخول حبّها شغاف قلوبكم فذهبت بقلوبكم كما يذهب المحبوب بقلب محبّه (و انّما أنتم اخوان مجتمعون على دين اللّه) و فطرته التى فطر النّاس عليها بقوله تعالى إنّما المؤمنون اخوه (ما فرّق بينكم إلّا خبث السّرائر و سوء الضمائر) اى لم يفرّق بينكم إلّا خبث البواطن و سوء العقائد و النّيات و من ذلك ارتفعت عليكم آثار التواخى و المودّه و لوازم المحبّه و الاخوّه (فلا توازرون و لا تناصحون و لا تباذلون و لا توادّون) أى لا يعين أحدكم صاحبه و لا يقويه و لا يناصحه و لا يبذل ماله له و لا يقوم بلوازم المودّه روى فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم ابن عمر اليمانى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: حقّ المسلم على المسلم أن لا يشبع و يجوع أخوه و لا يروى و يعطش أخوه و لا يكتسى و يعرى أخوه، فما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم.

و قال أحبّ لأخيك المسلم ما تحبّ لنفسك و إذا احتجت فاسأله و إن سألك فاعطه، لا تملّه خيرا و لا يملّه لك، كن له ظهرا فانه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه فى غيبته، و إذا شهد فزره و أجلّه و أكرمه فانه منك و أنت منه، فان كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتّى تسئل سميحته(۱) و إن أصابه خير فاحمد اللّه، و إن ابتلى فاعضده، و إن يمحل له فأعنه، و إذا قال الرّجل لأخيه: اف انقطع ما بينهما من الولايه، و إذا قال: أنت عدوّى كفر أحدهما، فاذا اتّهمه انماث الايمان فى قلبه كما يماث الملح فى الماء.

و باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يوارى عورته، و يفرّج عنه كربته، و يقضى دينه، فاذا مات خلفه

۱- (۱) تسلّ سخيمته «كذا فى الوسايل»

فی أهله و ولده.

أقول: قد استفید من هذین الخبرین و غیرهما لم نورده شرایط الاخوّه بین المسلمین، و علم بذلک أنّ من لم یقم بوظایفها فلیس هو فی الحقیقه بأخ لصاحبه، و لذلک قال الباقر و الصّادق علیهما السّلام فیما رواه عنهما فی الکافی: لم تتواخوا علی هذا الأمر و إنما تعارفتم علیه.

ثمّ استفهم علی المخاطبین علی سبیل التقریع فقال (ما بالکم تفرحون بالیسیر من الدّنیا تدرکونه و لا یحزنکم الکثیر من الآخره تحرمونه) مع أنّ هذا الیسیر فان زائل و ذلک الکثیر باق دائم (و یقلقلکم) أی یزعجکم (الیسیر من الدّنیا یفوتکم حتّی یتبیّن ذلک) القلق و الاضطراب و یظهر أثره (فی وجوهکم و) فی (قلّه صبرکم عمّا زوی) أی قبض (منها) أی من الدّنیا و خیرها و فضلها (عنکم) فتحزنون و تتأسّفون بذلک (کأنها دار مقامکم و کانّ متاعها باق علیکم)ثمّ ذمّهم علی عدم کون محافظتهم علی اخوانهم بظهر الغیب عن وجه الخلوص و الصّفاء و علی عدم کون کتمانهم لعیوب اخوتهم لمجرّد ملاحظه الصّدقه و الاخاء فقال (و ما یمنع أحدکم أن یستقبل أخاه بما یخاف) الأخ منه (من عیبه إلاّ مخافه ان یستقبله) أخوه (بمثله) یعنی أنه لا مانع لأحد منکم من مواجهه أخیه باظهار عیوبه التی یخاف الأخ من إظهارها إلاّ مخافه أن یواجهه أخوه بمثل ما واجهه به، فیذکر مثالبه و یظهر معایبه، و هو اشاره إلی عدم مبالاتهم فی الدین و عدم خوفهم من اللّه سبحانه فی إذاعه سرّ المؤمنین مع أنّ حقّ المؤمن من المؤمن إذا رأی منه عیبا أو عرف منه ذنبا هو الاخفاء و الکتمان، لا الاذاعه و الاعلان، قضاء لحق الاخوّه و رعایه لوظیفه التقوی و المروّه قال اللّه سبحانه:

«إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ » و قال أبو عبد اللّه علیه السّلام من روی علی مؤمن روایه یرید بها شینه و هدم مروّته لیسقط من أعین الناس أخرجه اللّه من ولایته إلی ولایه الشّیطان فلا یقبله الشّیطان

رواه فی الکافی.

و فیه أیضا عن زید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: فیما جاء فی الحدیث عوره المؤمن علی المؤمن حرام، قال: ما هو أن ینکشف فتری منه شیئا إنّما هو أن تروی علیه أو تعیبه.

ثمّ قال (قد تصافیتم علی رفض الآجل و حبّ العاجل) أی تواخیتم علی ترک الاخری و محبّه الدّنیا(و صار دین أحدکم لعقه علی لسانه)قال الشارح البحرانی استعار لفظ اللعقه لما ینطق به من شعار الاسلام و الدّین کالشّهادتین و نحوهما من دون ثبات ذلک فی القلب و رسوخه و العمل علی وفقه.

و قال الشارح المعتزلی: و أصل اللعقه شیء قلیل یؤخذ بالملعقه من الاناء یصف دینهم بالنزاره، و لم یقنع بأن جعله لعقه حتی جعله علی ألسنتهم فقط أی لیس فی قلوبهم (صنع من) أی صنعهم مثل صنیع من(قد فرغ من عمله و أحرز رضی سیّده)باتیان أوامره و أحکامه، و وجه التشبیه الاشتراک فی الاعراض من العمل.

الترجمه

از جملهٔ خطبهای آن حضرت است در مذمّت دنیا و تنفیر مردمان از آن غدار بی وفا چنانچه فرموده:

و می ترسانم شما را از دنیا، پس بدرستی که آن منزلی است که قابل أخذ وطن نیست و نیست سرائی که طلب آب و گیاه کرده شود در آن، بتحقیق که آراسته شده بباطل خود، و فریب داده به آرایش خود، خانه ایست که ذلیل و خوار شده بر پروردگار خود، پس آمیخته حلال آنرا بحرام آن، و خیر آنرا بشرّ آن، و زندگانی آن را بمرگ آن، و شیرینی آن را بتلخ آن، صافی نفرموده است آنرا از برای دوستان خود، و بخیلی ننموده آن را بر دشمنان خود، خیر آن کم است، و شرّ آن حاضر است، و جمع شدهٔ آن تمام می شود، و پادشاهی آن ربوده می شود، و آباد آن خراب می شود.

پس چه منفعت است در خانه ای که شکسته می شود چون شکسته شدن بنای

بی اعتبـار، و در عمری که فـانی می شود چون فـانی شـدن توشه، و در مـدتی که منقطع می شود چون انقطـاع رفتار، بگردانید آنچه که واجب نمود خداوند تعالی بر شما از جمله مطالب خود، و سؤال کنید از حق تعالی توفیق و اعانه آنچه را که خواهش فرموده از شـما از أداء حق او، و بشـنوانید دعوت مرگ را بگوشـهای خودتان پیش از این که دعوت نماینـد و بخواننـد شـما را بدار القرار.

بـدرستی صاحبان زهـد در دنیا گریه میکند قلبهای ایشان و اگر چه خنده کنند بحسب ظاهر، و شدّت می یابد پریشانی ایشان و اگر چه شـاد باشـند بر روی نـاظر، و بسـیار می شود دشـمنی ایشـان با نفسـهای خودشان و اگر چه غبطه کرده شونـد و مردمان آرزوی نیکوئی حال ایشان را نمایند به آن چه که روزی داده شدند در این جهان.

بتحقیق که غـائب شـده از قلبهـای شـما یـاد کردن أجلهـا، و حاضـر شـده شـما را دروغهای آرزوها، پس گردیـد دنیا مالکتر و متصرّفتر شـد بشـما از آخرت، و دنیا برنده تر شد شـما را بسوی خود از عقبا، و جز این نیست که شـما برادرانید بر دین خدای تعالی تفرقه نینداخته در میان شما مگر ناپاکی شرها، و بدی اندیشها، پس اعانت یکدیگر نمی کنید، و بار گردن یکدیگر را بر نمی دارید، و نصیحت نمی کنید یکدیگر را، و بخشش نمی کنید بیکدیگر، و دوستی نمی ورزید با یکدیگر.

چیست شأن شـما در حالتی که شاد می باشید باندکی از دنیا در حالتی که در می یابید آنرا، و محزون نمی کند شما را بسیاری از آخرت در حالتی که محروم می شوید از آن، و مضـطرب می نماید شـما را اندکی از متاع دنیا هنگامی که فوت می شود از شما تا آنکه ظاهر می شود أثر آن اضـطراب در بشـره رویهای شـما در کمی صبر و شکیبائی شما از آنچه پیچیده شده است از متاع دنیا از شـما، گوئیا دنیا سـرای اقامت شما است، و گوئیا متاع آن باقی است بر شما، و مانع نمی شود یکی از شما را از این که مواجهه کنـد برادر دینی خود را بچیزی که می ترسـد برادر از عیب آن مگر ترس آنکه مواجهه نمایـد برادر او بـا او با مثل گفتار او، بتحقیق که دوستی ورزیـده ایـد با یکـدیگر بر ترک آخرت و بر محبّت دنیا، و گردیده است دین یکی از شـما آنچه که بیکار

لیسیده می شود بر زبان، و عمل نمودید ترک در امورات اخروی مثل کار کسی که فارغ شود از عمل خود، و فراهم آورده باشد خوشنودی و رضای مولای خود را.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثالثه عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

الحمد للّه الواصل الحمد بالنّعم، و النّعم بالشّکر، نحمده علی آلائه کما نحمده علی بلائه، و نستعینه علی هذه النّفوس البطاء عمّا أمرت به، السّراع إلی ما نهیت عنه، و نستغفره ممّا أحاط به علمه، و أحصاه کتابه علم غیر قاصر، و کتاب غیر مغادر، و نؤمن به إیمان من عاین الغیوب، و وقف علی الموعود، إیمانا نفی إخلاصه الشّرک، و یقینه الشّکّ، و نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أن محمّدا عبده و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، شهادتین تصعدان القول، و ترفعان العمل، لا یخفّ میزان توضعان فیه، و لا یثقل میزان ترفعان عنه، أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه الّتی هی الزّاد، و بها المعاد، زاد مبلّغ، و معاد منجح، دعا إلیها أسمع داع، و وعیها خیر واع فأسمع داعیها، و فاز واعیها، عباد اللّه، إنّ تقوی اللّه حمت أولیاء اللّه محارمه، و ألزمت قلوبهم مخافته، حتّی أسهرت لیالیهم، و أظمأت هواجرهم، فأخذوا الرّاحه بالنّصب، و الرّیّ بالظّمآء، و استقربوا الأجل

فبادروا العمل، و كذّبوا الأمل، فلاحظوا الأجل. ثمّ إنّ الدّنيا دار فناء و عناء، و غير و عبر، فمن الفناء إنّ الدّهر موتر قوسه، و لا تخطى سهامه، و لا توسى جراحه، يرمى الحىّ بالموت، و الصّحيح بالسّقم، و النّاجى بالعطب، آكل لا يشبع، و شارب لا ينقع، و من العناء أنّ المرء يجمع ما لا يأكل، و يبنى ما لا يسكن، ثمّ يخرج إلى اللّه لا مالا حمل، و لا بناء نقل، و من غيرها أنّك ترى المرحوم مغبوطا، و المغبوط مرحوما، ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ، و بؤسا نزل، و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله، فيقتطعه حضور أجله، فلا أمل يدرك، و لا مؤمّل يترك، فسبحان اللّه ما أغرّ سرورها، و أظمأ ريّها، و أضحى فيئها، لا جاء يردّ، و لا ماض يرتدّ، فسبحان اللّه ما أقرب الحىّ من الميّت للحاقه به، و أبعد الميّت من الحىّ لانقطاعه عنه، إنّه ليس شىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه، و ليس شىء بخير من الخير إلا ثوابه، و كلّ شىء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شىء من الآخره عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السّماع، و من الغيب الخبر. و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد فى الآخره خير ممّا نقص من الآخره و زاد فى الدّنيا، فكم من منقوص رابح، و مزيد خاسر، إنّ

الّذى أمرتم به أوسع من الـذى نهيتم عنه، و مـا أحـلّ لكم أكثر ممّـا حرّم عليكم، فـذروا مـا قلّ لما كثر، و ما ضاق لما اتّسع، قد تكفّل لكم بـالرّزق، و أمرتم بالعمـل، فلاـ يكـونـنّ المضـمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنّه و اللّه لقد اعترض الشّكّ و دخل اليقين حتّى كأنّ الّذى ضـمن لكم قـد فرض عليكم، و كأنّ الّذى فرض عليكم قـد وضع عنكم، فبادروا العمل، و خافوا بغته الأجل، فإنّه لا يرجا من رجعه العمر ما يرجى من رجعه الرّزق، ما فات اليوم من الرّزق رجى غدا زيادته، و ما فـات أمس من العمر لم يرج رجعته، الرّجاء مع الجائى، و اليأس مع الماضـى، «اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ ».

اللغه

(البطـاء) على وزن الفعـال من بطوء بطئـا كقرب ضـدّ السّـراع و (غـادره) مغادره و غـدارا تركه و بقاه و (المعاد) بالـدال المهمله مصـدر بمعنى العـود أى الرّجـوع إلى اللّه سـبحانه، و فى بعض النسخ بالـذال المعجمـه بمعنى الملاـذ و (النجـح) بـالضم الظفر بالمطلوب و انجـح زيـد صار ذا نجـح فهو منجح و (أسـمع واع) بناء أفعل ههنا من الرباعى أى أشدّ اسـماعا، مثل قولهم ما أعطاه للمـال و مـا أولاـه للمعروف و هـذا المكـان أقفر من غيره، أى أشـدّ اقفـارا، و فى بعض الرّوايات: و احسن واع، بـدله و (الظماء) محرّكه العطش أو شـدّته و (الهواجر) جمع الهـاجره و هو كالهجر و الهجيره نصف النهار أو من عنـد زوال الشـمس إلى العصـر، لأنّ الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا، و شدّه الحرّ.

و (الرّى) بالكسر اسم من روى من الماء و اللبن ريّا و (الغير) اسم من

غيره جعله غير ما كان و حوّله و بدله و غير الدهر وزان عنب احداثه المغيره و (موتر) من باب الافعال أو التفعيل و كلاهما مرويّان يقال: أو تر القوس أى جعل لها وترا و وترها توتى را شدّ وترها، و الوتر محرّكه شرعه القوس و معلقها و الجمع أوتار و (أسى) الجرح اسوا واسى داواه، اسوت بين القوم أصلحت و (أضحى) فيئها من ضحى الرجل إذا برز للشمس و (العيان) بالكسر المعاينه يقال لقيه عيانا أى معاينه لم يشكّ فى رؤيته إيّاه و (دخل اليقين) أى تزلزل كما فى قوله: كنت أرى اسلامه مدخولا، أى متزلزلا و (الرجعه) الرّجوع و (التقاه) الخوف و أصله تقيه و زان تهمه.

الاعراب

ايمانا بالنصب بدل من ايمان الأوّل، و جمله تصعدان صفه للشهادتين، و جمله لا يخف آه تحتمل الوصفيه أيضا و الحاليه لوقوعها بعد نكره مخصّصه بالوصف، و داعيها فاعل اسمع، و واعيها فاعل فاز، و الباء فى قوله بالنصب و بالظماء للمقابله، و أكل بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، و قوله لا مالا حمل، لا للنّفى و ما لا منصوب بفعل محذوف يفسّره ما بعده، و جمله المنفى حال من فاعل يخرج، و طلبه بالرفع بدل اشتمال من المضمون و ليس فاعلا له على حدّ قولهم: جاءنى المضروب أخوه، و ذلك لأنّ الرزق حصوله مضمون لا طلبه كما هو ظاهر، و يحتمل أن يكون رفعه بالابتداء و أولى بكم خبره، و جمله المبتدأ و الخبر فى محلّ النصب خبرا ليكون، و الأول أحسن و أنسب.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذه الخطبه الشريفه الأمر بملازمه التقوى و التنفير عن الدّنيا و الترغيب فى العقبا افتتحها بالحمد و الثناء فقال:

(الحمد للّه الواصل الحمد بالنّعم و النّعم بالشكر) المراد بوصل أحدهما بالآخر شدّه الارتباط بينهما، فيكون التكرير للتأكيد أو أنه أراد بوصل الحمد بالنّعم ايجابه الحمد عليها و أمره به عند حصولها، و بوصل النّعم بالشّكر جعل

الشکر سببا لمزیدها کما قال: لئن شکرتم لأزیدنّکم، و هذا هو الأظهر، و لذا اختار الشّکر علی الحمد لمحا للآیه الشریفه.

(نحمده علی آلائه کما نحمده علی بلائه) و هذا من باب التشبیه المقلوب و الغرض منه عاید إلی المشبّه به و هو ایهام أنّه أتمّ من المشبّه و ان کان الحمد علی الآلاء أکثر و أشهر، و مثله قوله:

و بدا الصّباح کأنّ غرّته وجه الخلیفه حین یمتدح

فانه قصد ایهام أنّ وجه الخلیفه أتمّ فی الوضوح و الضّیاء من الصّباح و ان کان الأمر بحسب الواقع بالعکس هذا، و فیه ارشاد للعباد علی القیام بوظایف الحمد عند السّراء و الضرّاء، و الملازمه بمراسم التّحیّه و الثناء فی حالتی الشدّه و الرّخاء لأنّ الرضاء بالقضاء و الصّبر علی البلا یوجبان الثواب الجمیل و الأجر الجزیل فی العقبی فبذلک الاعتبار البلاء منه سبحانه أیضا نعمه توجب الحمد للّه تعالی قال:

«وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ بِشَیْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ » الآیات.

و فی روایه الکافی عن داود بن فرقد عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال إنّ فیما أوحی اللّه تعالی إلی موسی بن عمران یا موسی بن عمران ما خلقت خلقا أحبّ إلیّ من عبدی المؤمن، و انی انما أبتلیه لما هو خیر له، و أزوی عنه لما هو خیر له، و أنا أعلم بما یصلح علیه عبدی، فلیصبر علی بلائی و لیشکر نعمائی و لیرض بقضائی اکتبه فی الصّدیقین عندی إذا عمل برضائی و أطاع أمری (و نستعینه علی هذه النفوس) المایله بمقتضی جبلّتها إلی المفاسد و المقابح و الراغبه عن المنافع و المصالح (البطاء عمّا امرت به) من العبادات و الطّاعات (السّراع إلی ما نهیت عنه) من المعاصی و السّیئآت (و نستغفره ممّا أحاط به علمه و أحصاه کتابه) من صغایر الذّنوب و کبایرها و بواطن السّیئات و ظواهرها و سوالف الزّلاّت و حوادثها (علم غیر قاصر) عن شیء و لا یعزب عنه ممّا فی الأرض و السّماء من شیء (و کتاب

غير مغادر) شيء أى لا يغادر و لا يبقى صغيره و لا كبيره إلاّ أحصيها.

(و نؤمن به) أى نصدّقه بقول مقول و عمل معمول و عرفان بالعقول و اتّباع الرّسول (ايمان من عاين الغيوب) و شاهد بعين اليقين الغيب المحجوب عن غمره الموت و سكرته و ضيق القبر و ظلمته و طول البرزخ و وحشته و عقبات السّاعه و دواهيها و أهوال القيامه و شدائدها (و وقف) أى اطّلع (على الموعود) من الرّفد المرفود و الطلح المنضود و السّدر المخضود و الظل الممدود و غيرها ممّا وعد به المتّقون، أو النّار ذات الوقود و القيح و السّديد و العذاب الشّديد و نزل الحميم و تصليه الجحيم و نحوها ممّا وعد به المجرمون.

و انّما خصّ ايمان المعاين الواقف بالبيان لكونه أقوى درجات الايمان، فانّ من الايمان ما يكون بحسب التقليد، و منه ما يكون بحسب البرهان و هو علم اليقين، و أقوى منه الايمان بحسب الكشف و المشاهده، و هو عين اليقين و ذلك هو الايمان الخالص.

و فى الكافى باسناده عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلّى بالنّاس الصّبح فنظر إلى شابّ فى المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه مصفرا لونه و قد نحف جسمه و غارت عيناه فى رأسه فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقه فما حقيقه يقينك؟ فقال:

إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أخرننى و أسهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب و حشر الخلايق لذلك و أنا فيهم، و كأنّى انظر إلى أهل الجنّه يتنعّمون فى الجنّه و يتعارفون على الأرائك متّكؤون، و كأنّى أنظر إلى أهل النّار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّى الآن أسمع زفير النّار يدور فى مسامعى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالايمان، ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع اللّه لى يا رسول اللّه أن ارزق الشّهاده معك، فدعى له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاستشهد بعد تسعه نفر و كان هو العاشر.

و حيث كان ايمانه عليه السّلام من أقوى درجات الايمان و أعلى مراتبه، موصوفا بالخلوص و اليقين كما قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اتبعه بقوله:(ايمانا نفى اخلاصه الشّرك و يقينه الشّك) أما نفى اخلاصه للشّرك فواضح، و أما نفى يقينه للشّك فلأنّ اليقين عباره عن الاعتقاد بأنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن أن لا يكون إلاّ كذا، فهو مناف للشكّ لا محاله.

(و نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبده و رسوله) و قد مضى تفصيل ما يتعلّق بالشّهادتين فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثانيه و لا حاجه إلى الاعاده.

(شهادتين تصعدان القول) أى الكلم الطّيب (و ترفعان العمل) أى العمل الصّالح و إنما تكونان كذلك إذا كانتا صادرتين عن صميم القلب و وجه اليقين و خلوص الجنان فتكونان حينئذ فاتحه الاحسان و عزيمه الايمان تصعدان الكلمات الطيّبات، و ترفعان الأعمال الصّالحات، و تزيدان فى الدّرجات، و تكفّران الخطيات و أمّا الصّادره عن مجرّد اللّسان فلا فايده فيها إلاّ تطهير ظاهر الانسان، و خيرها زهيد و نفعها فقيد هذا.

و فى قوله (لا يخفّ ميزان توضعان فيه و لا يثقل ميزان ترفعان عنه) دلاله على أنّ لهما مدخليه فى ثقل الميزان و خفّته بوضعهما فيه و رفعهما عنه.

و يشهد به صريحا فى الجمله ما قدّمنا روايتها فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثانيه، من ثواب الأعمال عن أبى سعيد الخدرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

قال اللّه جلّ جلاله لموسى بن عمران: يا موسى لو أنّ السّماوات، و عامريهنّ عندى و الأرضين السبع فى كفّه و لا إله إلاّ اللّه فى كفه مالت بهنّ لا إله إلاّ اللّه.

ثمّ وصّى عليه السّلام العباد بما لا يزال يوصى به فقال:(اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه

التی هی) الـذّخیره و (الزاد و بها) المرجع و (المعاد زاد) یتقوّی به إلی طیّ منازل الآخره و سـلوک سبیل الجنان (مبلّغ) إلی غایه الرّضوان (و معاد منجح) یصادف عنـده الفوز و النجاح و ینال به منتهی الارباح (دعا الیها) أی إلی التقوی (أسـمع داع و وعاها) أی حفظها (خیر واع) یحتمل أن یکون المراد بأسـمع داع هو اللّه سـبحانه، لأنّه أشـدّ المسـمعین اسـماعا، و قد دعی إلیها کثیرا و ندب إلیها فی غیر واحد من الکتب السّماویّه و غیر آیه من الآیات القرآنیّه و من جملتها قوله سبحانه:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی ».

و بخیر واع هو الأنبیـاء و المرسـلون أو الاـعمّ منهم و من سایر المسارعین إلی داعی اللّه الّذین هم أفضل القوابل الانسانیّه، و أن یکون المراد بأسمع داع رسول اللّه و بخیر واع نفسه علیه السّلام.

و یؤیّده قوله تعالی: اذن واعیه، بما روی فی الکافی عن الصادق علیه السّلام قال:

لما نزلت هذه الآیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: هی اذنک یا علی.

(فاسمع داعیها) أی لم یبق أحد من المکلّفین إلاّ أسمعه تلک الدّعوه (و فاز واعیها) المتدبّر فیها الآخذ بها.

ثمّ نبّه علی آثار التقوی و خواصّـها فی الأولیاء فقال (عباد اللّه إنّ تقوی اللّه حمت) أی منعت (أولیاء اللّه) من حماه سبحانه و هو (محارمه) کما قال صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم ألا و إنّ لکلّ ملک حمی و انّ حمی اللّه محارمه فمن رتع حول الحمی أوشـک أن یقع فیه، أی قرب أن یـدخله (و الزمت قلوبهم مخـافته) و خشـیته(حتی اسـهرت لیـالیهم و اظمأت هواجرهم)نسـبه السّـهر إلی اللّیالی و الظماء إلی الهواجر من باب التوسّع و المجاز علی حدّ قولهم: نهاره صائم و لیله قائم، و المراد أنّ التقوی و شدّه الخوف أوجبت سـهرهم فی اللّیـالی للقیـام إلی الصّـلاه و الـدّوام علی المناجـاه و عطشـهم فی الهواجر لملاـزمتهم بالصّـیام و الکفّ عن الشراب و الطعام، فهم عمش العیون من

البكاء ذبل الشفاه من الدعاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصّيام، صفر الوجوه من السهر، عليهم غبره الخاشعين.

(فأخذوا الراحه) فى الاخرى (بالنصب) و التعب فى الدّنيا (و الرّى) من عين سلسبيل (بالظّماء) و العطش فى زمان قليل (و استقربوا الأجل فبادروا العمل و كذبوا الأمل فلاحظوا الأجل) يعنى أنهم عدوّا الآجال أى مدّه الأعمار قريبا، فسارعوا إلى الأعمال الصّالحه و تهيّأوا زاد الآخره، و أنهم كذّبوا الآمال الباطله و لم يغترّوا بالامنيّات العاطله فلاحظوا الموت.

و بما ذكرنا ظهر أنّ الأجل فى الفقره الاولى بمعنى مدّه العمر، و فى الثانيه بمعنى الموت، فلا تكرار كما ظهر أنّ الفاء فى قوله: فبادروا، للسّببيه مفيده لسببيّه ما قبلها لما بعدها، و أمّا فى قوله فلاحظوا فيحتمل أن تكون كذلك أى لا فاده سببيّه ما قبلها لما بعدها، و يحتمل العكس فيكون مفادها مفاد لام التعليل كما فى قولك أكرم زيدا فانّه فاضل، يعنى أكرمه لكونه فاضلا، فيدلّ على أنّ فضله علّه لاكرامه.

و الاحتمالان مبتيان على أنّ الدّنيا و الآخره ضرّتان متضادّتان فبقدر التّوجّه إلى إحداهما يغفل عن الاخرى و طول الأمل انّما ينشأ من حبّ الدّنيا و الميل إليها، فلحاظ الآخره أعنى الاجل و ما بعده و الالتفات إليها و التوجّه لها يستلزم الاعراض عن الدّنيا و عن الآمال الباطله المتعلّقه بها لا محاله، و هو معنى تكذيبها كما أنّ انتزاع محبّه الدّنيا عن القلب و عدم الاغترار بآمالها يستلزم ملاحظه الآخره، فبين الأمرين ملازمه فى الحقيقه يكون تكذيب الآمال سببا لملاحظه الآخره و باعتبار آخر يكون ملاحظه الآخره علّه لتكذيب الآمال و أعنى بالعليه و السّببيّه الارتباط و الملازمه و ان لم تكن تامه فافهم جيدا.

و يمكن أن يراد بالأجل فى الفقره الاولى الموت، و فى الثانيه مدّه العمر عكس ما قدّمنا و يحتاج حينئذ إلى نوع تكلّف، بأن يراد بملاحظه الأجل ملاحظه

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

(و من غیرها) أی تغیّر الدّنیا و انقلابها (انّک تری المرحوم مغبوطا و المغبوط مرحوما) یعنی تری من یرحمه الخلایق بسبب الضّر و الفقر و المسکنه یصیر فی زمان قلیل موصوفا بالیسار و الرّخاء و السعه فیغبطونه بذلک، و تری من یغبطه الخلائق بالعزّ و المنعه و الغنی یصیر عمّا قلیل مبتلا بالذلّ و الفقر و العناء، فیرحمونه لأجل ذلک.

و (لیس ذلک إلاّ نعیما زلّ و بؤسا نزل) أی لیس کون المغبوط مرحوما إلاّ بنعیم انتقل من المغبوط إلی غیره، أو شدّه نزلت علیه و فقر و سوء حال حلّ به (و من عبرها أنّ المرء یشرف علی أمله فیقتطعه حضور أجله) أی یطلع علی أمله و یعلو علیه بحیث یکاد یدرکه فیحضر إذا أجله و یقتطعه عنه و یحول بینه و بینه (فلا أمل یدرک و لا مؤمّل یترک) ثمّ تعجب من بعض حالات الدّنیا و أطوارها و قال(فسبحان اللّه ما أغرّ سرورها و أظماء ریّها و أضحی فیئها)أراد بالرّی استتمام لذّتها و بفیئها الرّکون إلی قنیاتها و الاعتماد علیها، أی أیّ شیء أوجب لکون سرورها سببا للغرور، و کون ریّها سببا للعطش و ظلّها سببا للحراره، فانّ الضحی هی وقت ارتفاع الشّمش و عنده تکون الحراره.

و نسبه الغرور إلی السرور و الظماء إلی الرّی و الضحی إلی الفیء باعتبار أنّ سرورها و لذّاتها و زخارفها هی الصّوارف عن العمل للآخره، و الشواغل عن الاقبال إلی اللّه سبحانه، فکان سرورها أقوی سبب للاغترار بها، و ریّها من آکد الأسباب للعطش فی الآخره و الحرمان من شراب الأبرار، و فیئها من أقوی الدواعی إلی إیراده فی حرّ الجحیم و تصلیه الحمیم.

و یحتمل أن یکون المراد باظماء ریّها أنّ الارتواء منها لا ینقع و لا ینفع من الغله، بل یزید فی العطش کمن شرب من الماء المالح و الاجاج، فیکون کنایه عن کون الاکثار منها سببا لمزید الحرص علیها،و کذا یکون المراد باضحاء فیئها أنّ من طلب الراحه فیها اعتمادا علی ما جمعها منها لا یجد فیها الراحه و لا ینجو به من حراره الکبد و فرط المحبه إلی جمعها و تحصیلها و إکثارها، بل هو دائما فی

التّعب و العطب للتحصيل و الطلب إلى أن يموت فيكفن و يخرج فيدفن (لا جاء يردّ) به أراد به الموت (و لا ماض يرتد) أزاد به الميّت.

ثمّ تعجب ثانيه و قال (فسبحان اللّه ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به و أبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه) و هو من أفصح الكلام و أحسنه فى تأديه المرام يعرف ذلك من له درايه فى صناعه البيان و إحاطه بلطايف فنّ المعان.

ثمّ نبّه على شدّه عقاب الآخره و عظم ثوابها بقوله(إنّه ليس شيء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه)قال الشارح البحرانى: يحتمل أن يريد الشرّ و الخير المطلقين و يكون ذلك للمبالغه إذ يقال للأمر الشريف:

هذا أشدّ من الشديد و أجود من الجيد، و يحتمل أن يريد شرّ الدّنيا و خيرها، فانّ أعظم شرّ فى الدّنيا مستحقر فى عقاب اللّه، و أعظم خير فيها مستحقر بالنسبه إلى ثواب اللّه، انتهى.

و الاحتمال الأوّل أظهر، و عليه فالمراد انه ليس شيء يكون أشرّ الأشياء، إلاّ عقاب ذلك الشّيء، و لا شيء يكون أعظم الأشياء خيرا إلاّ ثواب ذلك الشيء.

إلاّ أنّ الاحتمال الثانى يؤيّده قوله (و كلّ شيء من الدّنيا) خيرا كان أو شرّا (سماعه أعظم من عيانه) أما خيرها فلأنّ الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدّرهم و الدّينار و ساير القنيات الدّنيويّه، و يكون قلبه مشغولا بتحصيلها مسرورا بانتظار وصولها، فاذا وصل إليها هانت عليه و ارتفع وقعها لديه كما يشهد به التجربه و الوجدان، و أمّا شرّها فلأنّ أعظم شرّ يتصوّرها الانسان بالسّماع و يستهوله و يستنكره ممّن يفعله هو صوره القتل و الجرح، فاذا وقع فى مثل تلك الأحوال و اضطرّ إلى المخاصمه و القتال سهل عليه ما كان يستصعبه منها، و هو معنى قوله فى بعض كلماته الآتيه: إذا هبت أمرا فقع فيه.

(و كلّ شيء من الآخره) ثوابا كان أو عقابا (عيانه أعظم من سماعه) فانّ جلّ الخلق بل كلّهم إلاّ الصّدّيقين إذا سمعوا أحوال الآخره خيرها و شرّها إنما يتصوّرونها كأحوال الدّنيا و يزعمونها مثلها و يقيسونها إليها، بل بعضهم يتوهّمونها

أهون منها مع أنّه لا نسبه لها إليها و لذلک قال عزّ من قائل فی طرف الثواب:

أعددت لعبادی الصّالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر، و فی طرف العقاب.

«کَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ کَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ کَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَیْنَ الْیَقِینِ ».

حیث جعل الرّؤیه بالعین أعلی المراتب لأنّه یحصل بها ما لا یحصل بغیرها، و أمّا الصّدّیقون فلا تفاوت لهم بین السّماع و العیان، فقد قال سیّدهم و رئیسهم: لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا.

و حیث کانت أهوال الآخره و شدایدها أعظم من أن تعبّر باللّسان و تدرک بالآذان و یطّلع علیها علی ما هی علیها قبل خروج الأرواح من الأبدان (فلیکفکم من العیان السّماع و من الغیب الخبر) أی لیکفکم من معاینه تلک الأهوال سماعها و ممّا غاب عنکم منها انبائها، و مما حجب منها أخبار المخبرین الصّادقین باخبارها لتأخذوا لها عدّتها و تهیّئوا لها جنّتها.

(و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنیا و زاد فی الآخره خیر ممّا نقص من الآخره و زاد فی الدّنیا) لأنّ ما یزاد للآخره فهو باق دائم و ما یزاد للدّنیا فهو فان زائل و أیضا فی زیاده الدّنیا طول الحساب و العقاب، و فی زیاده العقبی مزید الفوز و الثواب (فکم من منقوص رابح) کما قال سبحانه:

«إِنَّ اللّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ » و قال: «مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ »

ص:۶۳

«أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ » (و) کم من (مزید خاسر) لقوله سبحانه: «وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ » و قوله تعالی: «وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ » الآیه.

ثمّ قال(إنّ الّذی امرتم به أوسع ممّا نهیتم عنه و ما احلّ لکم أکثر مما حرّم علیکم)الأظهر أنّ الجمله الثانیه توکید للأولی فیکون المراد بالمأمور به فی الأولی مطلق ما رخّص فی ارتکابه فیعمّ الواجب و المندوب و المکروه و المباح بالمتساوی الطّرفین و بالنّهی عنه فیها ما نهی عنه نهی تحریم، و أوسعیّه الثانی بالنسبه إلی الأوّل علی ذلک واضحه لأنّ المنهیّ عنه قسم واحد و المأمور به أقسام أربعه لا یقال: الأمر حقیقه فی الوجوب علی ما حقّق فی الأصول فکیف یعمّ الأقسام؟ لأنّا نقول: سلّمنا إلاّ أنّه إذا قامت قرینه علی المجاز لا یکون بأس بحمل اللفظ علیه و القرینه فی المقام موجوده و هی الأوسعیّه و العلاقه هی اشتراک سایر الأقسام مع الواجب فی أنّ کلا منها مأذون فیها مرخّص فی فعلها و تناولها، و یدلّ علی کثره الحلال بالنسبه إلی الحرام صریحا قوله سبحانه:

«خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ».

فانّ كلمه ما مفيده للعموم و لفظ الجميع تأكيد لها، و اللّام للانتفاع فيدلّ على جواز الانتفاع بجميع ما فى الأرض.

فان قلت: إنّ الآيه لا تفيد العموم لأنّ شرط حمل المطلقات على العموم أن لا يكون المقام مقام الاجمال بل يكون مقام البيان، و ههنا ليس كذلك إذا المقصود بيان أنّ فى خلق الأشياء منفعه لكم للايمان «للايماء ظ» أنّ جميع الأشياء مما ينتفع بها.

قلت: فيه بعد ما عرفت أنّ الموصول مفيد للعموم لا-سيّما مع التوكيد بلفظ الجميع إنّ الآيه وارده فى مقام الامتنان المقتضى للتعميم كما لا يخفى، فيدلّ على إباحه الانتفاع و حلّه بجميع ما فى الأرض فيكون الأصل الأوّلى فى الجميع هو الحلّ و الاباحه إلى أن يقوم دليل على الحظر و الحرمه، فيحتاج إلى تخصيص ما ثبتت حرمته من عموم الآيه، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه:

«قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

فانّ تخصيص المحرّمات بما بعد إلاّ دليل على أنّ غير المستثنى ليس حراما، و عدم وجدان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دليل على عدم وجود الحرمه واقعا، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه: «أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ »، فانّ الطيّب هو ضدّ الخبيث الذى يتنفّر عنه الطّبع فيكون، المراد بالطّيبات ما تستلذّها الطباع فيدلّ على حلّيه جميع المستلذّات و يخصّص بما دلّ على حرمه بعضها بالخصوص، و هذه الآيات تدلّ على إباحه جميع ما لم يقم دليل على حرمته، و لذا استدلّ بها الاصوليّون فى مسأله الحظر و الاباحه على أنّ الأصل الأوّلى فى الأشياء هو الاباحه.

و مثلها فى الدّلاله عليها قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كلّ شىء مطلق حتّى يرد فيه نهى، إلاّ-أنّ ذلك يدلّ على الاباحه الظاهريّه فيما شكّ فى إباحته و حرمته، و هذه على

الاباحه الواقعيه، فمعناه أنّ كلّ شیء مرخّص فيه من قبل الشارع حتّى يرد فيه نهى، فالناس فى سعه مما لم يعلم بورود نهى فيه.

ثمّ انّ اصاله الاباحه كما تجرى فى الأعيان مثل التفاح و نحوه بقوله: خلق لكم ما فى الأرض جميعا، فيباح الأفعال المتعلّقه بها كذلك تجرى فى الأفعال كالغنا مثلا ان فرض عدم قيام دليل على حرمته لقوله: احلّ لكم الطيبات، فالأصل المذكور يجرى فى القسمين المذكورين من دون تأمّل.

و ربّما يقال: باختصاص اصاله الاباحه بالأعيان و أنّ الأصل الدّال على حلّيه الأفعال يسمّى باصاله الحلّ فهما أصلان ناظران إلى موردين و نحن نقول إنّ ذلك لا بأس به إذ لا مشاحه فى الاصطلاح لكن لا يختصّ أحدهما بالحجّيه دون الآخر ضروره أنّ الأدله وافيه بحجّيتهما معا و ان كانا مختلفى المورد.

و على ذلك فيمكن أن لا يجعل العطف فى كلامه عليه السّلام تفسيريّا بأن يكون المراد بما امرتم به و ما نهيتم عنه الأعيان المباحه و المنهيّه، و بما حلّ و ما حرّم الأفعال المحلّله و المحرّمه.

و كيف كان فلمّا أفصح عن كون المباح أوسع من المنهىّ و الحلال أكثر من الحرام أمر بترك المحرّمات و المنهيّات فقال (فذروا) أى اتركوا (ما قلّ لما كثر و ما ضاق لما اتّسع) يعنى أنّه بعد ما كان الحرام قليلا و الحلال كثيرا فلا حرج عليكم فى ترك الأوّل و أخذ الثانى، و لا عسر فى ذلك و كذلك المباح و المحظور نعم لو كان الأمر بالعكس لكان التكليف أصعب، و لكنّه سبحانه منّ على عباده بما بين السّماء و الأرض، و جعل الملّه سمحه سهله، و ما جعل فى الدّين من حرج علما منه بضعف النفوس عن القيام بمراسم عبوديّته بمقتضى الجبلّه البشريّه، فسبحان اللّه ما أعظم مننه و أسبغ نعمه و أوسع كرمه.

ثمّ نهى عن تقديم طلب الرّزق على الاشتغال بالعباده و ترجيحه عليه فقال (قد تكفّل لكم بالرّزق و أمرتم بالعمل) أما الأمر بالعمل فواضح، و أمّا التكفّل بالرّزق فقد تقدّم الكلام فيه و فى معنى الرّزق بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الأوّل من فصول

الخطبه التسعين (فلا يكون المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله) و هذا يدلّ صريحا على المنع من ترجيح الطّلب على العمل حسب ما اشرنا إليه، و لا دلاله فيه على ترك الطّلب بالكليّه، بل المستفاد من الرّوايات الكثيره كراهه ذلك مثل الأول.

منها ما رواه فى الكافى باسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام رجل قال لأقعدنّ فى بيتى و لاصلّينّ و لأصومنّ و لأعبدنّ ربّى فأما رزقى فسيأتينى فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: هذا أحد الثلاثه الّذين لا يستجاب لهم.

و فيه عن معلّى بن خنيس قال سأل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن رجل و أنا عنده فقيل أصابته الحاجه، فقال: ما يصنع اليوم؟ قيل فى البيت يعبد ربّه، قال: فمن أين قوته؟ قال: من عند بعض اخوانه، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و اللّه للّذى يقوته أشدّ عباده منه.

ثمّ وبّخهم بقوله (مع أنّه و اللّه لقد اعترض الشّك و دخل اليقين) أى اعترض الشّك فى المضمون و المفروض و تزلزل اليقين بضمان المضمون و بفرض المفروض (حتّى كأنّ الّذى ضمن لكم قد فرض عليكم) فبالغتم فى تحصيله و طلبه و الجدّ له (و كأنّ الّذى فرض عليكم قد وضع عنكم) فتوانيتم فيه و لم تبالوا به (فبادروا العمل) المأمور به قبل حلول الموت (و خافوا بغته الأجل) و فجأه الفوت (فانه لا يرجى من رجعه العمر) و عوده (ما يرجى من رجعه الرّزق) هذا فى مقام التعليل للمبادره إلى العمل و ترجيحه على طلب الرزق بيانه:

أنّ العمر ظرف للعمل و ما فات و مضى منه فلا يعود و لا يرجى عوده و يفوت العمل كساير الزّمانيّات المتعلّقه به بفواته لا محاله و لا يمكن استدراكه بعينه فاذا وجب المبادره إليه و الاتيان به و إليه اشير فى قوله عليه السّلام:

ما فات مضى و ما سيأتيك فأين قم فاغتنم الفرصه بين العدمين

و قال آخر:

إنّما هذه الحياه متاع و السّفيه الغوىّ من يصطفيها

ما مضى فات و المؤمّل غيب ذلك السّاعه الّتى أنت فيها

و أمّا الرزق فهو مقسوم و ما نقص منه فى الماضى أمكن جبرانه فى الغابر، و إليه أشار بقوله (ما فات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته) لأنّ العمر عباره عن زمان الحياه و مدّته و الزّمان كمّ متّصل غير قارّ الذات، و الجزء الثّانى منه عادم للجزء الأوّل، و الجزء الثّالث عادم للجزء الثانى و هكذا فلا يمكن رجوع الجزء الأوّل بعد مضيّه أبدا، و هذا بخلاف الرّزق كالمآكل و المشارب و الأموال، فانّ الانسان إذا فاته شىء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كان عينه باقيه، و ما لا يبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، نعم يشكل ذلك لو عممنا الرزق بالنّسبه إلى التّنفس فى الهواء، فانه كالعمل أيضا من الزّمانيات لا يمكن استدراكه، اللّهم إلاّ أن يقال إنّه فرد نادر، و نظر الامام عليه السّلام فى كلامه إلى الأفراد الشائعه و الأعمّ الأغلب، فانّ ساير أفراد الرّزق عموما قابل للاستدراك.

و قوله عليه السّلام (الرّجاء مع الجائى و اليأس مع الماضى) مؤكّد لما سبق و أراد بالجائى الرّزق و بالماضى العمر.

و لما أمرهم بالمبادره إلى العمل مخافه بغته الأجل أكّد ذلك بالأمر بملازمه التقوى فقال (فاتّقوا اللّه حقّ تقاته) أى حقّ تقواه و ما يجب منها و هو استفراغ الوسع فى القيام بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات(و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون)و هو اقتباس من الآيه فى سوره آل عمران قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ »الآيه.

قال فى مجمع البيان معناه و اتّقوا عذاب اللّه أى احترسوا و امتنعوا بالطاعه من عذاب اللّه كما يحقّ، فكما يجب أن يتّقى ينبغى أن يحترس منه، و ذكر فى قوله حقّ تقاته وجوه أحدها أن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام و ثانيها أنه اتّقاء جميع معاصيه و ثالثها أنّه المجاهده فى اللّه و أن لا تأخذه فيه لومه لائم و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن و قوله:

ص:٦٨

«وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

معناه لا تتركوا الاسلام و كونوا عليه حتّى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه، و انما قال بلفظه النّهى عن الموت من حيث إنّ الموت لا بدّ منه و إنما النّهى فى الحقيقه عن ترك الاسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التّمكّن منه بالموت إلاّ أنه وضع كلام موضع كلام على جهه التّصرّف و الابدال بحسن الاستعاره و زوال اللّبس و روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: و أنتم مسلّمون، بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منقادون له، و اللّه الموفّق.

الترجمه

از جمله خطب شريفۀ آن حضرت است در تنبيه بر تقوى و پرهيزكارى و تزهيد از اين جهان فانى باين قرار كه مى فرمايد:

حمد بيقياس معبود بحقّيرا سزاست كه وصل كننده است حمد را بنعمتها، و پيوند كننده است نعمتها را بشكر، حمد مى كنيم بر نعماء او همچنان كه سپاس مى كنيم بر بلاء او، و طلب اعانت مى كنيم از او بر اين نفسهائى كه دير حركت كننده اند از آنچه مأمور شده اند بأو شتابنده اند بسوى آنچه نهى گشته اند از آن، و استغفار مى كنيم از او از آنچه كه احاطه كرده بأو علم آن، و شمرده است او را كتاب آن علمى كه كوتاه نيست از چيزى، و كتابى كه ترك كننده نيست چيزى را و ايمان مى آوريم او را مثال ايمان كسى كه ديده باشد غيبها را بعين اليقين، و واقف بشود بچيزى كه وعده داده شده است از أحوال يوم الدّين، ايمانى كه نفى كند اخلاص آن شرك را از دلها، و زايل نمايد يقين او شكّ را از قلبها، و شهادت مى دهيم باين كه نيست هيچ معبود بحقّى بجز خدا در حالتى كه يكتا است شريك نيست او را، و باين كه محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله بندۀ پسنديده و پيغمبر برگزيده او است، شهادتينى كه بلند مى گردانند گفتار پاكيزه را و رفع ميكنند عمل صالح را در حالتى كه سبك نمى شود ميزانى كه نهاده شوند آن دو شهادت در او و سنگين نمى شود ميزانى كه برداشته شوند آن دو شهادت از آن.

ص:۶۹

وصیّت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری از خدا چنان پرهیزکاری که آن است توشه راه آخرت و با او است رجوع بحضرت ربّ العزّه، چنان توشهٔ که رساننده است بمقصود، و رجوعی که ادراك کننده است مطلوب را دعوت نمود بسوی آن تقوی شنواننده ترین دعوت کنندگان، و حفظ نمود و نگاه داشت آنرا بهترین نگاه دارندگان، پس شنوانید دعوت کننده آن، و فایز شد نگاه دارنده آن.

ای بندگان خدا بدرستی که تقوی و پرهیزکاری از خدای تعالی حفظ نمود دوستان خدا را از محرّمات آن، و لازم گردانید قلبهای ایشان را ترس او را تا این که بیدار گردانید آن ترس شبهای ایشان را بجهه عبادت، و تشنه ساخت روزهای گرم ایشان را بجهه روزها و کثرت طاعت، پس فرا گرفتند استراحت آخرت را بعوض چند روزها زحمت، و سیرابی را بعوض تشنگی، و نزدیک شمردند مدّت عمر را، پس مبادرت نمودند بسوی أعمال صالحه، و تکذیب نمودند آرزوهای باطله را، پس ملاحظه کردند مرگ را.

پس بدرستی که دنیا دار فنا و مشقّت و تغیّر و عبرت است، پس از جمله فناء دنیا این است که روزگار بزه کرده کمان خود را، خطا نمی کند تیرهای او، و دوا کرده نمی شود زخمهای او، می اندازد زنده را بمرگ، و تندرست را به بیماری، و رستگار را بهلاکت و گرفتاری، خورنده ایست که سیر نمی شود، و آشامنده ایست که سیراب نمی باشد، و از جمله مشقّتهای دنیا این است که بدرستی که مرد جمع میکند چیزی را که نمی خورد، و بنا میکند چیزی را که ساکن نمی شود، پس بیرون می رود بسوی خدا در حالتی که نه مالی باشد که برداشته باشد، و نه بنائی باشد که نقل نماید.

و از جمله تغیّرات دنیا این است که تو می بینی فقیر عاجزیکه خلایق بحال او رحم می نمایند غبطه برده شده بجهه ثروت و مال، و کسی که بحال او غبطه می نمایند رحم شده بجهه فقر وفاقه یعنی در اندك زمانی پریشانی فقیر برفاه حال مبدّل می شود و رفاه حال غنی بفقر

تبدیل می یابد، نیست این حال یعنی تبدّل حال غنی به پریشانی مگر نعمتی که منتقل شده باشد، و شدّتی که فرود آمده باشد.

و از جملهٔ عبرتهای دنیا اینست که مرد مشرف و نزدیک می شود بادراک آرزوی خود پس جدا میکند او را حاضر شدن مرگ او، پس سبحان اللّه چه چیز سبب غرور گردانیده شادی دنیا را، و تشنه ساخته سیرابی دنیا را، و گرم گردانیده سایه دنیا را، نه آینده باز گردانیده می شود نه بر گذشته رجوع می نماید.

پس سبحان اللّه چه چیز غریب و عجیب باعث شده بر نزدیکی زنده از مرده بجهه سرعت لحوق او بآن، و چه چیز باعث شده بدوری مرده از زنده بجهه بریده شدن او از آن، بدرستی که نیست بدتر از بد مگر عقاب آن، و نیست بهتر از خوب مگر ثواب آن، و هر چیز از دنیا شنیدن آن بزرگتر است از دیدن آن، و هر چیزی از آخرت دیدن او بزرگتر است از شنیدن آن، پس باید که کفایت نماید شما را از دیدن امور اخروی شنیدن آن، و از غیبها خبر او، و بدانید آن چیزی که ناقص شود از دنیا و زیاده شود بر آخرت بهتر است از چیزی که ناقص شود از آخرت و زاید شود بر دنیا، پس بسا کم شده ایست که باعث ربح و منفعت است، و بسا زیاده ایست که باعث ضرر و خسارت.

بدرستی که آن چیزی که خداوند شما را أمر فرموده بآن فراخ تر است از چیزی که نهی فرموده خدا شما را از آن، و چیزی که حلال شده از برای شما أکثر است از چیزی که حرام شده بر شما، پس ترک نمائید چیزی که اندك است از برای چیزی که بسیار است، و چیزی که تنگ است از برای چیزی که وسعت دارد، بتحقیق که کفالت شده است از برای شما بروزی، و مأمور شده اید بعمل، پس باید نباشد چیزی که ضمانت شده است از برای شما طلب کردن آن اولی بشما از چیزی که فرض و واجب شده است بر شما عمل آن.

با وجود این بحق خدا پیش آمده است شما را شک در ضمان روزی و مدخول

و متزلزل شده است يقين در فرض ربّ العالمين حتى اين كه گويا آنچه كه ضمانت شده براى شما واجب كرده شده است بر شما و چيزى كه فرض كرده بر شما انداخته شده است از گردن شما، پس بشتابيد بسوى عمل، و بترسيد از ناگهان رسيدن أجل، پس بدرستى كه اميد گرفته نمى شود از باز گشتن عمر آنچه كه اميد گرفته مى شود از باز گشتن روزى، آنچه كه فوت شده است امروز از روزى اميد گرفته مى شود فردا افزونى آن، و آنچه كه فوت شده است ديروز از عمر اميد گرفته نمى شود امروز بازگشتن آن، اميد با آينده است كه روزى فردا است، و نوميدى با گذشته است كه عمر ديروزى است بس، و بترسيد از خدا حق تقوى و ترسكارى، و مميريد مگر در حالتى كه شما هستيد مسلمان و تسليم داريد حكم ملك منّان.

و من خطبه له عليه السّلام فى الاستسقاء و هى المأه و الرابعه

اشاره

عشر من المختار فى باب الخطب

و هى ملتقطه من خطبه طويله اوردها الصدوق فى الفقيه باختلاف كثير ناتى بها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيد (ره) فى الكتاب لكثره فوائدها و مزيد عوايدها ألّلهمّ قد انصاحت جبالنا، و أغبرت أرضنا، و هامت دوابّنا، «و تحيرت فى مرابضها خ»، و عجّت عجيج الثّكالى على أولادها، و ملّت التّردّد فى مراتعها، و الحنين إلى مواردها، ألّلهمّ فأرحم أنين الأنّه، و حنين الحانّه، ألّلهمّ فارحم حيرتها فى مذاهبها، و أنينها فى موالجها، ألّلهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السّنين، و أخلفتنا مخائل الجود، فكنت الرّجاء للمبتئس و البلاغ للملتمس،

ندعوک حین قنط الأنام، و منع الغمام، و هلک السّوام، ألّا تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تأخذنا بذنوبنا، و انشر علینا رحمتک بالسّحاب المنبعق، و الرّبیع المغدق، و النّبات المونق، سحا وابلا تحیی به ما قد مات، و تردّ به ما قد فات، أللّهمّ سقیا منک محییه مرویه تامّه عامّه طیّبه مبارکه هنیئه مریئه مریعه زاکیا نبتها، ثامرا فرعها، ناضرا ورقها، تنعش بها الضّعیف من عبادک، و تحیی بها المیّت من بلادک. أللّهمّ سقیا منک تعشب بها نجادنا، و تجری بها وهادنا، و تخصب بها جنابنا، و تقبل بها ثمارنا، و تعیش بها مواشینا، و تندی بها أقاصینا و تستعین بها ضواحینا، من برکاتک الواسعه، و عطایاک الجزیله علی بریّتک المرمله، و وحشک المهمله، و أنزل علینا سماء مخضلّه مدرارا هاطله، یدافع الودق منها الودق، و یحفز القطر منها القطر، غیر خلّب برقها، و لا جهام عارضها، و لا قزع ربابها، و لا شفّان ذهابها حتّی یخصب لإمراعها المجدبون، و یحیا ببرکتها المسنتون، فإنّک تنزل الغیث من بعد ما قنطوا، و تنشر رحمتک، و أنت الولیّ الحمید.

قال السید رضی (ره) قوله (انصاحت) جبالنا أی تشقّقت من المحول یقال انصاح الثوب إذا انشقّ و یقال أیضا انصاح النبت و صاح و صوح إذا جفّ و یبس کلّه بمعنی، و قوله (هامت دوابنا) أی عطشت و الهیام العطش و قوله (حدابیر السنین)

ص:۷۳

جمع حدبار و هی الناقه التی انضاها السّیر فشبّه بها السّنه التی فشا فیها الجدب قال ذو الرّمه:

حدابیر ما تنفکّ إلّا مناخه علی الخسف أو ترمی بها بلدا قفرا

و قوله (و لا ـ قزع ربابها) القزع الصغار المتفرّقه من السّحاب، و قوله (و لا ـ شفان ذهابها) فانّ تقدیره و لا ذات شفّان ذهابها و الشفان الریح البارده، و الذهاب الأمطار اللیّنه فحذف ذات لعلم السامع به

اللغه

(الاستسقاء) استفعال بمعنی طلب السّقی مثل الاستمطار لطلب المطر و استسقیت فلانا إذا طلبت منه أن یسقیک و قد صار حقیقه شرعیه أو متشرّعه فی طلب الغیث بالدّعاء (و هامت دوابنا) یجوز أن یکون من الهائم بمعنی المتحیّر و (ثکلت) المرأه ولدها ثکلا ـ من باب تعب فقدته و الاسم الثکل و زان قفل فهی ثاکل و قد یقال ثاکله و ثکلی و الجمع ثواکل و ثکالی و فی بعض النسخ الثکلی بدل الثکالی و (أنّ) الرجل انّا و أنینا تأوّه و (الحنین) الشّوق و شدّه البکاء و (الآنّه الحانّه) الشّاه و النّاقه یقال ماله آنّه و لا حانّه.

و (عکر) علی الشیء یعکر عکرا و عکورا و اعتکر کرّوا نصرف، و العکار الکرار العطاف، و اعتکر الظلام اختلط و (الجود) بفتح الجیم المطر الغزیر، و فی بعض النسخ الجود بضم الجیم و (قنط) یقنط من بابی ضرب و تعب و فی لغه من باب قعد فهو قانط و قنوط (و انبعق) السّحاب انبعج و انفرج بالمطر و (المغدق) من اغدق الشجر إذا ظهرت ثمرته و (السّح) بالضّم الصّب و السّیلان من فوق و (السّقیا) و زان فعلی بالضّم مؤنثه اسم من سقاه اللّه الغیث أنزله له و (مرویه) من باب الافعال أو التفعیل و منه یوم الترویه لثامن ذی الحجّه لأنّ الماء کان قلیلا بمعنی فکانوا یرتوون من الماء لما بعد.

و (تعشب) بفتح المضارعه مضارع عشب و زان تعب أو بضمّها من باب الافعال یقال عشب الارض و اعشبت أی نبتت فهی عشیبه و عاشبه و معشبه أی کثیره العشب

ص:۷۴

و يقـال اعشـبت الأرض أيضا أى انبتت العشب فتكون الهمزه للتعـديه و العشب بالضمّ الكلاء الرطب فى أوّل الربيع، و فى بعض النسخ تعشب بالبناء على المفعول.

و (النجـاد) بكسـر الأـوّل جمع نجـد و هو مـا ارتفع من الأرض و يجمع أيضا على نجود كفلس و فلوس و (الوهاد) بكسـر الأول أيضا جمع الوهد و هى المنخفضه من الارض و (خصب) الأرض من باب ضـرب و علم و اخصـبت أى اتّصـفت بالخصيب و هو بكسـر الخا كثره العشب و رفاغه العيش و (الجناب) بفتح الجيم الفناء بالكسـر و هو سعه امام البيت أو ما امتدّ من جوانبه، و يطلق الجناب على الجانب من كلّ شيء أيضا و (أرمل) فلان أى افتقر و فقد زاده.

و (اخضـله) المطر أى بلّه و السّـماء المخضـله أى تخضـل النبت و تبلّه، و فى أكثر النسـخ مخضـلّه و زان مبيضّه من اخضلّ النبت اخضـلالا أى ابتلّ و (حفزه) كضربه دفعه بشدّه (البرق الخلّب) المطمع المخلف و السحاب (الجهام) الذى لا ماء فيه و (العارض) السـحاب الـذى يعترض فى افق السّـماء و (القزع) محركه قطع من السّـحاب متفرّقه جمع قزعه، و (الرّبـاب) بفتـح الأوّل السّـحاب الأبيض و (الـذّهاب) بكسـر الذال جمع الذّهبه بالكسـر أيضا المطره الضّـعيفه و (مرع) الوادى بالضّم مراعه أخصب بكثره الكلاء فهو مريع و الجمع امرع و أمرع مثل يمين و ايمن و أيمن.

و أرض محـل – و محـول – و محلـه و ممحـل و ممحله أى اتّصـفت بالجـذب و انقطـاع المطر – و انضاهـا السـير أى هزلهـا و – الحـدابير – فى بيت ذى الرّمه مما لم يـذكره إلّا السـيد (ره)، و الموجود فى كتب الأدبيّه حراجيج و هكذا روى الشارح المعتزلى عن ابن الخشاب، و هى جمع حرجوج الناقه الضّامره و – الخسف – الذلّ و البلد القفر لا ماء فيه و لا نبات.

الاعراب

منع الغمام فعل لم يسمّ فاعله رعايه للأدب و استكراها لاضافه المنع إلى اللّه سبحانه و هو منبع النعم و مبدء الجود و الكرم، و فى بعض النّسخ منع الغمام بصيغه

ص:٧۵

المعلوم فلا بدّ من حذف المتعلّق أى منع الغمام من المطر، و سحّا منصوب على المصدر أى تسحّ سحّا، و جمله تحيى به منصوبه المحلّ على الحال من فاعل نشر و سقيا منك، منصوب على المصدر أيضا و نجادنا بالرفع فاعل تعشب و يروى بالنّصب فيكون مفعولا له بناء على كونه من باب الافعال متعدّيا حسبما مرّ فى بيان اللغه.

و قوله على بريّتك ظرف لغو متعلّق بالجزيله أو الواسعه على التنازع، و سماء مخضله تأنيث الوصف رعايه للفظ الموصوف و إن كان المعنى مذكّرا، و جمله يدافع الودق منصوبه المحلّ صفه لسماء أو حال منها لكونها نكره موصوفه أو من ضمير هاطله، و الوجهان جاريان فى نصب غير خلب.

و أمّا بيت ذى الرّمه فقد اعترض عليه غير واحد من علماء الأدبيه بكونه مخالفا للقواعد النحويه حيث أنّ شرط الاستثناء المفرّغ أن يكون فى الكلام الغير الموجب و هذا الشرط مفقود هنا، لأنّ تنفكّ الناقصه مثل زال نفيها اثبات و اثباتها نفى فكما لا يجوز أن يقال ما زال زيد إلاّ قائما، فكذلك لا يجوز ما تنفكّ إلاّ مناخه، و لذلك قال الاصمعى: إنّ ذا الرّمه غلط فى ذلك إذ لا يقال جاء زيد إلّا راكبا.

و اجيب بوجوه: الاول أنّ الرواه غلطوا فيه و أنّ الروايه الصحيحه إلاّ مناخه بالتنوين أى شخصا الثانى انّ تنفكّ تامّه بمعنى تنفصل فنفيها نفى أى ما تنفصل عن التّعب أو ما تخلص منه و مناخه حال من الضمير فى تنفكك أى لا تنفصل منه فى حاله من حالات إلّا فى حاله الاناخه الثالث أنها ناقصه و الخبر على الخسف و مناخه حال.

قال ابن هشام: و هذا فاسد لبقاء الاشكال إذ لا يقال جاء زيد إلّا راكبا يعنى أنّ الاشكال الذى هو وقوع الاستثناء المفرّغ فى الايجاب لا يرتفع بهذا الجواب بل هو باق بحاله.

و قد يعترض عليه بأنّ الاستثناء المفرّغ يقع فى الايجاب بشرطين كما صرّح به ابن الحاجب أحدهما أن يكون المستثنى فضله لا عمده، الثانى أن تحصل به فائده فلا يجوز ضربت إلّا زيدا إذ من المحال أن يضرب جميع الناس إلّا زيدا، و يجوز قرئت إلّا يوم كذا، لجواز أن يقرأ فى جميع الأيام إلّا فى ذلك اليوم و على

هذا فيرتفع الاشـكال و لا يبقى بحاله لأنّ مناخه إذا كان خبرا كان عمده و أمّا إذا كان حالا كان فضله و كان الكلام مفيدا الرابع أنّ إلّا زائده ذهب إليه ابن جنّى و حكى عن الاصمعى كما ذهب إليه ابن مالك قوله:

أرى الدّهر الّا منجنونا بأهله و ما صاحب الحاجات إلّا معذّبا

هذا، و قوله: من بركاتك، بدل من قوله: منك، أى سقيا من بركاتك، و مخضله صفه لسماء و التانيث باعتبار لفظ الموصوف و إن كان باعتبار معناه أعنى المطر مذكرا، و جمله يحفر القطراه عطف تفسير.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه كما ذكره السّيده (ره) خطب عليه السّلام بها فى الاستسقاء أى فى مقام طلب السّقيا و توفير المياه، قال شيخنا الشهيد طاب ثراه، و الاستسقاء أنواع أدناه الدّعاء بلا صلاه، و لا خلاف صلاه، و أوسطه الدّعاء خلف الصّلاه، و أفضله الاستسقاء بركعتين.

و كيفيّته على ما وردت فى الأخبار و نبّه عليها علمائنا الأخيار أن يخرج النّاس بعد التوبه و ردّ المظالم و تهذيب الأخلاق و صوم ثلاثه أيّام يكون ثالثها يوم الاثنين، و يبرزوا فى الثالث إلى الصّحراء و إن كانوا بمكّه فالى المسجد الحرام حفاه مشاه و نعالهم فى أيديهم بسكينه و وقار متخشّعين مخبتين مستغفرين، و يخرجون الشّيوخ و الصّبيان و البهايم و أهل الزّهد و الصّلاح، فاذا حضروا فى المصلّى ينادى المؤذّنون بدل الأذان، الصّلاه ثلاثا، فيصلّى الامام بالنّاس ركعتين: يقرأ فى الاولى بعد الحمد سوره بالجهر ثمّ يكبّر خمسا و يقنت عقيب كلّ تكبيره و يدعو فى القنوت بالاستغفار و طلب الغيث و إنزال الرحمه، و من المأثور فيه: اللّهمّ اسق عبادك و امائك و بهائمك و انشر رحمتك و أحى بلادك الميّته، ثمّ يكبّر السادسه و يركع و يسجد السجدتين ثمّ يقوم إلى الركعه الثانيه فيفعل مثل ما فعل فى الاولى إلّا أنّ التكبيرات فيها أربع و يقنت أربعا أيضا عقيب التكبيرات، ثمّ يكبّر الخامسه و يركع و يسجد و يشهد و يسلّم.

ص:۷۷

فلما فرغ من الصلاه يصعد المنبر و يحوّل ردائه فيجعل الذى على يمينه على يساره و الذى على يساره على يمينه تأسّيا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و سئل الصّادق عليه السّلام عن تحويل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رداه إذ استسقى قال عليه السّلام: علامه بينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بين أصحابه يحول الجدب خصبا، و يخطب بخطبتين ثمّ يستقبل القبله فيكبّر اللّه مأئه تكبيره رافعا بها صوته، ثمّ يلتفت إلى يمينه فيسبّح اللّه مأئه مرّه رافعا بها صوته، ثمّ يلتفت إلى يساره فيهلّل اللّه مأئه تهليله رافعا بها صوته، ثمّ يستقبل الناس بوجهه فيحمد اللّه مأئه رافعا بها صوته و الناس يتابعونه فى الأذكار دون الالتفات إلى الجهات، فان سقوا، و إلاّ عادوا ثانيا و ثالثا من غير قنوط بانين على الصوم الأوّل ان لم يفطروا و إلاّ فبصوم مستأنف إذا عرفت ذلك فنقول :إنّ من أفضل الخطب المأثوره فى هذا المقام و أفصحها ما خطب إمام الانام عليه السّلام و هو قوله (اللّهمّ قد انصاحت جبالنا) أى تشقّقت من المحل و الجدب (و اغبرت ارضنا) أى صارت كثير الغبار بانقطاع الأمطار (و هامت دوابنا) أى عطشت و تحيّرت فى مرابضها و مباركها من الظّماء و فقدان النّبات و الكلاء.

(و عجّت) أى صرخت مثل (عجيج الثكالى على أولادها) يحتمل رجوع الضمير إلى الثكالى و رجوعه إلى الدّواب و الأوّل أظهر (و ملت التردّد فى مراتعها و الحنين إلى مواردها) و ذلك لأنّها أكثرت من التردّد فى مراتعها المعتاده فلم تجد فيها نبتا ترعاه فملت من التردّد و كذلك لم تجد ماء فى الغدران و الموارد المعدّه لشربها، فحنت إليها و ملت من الحنين، و يئست من الانين.

(أللهمّ فارحم أنين الآنّه) من الشياه (و حنين الحانّه) من النّوق (اللّهمّ فارحم حيرتها فى مذاهبها) و مسالكها (و أنينها فى موالجها) و مداخلها و إنما ابتدء عليه السّلام بذكر الدوّاب و الأنعام لأنها أقرب إلى الرّحمه و مظنه الافضال بها على المذنبين من الامّه.

و يرشد إلى ذلك ما فى منتخب التوراه، يابن آدم كيف لا تجتنبون الحرام، و لا اكتساب الآثام، و لا تخافون النيران، و لا تتّقون غضب الرّحمن، فلو لا مشايخ ركّع، و أطفال رضّع، و بهائم رتّع، و شباب خشّع، لجعلت السّماء فوقكم حديدا

و الأرض صفصفا، و التراب رمادا، و لا انزلت عليكم من السماء قطره، و لا أنبتّ لكم من الأرض حبّه، و يصبّ عليكم العذاب صبّا.

و فى النبوى لو لا أطفال رضّع، و شيوخ ركّع، و بهائم رتّع لصّب عليكم العذاب صبّا.

و فى الفقيه عن حفص بن غياث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: إنّ سليمان ابن داود عليه السّلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقى فوجد نمله قد رفعت قائمه من قوائمها إلى السّماء و هى تقول: اللّهمّ إنا خلق من خلقك لاغناء بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بنى آدم، فقال سليمان لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم.

و روى الرازى عن رجل أنّه قال: أصاب النّاس فى بعض الأزمنه قحط شديد فأصروا يستسقون، فلم يستجب لهم، قال الراوى: فأتيت وقتئذ إلى بعض الجبال فاذا بظبيه قلقه من كثره العطش و شدّه الهيام مبادره نحو غدير هناك، فلما وصلت إلى الغدير و لم تجد فيها ماء تحيرت و اضطربت و رفعت رأسها إلى السّماء تحرّكه و تنظر إليها، فبينما هى كذلك رأيت سحابه ارتفعت و أمطرت حتّى امتلاء الغدير فشربت منه و ارتوت ثمّ رجعت.

ثمّ قال عليه السّلام (اللهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت) أى تكررّت(علينا حدابير السّنين)تشبيه السّنين بالحدابير من باب تشبيه المعقول بالمحسوس و وجه الشّبه عقلى، و هو أنّ الحدابير كما تتعب راكبها فكذلك السّنون تتعب أهلها كما لا يخفى.

(و اخلفتنا مخائل الجود) أى الامارات التى توقع الجود فى الخيال و أراد بها البرق و السّحاب الّتى يظنّ أنّها تمطر و ليست بماطره، فكأنها وعدت بالمطر فأخلفت و لم تف بوعده (فكنت الرجاء للمبتئس) أى ذى البؤس الحزين (و البلاغ للملتمس) أى كفايه للطالب المسكين (ندعوك حين قنط الانام) و يأس (و منع الغمام) و حبس (و هلك السوام) أى الابل السائمه الرّاعيه.

(ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا و لا تأخذنا بذنوبنا) قال الشارح المعتزلى: الفرق بين المؤاخذه و الأخذ أنّ الأول عقوبه دون الثانى لأنّ الأخذ هو الاستيصال و المؤاخذه عقوبه

ص:۷۹

أقول: إن كـان نصّ بـذلك من أهـل اللغه فلاـ بـأس، و إلّا فقولهم زياده المبانى تـدلّ على زياده المعانى يفيـد عكس ما قاله، و كيف كان ففى كلامه عليه السّـلام دلاله على أنّ للـذّنوب و المعاصـى مدخليّه فى منع اللّطف و الرّحمه و اسـتحقاق المؤاخذه و السخطه، و سرّ ذلك أنّ الجود الالهى لا بخل فيه و لا مانع له من قبله سبحانه و إنما يصل إلى الموادّ بحسب القابليه و الاستعداد، و المنهمكـون فى المعاصـى راغبـون عـن اللّـه تعـالى و عن تلقّى آثـار رحمته، فهم لانهمـاكهم فى الفسـاد اسـقطوا أنفسـهم عن الاستعداد، و حرىّ بمن كان كذلك أن يمنع من الفيوضات و يحرم من البركات.

و قـد روى فى الأخبـار أنّ كلّا من أصـناف الـذّنوب تورث نوعا خاصّا من المؤاخـذات الـدّنيويه، مثل ما رواه فى الفقيه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السّلام أنه قال:

إذا فشت أربعه ظهرت أربعه إذا فشـا الزّنـا ظهرت الزلاـزل، و إذا امسـكت الزكـاه هلكت الماشـيه، و إذا جـار الحاكم فى القضاء أمسك المطر من السماء، و إذا خفرت(١) الذّمه نصر المشركون على المسلمين.

و فى الكافى عن أبان عن رجل عن أبى جعفر عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا باللّه منهنّ: لم تظهر الفاحشه فى قوم قطّ حتى يعلنوها إلّا ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن فى أسـلافهم الـذين مضوا، و لم ينقصوا المكيـال و الميزان إلاّـ اخـذوا بالسـنين و شـدّه المؤنه و جور السـلطان، و لم يمنعوا الزّكاه إلّا منعوا القطر من السماء و لو لا البهائم لم يمطروا، و لم ينقضوا عهد اللّه و عهد رسوله إلّا سلّط اللّه عليهم عدوّهم و أخذوا بعض ما فى أيديهم، و لم يحكموا بغير ما أنزل اللّه إلّا جعل اللّه بأسهم بينهم.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّـلام قال وجـدنا فى كتاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إذا ظهر الزّنا من بعدى كثر موت الفجأه، و إذا طفّف المكيال و الميزان أخذهم اللّه بالسـنين و النقص، و إذا منعوا الزكاه منعت الأرض بركتها من الزّرع و للثمار و المعادن كلّها، و إذا جاروا فى الأحكام تعاونوا على الظلم و العدوان، و إذا نقضوا العهد سلّط اللّه عليهم عدوّهم، و إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار، و إذا

١- (١) خفر خفورا و خفرا نقض عهده و غدره كأخفره، قاموس.

لم يأمروا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر و لم يتبعوا الأخيار من أهل بيتى سلّط اللّه عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.

ثمّ قال عليه السّلام (و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق) أى المنفرج بالمطر و السّائل الكثير السّيلان (و الربيع المغدق) المظهر للثمر (و النيات المونق) المعجب (سحّا) أى صبّا (وابلا) أى مطرا شديدا (تحيى به ما قد مات و تردّ به ما قد فات) من الزرع و النّبات (اللّهمّ سقيا منك محييه) للموات (مرويه) للنّبات (تامّه) ثمراتها (عامه) بركاتها (طيّبه مباركه هنيئه مريئه مريعه) أى سائغه لذيذه خصيبه واسعه (زاكيا) ناميا (نبتها ثامرا فرعها) أى يكون فرعها ذا ثمر (ناضرا ورقها) أى يكون ورقها ذا نضره و حسن و بهجه (تنعش) و ترفع (بها الضعيف من عبادك و تحيى بها الميّت من بلادك اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا) أى تنبت بها أراضينا المرتفعه (و تجرى بها و هادنا) أى تسيل بها أراضينا المنخفضه المطمئنّه (و تخصب بها جنابنا) أى تكثر بها عشب فنائنا و جوانبنا (و تقبل بها ثمارنا و تعيش بها مواشينا و تندى) أى تنتفع بها (أقاصينا) و أباعدنا (و تستعين بها ضواحينا) و نواحينا (من بركاتك الواسعه و عطاياك الجزيله) العظيمه الكثيره (على بريّتك المرمله) المفتقره (و وحشك المهمله) المرسله التى لا راعى لها و لا صاحب يشفق بها (و أنزل علينا سماء مخضلّه) مبتلّه (مدرارا هاطله) أى كثيره الدّرور متتابعه (يدافع الودق منها الودق و يحفز القطر منها القطر) أراد بذلك كثرتها و شدّتها و كونها أعظم و أغزر.

و أكّد ذلك بقوله (غير خلب برقها و لا جهام عارضها و لا قزع ربابها و لا شفّان ذهابها) أى لا يكون برقها مطمعا مخلفا، و لا سحابها المعترض فى افق السّماء خاليا من الماء، و لا سحابها الأبيض قطعا متفرقه، و لا أمطارها اللّينه الضعيفه ذات ريح بارده بالزرع و النبت مضرّه و أراد بذلك كلّه عموم نفعها و كثره منفعتها (حتى يخصب لامراعها المجدبون) أى يتّصف أهل الجدب بالخصب و رفاغه العيش لكثره كلائها (و يحيى ببركتها المسنتون) الذين أصابتهم السنه و جهد القحط

ص:٨١

(فانّک تنزل الغیث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتک) و هذا اشاره إلی حسن الظنّ باللّه و عدم القنوط و الیأس من روح اللّه (و أنت الولیّ) للنعم و الاحسان و (الحمید) بالکرم و الامتنان و أنت علی کلّ شیء قدیر و بالاجابه حقیق جدیر.

تکمله

ینبغی أن نورد تمام تلک الخطبه علی ما فی الفقیه و نتبعها بتفسیر بعض ألفاظها الغریبه، فأقول: قال الصّدوق (ره): و خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الاستسقاء فقال:

الحمد للّه سابغ النّعم، و مفرّج الهمّ، و باریء النّسم، الذی جعل السماوات لکرسیّه عمادا، و الجبال للأرض أوتادا، و الأرض للعباد مهادا، و ملائکته علی أرجائها، و عرشه علی أمطائها، و أقام بعزّته أرکان العرش، و أشرق بضوئه شعاع الشّمس، و أحیا بشعاعه ظلمه الغطش الدیاجیر، و فجر الأرض عیونا، و القمر نورا و النّجوم بهورا ثمّ علا فتمکّن، و خلق فأتقن، و أقام فتهیمن، فخضعت له نخوه المستکبر، و طلبت إلیه خلّه المتمسکین «المتمکن خ»، اللّهم فبدرجتک الرفیعه و محلّتک المنیعه و فضلک السابغ، و سبیلک الواسع، أسئلک أن تصلّی علی محمّد و آل محمّد کما دان لک، و دعا إلی عبادتک، و وفا بعهدک، و أنفذ أحکامک، و اتّبع أعلامک، عبدک و نبیّک و أمینک علی عهدک إلی عبادک القائم بأحکامک، و مؤیّد من أطاعک و قاطع عذر من عصاک، اللهمّ فاجعل محمّدا أجزل من جعلت له نصیبا من رحمتک، و أنضر من أشرق وجهه بسجال عطایاک، و أقرب الأنبیاء زلفه یوم القیامه عندک، و أوفرهم حظّا من رضوانک، و أکثرهم صفوف امّه فی جنانک، کما لم یسجد للأحجار، و لم یعتکف للأشجار، و لم یستحلّ السباء، و لم یشرب الدّماء.

اللّهمّ خرجنا إلیک حین فاجأتنا المضایق الوعره، و ألجأتنا المحابس العسره و عضّتنا علائق الشّین، و تأثلت علینا لواحق المین، و اعتکرت علینا حدابیر السنین و أخلفتنا مخائل الجود، و استظمأنا لصوارخ القود، و کنت رجاء المبتئس، و الثقه للملتمس، ندعوک حین قنط الأنام، و منع الغمام، و هلک السّوام، یا حیّ یا قیّوم،

عدد الشجر و النجوم، و الملائكه الصّفوف، و العنان المكفوف، ألا تردّنا خائبين و لا تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تخاصمنا بذنوبنا، و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المنساق و النبات المونق، و امنن على عبادك بتنويع الثمره، و أحى بلادك ببلوغ الزّهره، و اشهد ملائكتك الكرام السفره، سقيا منك نافعه دائمه غزرها واسعا درّها، سحابا وابلا، سريعا عاجلا تحيى به ما قد مات و تردّ به ما قد فات، و تخرج به ما هو آت.

اللهمّ اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلا متتابعا خفوقه، منبجسه بروقه، مرتجسه هموعه، و سيبه مستدّر، و صوبه مستطر، لا تجعل ظلله علينا سموما، و برده علينا حسوما، وضوئه علينا رجوما، و مائه أجاجا، و نباته رمادا رمددا.

اللّهمّ انّا نعوذ بك من الشّرك و هواديه، و الظلم و دواهيه، و الفقر و دواعيه يا معطى الخيرات من أماكنها، و مرسل البركات من معادنها، منك الغيث المغيث و أنت الغياث المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، نستغفرك للجهالات من ذنوبنا، و نتوب إليك من عوامّ خطايانا اللهمّ فأرسل علينا ديمه مدرارا، و اسقنا الغيث و اكفا مغزارا، غيثا واسعا و بركه من الوابل نافعه، تدافع الودق بالودق، و يتلو القطر منه القطر، غير خلّب برقه و لا مكذب رعده، و لا عاصفه جنائبه، بل ريّا يقصّ بالرّىّ ربابه، و فاض فانضاع به سحابه، جرى آثار هيدبه جنابه، سقا منك مجلبه «محييه خ» مرويه مفضله محفله زاكيا نبتها، ناميا زرعها، ناضرا عودها، ممرعه آثارها، جاريه بالخصب و الخير على أهلها، تنعش بها الضّعيف من عبادك، و تحيى بها الميّت عن بلادك، و تنعم بها المبسوط من رزقك، و تخرج بها المخزون من رحمتك، و تعمّ بها من نأى من خلقك حتى يخصب لا مراعها المجدبون، و يحيى ببركتها المسنتون، و تترع بالقيعان غدرانها، و تورق ذرى الآكام زمراتها، و يدهام بذرى الآجام شجرها، و يستحقّ علينا بعد اليأس شكرا منّه من مننك مجلله، و نعمه من نعمك مفضله على بريّتك المرمله، و بلادك المعرنه، و بهائمك المعمله، و وحشك المهمله

ص:۸۳

اللهم منک ارتجاؤنا، و إلیک مآبنا، فلا تحبسه علینا لتبطنک سرائرنا، و لا تؤاخذ بما فعل السّفهاء منّا، فانّک تنزل الغیث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتک و أنت الولیّ الحمید.

ثمّ بکی علیه السّلام فقال: سیّدی صاحت جبالنا، و اغبرت أرضنا، و هامت دوابنا و قنط الناس منّا أو من قنط منهم، و تاهت البهائم، و تحیّرت فی مراتعها، و عجّت عجیج الثّکالی علی أولادها، و ملّت الدّوران فی مراتعها حین حبست عنها قطر السّماء، فدقّ لذلک عظمها، و ذهب لحمها و ذاب شحمها، و انقطع درّها.

اللهمّ ارحم أنین الآنّه، و حنین الخانّه، ارحم تحیّرها فی مراتعها، و أنینها فی مرابضها، هذا.

و یعجبنی أن اردف هذه الخطبه الشریفه بخطبتی السیّدین الجلیلین الامامین الهمامین النّورین النّیرین أبی محمّد الحسن و أبی عبد اللّه الحسین علیهما و علی جدّهما و أبیهما و الطیبین من آلهما صلوات اللّه و سلامه ملاء الخافقین، لیعلم أنّ کلامهما تالی کلام أبیهما فی الفصاحه، و أنّ الکلّ قد بلغ الغایه فی البراعه و البلاغه.

وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ طَیِّبَهٍ «کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها».

قال فی الفقیه: و جاء قوم من أهل الکوفه إلی علیّ علیه السّلام فقالوا یا أمیر المؤمنین ادع لنا بدعوات فی الاستسقاء، فدعا علیّ علیه السّلام الحسن و الحسین علیهما السّلام فقال:

یا حسن ادع، فقال الحسن علیه السّلام:

اللهمّ هیّج لنا السحاب بفتح الأبواب، بماء عباب، و رباب بانصباب و انسکاب یا وهاب، و اسقنا مطبقه مغدقه مونقه، فتح اغلاقها، و سهل اطلاقها، و عجل سیاقها بالأندیه فی الأودیه یا وهّاب، بصوب الماء یا فعّال، اسقنا مطرا قطرا ظلا مظلّا طبقا مطبقا عاما معما رهما بهما رحیما رشا مرشا واسعا کافیا عاجلا طیبا مبارکا سلاطح بلاطح یناطح الأباطح مغدودقا مطبوقا مغرورقا، و اسق سهلنا و جبلنا،

و بدونا و حضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، و تبارك به فى ضياعنا و مدننا أرنا الرزق موجودا و الغلاـ مفقودا، آمين ربّ العالمين.

ثمّ قال للحسين عليه السّلام: ادع، فقال الحسين عليه السّلام اللهمّ معطى الخيرات من مظانها، و منزل الرحمات من معادنها، و مجرى البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، و أنت الغياث و المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، لاـ إله إلاّ أنت، اللهمّ أرسل السماء علينا دبمه مدرارا، و اسقنا الغيت و اكفا مغزارا، غيثا مغيثا واسعا مسبغا مهطلا مريئا مريعا غدقا مغدقا عبابا مجلجلا صحا صحصا حابسا بساسا مسبلا عاما ودقا مطفاحا، تدفع الودق بالودق دفاعا و يطلع القطر منه القطر غير خلّب البرق، و لا مكذب الرعد، تنعش بها الضعيف من عبادك، و تحيى به الميت من بلادك، و تستحق علينا مننك آمين ربّ العالمين.

فما تمّ كلامه عليه السّلام حتّى صبّ اللّه الماء صبا، فسئل سلمان الفارسى فقيل يا أبا عبد اللّه هذا شىء علماه؟ فقال (رض) ويحكم ألم تسمعوا قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يقول: اجريت الحكمه على لسان أهل بيتى.

بيان

«النّسم» جمع النّسمه محركه و هى الانسان و «الأرجاء» جمع الرّجاء و هى الناحيه و «الأمطاء» جمع المطاء و هو الظهر و الضمير فى ضوئه راجع إلى العرش كما روى أن نور الشّمس من نور العرش و «غطش» اللّيل أظلم، قال الطريحى و فى الحديث اطفأ بشعاعه ظلمه الغطش أى ظلمه الظلام و «الدياجير» جمع الدّيجور و هو الظلام و ليله ديجور أى مظلمه و «البهور» المضىء و «المهيمن» من أسمائه تعالى القائم على خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرزاقهم و قيل: الرّقيب على كلّ شىء.

و «النخوه» بالفتح فالسّكون الافتخار و التعظم و «الخلّه» الفقر و الخصاصه و «المستمسكين» الطّالبون للمسكه و هو بالضم ما يمسك الأبدان، من الغذاء و الشراب، و فى بعض النسخ المتمسّكين أى المعتصمين به و «السّجال» دلو عظيم مملوّه، و الكاف فى قوله «كما لم يسجد» للتعليل على حدّ قوله تعالى: و اذكروه

كما هديكم، أى لأجل هدايتكم.

و «السّـباء» بالكسر و المدّ الخمر و «الوعر» ضدّ السهل و «العسره» الصّـعبه الشّديده و «الشّين» خلاف الزّين، و قيل ما يحدث فى ظاهر الجلد من الخشونه يحصل به تشويه الخلقه و «تأثّلت» علينا أى اجتمعت و «المين» الكذب و «القود» بالفتح الجمل المسن و هو الذى جاوز فى السن الباذل، قال الطريحى: و فى حديث الاستسقاء و استظماءنا لصوارخ القود، أى ظمأنا من ظمأ ظماء مثل عطش عطشا و زنا و معنى و القود الخيل.

و قوله «عدد الشجر» من متعلّقات ندعوك قال الجوهرى «عنان» السّـماء هو ما عنّ لك منها أى بدا إذا رفعت رأسك و «زهر» النّبات نوره الواحده زهره كتمر و تمره و قد تفتح الهاء و «الغزر» شده النفع و عمومه و «غيثا مغيثا» أى مطرا نافعا و «ممرعا» أى خصيبا واسعا و «طبقا» أى مغطيا للأرض ما لئالها كلّها، من قولهم غيم طبق أى عام واسع أى من طبق الغيم تطبيقا إذا أصاب بمطره جميع الأرض و مطر طبق أى عام.

و «مجلجلا» أى مشتملا على الجلجله و هو صوت الرعد و «خفق» المطر خفوقا إذا سمع دوىّ جريه و «منبجسه بروقه» أى منفجره بروقه بالماء من الانبجاس و هو الانفجار قال سبحانه:

«فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ».

و «مرتجسه هموعه» الهموع بالضّم السّـيلان أى يكون هموعه مشتمله على الرّجس و هو بالفتح الصّوت الشديد من الرّعد يقال رجست السّـماء رعدت شديدا و تمخضت و «السّـيب» بالفتح مصدر ساب أى جرى و مشى مسرعا، و بالكسر مجرى الماء و «الصّوب» الانصباب و «المستطر» المنتشر و «الظلل» جمع الظله و هى ما وارى الشّمس منه من السّحاب و «الحسوم» بالضّم الشؤم و «رماد رمدد» كز برج و درهم كثير دقيق جدّا أو هالك و «الهوادى» الأوائل جمع الهادى

ص:٨۶

و «الدّواهی» جمع الدّاهیه و هی النائبه و المصیبه و «عوامّ خطایانا» و زان دواب و الظّاهر أنّه جمع عام قال فی القاموس: و التعویم وضع الحصید قبضه فاذا اجتمع فهی عامه و الجمع عام و «درّ» السماء بالمطر درّا درورا فهی مدرار و «و کف» البیت یکف قطر، و کف البیت بالمطر سال و «عاصفه جنائبه» قال الطریحی کانّه یرید الرّیاح الجنوبیه فانها تکثر السّحاب و تلحق روادفه بخلاف الشمالیه فانها تمزقه و «الرّی» بالکسر اسم من روی من الماء ریّا و ریّا بالفتح و الکسر و «یقص بالرّی» أی یرجع و «الفیضان» السّیلان و «الانضیاع» التحرّک أو من انضاع الفرخ بسط جناحیه إلی امّه لتزقّه و «الهیدب» السحاب المتدلی و «الجناب» الفناء و الناحیه و «محفله» من حفل الماء و اللبن اجتمع و الوادی بالسیل جاء بملیء جنبیه و السماء اشتدّ مطرها و «من نأی من خلقک» أی من تباعد منهم عن ذکر اللّه من النّای و هو البعد.

«و تترع بالقیعان غدرانها» أی تملاء، و القیعان جمع القیعه و هی کالقاع ما استوی من الأرض، و الغدران جمع الغدیر و هو النهر و «الآکام» کأعناق جمع اکمه و هو التلّ الصّغیر و «الزمره» الجماعه و الباء فی قوله «بذری الآجام» للظرف و «بلادک المعرنه» من عرنت الدّار عرانا بعدت و دیار عران و عارنه بعیده «و بهائمک المعمله» أی المعدّه للعمل یقال ناقه عمله کفرحه بیّنه العماله فارهه و العوامل لبقر الحرث و «لتبطنک سرائرنا» مصدر باب التفعل أی لوقوفک علی بواطن سرائرنا و «عباب» الماء معظمه و «اسقنا مطبقه مغدقه مونقه» المطبقه السّحابه بعضها علی بعض و المغدقه بالغین المعجمه و الدّال المهمله الکثیره الغزیره، و المونقه المفرحه من الانق و هو الفرح و السّرور أو المعجبه.

و «الأندیه» جمع الندی و هو المطر و «الظلّ» من السّحاب ما ورای الشّمس منه أو سواده و «المظلّ» صاحب الظلّ و «طبقا مطبقا» أی مطرا عاما مغطیا للأرض و «عاما معمّا» أی مطرا شاملا یعمّ بخیره قال فی القاموس یقال عمّهم

بالعطیه و هو معمّ خیّر بکسر أوّله یعمّ بخیره و عقله و «رهما» وزان عنب جمع رهمه بالکسر و هی المطره الدّائمه و یقال الرهمه أشدّ دفعا من الدّیمه.

و «البهیم» الخالص الذی لم یشبه غیره و «الرّحیم» مبالغه فی الرّاحم من رحمت زیدا رحمه رفقت له و حننت و «رشّت» السّماء امطرت و أرشّت بالهمزه لغه و منه مرشّا و رشّ الماء صبّه قلیلا قلیلا و «سلاطح بلاطح یناطح الأباطح» السلاطح بالضّم و زان علابط العریض، قال الفیروز آبادی و سلاطح بلاطح اتباع، و قال الطریحی السّلطح الصلطح الضخم و البلطح کبلاح الذی یضرب بنفسه الأرض، و السلاطح و الصّلاطح کعلابط العریض و قوله علیه السّلام فی الاستسقاء: سلاطح بلاطح یناطح الأباطح یرید کثره الماء و قوّته و فیضانه و حینئذ فلا حاجه إلی جعل بلاطح من الاتباع کشیطان لیطان انتهی.

و «نطحه» نطحا ضربه و أصابه بقرنه و «الأباطح» جمع الأبطح و هو مسیل واسع فیه دقاق الحصی و «الدیمه» بالکسر المطر یدوم فی سکون بلا رعد و برق أو تدوم خمسه أو ستّه أو سبعه أو یوما و لیله و «مهطلا» أی متتابعا من الهطل و هو تتابع المطر المتفرّق العظیم القطر و «صحّا صحصاحا» الصحّ بالضم البراءه من کلّ عیب و صحصاحا قال الطریحی کأنّه أراد مستویا متساویا و «بسّا بساسا» البس بالفتح ارسال الماء و تفریقها فی البلاد و البساس مبالغه فیه و «مطفاحا» من طفح الأناء امتلاء و ارتفع و طفاح الأرض ملاءها هذا.

و اللّه العالم بحقایق کلام أولیائه علیهم السّلام.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن مقتدای کونین و پیشوای ثقلین است در مقام خواستن باران.

بار خدایا شکافته شد کوههای ما از خشکی، و گرد آلود شد زمین ما و بسیار تشنه شد چهارپایان ما، و متحیر شدند در محلّهای خوابیدن خود، و ناله کردند مثل نالهٔ زنان بچه مرده بر فرزندان خود، و ملال آوردند از تردّد نمودن در

چراگاههای خود.

بار خدایا رحم کن برنالهٔ ناله کنندگان، و اشتیاق و فغان مشتاقان.

بار خدایا پس رحم کن بر حیرت و سرگردانی ایشان در مواضع رفتن ایشان و رحمت فرما بر نالهٔ ایشان در مکانهای در آمدن ایشان.

بار خدایا بیرون آمدیم بسوی تو در حینی که مختلط شد بر ما شتران لاغر قحط سالها، و وعده خلافی کرد ما را علامتهای باران، پس هستی تو امید مر اندوهگین را و رساننده بمطلوب التماس کننده حزین را، می خوانیم ترا در زمانی که نا امید شدند مردمان، و ممنوع شد از باریدن ابرهای آسمان، و هلاک شد چرندگان این که مؤاخذه نکنی بر عملهای ما، و اخذ نکنی ما را بگناهان ما، و نشر کن بر ما رحمت بی نهایت خود را بأبرهای منفجر بباران سخت و با شدّت، و با بهار ظاهر کننده میوه ها، و با نبات و گیاه تعجب آورنده خلقها در حالتی که بریزد بر ما ریختنی بباران فراوان که زنده سازی بآن آنچه که مرده، و باز گردانی بآن آنچه که فوت گشته.

بار خدایا آب ده ما را آب دادنی از جانب خود که زنده سازد زمین مرده را و سیراب گرداننده باشد و متصف شود بتمامی و عموم منفعت و پاکیزگی و ببرکت و گوارائی و وسعت، در حالتی که نمو کننده باشد گیاه آن، میوه دهنده باشد شاخ آن، تر و تازه باشد برگ آن که بلند نمائی بآن، و قوّت دهی عاجز و ذلیل را از بندگان خود، و زنده سازی بآن مرده را از شهرهای خود.

بار خدایا آب ده ما را آب دادنی از نزد خود که پرگیاه شود بآن زمینهای بلند ما، و جاری شود بآن زمینهای نشیب ما، و بفراخ سالی در آید بسبب آن اطراف و جوانب ما و روی آورد و اقبال کند بجهه آن میوهای ما، و زندگانی نماید بآن چهار پایان ما، و نمناک بشود بآن جماعتی که از ما دورند، و استعانت جویند بآن مردمانی که در نواحی ما هستند از برکتهای با وسعت خودت و عطاهای بزرگ خودت بر مردمان صاحب احتیاج خود، و حیوانات وحشی بی صاحب خود، و نازل کن بر ما باران تر کننده بارندهٔ بسیار ریزان که دفع کند باران بزرگ قطره

ص:۸۹

دیگر را از غایت شدّت، و برانگیزاند قطرها از آن قطرهای دیگر را در حالتی که نباشد برق آن طمع آورنده و خلف کننده، و نـه ابر پهن شـده در کنـار آسـمان آن خـالی از آب، و نه ابرهـای سـفید آن پارهـای کوچـک کوچـک، و نه بارانهـای نرم آن صاحب بادهای خنک، تا آنکه فراخ سالی یابنـد بجهه بسـیاری گیاههای آن قحط یا بنـدگان، و زنده شوند ببرکت آن سـختی کشـیدگان، پس بدرستی که تو فرو فرستی باران را از پس آنکه نومید میشوند مردمان، و پراکنده می سازی رحمت خود را بر عالمیان، و توئی ولیّ نعمتها، و ستوده در صفتها

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الخامسه عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

أرسـله داعیا إلی الحقّ، و شاهـدا علی الخلق، فبلّغ رسالات ربّه غیر وان و لا مقصّـِر، و جاهد فی اللّه أعدائه غیر واهن و لا معذّر، إمـام مـن اتّقی، و بصـر من اهتـدی. منهـا: و لـو تعلمـون مـا أعلم ممّـِا طـوی عنکم غیبه إذا لخرجتم إلی الصّـِعدات تبکـون علی أعمـالکم، و تلتـدمون علی أنفسـکم، و لترکتم أموالکم لا ـ حارس لها و لا خالف علیها، و لهمّت کلّ امرء منکم نفسه، لا یلتفت إلی غیرها، و لکنّکم نسـیتم ما ذکّرتم، و أمنتم ما حذّرتم، فتاه عنکم رأیکم، و تشـتّت علیکم أمرکم، و لوددت أنّ اللّه فرّق بینی و بینکم، و ألحقنی بمن هو أحقّ بی منکم، قوم و اللّه میـامین الرّأی، مراجیـح الحلم، مقاویـل بالحقّ، متاریک للبغی، مضوا قـدما علی

الطّريقه، و أوجفوا على المحجّه، فظفروا بالعقبى الدّائمه، و الكرامه البارده، أمّا و اللّه ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال، يأكل خضرتكم، و يذيب شحمتكم، ايه أبا وذحه. قال السيد (ره) اقول: الوذحه الخنفساء و هذا القول يؤمى به الى الحجاج و له مع الوذحه حديث ليس هذا موضع ذكره

اللغه

(الوانى) الفاتر الكال و (المعذّر) بالتّثقيل الذى يعتذر من تقصيره بغير عذر كما قال تعالى: و جاء المعذّرون من الأعراب و (الصّعدات) جمع الصّعد و هو جمع صعيد قال الشارح المعتزلى: الصّعيد التّراب و يقال وجه الأرض و الجمع صعد و صعدات كطريق و طرق و طرقات، و عن النهايه فيه ايّاكم و القعود بالصّعدات هى الطّرق و هى جمع صعد و صعد جمع صعيد كطريق و طرق و طرقات و قيل هى جمع صعده كظلمه و هى فناء باب الدّار و ممرّ النّاس بين يديه، و منه الحديث لخرجتم إلى الصّعدات تجأرون.

و (الالتدام) ضرب النساء وجوههنّ فى النّياحه (و لهمّت كلّ امرء) قال الشارح المعتزلى أى أذابته و انحلته، هممت الشّحم أى اذبته، و يروى: و لا همّت كلّ امرء و هو أصحّ من الرّوايه الاولى، أهمّنى الأمر اذا حزننى، انتهى. و فيه نظر لأنّ همّ أيضا يكون بمعنى أهمّ قال الفيروز آبادى: همّه الأمر همّا حزنه كأهمّه فاهتمّ و السقم جسمه أذا به و أذهب لحمه و الشّحم أذابه فانهمّ ذاب.

(و مراجيح) الحلم قال الجوهرى: راجحته فرجحته أى كنت ارزن منه و منه قوم مراجيح الحلم و (المقاويل) جمع مقوال و (المتاريك) جمع متراك و (قدما) بالضّم و بضمّتين و (الذّيال) هو الذى يجرّ ذيله على الأرض تبخترا يقال: ذأل فلان من باب منع ذألا و ذألانا تبختر و (الخضره) بفتح الخاء و كسر الضّاد الزّرع، و البقله الخضراء و الغضّ، و قال فى القاموس (الوذح) محرّكه ما

ص:۹۱

تعلّق بأصواف الغنم من البعر و البول الواحده بها و الجمع و ذح كبدن، و قال الشارح المعتزلى فى قول السيّد (ره): الوذحه الخنفساء و لم اسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لا وجدته فى كتاب من كتب اللّغه و لا أدرى من أين نقل الرّضىّ ذلك

الاعراب

داعيا و شاهدا و غير وان و غير واهن، منصوبات على الحال، و امام خبر محذوف المبتدأ، و كلّ منصوب على المفعول و الفاعل نفسه، و ايه اسم فعل يراد به الاستزاده أى زدوهات، قال فى القاموس: ايه بكسر الهمزه و الهاء و فتحها و تنوّن المكسوره كلمه استزاده و استنطاق، و قال الطريحىّ ايه اسم سمّى به الفعل لأنّ معناه الأمر يقال للرجل زد اذا استزدته من حديث أو عمل ايه بكسر الهاء، قال ابن السّكيت فان وصلت نوّنت فقلت ايه حديثا، و إذا أردت التبعيد بايه قلت أيها بفتح الهمزه بمعنى هيهات، و من العرب من يقول ايهات و هو فى معنى هيهات.

و فى كتاب شرح الاثبات: إذا قلت ايه بغير تنوين فكان مخاطبك كان فى حديث ثمّ أمسك فأمرته بالشروع فى الحديث الذى كان فيه أى هيهات الحديث، فإذا قلت أيه بالتنوين فكأنّك أمرته ابتداء بأن يحدّث حديثا أى هات حديثا.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه على ما يستفاد من شرح البحرانى ملتقطه من خطبه طويله خطب عليه السّلام بها فى الكوفه لاستنهاض أصحابه إلى حرب الشام و ما ظفرت بعد على تمامها، و ما أورده السيّد (ره) منها فى الكتاب يدور على فصلين:

الاول فى ذكر مدائح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر بعض أوصافه الجميله و نعوته الجليله، و هو قوله (أرسله داعيا إلى الحقّ) بالحكمه و الموعظه الحسنه (و شاهدا على الخلق) يوم القيامه كما قال تعالى:

«وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ » فقد فسر الشّاهد بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المشهود بيوم القيامه

ص:٩٢

أمّا الأوّل فلقوله تعالى:

«فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً » و أمّا الثّانى فلقوله تعالى: «وَ ذلِکَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ».

و قد تقدّم تحقيق هذه الشّهاده بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه الحاديه و السّبعين فتذكّر.

(فبلّغ رسالات ربّه) سبحانه (غير وان) فى الابلاغ (و لا مقصّر) فى الانذار (و جاهد فى اللّه) تعالى (أعدائه غير واهن) فى الجهاد (و لا معذّر) من قتال الانجاد و هو (امام من اتّقى) لأنّه قدوه المتّقين فى كيفيّه سلوك سبيل التّقوى و الصّلاح (و بصر من اهتدى) لأنّه نور المتهدين فى المسير إلى طريق الخير و الفلاح كما يهتدى بالبصيره إلى سبيل الرشاد و يسلك بها نحو القصد و السّداد يهتدى بالبصر إلى الجادّه الوسطى و الطريق المستقيم.

و الفصل الثانى اخبار عن الغيب و اظهار لما يبتلى به أهل الكوفه بسوء أعمالهم و قبح فعالهم و هو قوله عليه السّلام (و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى) و اخفى (عنكم غيبه) و باطنه (إذا لخرجتم إلى الصّعدات) أى خرجتم عن البيوت و تركتم الاستراحه و الجلوس على الفرش للقلق و الانزعاج و جلستم فى الطريق أو على التراب (تبكون على أعمالكم) التى كان الواجب تركها (و تلتدمون على أنفسكم) للتقصير فيما يجب عليكم فعله (و لتركتم أموالكم لا حارس لها) يحرسها (و لا خالف عليها) يستخلفها (و لهمّت كلّ امرىء منكم نفسه) أى أذابته أو حزنته لا يلتفت إلى غيرها (و لكنّكم نسيتم ما ذكّرتم و أمنتم ما حذّرتم) أراد بذلك ما ذكّرهم عليه السّلام به ممّا فيه نظام امورهم و تحذيرهم مما أوجب إداله الأعداء منهم و تسلّط الولاه السّوء عليهم، و هو النّفاق و تشتّت الأهواء، و اختلاف الآراء.

ص:٩٣

(فتاه) (۱) أی ضلّ و تخیّر أو هلک و اضطرب (عنکم رأیکم) أی عقلکم و تدبیرکم (و تشتّت علیکم أمرکم) بغلبه العدوّ علی بلادکم.

ثمّ تمنّی مفارقتهم بقوله (و لوددت أنّ اللّه فرّق بینی و بینکم و ألحقنی بمن هو أحقّ) و أحری (بی منکم) أراد به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حمزه و جعفر و من لم یفارق الحقّ من الصّحابه (قوم و اللّه میامین الرأی) و مبارک الآراء (مراجیح الحلم) و ثقال الحلوم لا یستخفنّهم جاهلیه الجهلاء (مقاویل بالحقّ متاریک للبغی) أی أکثرون قولا بالحقّ و الصّدق و ترکا للبغی و الظلم (مضوا قدما) أی متقدّمین (علی الطریقه) الوسطی (و أوجفوا) أی أسرعوا (علی المحجّه) البیضاء غیر ملتفتین عنها (فظفروا) و فازوا (بالعقبی الدائمه و الکرامه البارده) التی لیس فیها تعب و لا مشقه حرب.

و لمّا حذّرهم عمّا طوی عنهم غیبه أراد التنبیه ببعض ذلک المطوی و التّصریح ببعض ما یلحقهم من الفتن العظیمه فقال علیه السّلام:(أما و اللّه لیسلّطنّ علیکم) و فی الایماء بحرف التنبیه و القسم و النون ما لا یخفی من التأکید لوقوع المخبر به أی لا محاله یسلّط علیکم (غلام ثقیف) أراد به الحجّاج بن یوسف بن الحکم بن أبی عقیل ابن مسعود من بنی ثقیف(الذّیال)الذی یجرّ ذیله علی الأرض تبخترا و هو کنایه عن کثره نخوته (المیّال) کثیر الظلم و المیل عن الحقّ (یأکل خضرتکم و یذیب شحمتکم) أراد بذلک أخذ الأموال و تعذیب الأبدان و استیصال النّفوس و وقوع ذلک الخبر علی ما أخبر علیه السّلام به مشهور و فی الکتب مسطور و قد تقدّم شطر من فعله بأهل العراق فی شرح الخطبه الخامسه و العشرین.

و روی فی البحار من الخرائج أنّ الأشعث بن قیس استأذن علی علیّ علیه السّلام فردّه قنبر فأدمی أنفه، فخرج علیّ علیه السّلام و قال: ما ذاک یا أشعث أما و اللّه لو بعبد ثقیف مررت لاقشعرّت شعیرات استک، قال: و من غلام ثقیف؟ قال، غلام یلیهم لا یبقی بیت من العرب إلاّ أدخلهم الذّل، قال: کم یلی؟ قال عشرین إن بلغها، قال الراوی: ولی الحجّاج سنه خمس و سبعین و مات خمس و تسعین.

ص:۹۴

۱- (۱) تاه فلان یتیه إذا تحیّر و اضطرب و تاه یتوه اذا هلک و اضطرب عقله منه.

ثمّ قال عليه السّلام(ايه أبا وذحه)أی زد و هات ما عندک أبا الخنفساء علی ما ذکره الرّضیمن تفسیرالوذحه بالخنفساء،قال الشارح المعتزلی: إنّ المفسّرین بعد الرّضی (ره) قالوا فی قصّه هذه الخنفساء وجوها:

منها أنّ الحجّاج رأی خنفساء تدبّ إلی مصلّاه فطردها فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذ بها بیده و حذف بها فقرصته قرصا و رمت یده منه و رما کان فیه حتفه قالوا: و ذلک لأنّ اللّه تعالی قد قتله بأهون مخلوقاته کما قتل نمرود بن کنعان بالبقّه التی دخلت فی أنفه فکان فیها هلاکه.

و منها أنّ الحجّاج کان اذا رأی خنفساء تدّب قریبه منه یأمر غلمانه بابعادها و یقول: هذه وذحه من وذح الشّیطان، تشبیها بالبعره المعلّقه بأذناب الشّاه.

و منها أنّ الحجّاج قد رأی خنفسات مجتمعات فقال: و اعجبا لمن یقول إنّ اللّه خلق هذه، قیل: فمن خلقها أیّها الأمیر؟ قال: الشّیطان، إنّ ربّکم لأعظم شأنا أن یخلق هذه الوذح، فنقل قوله هذا إلی الفقهاء فی عصره فأکفروه و منها أنّ الحجّاج کان مثفارا أی ذا ابنه، و کان یمسک الخنفساء حیّه لیشفی بحرکتها فی الموضع حکاکه، قالوا: و لا یکون صاحب هذا الدّاء إلاّ شانیا مبغضا لأهل البیت، قالوا: و لسنا نقول کلّ مبغض فیه هذا الداء، و إنّما قلنا کلّ من به هذا الدّاء فهو مبغض، قالوا: و قد روی أبو عمرو الزّاهد و لم یکن من رجال الشیعه فی أمالیه و أحادیثه عن السّیاری عن أبی خزیمه الکاتب قال: ما فتّشنا أحدا فیه هذا الدّاء إلاّ وجدناه ناصبیّا.

قال أبو عمر و أخبرنی العطانی عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمّد عن هذا الصّنف من النّاس فقال: رحم منکوسه یؤتی و لا یأتی و ما کانت هذه الخصله فی ولیّ اللّه قطّ، و لا تکون أبدا، و إنما یکون فی الکفّار و الفسّاق و النّاصب للطّاهرین.

أقول: و یدلّ علی ذلک و یؤیّده:

ما رواه فی الکافی عن أحمد عن علیّ بن أسباط عن بعض أصحابنا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما کان فی شیعتنا فلم یکن فیهم ثلاثه أشیاء: من یسأل فی کفّه

و لم يكن فيهم أزرق أخضر، و لم يكن فيهم من يؤتى فى دبره.

و عن أحمد عن جعفر بن محمّد الأشعرى عن ابن القداح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبى، فقال: يابن رسول اللّه إنّى ابتليت ببلاء فادع اللّه لى، فقيل له: انّه يؤتى فى دبره، فقال: ما أبلى اللّه عزّ و جلّ بهذا البلاء أحدا له فيه حاجه، ثمّ قال أبى: قال اللّه عزّ و جلّ، و عزّتى و جلالى لا يقعد على استبرقها و حريرها من يؤتى فى دبره.

و فى البحار من الخصال للصّدوق عن أبيه عن سعد عن البرقىّ عن عدّه من أصحابنا عن علىّ بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما ابتلى اللّه به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع: بأن يكون لغير رشده، أو أن يسألوا بأكفّهم، أو أن يؤتوا أدبارهم، أو أن يكون فيهم أزرق.

و فيه منه عن ابن الوليد عن محمّد العطّار عن أحمد بن محمّد عن أبى عبد اللّه الرازى عن ابن أبى عثمان عن أبيه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: أربع خصال لا يكون فى مؤمن: لا يكون مجنونا، و لا يسأل عن أبواب النّاس، و لا يولد من الزّنا، و لا ينكح فى دبره و فيه من قرب الاسناد عن محمّد بن عيسى عن القداح عن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى علىّ عليه السّلام فقال: إنى لاحبكم أهل البيت، قال: و كان فيه لين، قال:

فأثنى عليه عدّه فقال عليه السّلام له: كذبت ما يحبّنا مخنّث و لا ديّوث و لا ولد زنا و لا من حملت به امّه فى حيضها، قال: فذهب الرّجل، فلمّا كان يوم صفّين فهى مع معاويه و حكى المحدّث الدّربندى قال: كنت «كان ظ» ابن ستّه عشر من أولاد بعض علماء بلدنا معروفا بهذا الفعل الشّنيع، فبينا أنا مع جمع نكثر السّرور و الفرح فى يوم العيد الغدير دنا منّى هذا الشخص، و قال: ما لك كأنى أراك تظنّ أنّ اللّه قد أعطاك فى هذا اليوم سلطنه الدّنيا؟ قلت: إنّ كرامه اللّه على محبّى أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين عليه السّلام فى هذا اليوم الشريف أعظم من سلطنه الدّنيا،

فقال: ناشدتک باللّه هل تحبّ علیّ بن أبی طالب؟ فقلت: ویلک هل یوجد أحد اتّصف بالاسلام و لا یحبّ أمیر المؤمنین علیه السّلام؟ فقال: و اللّه أنا لا احبّه، فقلت الحمد للّه الذی لم یدخل مثلک النجس الخبیث المخنّث فی حزب محبّی الأطیب الأطهر أمیر المؤمنین و لعنه اللّه علیک و علی أمثالک من المخنّثین، قال: فلم یمض علی ذلک إلاّ مدّه قریبه من مدّه سنه أن اختار الشرک و أظهر الکفر و دخل فی مذهب النّصرانیه.

و فی الأنوار النّعمانیه للمحدّث الجزایری (ره) عن جلال الدّین السیوطی فی حواشی القاموس عند تصحیح لغه الابنه قال: و کانت فی جماعه فی الجاهلیه أحدهم سیّدنا عمر، و قال ابن الأثیر و هو من أجلاّء علماء العامه: زعمت الرّوافض أنّ سیّدنا عمر کان مخنّثا، کذبوا و لکن به داء دواؤه ماء الرّجال.

ثمّ قال الجزائری: و لم أر فی کتب الرّافضه مثل هذا نعم روی العیاشی منهم حدیثا حاصل معناه أنّ لفظ أمیر المؤمنین قد خصّ اللّه به علیّ بن أبی طالب و لهذا لم تسمّ الرافضه أئمّتهم بهذا الاسم و من سمّها نفسه به غیر علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فهو ممّا یؤتی فی دبره، و هو شامل لجمیع المتخلّفین من الامویّه و العبّاسیّه لعنهم اللّه انتهی.

و قد أوردنا روایه العیاشی مع غیرها فی دیباجه الشرح فی نور ألقاب أمیر المؤمنین علیه السّلام فتذکر، و فی أخبار کثیره من طریق أهل البیت علیهم السّلام أنّ هؤلاء لا خیر فیهم و فی بعضها أنّه لا یبتلی به أحد للّه فیه حاجه.

ثمّ قال الشّارح المعتزلی بعد ذکر ما أوردنا من کلامه فی تفسیر أبا وذحه:

فهذا مجموع ما ذکره المفسّرون و ما سمعته من أفواه النّاس فی هذا الموضع، و یغلب علی ظنّی أنّه أراد معنی آخر، و ذلک أنّ عاده العرب أن تکنّی الانسان إذا أرادت تعظیمه بما هو مظنّه التعظیم کقولهم: أبو الهول و أبو المقدام و أبو المغوار فاذا أرادت تحقیره و الغضّ منه کنّته بما یستحقر و یستهان به کقولهم فی کنیه یزید ابن معاویه لعنه اللّه یعنون القرد و کقولهم فی کنیه سعید بن حفص البخاری المحدّث أبو القارد و کقولهم للطّفیلی: أبو لقمه «إلی أن قال» فلما کان أمیر المؤمنین علیه السّلام

يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصى و الذنوب التى لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزله البعر الملتصق بشعر الشّاه كنّاه أبا وذحه.

و يمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته فى نفسه و حقاره منظره و تشويه خلقته فانّه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير السّاعدين مجدور الوجه أصلع الرّأس فكنّاه عليه السّلام بأحقر الأشياء و هو البعره.

و قد روى قوم هذه اللّفظه بصيغه اخرى فقالوا ايه أبا ودجه، قالوا: واحده الأوداج كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالا يقطع الأوداج بالسّيف، و رواه قوم أبا وحره و هى دويبه تشبه الحرباء قصير الظّهر شبهته بها قال: و هذا و ما قبله ضعيف و ما ذكرناه أقرب إلى الصواب.

الترجمه

از جمله خطب بليغه آن بزرگوار و امام أبرار است در نعت حضرت خاتم الأنبياء و مذمت أهل كوفه بجهه سنگينى از جهاد أعداء و اعلام ايشان بفتنۀ حجّاج بى ايمان چنانچه فرمود كه:

فرو فرستاد خداوند آفريدگار رسول مختار را در حالتى كه خواننده بود مردمان را بسوى حق، و گواه بود بر خلق، پس رسانيد پيغامهاى پروردگار خود را در حالتى كه سستى ننمود در أداء پيغام، و تقصير كننده نبود در تبليغ أحكام، و جهاد كرد در راه خداى متعال با أعداء ربّ ذو الجلال در حالتى كه سست نبود در قتال، و عذر خواهى نكرد بعذر ناموجه از مقاتله ابطال پيشواى صاحبان تقوى است، و بينائى طالبان هدايت.

و اگر بدانيد آنچه من مى دانم از چيزى كه كتمان شده از شما غيب آن در آن هنگام هر آينه خارج مى شديد بسوى راهها يعنى ترك استراحت مى كرديد در خانه ها در حالتى كه گريه مى كرديد بر عملهاى خودتان، و مى زديد بر نفسهاى خود، و هر آينه ترك مى نموديد مالهاى خود را در حالتى كه هيچ مستحفظى نباشد آنها را، و هيچ جانشينى نباشد بر آنها، و هر آينه محزون و غمگين مى ساخت يا اين كه

ص:٩٨

می گـداخت هر مردی را از شـما نفس او که أصـلا التفات نمی کنـد بغیر خود، و لیکن شـما فراموش گردید چیزی را که پند داده شدیـد بآن، و ایمن گشتیـد از چیزی که ترسانیـده شدید از آن، پس حیران گشت از شـما اندیشه و تدبیر شـما، و پراکنده شـد بر شـما کـار شـما، هر آینه دوست می دارم این که خـدای تعـالی جـدائی افکنـد میان من و میان شـما، و لا حق نمایـد مرا بکسانی که ایشان سـزاوارترند بمن از شـما، ایشان قومی بودنـد قسم بخـدا که صاحبان رأی مبارک بودند و موصوفان بافزونی بردباری بسیار سخن گوینده بودند براستی، و زیاد ترک کننده بودند ظلم و گمراهی را گذشتند در حالتی که پیش قدم بودند بر راه راست، و شتافتند بر طریقهٔ درست و فایز شدند بآخرت بی نهایت، و بکرامت خالی از زحمت.

آگاه باشـید قسم بخدا هر آینه البته مسلّط می شود بر شـما پسـری از قبیله ثقیف یعنی حجاج بن یوسف ثقفی که کشنده باشد دامن خود را بر زمین از روی غرور و نخوت، و عدول کننده باشد از راه عدالت که می خورد زراعت شما را، و می گذارد پیه شما را، زیاده کن و بیاور آنچه که در پیش تو است ای پدر جعل.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و السادس عشر من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

فلاـ أموال بـذلتموها للّـذی رزقهـا، و لاـ أنفس خـاطرتم بهـا للّـذی خلقها، تکرمون باللّه علی عباده، و لا تکرمون اللّه فی عباده، فاعتبروا بنزولکم منازل من کان قبلکم، و انقطاعکم عن أوصل إخوانکم.

اللغه

(خاطرتم بها) من المخاطره و هی ارتکاب ما فیه خطر و هلاک و تکرمون ()

ص:۹۹

الأوّل من باب فعل و الثانی من باب افعل یقال کرم الرجل کرما من باب حسن عزّ و نفس فهو کریم.

الاعراب

أموال و أنفس منصوبان علی الاشتغال، و اللّام فی الذی رزقها تحتمل الصّله و التعلیل، و فی للّذی خلقها للتّعلیل لا غیر کما هو غیر خفیّ، و انقطاعکم عطف علی نزولکم.

المعنی

اعلم أنّ مدار هذا الفصل علی التوبیخ بالبخل بالأموال و الأنفس، و الأمر بالاعتبار بتقلّبات الدّهر و تغیّرات الزّمان فلا مهم أوّلا بترک بذل الأموال (فلا أموال بذلتموها للّذی رزقها) لا یخفی ما فی التّعبیر بهذه العباره من اللطف و النکته و هو أنّ التّعبیر بقوله: للّذی رزقها فیه من زیاده تقریر الغرض المسوق له الکلام ما لیس فی التعبیر بقوله للّه کما فی قوله:

أعبّاد المسیح یخاف صحبی و نحن عبید من خلق المسیحا

فانه أدلّ علی عدم خوفهم النصاری من أن یقول نحن عبید اللّه، و ذلک لأنّ غرضه علیه السّلام لومهم و توبیخهم علی البخل و الامساک عن بذل الأموال و التعبیر بالموصول آکد فی افاده ذلک المطلوب لدلالته علی اتّصافهم بغایه البخل حتی انّهم یمسکون أموالهم عن معطیها و رازقها فضلا عن غیره، فیستحقّون بذلک غایه اللّوم و المذمّه و مثله قوله (و لا أنفس خاطرتم بها للّذی خلقها) فانّه أدلّ علی البخل بالأنفس و أثبت لذلک الغرض، فانهم إذا لم یخاطروا بأنفسهم و لم یلقوا بها إلی المهالک لرضاء الخالق مع کونه أحقّ و أولی بها منهم، فکیف لغیره ثمّ أکّد التّوبیخ بقوله (تکرمون باللّه علی عباده و لا تکرمون اللّه فی عباده) و لذلک وصل هذا الکلام بما سبق و لم یفصل بالعاطف، لکون ذلک أو فی بتأدیه المراد ممّا سبق، یعنی أنّکم تتنافسون و تظهرون العزّو الشّرف علی عباد اللّه

ص:۱۰۰

تعالى باللّه سبحانه أى بما خوّلكم و أعطاكم و منحكم من النّعم الدّنيويّه و الاخرويه و لا تكرمون اللّه و لا تطيعونه فى الاحسان إلى عباده و الافضال عليهم، بل بنعمته تبخلون، و عن عباده تمسكون (فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) من طحنتهم الآجال و ضاق بهم المجال و ارتهنوا بالأعمال كما قال عزّ من قائل:

«وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ ».

(و انقطاعكم عن أوصل اخوانكم) حتى انتقلوا إلى ضيق المضجع و وحشه المرجع، فستصيرون مثلهم و تنزلون منزلتهم، فاسلكوا مسلكك العاجله حميدا، و قدّموا زاد الآجله سعيدا.

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام است در توبيخ و عتاب مذمّت أصحاب بر عدم بذل أموال در راه ذو الجلال فرموده.

پس هيچ مالهاى دنيا را بذل نكرديد براى كسى كه روزى شما گردانيد آنها را و هيچ جانها در مهالك نيفكنديد براى كسى كه خلق كرد آنها را، كريم و عزيز شويد بسبب خدا بر بندگان خدا، و گرامى نمى داريد خدا را در بندگان خدا، پس عبرت بگيريد بنازل شدن خودتان بمنزلهاى كسانى كه بودند پيش از شما، و ببريدن خود از أقرب برادران خود.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و السابع عشر من المختار

اشاره

فى باب الخطب

أنتم الأنصار على الحقّ، و الإخوان فى الدّين، و الجنن يوم

ص:١٠١

البأس، و البطانه دون النّاس، بكم أضرب المدبر، و أرجو طاعه المقبل، فأعينونى بمناصحه جليّه من الغشّ، سليمه من الرّيب، فواللّه إنّى لأولى النّاس بالنّاس.

اللغه

(الجنن) جمع الجنّه و هى ما استترت به من سلاح و (بطانه) الرّجل خاصّته و أصحاب سرّه و (خليّه) فى بعض النسخ بالجيم و فى بعضها بالخاء.

الاعراب

دون ظرف إما بمعنى عند أو بمعنى سوى، و الفاء فى قوله: فأعينونى فصيحه

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على ما رواه الشارح المعتزلى من المداينى و الواقدى قاله أمير المؤمنين عليه السّلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، و الغرض بذلك مدح أصحابه و استماله قلوبهم إلى مناصحته فقوله عليه السّلام:(أنتم الأنصار على الحقّ) أى النّاصرون لى و المعينون على الحقّ الذّابون عن الباطل (و الاخوان فى الدّين) لقوله سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»(و الجنن) و التّرس (يوم البأس) أى يوم الشّده و الحرب (و البطانه) أى خاصّتى و خالصتى الذين لا اطوى عنكم سرّى (دون النّاس) أى عندهم يعنى أنّكم عندهم معروفون باختصاصى، أو أنتم البطانه لى سوى النّاس أى ليس لى بطانه غيركم (بكم أضرب المدبر) عن الحقّ (و أرجو طاعه المقبل) يعنى من أقبل إلىّ إذا رأى أخلاقكم الحميده أطاعنى بصميم قلبه، و يمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الاقبال و الطاعه، و إذا كنتم بهذه المثابه (فأعينونى بمناصحه جليّه) أى صافيه أو خاليه (من الغشّ) و التدليس (سليمه من الرّيب) أى سالمه من الشّك فى استحقاقى للخلافه و الولايه (فواللّه انى لأولى النّاس بالنّاس) و أحقّ بالامامه.

ص:۱۰۲

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در مدح أصحاب خود که فرموده:

که شما یاری کنندگانید بر راه راست، و برادرانید در دین، و سپرهائید در روز سختی و شدّت، و خواص منید در نزد مردمان، باعانت شما می زنم پشت گرداننده از حق را، و بوجود شما امید می دارم رو آورنده را پس اعانت نمائید بنصیحت کردنی که خالی است از نقص و عیب، و سالم است از شک و ریب، پس قسم بخدا که بدرستی من بهترین مردمانم بمردمان، و أولایم بایشان از دیگران.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الثامن عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و قد جمع النّاس و حضّهم علی الجهاد فسکتوا ملیّا

فقال علیه السّلام: ما بالکم أ مخرسون أنتم؟ فقال قوم منهم: یا أمیر المؤمنین إن سرت سرنا معک. فقال علیه السّلام: ما بالکم لا سدّدتم لرشد، و لا هدیتم لقصد، أ فی مثل هذا ینبغی لی أن أخرج، إنّما یخرج فی مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعائکم و ذوی بأسکم، و لا ینبغی لی أن أدع الجند و المصر و بیت المال و جبایه الأرض و القضاء بین المسلمین و النّظر فی حقوق المطالبین، ثمّ أخرج فی کتیبه اتّبع أخری، أتقلقل تقلقل القدح فی الجفیر الفارغ، و إنّما أنا قطب الرّحی تدور علیّ و أنا بمکانی، فإذا فارقته استحار مدارها، و اضطرب ثفالها، هذا لعمر اللّه الرّأی السّوء،

ص:۱۰۳

و اللّه لو لا رجائى الشّهاده عند لقائى العدوّ لو قد حمّ لى لقائه لقرّبت ركابى، ثمّ شخصت عنكم، و لا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، طعّانين، عيّابين، حيّادين، روّاغين، و إنّه لا غناء فى كثره عددكم مع قلّه اجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطّريق الواضح الّتى لا يهلك عليها إلاّ هالك، من استقام فإلى الجنّه، و من زلّ فإلى النّار.

اللغه

(الملىّ) الهواء من الدّهر و الساعه الطويله من النّهار قال تعالى: و اهجرنى مليّا، و (مخرسون) اسم مفعول من أخرسه اللّه و (سدّدتم) بالتخفيف و التشديد و (الشجعاء) جمع شجيع و فى بعض النسخ شجعانكم بالنّون و هو بالضّمّ و الكسر جمع شجاع و (الكتيبه) القطعه العظيمه من الجيش و (القدح) بالكسر السّهم قبل أن يراش و ينضل و (الجفير) الكنانه و قيل و عاء للسّهام أوسع من الكنانه و (استحار مدارها) قال الشّارح المعتزلى: اضطرب و لم نجده بهذا المعنى فى اللغه و الظّاهر من استحار إذا لم يهتد بسبيله يقال استحار السّحاب أى لم يتجه جهه، و عن الجوهرى المستحير سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه و (الثفال) كالكتاب و الغراب الحجر الأسفل من الرّحى و (الرّكاب) كالكتاب أيضا الابل التى يسار عليها.

الاعراب

مليّا منصوب على الظرف، و قوله: و اللّه لو لا رجائى الشهاده جواب القسم، قوله: لقرّبت ركابى، و هو سادمسدّ جواب لو لا، و جمله لو قدحمّ لى لقائه، شرطيّه معترضه بين القسم و جوابه كما فى قوله:

ص:۱۰۴

لعمری و ما عمری علیّ بهین لقد نطقت بطلا(۱) علیّ الأقارع

و جواب لو محذوف بدلاله سیاق الکلام علیه أی لو قدحمّ لی لقائه لقیته و دخول قد فی شرط لو نادر، و مثله ما رواه فی حواشی المغنی من صحیح البخاری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لو قد جاء مال البحرین قد أعطیتک هکذا هکذا، و اختلف فی المرفوع بعد لو لاـ و أنّ رفعه لما ذا، قال ابن هشام لو لا تدخل علی جمله اسمیّه ففعلیّه لربط امتناع الثانیه بوجود الاولی، نحو لو لا زید لأکرمتک، أی لو لا زید موجود إلی أن قال، و لیس المرفوع بعد لو لا فاعلا بفعل محذوف، و لا بلولا لنیابتها عنه، و لا بها أصاله، خلافا لزاعمی ذلک، بل رفعه بالابتداء، و طعانین مع المنصوبات الثلاثه بعدها حالات من ضمیر الخطاب فی قوله أطلبکم، و جمله لقد حملتکم جواب لقسم محذوف، و الطریق یذکّر و یؤنث و لذا اتی بصفه أوّلا بالتذکیر و ثانیا بالتّأنیث جریا علی اللّغتین.

المعنی

إنّ هذا الکلام قاله أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد انقضاء أمر صفّین و النهروان فی بعض غارات أهل الشام علی أطراف العراق، (و قد جمع النّاس و حضّهم) أی حثّهم (علی الجهاد فسکتوا ملیّا) أی ساعه طویله (فقال علیه السّلام) توبیخا لهم علی تثاقلهم (ما بالکم أ مخرسون أنتم) فلاـ تنطقون (فقال قوم منهم یا أمیر المؤمنین علیه السّلام ان سرت) إلی العدوّ (سرنا معک فقال علیه السّلام: ما بالکم لا سددتم لرشد و لا هدیتم لقصد) دعاء علیهم بعدم الاستقامه و السّداد لما فیه الصّلاح و الرّشاد و عدم الاهتداء للقصد أی الأمر المعتدل الذی لا یمیل إلی أحد طرفی الافراط و التفریط.

(أ فی مثل هذا ینبغی لی أن أخرج) استفهام علی سبیل التوبیخ و الانکار، و الاتیان باسم الاشاره للتحقیر کما فی قوله تعالی: «أَ هذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ »

۱- (۱) بطلا صفه لمحذوف أی نطقا بطلا أی باطلا و الاقارع جمع اقرع و هو الذی ذهب شعر رأسه من آفه، منه.

(انما يخرج فى مثل هذا رجل ممّن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم) و شجاعتكم.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى وجوه الفساد فى خروجه بنفسه بقوله (و لا ينبغى لى أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جبايه الأرض) أى جمع ما فيها و خراجها (و القضاء بين المسلمين) و فصل خصوماتهم (و النظر فى حقوق المطالبين) و دفع ظلاماتهم و غير ذلك مما فيه نظام الدوله و انتظام المملكه و مهام العباد و قوام البلاد (ثم اخرج فى كتيبه أتبع) فى كتيبه (أخرى أتقلقل) أى أضطرب(تقلقل القدح فى الجفير الفارغ)من السهام، و الغرض التّشبيه فى اضطراب الحال و الانفصال عن الجنود و الاعوان بالقدح الذى لا يكون حوله قداح تمنعه من التّقلقل و لا يستقرّ مكانه.

و قال الشارح البحرانى: شبّه خروجه معهم بالقدح فى الجفير، و وجه الشّبه أنّه كان قد نفد الجيش و أراد أن يجهّز من بقى من النّاس فى كتيبه اخرى فشبّه نفسه فى خروجه فى تلك الكتيبه وحده مع تقدم أكابر جماعه و شجعانها بالقدح فى الجفير الفارغ فى كونه يتقلقل، و فى العرف يقال للشريف إذا مشى فى حاجه ينوب فيها من هو دونه و ترك المهام التى لا تقوم إلّا به ترك المهمّ الفلانى و مشى يتقلقل على كذا، و الأشبه ما ذكرنا (و إنما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكانى) شبّه عليه السّلام نفسه بالقطب و امور الاماره و الخلافه المنوطه عليه بالرحى و وجه الشّبه دوران تلك الامور عليه دوران الرّحى على القطب كما أشار إليه بقوله:تدور علىّ،و هو من قبيل التشبيه المجمل المقرون بذكر وصف المشبّه به كما فى قولها: هم كالحلقه المفرغه لا يدرى أين طرفاها.

و قوله(فاذا فارقته استحار مدارها و اضطرب ثفالها)إشاره إلى الغرض من التشبيه و هو فساد الامور المذكوره و اضطرابها بمفارقته عليه السّلام لها و انتقاله عليه السّلام عن مكانه، و كذلك يبطل الغرض المقصود منالرّحابارتفاع قطبها و انتفائه، و معنى استحار مدارهاعلى تفسير الشّارح المعتزلى اضطراب دورانها و خروجه عن الحركه

ص:۱۰۶

المستديره إلى المستقيمه، و على ما قدّمنا من عدم مجيء الاستحاره بمعنى الاضطراب فالأنسب أن يكون كنايه عن الوقوف عن الحركه و يكون اضطراب ثفالها كنايه عن عدم تأتى الغرض المطلوب منه.

و لما نبّه على فساد ر أيهم أكّد ذلك بالقسم البارّ و قال (هذا لعمر اللّه الرأى السّوء) ثمّ أقسم باستكراهه لهم و استنكافه منهم و نفره طبعه عن البقاء معهم إلاّ أنّ له مانعا عن ذلك و هو قوله (و اللّه لو لا رجائى) لقاء اللّه ب (الشهاده عند لقائى العدوّ لو قد حمّ) و قدّر (لى لقائه لقرّبت ركابى ثمّ شخصت عنكم) و فارقتكم غير متأسّف عليكم (فلا أطلبكم) سجيس اللّيالى (ما اختلف جنوب و شمال) تبرّما من سوء صنيعتكم و قبح فعالكم و مخالفتكم لأوامرى حالكونكم (طعّانين) على النّاس (عيّابين) عليهم (حيّادين) ميّالين عن الحقّ (روّاغين) عن الحرب روغ الثّعلب (و انّه لا غناء) و لا نفع (فى كثره عددكم مع قلّه اجتماع قلوبكم) و نفاقكم (لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لا يهلك عليها) أى كائنا عليها أو بسببها (إلاّ هالك من استقام) و اعتدل و لزم سلوكها (ف) مرجعه (إلى الجنّه) بنفس مطئنّه (و من زلّ) و عدل عنها (ف) مصيره (إلى النّار) و بئس القرار.

الترجمه

از جملۀ كلام بلاغت اسلوب آن امام است در حالتى كه جمع كرده بود مردمان را و ترغيب مى فرمود ايشان را بر جهاد، پس ساكت شدند زمان درازى، پس فرمود كه چيست شما را آيا گنگ ساخته اند شما را پس گفتند طايفۀ از ايشان أى مولاى مؤمنان اگر سير بفرمائيد سير مى كنيم با تو، پس فرمود كه:

چه مى شود شما را موفّق نباشيد بر راه قويم و هدايت نيابيد بر طريق مستقيم آيا در مثل اين كار مختصر سزاوار است مرا كه بيرون بروم بكار زار، جز اين نيست كه خارج ميشوند درمانند اين امر مردى از كسانى كه پسند من بوده باشد از دليران شما، و صاحبان قوت و شجاعت شما، و سزاوار نيست مرا كه ترك كنم لشكر را و شهر را

و بیت المال و خراج گرفتن زمین را، و حکم نمودن در میان مسلمانان و نظر کردن در حقهای طلب کنندگان حقوق را، بعد از آن خارج شوم در طایفه از لشکر که متابعت نمایم طایفۀ دیگر را، جنبش نمایم مثل جنبش نمودن تیر بی پر در تیردان خالی از تیر، و جز این نیست که من مثل قطب آسیا هستم که می گردد آن آسیا بر من و من در جای باشم، پس هنگامی که من جدا شوم از آن متحیّر و سرگردان شود دوران آن، و مضطرب گردد سنگ زیرین آن.

این که شما می گوئید قسم بخدا بد رأیی است و اندیشه کج است، و بخدا سوگند اگر نبود امیدواری من بشهادت در حین ملاقات دشمن اگر مقدر بشود از برای من ملاقات آن هر آینه نزدیک می گردانیدم شتر سواری خود را بعد از آن رحلت می کردم از شما پس طلب نمی کردم شما را أبدا مادامی که اختلاف دارند باد جنوب و شمال در حالتی که هستید طعن نمایندگان مردمان، عیب جویندگان، برگردندگان از راه حق، ترسندگان، و بدرستی هیچ منفعتی نیست در کثرت عدد و شماره شما با وجود کمی اجتماع قلبهای شما، هر آینه بتحقیق که حمل نمودم شما را بر راه روشن و آشکار که هلاک نمی شود بر آن مگر هلاک شونده گمراه، کسی که مستقیم شد بر آن راه پس رجوع آن بسوی بهشت است، و کسی که لغزید از آن راه پس بازگشت آن بسوی آتش است.

قال الشارح المحتاج الی غفران اللّه تعالی و رحمته، المتوسل الی اللّه سبحانه برسول اللّه و عترته سلام اللّه علیه و علیهم ما اختلف اللیل و النهار و الجنوب و الشمال: هذا هو المجلد الثالث(۱) من مجلّدات شرح النهج، قد یسّر اللّه اتمامه و أحسن بالخیر ختامه، و یتلوه انشاء اللّه سبحانه المجلّد الرّابع، و هذه هی النسخه الأصل التی کتبتها بیمینی، و المرجّو من اللّه سبحانه أن یبثها فی صحایف الحسنات، و یجعلها ممحاه للسّیئآت بفضله الواسع، و کرمه السّابغ، و بمحمّد و آله الطاهرین، و کان الفراغ سلخ شهر ذی القعده الحرام ۱۳۰۶

ص:۱۰۸

۱- (۱) هذا علی حسب تجزأه المصنف قدس سره کما فی الطبعه الاولی.

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى هدانا إلى نهج الحقّ و منهج الصّواب، و الاعتصام بالعروه الوثقى و الحبل المتين فى المبدأ و المآب، و الصّلاه و السّلام على من آتاه الحكم و فصل الخطاب، و بعثه ليتمّ مكارم الأخلاق و محاسن الآداب، شجره الاصطفاء و ثمره الاجتباء شريف الحسب و كريم الأنساب، ختم الأنبياء و أنف البطحاء نخبه العرب و شامخ الالقاب، و على أوصيائه الذين هم أعلام التوحيد و منار التفريد و عندهم علم الكتاب، و أهل الذكر المسئولون المؤيّدون فى كلّ فصل و باب، و المعصومون المسدّدون فى الشيب و الشباب، و إليهم حشر الخلائق و نشرهم و إليهم الاياب و عليهم الحساب، و بولايتهم تقبل الأعمال و تنال الآمال و يفاز عظيم الزلفى و حسن الثواب.

يا بنى أحمد ناديكم اليوم و أنتم غدا الرّد جوابى

ألف باب اعطيتم ثمّ افضى كلّ باب منها إلى ألف باب

لكم الأمر كلّه و إليكم ولد يكم يؤل فصل الخطاب

لا سيّما أعظم النعيم و النّباء العظيم و الصّراط المستقيم ابو الأئمه الأطهار الأطياب، هادى الامم و كاشف الظلم و سيّد العرب و العجم و العبيد و الأرباب، علم الهدى و كهف الورى و طود النهى و بحر السدى و ماطر السحاب، من أحبّه سعد مولده و طاب، و من أبغضه ضلّ سعيه و خسر و خاب.

و بعد فهذا هو المجلّد الرابع من مجلّدات منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه املاء راجى عفو ربه الغنى حبيب اللّه بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى أعطاه اللّه كتابه بيمناه، و جعل عقباه خيرا من اولاه، و أسأله سبحانه من نواله، أن يمنّ علىّ باكماله، بجاه محمّد و آله.

فأقول: قال السّيد رضى اللّه عنه:

ص:١٠٩

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و التاسع عشر من المختار

اشاره

فى باب الخطب

تـاللّه لقـد علّمت تبليغ الرّسالات، و إتمـام العـدات، و تمام الكلمات، و عنـدنا أهل البيت أبواب الحكم، و ضـياء الأمر، ألا و إنّ شرائع الـدّين واحـده، و سـبله قاصده، من أخذ بها لحق و غنم، و من وقف عنها ضلّ و ندم، اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر، و تبلى فيه السّرائر، و من لا ينفعه حاضر لبّه، فعازبه اعجز، و غائبه أعوز، و اتّقوا نارا حرّها شديد، و قعرها بعيد، و حليتها حديد، و شرابها صديد، ألا و إنّ اللّسان الصّالح يجعله اللّه للمرء فى النّاس خير من مال يورثه من لا يحمده.

اللغه

(علّمت) فى أكثر النّسخ على صـيغه المجهول من بـاب التفعيـل و فى بعضـها بـالتخفيف على المعلوم، قـال الشّـارح المعتزلى: و الرّوايه الاـولى أحسن و (الحكم) فى أكثر النسـخ بـالضمّ و سـكون الكـاف و فى بعضـها بالكسـر و فتـح الكاف جمع الحكمه و (عزب) الشّىء من باب قعد بعد عنّى و غاب و (عوز) الشّىء كفرح إذا لم يوجد و الرجل افتقر و أعوزه الدهر أفقره.

الاعراب

قوله عليه السّـلام: و عنـدنا أهل البيت فى أكثر النّسـخ بالجرّ، و فى بعضـها بالنصب أمّا الثانى فعلى الاختصاص، و أمّا الأوّل فعلى كونه بدلا من ضمير المتكلّم كما يراه بعض علماء الأدبيه أو على أنه عطف بيان كما هو الأظهر.

ص:۱۱۰

فـان قلت: صـرّح الأـدبيّون بـأنّ عطف البيـان إنّمـا يؤتى به لا يضاح متبوعه و ههنا المتبوع أعرف من التابع فكيف يجوز الاتباع؟ قلت: هـذا مبنىّ على الأـغلب و إلاّ فقـد يؤتى بالبيان لقصـد المـدح كما قاله المحقّق التفتازانى، حيث قال: فائـده عطف البيان لا تنحصـر فى الايضـاح لما ذكر صاحب الكشاف أنّ البيت الحرام فى قوله تعالى: جعل اللّه الكعبه البيت الحرام قياما للنّاس، عطف بيان جىء به للمدح لا للايضاح كما تجىء الصّـفه لذلك، انتهى و جمله تذخر له الذّخائر مجروره المحلّ على الوصف، و جمله يجعله اللّه فى محلّ النصب على الحال أو الوصف، و جمله يورثه من لا يحمده وصفيّه.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهـذا الكلاـم كما يفهم من سـياقه الاشاره إلى وجوب اتباعه و ملازمته و التمسک بـذيل ولايته و اتباع الطّيبين من عترته و ذريّته، و وجوب أخذ معالم الدّين و أحكام الشّرع المبين عنهم عليهم السّلام، و عقّبه بالأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد، و لـذلک ذكر جملـه مـن فضـائله المخصـوصه به المفيـده لتقـدّمه على غيره، و الـدّاله على وجـوب تقـديمه نظرا إلى قبـح ترجيح المرجوح على الرّاجـح، و غير خفىّ على الـذّكىّ البصـير أنّ كلا من هذه الخصائص برهان واضح و شاهد صدق على اختصاص الخلافه و الولايه بهم عليهم السّلام و على أنّها حقّ لهم دون غيرهم.

و افتتـح كلامه بالقسم البارّ تحقيقا للمقصـد فقال:(تاللّه لقـد علّمت تبليغ الرسالات) أى علّمنيه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بتعليم من اللّه سـبحانه و أعلمنيه بـأمر منه تعـالى، لاـ أنّه علمه بـوحى كمـا توهمه بعض الغلاـت، لأـنّ الأـئمه عليهم السّـلام محدّثون، و الرساله هو الاخبار عن مراد اللّه تعالى بكلامه بدون واسـطه بشـر، و المراد أنّه عليه السّـلام علمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إبلاـغ مـا جاء به إلى الخلق على اختلاف ألسـنتهم و تعـدّد لغاتهم سواء كان ذلک فى حال حياه الرّسول كبعثه صـلّى اللّه عليه و آله له عليه السّـلام بسوره برائه إلى أهـل مكه و عزله لأـبى بكر معلّلاـ بقوله صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: امرت أن لا يبلغهـا إلاّـ أنـا أو رجـل منّى و بعثه له إلى الجنّ و نحو ذلـک، أو بعـد وفاته صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، فقـد كان هو و أولاده الطاهرون

سلام اللّه عليهم أوعيه علم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و حمله سرّه و حفظه شرعه مؤدّين له إلى امّته و كان عمده نشر الأحكام و انتشار مسائل الحلال و الحرام و انفتاح باب العلم فى زمنهم عليهم السّلام و كانوا مأمورين بالتّبليغ و الانذار، كما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مأمورا بذلك و يشهد بذلك ما رواه الكلينى و الطبرسى و العياشى عن الصّادق عليه السّلام فى قوله تعالى: و أوحى إلىّ هذا القرآن لانذركم به و من بلغ الآيه، قال: و من بلغ أن يكون اماما من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فى غايه المرام عن الصّدوق باساناده عن يزيد «بريد ظ» بن معاويه العجلى قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: انّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقال: المنذر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ الهادى، و فى كلّ وقت و زمان امام منّا يهديهم إلى ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فيه أيضا عن الصّدوق مسندا عن أبى هريره قال: دخلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد نزلت هذه الآيه: إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقرأها علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أنا المنذر، أ تعرفون الهادى؟ قلنا: لا يا رسول اللّه، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو خاصف النعل، فطولت الأعناق اذ خرج علينا علىّ عليه السّلام من بعض الحجر و بيده نعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ التفت إلينا و قال: ألا إنّه المبلّغ عنّى و الامام بعدى و زوج ابنتى و أبو سبطى، ففخرا نحن أهل بيت أذهب اللّه عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا من الدّنس الحديث.

و فى البحار عن بصائر الدرجات باسناده عن انس بن مالك خادم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا على أنت تعلّم النّاس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال علىّ عليه السّلام: ما ابلغ رسالتك بعدك يا رسول اللّه، قال: تخبر النّاس بما اشكل عليهم من تأويل القرآن.

و فيه أيضا من كشف الغمه من كتاب محمّد بن عبد اللّه بن سليمان مسندا عن أنس قال: كنت أخدم النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال لى يا أنس بن مالك: يدخل علىّ رجل امام المؤمنين، و سيّد المسلمين و خير الوصيّين، فضرب الباب فاذا علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فدخل بعرق فجعل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمسح العرق عن وجهه و يقول: أنت تؤدّى عنّى

أو تبلغ عنى، فقال: يا رسول اللّه أو لم تبلغ رسالات ربّك؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بلى و لكن أنت تعلم النّاس.

(و إتمام العدات) أى انجازها يحتمل أن يكون المراد بها ما وعده اللّه سبحانه فى حقّه، فقد علّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأن اللّه سيفى به بما انزل عليه فى القرآن حيث قال: أ فمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه.

روى فى غايه المرام عن الحسن بن أبى الحسن الدّيلمى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى هذه الآيه قال: الموعود علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، وعده اللّه أن ينتقم له من أعدائه فى الدنيا، و وعده الجنّه له و لأوليائه فى الآخره.

و لكنّ الأظهر أن يراد بها العدات و العهود التى عاهد عليها اللّه سبحانه، و يشهد به قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ». فقد روت الخاصّه و العامّه أنّها نزلت فى علىّ عليه السّلام و جعفر و حمزه.

روى فى غايه المرام عن علىّ بن يونس صاحب كتاب صراط المستقيم قال:

قال: روى المفسّرون أنها نزلت فى علىّ و حمزه، و لا ريب أنه لمّا قتل حمزه اختصّت بعلىّ فامن منه التبديل بحكم التنزيل و روى اختصاصها بعلىّ عليه السّلام ابن عبّاس و الصّادق عليه السّلام و أبو نعيم.

و فيه أيضا عن محمّد بن العباس الثقه فى تفسيره فيما نزل فى أهل البيت عليهم السّلام باسناده عن جابر عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام عن محمّد بن الحنفيه رضى اللّه عنه قال: قال علىّ عليه السّلام: كنت عاهدت اللّه و رسوله أنا و عمّى حمزه و أخى جعفر و ابن عمّى عبيده بن الحارث على أمر وفينا به للّه و رسوله، فتقدمنى أصحابى و خلفت بعدهم لما أراد اللّه عزّ و جلّ، فأنزل اللّه سبحانه فينا:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ » حمزه و جعفر و عبيده «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ».

ص:۱۱۳

أنا المنتظر و ما بدّلت تبديلا.

أو يراد بها مواعيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى وعدها للنّاس فقد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت وصيّى و وارثى و قاضى دينى و منجز عدتى، و علّمه صلّى اللّه عليه و آله كيفيّه أدائها و من أين يؤدّيها.

و قد روى فى غايه المرام، عن محمّد بن علىّ الحكيم الترمذى من أعيان علماء العامه فى كتابه المسمّى بفتح المبين من كتاب الأوصال قال: و روى أنّ أمير المؤمنين كرم اللّه وجهه قد أدّى سبعين ألفا من دينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان أكثره من الموعود.

و فيه أيضا من كتاب ثاقب المناقب قال: حدّثنى شيخى أبو جعفر محمّد بن حسين الشهرابى فى داره بمشهد الرّضا عليه السّلام باسناده إلى عطا عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قدم أبو الصمصام العيسى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أناخ ناقته على باب المسجد و دخل و سلّم و أحسن التسليم ثمّ قال: أيكم الفتى الغوى الذى يزعم أنه نبىّ؟ فوثب إليه سلمان الفارسى «رض» فقال: يا أخا العرب أما ترى صاحب الوجه الأقمر، و الجبين الأزهر، و الحوض و الشفاعه، و التواضع و السكينه، و المسأله و الاجابه، و السّيف و القضيب، و التكبير و التهليل، و الأقسام و القضيه، و الأحكام الخفيّه، و النّور و الشرف، و العلوّ و الرّفعه، و السخاء و الشجاعه و النجده، و الصّلاه المفروضه و الزكاه المكتوبه، و الحجّ و الاحرام، و زمزم و المقام، و المشعر الحرام، و اليوم المشهود، و المقام المحمود، و الحوض المورود، و الشفاعه الكبرى، و ذلك مولانا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال الأعرابىّ: إن كنت نبيّا فقل متى تقوم الساعه و متى يجىء المطر و أىّ شىء فى بطن ناقتى و أىّ شىء اكتسب هذا و متى أموت؟ فبقى صلّى اللّه عليه و آله ساكتا لا ينطق بشىء فهبط الأمين جبرئيل فقال: يا محمّد اقرء:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »

«إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » قال الأعرابى: مـدّ يدك فأنا أشـهد أن لا إله إلاّ اللّه، و اقرّ أنّك رسول اللّه، فأىّ شـىء لى عندك إن آتيك بأهلى و بنى عمّى مسلمين؟ فقال له النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: لك عنـدى ثمانون ناقه حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرايف اليمن و نقط (١) الحجاز.

ثمّ التفت النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام و قال صـلّى اللّه عليه و آله: اكتب يا أبا الحسن بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أقرّ محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف و أشهد على نفسه فى صحّه عقله و بدنه و جواز أمره أنّ لأبى الصّـمصام عليه و عنـده و فى ذمّته ثمـانين نـاقه حمر الظهور، بيض البطون، سود الحـدق عليها من طرايف اليمن و نقط الحجاز، و أشهد عليه جميع أصحابه.

و خرج أبو الصّـمصام إلى أهله، فقبض النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقدم أبو الصّمصام و قد أسلم بنوعيس كلّها، فقال أبو الصّمصام: ما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قالوا: قبض، قال:

فمن الوصـىّ بعـده؟ قالوا ما خلف فينا أحدا، قال: فمن الخليفه بعده؟ قالوا: أبو بكر فدخل أبو الصـمصام المسـجد فقال: يا خليفه رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إنّ لى على رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله دينـا ثمـانين نـاقه حمر الظهـور، بيض البطون، سود الحـدق عليهـا من طرائف اليمن و نقـط الحجـاز، فقـال أبو بكر يـا أخا العرب سألت ما فوق العقل، و اللّه ما خلف فينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لاصـفراء و لا بيضاء، خلف فينا بغلته الذلول، و درعه الفاضـله فأخذها علىّ بن أبى طالب، و خلف فينا فدكا فأخذناها بحقّ، و نبينا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يورث.

فصاح سـلمان: كردى و نكردى و حق أمير بردى، ردّ العمل إلى أهله ثمّ مدّ يده إلى أبى الصّمصام فأقامه إلى منزل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو يتوضّأ وضوء الصّلاه، فقرع سلمان الباب، فنادى علىّ عليه السّلام: ادخل أنت و أبو الصّمصام العيسى

١- (١) لم أجد لفظ النقط فى كتب اللغه و الظاهر انه تحريف من النساخ و الصحيح نمط الحجاز و هو ثوب من صوف ذو ألوان و يقال أيضا لما يفرش من مفارش الصوف الملوّنه، منه.

فقال أبو الصّمصام: اعجوبه و ربّ الكعبه، من هذا الذى سمّانى و لم يعرفنى؟ فقال سلمان الفارسى «رض»: هذا وصىّ رسول اللّه، هذا الذى قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا مدينه العلم و علىّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، هذا الذى قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: علىّ خير البشر فمن رضى فقد شكر و من أبى فقد كفر، هذا الذى قال اللّه تعالى فيه:

«وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ».

هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » و هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِى سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ » هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ». هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » الآيه.

هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » هذا الذى قال اللّه عزّ و جلّ فيه: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » ادخل يا أبا الصمصام و سلّم عليه، فدخل و سلّم عليه، ثمّ قال: إن لى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمانين ناقه حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز، فقال عليه السّلام أمعك حجّه؟ قال: نعم، و دفع الوثيقه

فقال علیه السّلام: ناد یا سلمان فی الناس: ألا من أراد أن ینظر إلی قضاء دین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلیخرج إلی خارج المدینه.

فلمّا کان بالغد خرج النّاس، و قال المنافقون: کیف یقضی الدین و لیس معه شیء غدا یفتضح من أین له ثمانون ناقه حمر الظهور، بیض البطون، سود الحدق علیها من طرائف الیمن، و نقط الحجاز فلما کان الغد اجتمع الناس و خرج علیّ علیه السّلام فی أهل بیته و محبّیه و فی الجماعه من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أسرّ الحسن علیه السّلام سرّا لم یدر أحد ما هو.

ثمّ قال: یا أبا الصمصام امض مع ابنی الحسن إلی کثیب الرّمل، فمضی و معه أبو الصّمصام، و صلّی رکعتین عند الکثیب، و کلّم الأرض بکلمات لا یدری ماهی، و ضرب علی الکثیب بقضیب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فانفجر الکثیب عن صخره ململمه مکتوب علیها سطران، علی الأوّل لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه، و علی الآخر لا إله إلاّ اللّه و علیّ ولیّ اللّه، و ضرب الحسن علیه السّلام تلک الصّخره بالقضیب فانفجرت عن خطام ناقه، فقال الحسن علیه السّلام: قدیا أبا الصّمصام، فقاد، فخرج منها ثمانون ناقه حمر الظهور، بیض البطون، سود الحدق، علیها من طرائف الیمن، و نقط الحجاز، و رجع إلی علیّ علیه السّلام فقال علیه السّلام: استوفیت حقک یا أبا الصّمصام؟ فقال: نعم، فقال علیه السّلام: سلّم الوثیقه، فسلّمها إلیه فخرقها فقال: هکذا أخبرنی ابن عمّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق هذه النّوق فی هذه الصخره قبل أن یخلق ناقه صالح بألفی عام، ثمّ قال المنافقون: هذا من سحر علیّ قلیل.

قال صاحب ثاقب المناقب: و یروی هذا الخبر علی وجه آخر و هو ما روی أبو محمّد الادریسی عن حمزه بن داود الدیلمی عن یعقوب بن یزید الانباری عن أحمد ابن محمّد بن أبی نصر عن حبیب الأحول عن أبی حمزه الثّمالی عن شهر بن حوشب عن ابن عبّاس قال:

لمّا قبض النّبی صلّی اللّه علیه و آله و جلس أبو بکر نادی فی النّاس: ألا من کان له علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عده أو دین فلیأت أبا بکر و لیأت معه شاهدین، و نادی علیّ علیه السّلام بذلک

على الاطلاق من غير طلب شاهدين، فجاء أعرابىّ متلثم متقلدا سيفه متنكنا كنانته و فرسه لا يرى منه إلّا حافره، و ساق الحديث و لم يذكر الاسم و القبيله، و كان ما وعده مأئه ناقه حمراء بأزمتها و أثقالها موقّره ذهبا و فضّه بعبيدها.

فلما ذهب سلمان بالأعرابى إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال له حين بصربه: مرحبا بطالب عده والده من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فقال: ما وعد أبى يا أبا الحسن؟ قال: إنّ أباك قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: أنا رجل مطاع فى قومى إن دعوتهم أجابوك، و إنّى ضعيف الحال فما تجعل لى إن دعوتهم إلى الاسلام فأسلموا فقال صلّى اللّه عليه و آله: من أمر الدّنيا أم من أمر الآخره؟ قال: و ما عليك أن تجمعهما بى يا رسول اللّه و قد جمعهما اللّه لا ناس كثيره، فتبسّم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و قال: اجمع لك خير الدّنيا و الآخره، أما فى الآخره فأنت رفيقى فى الجنه، و أمّا فى الدّنيا فما تريد؟ قال: مأئه ناقه حمر بأزمتها و عبيدها موقره ذهبا و فضّه، ثمّ قال: و إن دعوتهم فأجابونى و قضى علىّ الموت و لم ألقك فتدفع ذلك إلى ولدى قال: نعم على أنى لا أراك و لا ترانى فى دار الدّنيا بعد يومى هذا، و سيجيبك قومك، فاذا حضرتك الوفاه فليصر ولدك إلى وليّى من بعدى و وصيّى، و قد مضى أبوك و دعا قومه فأجابوه و أمرك بالمصير إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إو إلى وصيّه، وها أنا وصيّه و منجز وعده.

فقال الأعرابى: صدقت يا أبا الحسن، ثمّ كتب عليه السّلام له على خرقه بيضاء و ناول الحسن عليه السّلام، و قال: يا أبا محمّد سر بهذا الرجل إلى وادى العقيق و سلّم على أهله و اقذف الخرقه و انتظر ساعه حتّى ترى ما يفعل، فان دفع إليك شىء فادفعه إلى الرجل، و مضيا بالكتاب.

قال ابن عباس: فسرت من حيث لم يرنى أحد، فلما أشرف الحسن عليه السّلام على الوادى نادى بأعلى صوته السّلام عليكم أيّها السكان البرره الأتقياء أنا ابن وصىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا الحسن بن علىّ سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رسوله إليكم، و قد قذف الخرقه فى الوادى فسمعت من الوادى صوتا لبّيك لبّيك يا سبط رسول اللّه و ابن البتول و ابن سيد الاوصياء سمعنا و أطعنا انتظر ليدفع إليك،

فبينا أنا كذلك إذ ظهر غلام لم ادر من اين ظهر و بيده زمام ناقه حمراء تتبعها سته فلم يزل يخرج غلام بعد غلام فى يد كلّ غلام قطار حتّى عددت مأئه ناقه حمراء بأزمتها و أحمالها، فقال الحسن عليه السّلام خذ بزمام نوقك و عبيدك و مالك و امض يرحمك اللّه هذا و قد روى هذا الحديث بطرق آخر من العامه و الخاصّه نحوا ممّا رويناه.

و أما قوله:(و تمام الكلمات) فقد فسره الشارح المعتزلى بتأويل القرآن و بيانه الذى يتمّ به، قال: لأنّ فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متمّم و مبيّن يوضحه أقول: إذا كان متمّم القرآن و مبيّنه هو أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يمكن الاستغناء فيه عنه عليه السّلام، فكيف يمكن معذلك تقديم أحلاف العرب الذين لا يعرفون من القرآن إلا اسمه عليه و ترجيحهم عليه، فانّ القرآن هو إعجاز النبوّه و أساس الملّه و عماد الشريعه، فلا بد أن يكون القيّم به و العارف له و الحافظ لأسراره، هو الحجّه لا غير كما هو غير خفىّ على الذكى ذى الفطنه.

ثمّ أقول الذى عندى أنه يجوز أن يراد بالكلمات الكلمات القرآنيه خصوصا أعنى الآيات و ما تضمّنته من التأويل و التنزيل و المفهوم و المنطوق و الظهر و البطن و النكات و الأسرار، و ما فيها من الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و العام و الخاص و المطلق و المقيّد و المجمل و المبيّن و المبيّن و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الجدل و المثل و القصص و الترغيب و الترهيب إلى غير ذلك، فانّ تمام ذلك و كلّه عند أمير المؤمنين عليه السّلام و العلم بجميع ذلك مخصوص به و بالطاهرين من أولاده سلام اللّه عليهم حسبما عرفته تفصيلا و تحقيقا فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى.

و أن يراد بها مطلق كلمات اللّه النازله على الأنبياء و الرّسل فى الكتب السماويه و الصّحف الالهيّه، و قد مضى ما يدلّ على معرفتهم بتمام هذه فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الثانيه عند قوله عليه السّلام: و كهف كتبه.

و أن يراد بها الأعمّ من هذه أيضا، و هو الأنسب باقتضاء عموم وظيفتهم عليهم السّلام، فيكون المراد بها ما ورد فى غير واحد من الأخبار من أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علّم عليا كلمه تفتح ألف كلمه و ألف كلمه يفتح كلّ كلمه ألف كلمه، و عبّر عنها فى أخبار اخر بلفظ الباب و فى بعضها بلفظ الحديث و فى طايفه بلفظ الحرف.

ص:۱۱۹

مثل ما رواه فی غایه المرام عن المفید مسندا عن أبی حمزه الثمالی عن علیّ ابن الحسین علیهما السّلام قال: علّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیا کلمه تفتح ألف کلمه، و ألف کلمه یفتح کلّ کلمه ألف کلمه.

و فیه عن المفید أیضا باسناده عن عبد الرّحمن بن أبی عبد اللّه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: علّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا حرفا یفتح ألف حرف کلّ حرف منها یفتح ألف حرف.

و فیه أیضا عن محمّد بن الحسن الصّفار مسندا عن أبی حمزه الثّمالی عن أبی إسحاق السّبیعی قال: سمعت بعض أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام ممّن یثق به یقول: سمعت علیّا علیه السّلام یقول: إنّ فی صدری هذا العلما جمّا علّمنیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لو أجد له حفظه یرعونه حقّ رعایته و یروونه عنّی کما یسمعونه منّی إذا لأودعتهم بعضه، یعلم به کثیرا من العلم مفتاح کلّ باب و کلّ باب یفتح ألف باب.

و فیه أیضا عن محمّد بن علیّ الحکیم الترمذی عن صاحب الینابیع قال: سأل قوم من الیهود عمر فی زمن خلافته عن مسائل بشرط إن أجابهم أو غیره من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آمنوا به صلّی اللّه علیه و آله و قالوا:

ما قفل السماء و ما مفتاح ذلک القفل؟ و ما القبر الجاری؟ و من الرّسول الذی وعظ قومه و لم یکن من الجنّ و لا من الانس؟ و من الخمسه الذین یسیرون فی الأرض و لم یخلقوا فی أرحام الامهات؟ و ما یقول الدّیک فی صوته؟ و الدّراج فی هدیده؟ و القمری فی هدیره؟ و الفرس فی صهیله؟ و الحمار فی نهیقه؟ و الضفدع فی نقیقه؟ فأطرف عمر زمانا ثمّ رفع رأسه قال لا أدری، فقالوا: علمنا أنّ دینکم باطل، فغدا سلمان «ض» جدّا و أخبر علیا بالقصّه فأتی فلما رآه استقبله و عانقه و أخبره بالقصّه فقال کرّم اللّه وجهه لا تبال فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علّمنی ألف باب من العلم کان یتشعّب منه ألف باب آخر، قال عمر فاسألوه عنها، فقال فی جوابهم:

أمّا قفل السّماء فهو الشرک، و أمّا مفتاح ذلک القفل فقول لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، قالوا: صدق الفتی، ثمّ قال: و أمّا القبر الجاری فهو الحوت الذی

كان يونس فى بطنه حيث دار به فى سبعه أبحر، و أمّا الرّسول الذى لم يكن من الجنّ و الانس فنمله سليمان كما قال اللّه تعالى:

«قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ ».

و أمّا الخمسه الذين لم يخلقوا فى أرحام الامّهات فآدم، و حوّا، و ناقه صالح، و كبش إبراهيم، و ثعبان موسى، و أمّا الديك فيقول: اذكروا اللّه أيّها الغافلون، و أمّا الدرّاج فيقول: الرّحمن على العرش استوى، و أمّا القمرى فيقول: اللّهمّ العن مبغضى محمّد و آل محمّد، و أمّا الفرس فيقول عند الغزو: اللهمّ انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين، و أمّا الحمار فيلعن العشّار و لا ينهق إلاّ فى وجه الشيطان، و أمّا الضفدع فيقول: سبحان ربّى المعبود فى لجج البحار.

و روى أنّهم كانوا ثلاثه فآمن منهم اثنان، و قام ثالثهم فسأل عن أصحاب الكهف و عن أسمائهم و أسماء كهفهم و اسم كلبهم، فأخبر بكلّها علىّ رضى اللّه عنه كما رواه عنه صاحب الكشاف فى تفسير سوره الكهف، و قصّ قصّتهم، فآمن اليهودى.

ثمّ قال عليه السّلام:(و عندنا أهل البيت أبواب الحكم) يجوز أن يراد بالحكم على روايه ضمّ الحاء و سكون الكاف القضاء و الفصل بين الناس فى الخصومات و الدعاوى، و أن يراد به الحكم الشرعى الفرعى أعنى خطاب اللّه المتعلّق بأفعال المكلّفين.

فعلى الاول فالظاهر أنّ المراد بأبوابه هو طرقه و وجوهه، فانهم عليهم السّلام كانوا عالمين بها عارفين بتمامها يحكمون فى القضايا الشخصيه على ما يقتضيه المصلحه الكامنه الظاهريه أو الواقعيّه.

ففى بعضها كانوا يحكمون بظاهر الشريعه على ما يقتضيه اليمين و البيّنه، و هو المراد بما روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: انّما أنا بشر مثلكم و إنما تختصمون إلىّ و لعلّ بعضكم يكون أعرف بحجّته من بعض فأقضى له على نحوما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حقّ أخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعه من النار.

و فی بعضها بمرّ الحقّ علی وجه التّدبیر و استخراج وجه الحیله و الاحتیال فی اعمال الحقّ و استخراج الافراد بالحقوق الباطنه بلطایف الفکر کما کان یفعله أمیر المؤمنین علیه السّلام فی أیام خلافه عمرو غیرها کثیرا، مثل قضائه فی المرأه التی استودعها رجلان ودیعه، و فی المرأه التی توفّی عنها. زوجها و ادّعی بنوها أنّها فجرت و فی الجاریه التی افتضتها سیّدتها اتهاما و رمیا لها بالفاحشه حسبما تقدّم تفصیل ذلک کلّه فی شرح الفصل الثانی من فصول الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه.

و مثل ما رواه عنه فی الفقیه قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: توفّی رجل علی عهد أمیر المؤمنین و خلّف ابنا و عبدا فادّعی کلّ واحد منهما انه الابن و أنّ الآخر عبد له فأتیا أمیر المؤمنین علیه السّلام فتحا کما إلیه، فأمر أمیر المؤمنین أن یثقب فی حایط المسجد ثقبتان، ثمّ أمر کلّ واحد منهما أن یدخل رأسه فی ثقب، ففعلا، ثمّ قال: یا قنبر جرّد السیف و أشار إلیه لا تفعل ما آمرک به، ثمّ قال علیه السّلام اضرب عنق العبد العبد قال فنحّی العبد رأسه فأخذه أمیر المؤمنین علیه السّلام و قال للآخر أنت الابن و قد اعتقته و جعلته مولی لک.

و فی بعضها بالحکم الواقعی المحض و به یحکم القایم من آل محمّد سلام اللّه علیه و علیهم بعد ظهوره، و هو المعبّر عنه بحکم داود و آل داود فی الأخبار، فانّ داود علیه السّلام کان یعمل زمانا علی مقتضی علمه بالوحی من دون أن یسأل عن البیّنه، ثمّ إنّ بنی إسرائیل اتّهموه لبعده عن طور العقل، فرجع إلی العمل بالبینات، و قد رویناه فی شرح الفصل المذکور من الخطبه الشقشقیه عن الساباطی قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام بما تحکمون إذا حکمتم؟ فقال: بحکم اللّه و حکم داود الحدیث، و قد مضی ثمّه أخبار اخر بهذا المعنی.

و کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یحکم بهذا الحکم احیانا، مثل ما روی عنه فی محاکمه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع الاعرابی.

قال فی الفقیه: جاء أعرابیّ إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فادّعی علیه سبعین درهما ثمن ناقه باعها منه، فقال صلّی اللّه علیه و آله قد أوفیتک، فقال: اجعل بیننا و بینک رجلا یحکم بیننا

فأقبل رجل من قريش فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: احكم بيننا، فقال للأعرابى: ما تدّعى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: سبعين درهما ثمن ناقه بعتها منه، فقال: ما تقول يا رسول اللّه؟ قال: قد أوفيته، فقال للأعرابى: ما تقول؟ قال: لم يوفنى، فقال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أ لك بيّنه على أنك قد أوفيته؟ قال: لا، قال للأعرابى: أ تحلف أنك لم تستوف حقك و تأخذه؟ فقال: نعم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لأتحاكمنّ مع هذا إلى رجل يحكم بيننا بحكم اللّه عزّ و جلّ، فأتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و معه الأعرابى فقال علىّ عليه السّلام: مالك يا رسول اللّه؟ فقال: يا أبا الحسن احكم بينى و بين هذا الأعرابى، فقال علىّ عليه السّلام: يا أعرابى ما تدّعى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: سبعين درهما ثمن ناقه بعتها منه، فقال: ما تقول يا رسول اللّه؟ فقال: قد أوفيته ثمنها، فقال: يا أعرابى اصدق رسول اللّه فيما قال؟ قال: لا، ما أوفانى شيئا، فأخرج علىّ عليه السّلام سيفه فضرب عنقه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لم فعلت ذلك يا على؟ فقال: يا رسول اللّه نحن نصدّقك على أمر اللّه و نهيه و على أمر الجنّه و النار و الثواب و العقاب و وحى اللّه عزّ و جلّ، و لا نصدّقك فى ثمن ناقه هذا الاعرابى، و إنّى قتلته لأنّه كذّبك لمّا قلت له اصدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيما قال فقال لا ما أوفانى شيئا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصبت يا علىّ فلا تعد إلى مثلها، ثمّ التفت صلّى اللّه عليه و آله إلى القرشى و كان قد تبعه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا حكم اللّه لا ما حكمت به.

و فى روايه محمّد بن بحر الشّيبانى عن أحمد بن الحارث قال: حدّثنا أبو أيوب الكوفى قال: حدّثنا إسحاق بن وهب العلاّف قال: حدّثنا أبو عاصم النبال عن ابن جريح عن الضحاك عن ابن عبّاس قال:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من منزل عايشه فاستقبله أعرابىّ و معه ناقه فقال:

يا محمّد تشرى هذه النّاقه؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: نعم بكم تبيعها يا أعرابى، فقال:

بمأتى درهم، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: بل ناقتك خير من هذا، قال: فما زال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يزيد حتى اشترى الناقه بأربعمائه درهم، قال: فلمّا دفع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أعرابى الدّراهم ضرب الأعرابى يده إلى زمام الناقه فقال: الناقه ناقتى و الدّراهم دراهمى فان

كـان لمحمّـد شـىء فليقم البيّنه، قـال: فأقبـل رجـل فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: أترضـى بالشّـيخ المقبل؟ قال: نعم يا محمّـد، فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: تقضـى فيما بينى و بين هذا الاعرابى فقال: تكلّم يا رسول اللّه، فقال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: النـاقه ناقتى و الـدّراهم دراهم الاعرابى فقال الاعرابى: بل الناقه ناقتى و الـدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنه، فقال الرّجل: القضـيّه فيها واضـحه يا رسول اللّه، و ذلك أنّ الاعرابى طلب البيّنه، فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: اجلس فجلس، ثمّ أقبل رجل آخر فقال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: أترضـى يا أعرابى بالشـيخ المقبل؟ فقال: نعم يـا محمّـد، فلمّـا دنى قال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله: اقض فيما بينى و بين هـذا الأعرابى، فقال تكلّم يا رسول اللّه فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: النـاقه نـاقتى و الـدّراهم دراهم الأعرابى، فقال الأعرابى: بل الناقه ناقتى و الـدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنه، فقال الرّجل: القضيّه فيها واضحه يا رسول اللّه لأنّ الأعرابى طلب البيّنه، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: اجلس حتّى يـأتى اللّه عزّ و جلّ بمن يقضـى بينى و بين الأعرابى بالحقّ، فاقبل علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام، فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أترضـى بالشّـاب المقبـل؟ فقـال: نعم، فلمّا دنى قال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله: يا أبا الحسن اقض فيما بينى و بين الأعرابى، فقـال: تكلّم يـا رسول اللّه، فقال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله: الناقه ناقتى و الـدّراهم دراهم الأعرابى، فقال الأعرابى، بل الناقه ناقتى و الدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنه، فقال علىّ عليه السّلام: خلّ بين النّاقه و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال الأعرابى: ما كنت بالّذى أفعل أو يقيم البيّنه، قال فدخل علىّ عليه السّلام منزله فاشتمل على قائم سيفه ثمّ أتا فقال خلّ بين النّاقه و بين رسول اللّه قال ما كنت بالذى أفعل أو يقيم البيّنه، قال: فضـربه علىّ ضـربه فاجتمع أهل الحجاز على أنه رمى برأسه و قـال بعض أهـل العراق: بـل قطع عضوا منه قـال فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: ما حملك على هـذا يا علىّ؟ فقال: يا رسول اللّه نصدّقك على الوحى من السماء و لا نصدّقك على أربعمائه درهم، قال الصدوق (ره) بعد روايه هذين الحديثين انهما غير مختلفين لأنهما فى قضيّتين و كانت هذه القضيّه قبل القضيّه التى ذكرتها قبلها، هذا.

و قد تقدّم فی شرح الکلام الثّامن و الخمسین ما ینفعک فی هذا المقام.

و علی الثانی أی علی کون المراد بالحکم الأحکام الشرعیه فالمراد بأبوابه هو طرق الافتاء و وجوه بیان المسائل علی ما تقتضیه المصلحه فیفتون بعض الناس بالحکم الواقعی و بعضهم بالتقیّه حقنا لدمائهم أو لدماء السائلین حسبما تقدّم تفصیل ذلک أیضا فی شرح الکلام الثامن و الخمسین فی بیان وجوه التفویض فتذکر.

و کیف کان فقد وضح و ظهر ممّا قرّرنا أنّ الأئمه علیهم السّلام عندهم أبواب الحکم بأیّ معنی اخذ الحکم و أنهم عارفون بها محیطون بأقطارها، و هذا الوصف مخصوص بهم لا یوجد فی غیرهم، لأنّ معرفه المصالح الکامنه لا یحصل إلّا بتأیید الهی و قوّه ربّانیه مخصوصه بأهل العصمه و الطهاره.

و لذلک أی لقصد الاختصاص و التخصیص قدّم علیه السّلام المسند و قال:و عندنا أبواب الحکم (و ضیاء الأمر) و المراد بالأمر إمّا الولایه کما کنّی به عنها کثیرا فی اخبار أهل البیت علیهم السّلام، و فی قوله تعالی و اولی الأمر منکم،و الضیاءحینئذ بمعناه الحقیقی أی عندنا نور الامامه و الولایه، و إمّا الأوامر الشرعیّهفالضیاءاستعاره للحقّ لأنّ الحقّ یشبه بالنور کما أنّ الباطل یشبه بالظلمهقال سبحانه:

«اَللّٰهُ وَلِیُّ اَلَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَی اَلنُّورِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ اَلطّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ اَلنُّورِ إِلَی اَلظُّلُماتِ » فالمقصود أنّ الأئمه علیهم السّلام عندهم حقّ الأوامر الشرعیه و التّکالیف الالهیه، و إلیه اشیر فی قوله سبحانه:

«أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ ».

و إمّا مطلق الامور المقدّره فی الکون کما قال تعالی:

«تَنَزَّلُ اَلْمَلائِکَهُ وَ اَلرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ » أی تنزّل إلی ولیّ الأمر بتفسیر الامور علی ما تقدّم تحقیقه بما لا مزید علیه فی شرح

الفصل الرابع من فصول الخطبه الثانيه.

ثمّ انه عليه السّلام بعد ما ذكر جمله من فضايله و فضائل آله الطّاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين أردف ذلك بالاشاره إلى وجوب اتّباعهم و أخذ معالم الدّين عنهم عليهم السّلام فقال (ألا و إنّ شرايع الدّين) و طرقه أى قواعده و قوانينه (واحده و سبله قاصده) أى معتدله مستقيمه و هى ما دلّ عليها أهل بيت العصمه و الطهاره، لأنهم أولياء الدّين و أبواب الايمان و امناء الرّحمن و الأدلاّء على الشريعه و الهداه إلى السنه (من أخذ بها) و اتّبع أئمه الهدى سلك الجادّه الوسطى و (لحق) بالحقّ (و غنم) النعمه العظمى (و من وقف عنها) و انحرف عن الصراط الأعظم و السّبيل الأقوم و أخذ فى أمر الدين بطرق الأقيسه و وجوه الاستحسانات العقليه، أو رجع فيه إلى الهمج الرعاع و أئمه الضّلال العاملين فيه لعقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده (ضلّ و ندم) و قد تقدّم فى شرح الكلام السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر ما ينفعك فى هذا المقام.

ثمّ أمر بتحصيل الزاد ليوم المعاد فقال عليه السّلام (اعملوا ليوم تذخر له الذخائر) و هى الأعمال الصّالحه (و تبلى فيه السرائر) الغرض بالوصف إمّا تخصيص الموصوف أو التهويل حثا بالعمل كما فى قوله سبحانه:

«فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ ».

و الجمله الثانيه مأخوذه من الكتاب العزيز قال تعالى: يوم تبلى السرائر، أى تختبر و السرائر: ما أسرّ القلوب من العقائد و النيات و غيرها و ما خفى من الأعمال قال الطبرسى: و السّرائر أعمال بنى آدم و الفرائض ما أوجبت عليه و هى سرائر فى العبد تختبر تلك السرائر يوم القيامه حتّى يظهر خيرها و شرّها.

و عن معاذ بن جبل قال: سألت النبيّ ما هذه السرائر التى تبلى بها العباد يوم القيامه؟ قال صلّى اللّه عليه و آله سرائركم هى أعمالكم من الصّلاه و الزكاه، و الصيام و الوضوء و الغسل من الجنابه و كلّ مفروض لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّه فان شاء قال صلّيت و لم يصلّ، و إن شاء قال توضّأت و لم يتوضّ، فذلك قوله: يوم تبلى السرائر هذا.

ص:۱۲۶

و لما كان كمال القوّه العمليه لا يحصل إلّا بكمال القوّه النظريه أردفه بقوله (و من لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه) أى بعيده (أعجز و غايبه أعوز) أى أعدم للمنفعه يعنى أنّ من لا ينفعه لبّه الحاضر و عقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر و لا موجود عنده من العقل أولى و أحرى.

و قيل فى تفسيره وجوه اخر: الاول من لا يعتبر بلبّه فى حياته فأولى بأن لا ينتفع به بعد الموت الثانى أنّ من لم يعمل بما فهم و حكم به عقله وقت امكان العمل فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلّا ندامه و حسره الثالث أنّ من لم يكن له من نفسه رادع و زاجر فمن البعيدان نيز جر و يرتدع بعقل غيره و موعظه غيره كما قيل: و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل.

و لما حثّ بالعمل أكّده بالتحذير من النار فقال (و اتّقوا نارا حرّها شديد و قعرها بعيد و حليتها حديد و شرابها صديد) لا يخفى ما فى هذه الفقر من حسن الخطابه حيث ناط بكلّ لفظه ما يناسبها و يلايمها لو نيطت بغيرها لم تلائم، و الاضافه فى القرينه الاولى على أصلها، و فى الأخيره لأدنى المناسبه، و فى الوسطين تحتمل الأول و الثّانى،و استعاره الحليه للقيود و الاغلالمن باب التحكم، و القرينه الاخريمأخوذه عن قوله سبحانه:«يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ »، و هو القيح و الدّم، و قيل: هو القيح كأنه الماء فى رقته و الدّم فى شكله، و قيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار و كيف كان فتوصيف النار بهذه الأوصاف الأربعه للتحذير و الترهيب منها كما أنّ فى ذكر حليه أهل الجنّه و شرابهم فى قوله تعالى:

«وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّهٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً ».

ترغيبا و تشويقا إليها ثمّ قال(ألا و إنّ اللّسان الصالح)اى الذكر الجميل تسميه للشىء باسم مسبّبه (يجعله اللّه للمرء فى الناس خير له من مال يورثه من لا يحمده) و قد مرّ نظير هذه العباره فى الفصل الثانى من فصلى الخطبه الثالثه و العشرين، و المراد أنّ تحصيل مكارم الأخلاق

و محاسن الأفعال من البذل و الانفاق و نحوهما مما يوجب الثناء الجميل فی الدّنيا و الثواب الجزيل فی العقبا خير من تحصيل المال و جمعه و توريثه من لاـ يشكره عليه أی وارثه الذی لاـ يعد ذلك الايراث فضلا و نعمه لايجابه العذاب الأليم و الندم الطويل و هو شاهد بالعيان معلوم بالوجدان

الترجمه

از جمله کلام بلاغت فرجام آن امام أنام است که فرموده:

قسم بخداوند بتحقيق که تعليم کرده شده ام من برسانيدن رسالتها را، و تمام کردن وعدها را، و تمامی کلمه ها را، و نزد ما أهل بيت است بابهای أحکام، و روشنی امورات، آگاه باشيد و بدانيد که طرق دين يکی است، و راههای آن معتدل و مستقيم است، هر که فرا گرفت آنرا رسيد بمقصد و غنيمت يافت، و هر که وا ايستاد از آن گمراه شد و بضلالت و ندامت شتافت، عمل نمائيد از برای روزی که ذخيره کرده می شود از برای آن روز ذخيرها، و امتحان کرده می شود در آن روز عقايد صحيحه و فاسده و نيات حقّه و باطله، و کسی که فائده نبخشد او را عقل او که حاضر است پس عقلی که بعيد است از او عاجزتر است از نفع بخشيدن، و عقلی که غائب است از آن عادم تر است منفعت را، و بترسيد از آتشی که گرمی آن سخت است، و ته آن دور است، و زينت آن آهن است، و شراب آن زردابست، بدانيد که بدرستی که زبان خوشی که بگرداند او را خداوند تعالی از برای مرد در ميان خلق بهتر است مر او را از مالی که ارث بگذارد آنرا بکسی که ستايش نکند او را بکثير و قليل آن و لنعم ما قيل:

کسی کو شد بنام نيک مشهور پس از مرگش بزرگان زنده دانند

ولی آنرا که بد فعل است و بدنام اگر چه زنده باشد مرده خوانند

و قال آخر:

سعديا مرد نکو نام نميرد هرگز مرده آنست که نامش بنکوئی نبرند

ص:۱۲۸

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و العشرون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و قد قام الیه رجل من أصحابه فقال نهیتنا عن الحکومه ثمّ أمرتنا بها فما ندری أیّ الامرین أرشد، فصفق (علیه السلام) احدی یدیه علی الاخری ثمّ قال هذا جزاء من ترک العقده، أما و اللّه لو أنّی حین أمرتکم بما أمرتکم به حملتکم علی المکروه الّذی یجعل اللّه فیه خیرا فإن استقمتم هدیتکم، و إن اعوججتم قوّمتکم، و إن أبیتم تدارکتکم، لکانت الوثقی و لکن بمن و إلی من؟ أرید أن أداوی بکم و أنتم دائی کناقش الشّوکه بالشّوکه و هو یعلم أنّ ضلعها معها، أللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّویّ، و کلّت النّزعه بأشطان الرّکیّ، أین القوم الّذین دعوا إلی الإسلام فقبلوه، و قرءوا القرآن فأحکموه، و هیجوا إلی الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلی أولادها، و سلبوا السّیوف أغمادها، و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا، و صفّا صفّا، بعض هلک، و بعض نجی، لا یبشّرون بالأحیاء، و لا یعزّون عن الموتی، مره العیون من البکاء، خمص البطون من الصّیام، ذبل الشّفاه من الدّعاء، صفر الألوان من السّهر، علی وجوههم «علیهم خ» غبره الخاشعین، أولئک إخوانی الذّاهبون، فحقّ لنا أن

ص:۱۲۹

نظماء إليهم، و نعض الأيدى على فراقهم، إنّ الشّيطان يسنّى لكم طرقه، و يريد أن يحلّ دينكم عقده عقده، و يعطيكم بالجماعه الفرقه «و بالفرقه الفتنه خ»، فاصدفوا عن نزغاته و نفثاته، و اقبلوا النّصيحه ممّن أهداها إليكم، و اعقلوها على أنفسكم.

اللغه

(العقده) بالضمّ الرأى و الحزم و النظر فى المصالح و ما تمسكه و توثقه و (نقش الشوكه) إذا استخرجها من جسمه و به سمىّ المنقاش الذى ينقش به و (الضلع) محرّكه الميل و الهوى و ضلعك مع فلان أى ميلك و هواك قال الفيروزآبادى، قيل و القياس تحريكه، لأنهم يقولون ضلع مع فلان كفرح و لكنهم خفّفوا انتهى.

و يستفاد منه جواز القرائه بفتح اللاّم و سكونها معا، الأوّل على القياس لكونه مصدر ضلع من باب فرح، و الثانى على التخفيف.

و (الدّاء الدوى) الشديد كقولهم يسيل السّيل و شعر شاعر و (النزعه) جمع نازع كمرده و مارد و هو الذى يستقى الماء و (الأشطان) جمع الشّطن كالأسباب و السّبب و هو الجهل و (الرّكى) جمع الرّكيه و هى البئر و فى بعض النسخ: فولهوا اللّقاح، باسقاط لفظه الوله و (اللّقاح) بكسر اللاّم الابل الواحده لقوح كصبور و هى الحلوب أو التى نتجت هى لقوح إلى شهرين أو ثلاثه، ثمّ هى لبون و (زحف) اليه كمنع زحفا و زحوفا و زحفانا مشى، و الزحف أيضا الجيش لأنّهم يزحفون إلى العدوّ و يمشون و (الصّف) مصدر كالتصفيف و يقال أيضا للقوم المصطفين.

و (المره) بضمّ الميم و سكون الراء مرض فى العين بترك الكحل من مرهت عينه كفرحت فسدت بترك الكحل و (خمص البطن) مثلّثه خلاه (ذبل) الشىء ذبولا من باب قعد قلّ نضارته و ذهب ماؤه و (الظماء) محرّكه شدّه العطش و (سنّاه) تسنيه فتحه و سهله و (الفرقه) و فى بعض النسخ بكسر الفاء و هو الطائفه

من الناس و الجمع فرق كسدره و سدر و فى بعضها بالضّم و هو اسم من فارقته مفارقته و فراقا.

الاعراب

أما حرف استفتاح يبتدء بها الكلام و تدخل كثيرا على القسم كما هنا، و قوله و اللّه لو أنّى، لو حرف شرط، و أنّى حملتكم، واقع موقع الشرط لكون أنّ بالفتح فاعلا لفعل محذوف يفسّره قوله: حملتكم، و هذا أعنى تقدير الفعل بعد لو التى يليها أنّ هو مذهب المبرّد، و قال السيرافى: الذى عندى أنّه لا يحتاج إلى تقدير الفعل و لكن انّ يقع نائبه عن الفعل الذى يجب وقوعه بعدلو لأنّ خبر انّ إذا فعل ينوب لفظه عن الفعل بعدلو، فاذا قلت لو أنّ زيدا جائنى، فكأنّك قلت لو جائنى زيد.

و قوله: حين أمرتكم، متعلّق بحملتكم و التّقدّم للتوسّع، و جواب لو محذوف استغناء عنه بجواب القسم و هو قوله: لكانت الوثقى، و انما جعلناه جوابا للقسم دون لو بحكم علماء الأدبيه، قال نجم الأئمه: إذا تقدّم القسم أوّل الكلام و بعده كلمه الشرط سواء كانت إن، أو لو، أو لو لا، أو اسم الشرط، فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم، و يستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه، نحو:

«وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ ».

و تقول: و اللّه أن لو جئتنى لجئتك، و اللاّم جواب القسم لا جواب لو و لو كانت جواب لو لجاز حذفها و لا يجوز فى مثله، و كذا تقول: و اللّه لو جئتنى ما جئتك، و لا تقول لما جئتك، و لو كان الجواب للو لجاز ذلك، انتهى.

و قوله عليه السّلام: ممّن و إلى من، حذف متعلّقهما بقرينه المقام و ستعرفه فى بيان المعنى،و قولهأين القومأين كلمه استفهام استعملت هنا مجازا فى التحسّر و التأسّف على السّلف الماضين، و هو من باب تجاهل العارف، و أغمادها منصوب بنزع الخافض أو بدل من السيوف،و أخذوا بأطراف الأرض،إمّا من باب القلب أى أخذوا الأرض بأطرافها كما تقول: أخذوا بزمام النّاقه، أو الباء زائده، أى أخذوا على النّاس

أطراف الأرض أی حصروهم.

و زحفا زحفا و صفا صفا، منصوبان علی الحال من فاعل أخذوا، أی زحفا بعد زحف و صفا بعد صف، أی ذوی صفوف کثیره و لا یمنع جمودهما إمّا لعدم اشتراط الاشتقاق فی الحال، أو لامکان التأویل المشتق بناء علی الاشتراط، و یجوز انتصابهما علی المصدر، أی یزحفون زحفا و یصطفون صفا.

و التنوین فی قوله: بعض هلک و بعض نجا، للتعویض، أی بعضهم هلک و بعضهم نجا، و کذلک اللّام فی قوله: لا یبشّرون بالأحیاء و لا یعزّون بالموتی، و جمله اولئک اخوانی الذّاهبون، استینافیه بیانیه، و الباء فی قوله: و یعطیکم بالجماعه الفرقه للمقابله و العوض.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ صدر هذا الکلام الشّریف مسوق لدفع شبهه الخوارج، و عقّبه بالتضجّر و الاشتکاء منهم و بالتأسّف علی السّلف الصالحین من رؤساء الدّین، و ختمه بالموعظه و النّصح لهم، و ینبغی أن نذکر أولا شبهه الخوارج، ثمّ نتبعها بما یدفعها.

فأقول: قد تقدّم فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین عند ذکر کیفیه التحکیم بدء أمر الخوارج، و عرفت هناک أنّ أول خروجهم کان بصفّین بعد عقد الصّلح، و ذلک أنّ أهل الشّام لما رأوا عقیب لیله الهریر أنّ أمارات الفتح و الظفر و علامات القهر و الغلبه قد ظهرت و لاحت لأهل العراق، فعدلوا عند ذلک عن القراع إلی الخداع، و بدّلوا القتال بالاحتیال، و رفعوا المصاحف علی الرّماح بخدیعه ابن النابغه، و نادوا اللّه اللّه یا معشر العرب فی البنات و الأبناء، و الذّراری و النساء، هذا کتاب اللّه بینکم و بیننا، فلما رأی ذلک أهل العراق و سمعوه، رفعوا أیدیهم عن السیوف، و ترکوا الجهاد، و أصرّوا علی التحکیم، و کلّما منعهم أمیر المؤمنین علیه السّلام و نهاهم عن ذلک و حثّهم علی الجهاد، لم یزددهم منعه إلاّ تقاعدا و تخاذلا، و لما رأی تخاذلهم و قعودهم عن الحرب و اصرارهم علی الصلح و المحاکمه و قولهم له: یا علی أجب القوم إلی

كتاب اللّه و إلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان، أجابهم إليه كرها لا رغبه، و جبرا لا اختيارا.

ثمّ لما كتب صحيفه الصلح على ما تقدّم تفصيلها، و قرءها أشعث بن قيس على صفوف أهل العراق، فنادى القوم لا حكم إلاّ اللّه لا ـ لك يا على و لا لمعاويه، و قد كنا زللنا و أخطأنا حين رضينا بالحكمين، قد بان لنا خطائنا فرجعنا إلى اللّه و تبنا فارجع أنت و تب إلى اللّه كما تبنا، فقال علىّ عليه السّـلام و يحكم أبعد الرّضا و الميثاق و العهد نرجع؟ أ ليس اللّه قد قال: أوفوا بالعقود، فأبى علىّ عليه السّلام أن يرجع، و أبت الخوارج إلاّ تضليل الحكم و الطعن فيه.

فمن ذلك نشأت الشبهه لهم، و اعترضوا عليه عليه السّلام و قال له عليه السّلام بعضهم:

(نهيتنا عن الحكومه ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الأمرين أرشد) محصّـله أنه إن كانت فى الحكومه مصلحه فما معنى النهى عنها أوّلا، و إن لم تكن فيها مصلحه فما معنى الأمر بها ثانيا، فلا بدّ من أن يكون أحد الأمرين خطاء.

و لما كان هذا الاـعتراض غير وارد عليه عليه السّـلام، و كان الخطاء منهم لا منه، تغيّر عليه السّـلام (فصفق احدى يديه على الاخرى) فعل المتغيّر المغضب،(ثمّ قال هذا جزاء من ترك العقده) يجوز أن يكون المشار إليه بهذا الجهل و الحيره التى يدلّ عليها قولهم فما ندرى أىّ الأمرين أرشد، فيكون ترك العقده منهم لا منه عليه السّـلام، و المعنى أنّ هذا التحيّر جزائكم حيث تركتم العقده و الرأى الأـصوب المقتضى للثبات على الحرب و البقاء على القتال، و أصررتم على اجابه أصحاب معاويه إلى المحاكمه، فوقعتم فى التّيه و الضلال، و يجوز ابقائه على ظاهره و هو الألصق بقوله بعد ذلك: لو حملتكم على المكروه لكانت الوثقى، فالمراد أنّ هذا جزائى حين تركت العقده، أى هذا الاعتراض مما يترتب على ترك العقده.

فان قلت: فعلى هذا يتّجه اعتراضهم عليه حيث ترك العقده.

قلت: لا، لأنّ تركه لها كان اضطرارا لا اختيارا، و لا عن فساد رأى كما يدلّ عليه صريح قوله فى الخطبه الخامسه و الثلاثين: و قد كنت أمرتكم فى هذه

الحکومه أمری و نخلت لکم مخزون رأیی لو کان یطاع لقصیر أمر، فأبیتم علیّ إباء المخالفین الجفاه و المنابذین العصاه اه، و قوله علیه السّلام هنا: و لکن بمن و إلی من، و من المعلوم أنّ ترک الأصلح إذا لم یمکن العمل بالأصلح مما لا فساد فیه، و لا ریب فی عدم امکان حربه علیه السّلام بعد رفعهم المصاحف و افتراق أصحابه و نفاق جیشه علی ما سمعت و الحاصل أنّ الاعتراض إنما کان یرد علیه لو کان ترکه العقده طوعا و اختیارا لا جبرا و اضطرارا، فظهر من ذلک کلّه أنّ المصلحه الکامنه کانت فی النهی عن الحکومه و لما نهاهم عنها فلم ینتهوا و أصرّوا علی المخالفه أجابهم الیها، خوفا من شقّ عصا الجماعه، و حقنا لدمه، فکانت المصلحه بعد المخالفه و الاصرار و ظهور النفاق و الافتراق فی الاجابه إلیها.

و إلی هذا یشیر بقوله (أما و اللّه لو أنّی حین) ما (أمرتکم بما أمرتکم به) من المصالحه و التحکیم اجابه لکم و قبولا لمسألتکم مع إصرارکم فیها اغترارا منکم بمکیده ابن النّابغه، و افتتانا بخدیعته، ترکت الالتفات إلیکم و لم اجب إلی مأمولکم (حملتکم) أی ألزمتکم (علی المکروه الذی) هو الثبات علی الحرب و الجدّ فی الجهاد حیث کرهته طباعهم و تنفروا عنها بطول المدّه بهم و أکل الحرب أهلها و هو الذی (یجعل اللّه فیه خیرا کثیرا) و هو الظفر و سلامه العاقبه کما نطق به الکتاب العزیز حیث قال:

«کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ ».

ثمّ لما کان الوجوه المتصوّره من أحوالهم حین حملهم علی المکروه و فرض أمرهم بالجهاد ثلاثه أشار إلیها و أردف کلّ وجه بما یترتّب علیه و هو قوله، (فان استقمتم) و أطعتم أمری (هدیتکم) إلی وجوه مصالح الحرب و طرق

الظفر و الغلبه (و إن اعوججتم) أى رفع منكم بعض الاستواء، و يسير من العصيان بقلّه الجدّ و فتور العزم و الهمه (قوّمتكم) بالتأديب و الارشاد و التحريص و التشجيع و النّصح و الموعظه (و إن أبيتم) و عصيتم (تداركتكم) إمّا بالاستنجاد بغيركم من أهل خراسان و الحجاز و غيرهم من القبايل ممّن كان من شيعته، أو ببعضكم على بعض، و إمّا بما يراه فى ذلك الوقت من المصلحه التى تحكم بها الحال الحاضره (لكانت) العقده (الوثقى) و الخصله المحكمه (و لكن بمن) كنت استعين و أنتصر (و إلى من) كنت أركن و أعتمد.

و بذلك يعلم أنه لو حملهم على المكروه كان منهم الاباء و الامتناع، و التمرّد و العصيان، و هو ثالث الوجوه المتصوّره من حالهم و إنه حينئذ لا يمكن له تداركهم لأنّ الاستنجاد من أهل البلاد النائيه من الشّيعه لم يكن فيه ثمره، لأنهم إلى أن يصلوا إليه كانت الحرب قد وضعت أوزارها، و كان العدوّ قد بلغ غرضه.

و الاستنجاد ببعضهم على بعض كان من قبيل ناقش الشوكه بالشوكه كما يشير إليه قوله(اريد أن اداوى بكم و أنتم دائى)استعار لفظ الداء و الدواء لفساد الامور و صلاحها، أى اريد أن اصلح بكم الامور و اعالجها، و أنتم المفسدون لها(كناقش الشوكه بالشوكه و هو يعلم أنّ ضلعها)و هواها(معها)و هو مثل يضرب لمن يستعان به على خصم و كان ميله و هواه مع الخصم و أصله أنّ الشوكه: إذا نشبت فى عضو من أعضائك من يدك أو رجلك أو غيرهما، فانها لا يمكن استخراجها بشوكه اخرى مثلها، فانّ الاولى كما انكسرت فى عضوك و بقيت فى لحمك فكذلك الثانيه تنكسر، لأنّ ميلها معها، و المقصود أنّ طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل إليها كما يميل الشوكه إلى مثلها.

ثمّ اشتكى إلى اللّه سبحانه و قال(اللّهم قد ملت أطباء هذا الدّاء الدّوى)الشديد أراد به داء الجهاله التى كانت فى أصحابه و ما هم عليه من مخالفته و عصيانه، و مرض الحيره و الغفله عن ادراك وجوه المصلحه، و استعار لفظ الأطباء لنفسه و أعوانه، أو له و لساير من دعا الى اللّه سبحانه من الأنبياء و الرسل و الأوصياء و الخلفاء، فانّهم الأطباء

الالهيّون معالجون لأسقام القلوب و أمراض الجهالات و الذنوب، و قد مضى توضيح ذلك فى شرح الفصل الأول من الخطبه المأه و الثامنه.

(و كلّت النزعه بأشطان الرّكىّ) أى أعيت المستقين من الآبار بالأشطان و الحبال، و هو من قبيل الاستعاره المرشحه حيث شبّه نفسه بالنازع من البئر فاستعار له لفظه، ثمّ قرن الاستعاره بما يلايم المستعار منه أعنى الأشطان و الرّكىّ، و الجامع أنّ من يستقى من البئر العميقه لاحياء الموات الوسيعه كما يكلّ و يعجز عن الاستقاء و يقلّ تأثير استقائه فيها، فكذلك هو عليه السّلام استخرج من علومه الغزيره لاحياء القلوب الميته و قلّ تأثير موعظته فيها و عجز عن احيائها، و قد مرّ فى شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه الثالثه تشبيه علومهم عليهم السّلام بالماء و تأويل البئر المعطله و القصر المشيد بهم، فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى و البئر علمهم الذى لا ينزف.

ثمّ تأسّف على السّلف الماضين من رؤساء الدّين كحمزه و جعفر و سلمان و أبى ذر و المقداد و عمّار و نظرائهم و تحسّر على فقدهم فقال (أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه) بأحسن القبول (و قرءوا القرآن فأحكموه) أى جعلوه محكما و أذعنوا بكونه من اللّه و أنّ المورد له رسول اللّه، و تدبّروا فى معانيه و عملوا بمضامينه و أخذوا تأويله و تنزيله ممّن نزل فى بيته.

(و هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها) أى اشتاقوا إلى الجهاد اشتياق النّاقه المرضعه إلى أولادها، و على النسخه الثّانيه التضمّنه لسقط لفظ الوله فالمعنى أنهم جعلوا اللّقاح و الهه إلى أولادها لركوبهم اياها عند خروجهم إلى الجهاد (و سلبوا السّيوف) من (أغمادها) و جفونها أو سلبوا أغماد السّيوف منها (و أخذوا بأطراف الأرض) أى أخذوا الأرض بأطرافها و تسلّطوا عليها، أو أخذوا على النّاس أطرافها و حصروهم و ضيّقوا عليهم (زحفا زحفا و صفّا صفّا) يعنى حالكونهم جيشا بعد جيش و صفّا بعد صفّ (بعض هلك و بعض نجا) كما أخبر اللّه تعالى عنهم بقوله: فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا.

ثمّ أشار إلى انقطاع علائقهم من الدّنيا بقوله (لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون

ص:۱۳۶

عن الموتى) يعنى إذا ولد لهم ولد فهم لا يبشّرون به و إذا مات منهم أحد فهم لا يعزّون عنه، أو أنهم لشدّه ولهمم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به، و لا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا عنه، و هذا هو الأظهر سيما على ما فى بعض النسخ من لفظ القتلى بدل الموتى.

ثمّ أشار إلى مراتب زهدهم و خوفهم و خشيتهم من اللّه تعالى فقال (مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدّعاء صفر الألوان من السّهر) أراد أنهم من شدّه بكائهم من خوف اللّه سبحانه صارت عيونهم فاسده، و من كثره صيامهم ابتغاء لمرضاه اللّه صارت بطونهم ضامره، و من المواظبه على الدّعاء ظلّت شفاههم قليله النداوه و النظاره، و من المراقبه على التهجد و القيام باتت ألوانهم متغيّره مصفرّه.

(عليهم غبره الخاشعين) و سيماء الخائفين (اولئك اخوانى الذاهبون فحقّ لنا) و خليق بنا (أن نظماء) و نشتاق (إليهم) أسفا عليهم (و نعضّ الأيدى على فراقهم) حسره على فقدانهم قال الشّارح المعتزلى بعد أن ذكر أنّ المشار إليه بأولئك من كان فى بدء الاسلام و خموله و ضعفه أرباب زهد و عباده و شجاعه كمصعب بن عمير و سعد بن معاذ و جعفر ابن أبى طالب و عبد اللّه بن رواحه و كعمّار و أبى ذر و المقداد و سلمان و خباب و جماعه من أصحاب الصفه ما هذا لفظه:

و قد جاء فى الأخبار الصحيحه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال إنّ الجنّه لتشتاق إلى أربعه: علىّ، و عمّار، و إبى ذر، و المقداد، و جاء فى الأخبار الصّحيحه أيضا أنّ جماعه من أصحاب الصفّه مرّ بهم أبو سفيان بن حرب بعد الاسلام فعضّوا أيديهم عليه و قالوا وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدوّ اللّه، و كان معه أبو بكر فقال لهم: أ تقولون هذا لسيّد البطحاء؟ فرفع قوله إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأنكره و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأبى بكر انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربک، فجاء أبو بكر

ص:۱۳۷

إليهم و ترضاهم سألهم أن تستغفروا له، فقالوا: غفر اللّه لك.

أقول: إذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أنكر ما صدر من أبى بكر فى حقّ أهل الصّفه مع أنه لم يكن بشىء يعبأ به فكيف لا ينكر ما صدر عنه فى حقّ أمير المؤمنين من غصبه عليه الخلافه مع أنّ نسبه أهل الصفه إليه ليست إلاّ نسبه الرّعيه إلى السّيد و العبد إلى المولى، و إذا كان غضبهم موجبا لغضب الرّب فكيف لا يوجب غضبه عليه السّلام غضبه سبحانه؟ و قد قال تعالى: من أهان لى وليّا فقد بارزنى بالمحاربه ثمّ أقول: انظر إلى تزوير هذا اللّعين كيف ترضى أهل الصفّه فيما قال مع أنه لو كان ذنبا فلم يكن إلاّ من صغاير الذّنوب و هينات السيئات و لم يطلب الرّضا من علىّ المرتضى فيما فعل فى حقه من الظلم و الخطاء مع كونه من عظائم الجرائر و موبقات الكبائر، و لم يسأل الاستغفار من فاطمه الزّهراء عليها السّلام بنت خاتم الأنبياء مع ما فعل فى حقّها من الظلم و الأذى، حيث غصب منها فدك و ألجأها إلى الخروج من قعر بيتها إلى الملاء، و ألبسها ثوب الصّغار و الصماء مع أنّ هذا كان أولى بسؤال الاستغفار فأولى.

ثمّ العجب من الشارح مع روايته لهذه الأحاديث الفاضحه و حكمه بصحّتها كيف يركن إلى أبى بكر و يتّخذه وليّا؟ بلى من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور.

ثمّ نبّههم عليه السّلام على مكائد الشيطان و تدليساته و على أنّ غرض هذا اللّعين أن يصدفهم عن منهج الرشاد و السداد إلى وادى التيه و الفساد فقال (إنّ الشّيطان يسنى لكم طرقه) أى يفتحها و يسهلها (و يريد أن يحلّ دينكم) الذى عقدتم و أحكمتموه فى صدوركم (عقده) بعد (عقده و يعطيكم بالجماعه الفرقه) أى يبدّل اجتماعكم بالافتراق و اتّفاقكم بالنفاق.

و غرضه من ذلك كما علمت أن يحيدهم عن جادّه الهدايه إلى طريق الضلاله فيوقع بينهم الفتنه و العداوه كما قال فى بعض النسخ (و بالفرقه الفتنه - فاصدفوا) أى اعرضوا (عن نزعاته) و فساداته التى يفسد بها القلوب (و نفثاته) أى وساوسه التى

ص:١٣٨

ينفث بها فى الصدور (و اقبلوا النصيحه ممّن أهداها إليكم) أراد به نفسه عليه السّلام (و اعقلوها على أنفسكم) أى اربطوها عليها و شدّوها بها كما يعقل البعير الشموس بالعقال، و يشدّ الفرس الجموع بالوثاق

تكمله

هذا الكلام مروىّ فى الاحتجاج إلى قوله بأشطان الركىّ، قال: احتجاجه عليه السّلام على الخوارج لما حملوه على التحكيم ثمّ أنكروا عليه ذلك و نقموا عليه أشياء غير ذلك، فأجابهم عليه السّلام عن ذلك بالحجه و بيّن لهم أنّ الخطاء من قبلهم بدأ و إليهم يعود، روى أنّ رجلا من أصحابه قام إليه فقال: نهيتنا عن الحكومه إلى آخر ما رواه كما فى الكتاب إلاّ أنّ فيه بدل: يجعل اللّه خيرا، جعل اللّه خيرا.

الترجمه

از جمله كلام آن پيشواى عالميانست در آن حال كه برخاست بسوى او مردى از أصحاب او، پس گفت نهى كردى ما را از حكومت حكمين پس از آن أمر كردى ما را بآن، پس نمى دانيم ما كه كدام يك از اين دو كار بهتر است، پس برهم زد آن حضرت يكى از دو دست خود را بر دست ديگر، پس از آن فرمود:

اينست جزاى كسى كه ترك كرده است رأى محكم و تدبير متقن را، آگاه باشيد بخدا سوگند اگر من در وقتى كه أمر كردم شما را به آن چه أمر كردم شما را بآن حمل مى نمودم بر چيزى كه مكروه طبع شما بود كه عبارت باشد از ثبات بر جهاد آن چنان مكروهى كه مى گردانيد خداوند متعال در آن خير و منفعتى را، پس اگر مستقيم مى شديد هدايت مى كردم شما را، و اگر كجى مى نموديد راست مى ساختم شما را و اگر امتناع مى كرديد تدارك امتناع شما را مى نمودم هر آينه شده بود كار محكم و خصلت استوار، و ليكن با كه معاونت مى جستم و انتقام مى كشيدم، و بكه اعتماد مى كردم و خاطر جمع مى شدم، مى خواهم مداوا كنم و معالجه نمايم با شما و حال آنكه شما درد من هستيد همچو كسى كه بخواهد بيرون آورد خار را با خار ديگر و حال آنكه ميداند كه ميل خار بخار است

ص:١٣٩

بار پروردگارا بتحقیق ملال آورد طبیبهای این درد سخت، و عاجز شد کشندگان آب بریسمانهای چاه، کجایند گروهی که دعوت شدند باسلام پس قبول کردند او را، و خواندند قرآن را پس محکم نمودند آنرا، و برانگیخته شدند بسوی جهاد پس شوقمند شدند بآن مثل اشتیاق شتران شیرده بسوی اولاد خود، و کشیدند شمشیرها را از غلافهای آنها، و گرفتند أطراف زمین را بر مردمان دسته بدسته و صف بصف، بعضی از ایشان هلاك شدند، و بعضی نجات یافتند در حالتی که بشارت داده نمی شدند بر زندگان، و تعزیه کرده نمی شدند بر مردگان ایشان تباه چشمان بودند از شدّت گریه، و لاغر شکمان بودند از کثرت روزه خشک لبان بودند از بسیاری دعا و زاری، زرد رنگان بودند از زیادتی تهجّد و بیداری بر روی ایشانست غبارهای خشوع کنندگان، ایشان برادران روندگان منند، پس سزاوار است که مشتاق شویم بسوی وصال ایشان، و بگزیم انگشتان خود را بر حسرت و فراق ایشان، بدرستی که شیطان ملعون سهل و آسان می گرداند برای شما راههای خود را، و می خواهد که بگشاید دین شما را گره گره، و بدهد شما را بعوض جمعیت جدائی را، و بواسطهٔ جدائی فتنه و فساد را، پس اعراض نمائید از فسادهای او و از وسوسهای او، و قبول نمائید نصیحت را از کسی که هدیه کرد آن نصیحت را بسوی شما و به بندید آن نصیحت را بنفسهای خود.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الاحد و العشرون

اشاره

من المختار فی باب الخطب.

قاله للخوارج و قد خرج الی معسکرهم و هم مقیمون علی انکار الحکومه فقال (علیه السلام):

أ کلّکم شهد معنا صفّین؟ فقالوا: منّا من شهد و منّا من لم یشهد، قال علیه السّلام: فامتازوا فرقتین فلیکن من شهد صفّین فرقه و من لم یشهدها

ص:۱۴۰

فرقه حتّى أكلّم كلاّ منكم بكلامه و نادى النّاس فقال عليه السّلام: أمسكوا عن الكلام و أنصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلىّ، فمن نشدناه شهاده فليقل بعلمه فيها. ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل منه:

أ لم تقولوا عند رفع المصاحف حيله و غيله و مكرا و خديعه إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه سبحانه فالرّأى القبول منهم، و التّنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، و باطنه عدوان، و أوّله رحمه، و آخره ندامه، فأقيموا على شأنكم، و ألزموا طريقتكم، و عضّوا على الجهاد بنواجذكم، و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق، إن أجيب أضلّ، و إن ترك ذلّ، و قد كانت هذه الفعله و قد رأيتكم أعطيتموها، و اللّه لئن أبيتها ما وجبت علىّ فريضتها، و لا حمّلنى اللّه ذنبها، و و اللّه إن جئتها إنّى للمحقّ الّذى يتّبع، و إنّ الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته، فلقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّ القتل ليدور بين الاباء و الأبناء و الإخوان و القرابات، فما نزداد على كلّ مصيبه و شدّه إلاّ إيمانا و مضيّا على الحقّ، و تسليما للأمر و صبرا على مضض الجراح، و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا فى

الإسـلام على ما دخل فيه من الزّيغ و الاعوجاج، و الشّـبهه و التّأويل فإذا طمعنا فى خصله يلّم اللّه بها شعثنا، و نتدانا بها إلى البقيّه فيما بيننا، رغبنا فيها، و أمسكنا عمّا سواها.

اللغه

(المعسـكر) بفتـح الكاف محلّ العسـكر، و عن النهايه (نشـدتك) اللّه و الرّحم أى سألتك باللّه و بالرّحم، و قال الفيومى: نشدت الضاله نشـدا من باب قتل طلبتها و نشدتك اللّه و باللّه نشدتك ذكرتك به و اسـتعطفتك أو سألتك به مقسـما عليك و (الغيله) بالكسر الخديعه و (نفّس) تنفيسا فرّج تفريجا و (نعق) الرّاعى بغنمه ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بها و زجرها و (الفعله) بالفتح المرّه من الفعـل و (المضـض) كالألـم لفظا و معنى و (جرحه) جرحـا من بـاب نفع و الاـسم الجرح بـالضمّ و الجراحه بالكسـر و جمعها جراح و جراحات بالكسر أيضا و (الخصله) بفتح الخاء.

و (البقيه) قال الشارح المعتزلى: هى الابقاء و الكف، و قال البحرانى (ره) بقاء ما بقى فيما بيننا من الاسلام، و فى البحار و الأظهر عنـدى أنه من الابقـاء بمعنى الرّحم و الاشـفاق و الاصـلاح كما فى الصّـِحيفه: لا تبقى على من تضـرّع إليها، و قال فى القاموس: أبقيت ما بيننا أى لم ابالغ فى افساده و الاسم البقيه و اولو بقيّه ينهون عن الفساد أى ابقاء.

الاعراب

الهمزه فى قوله ألم تقولوا اسـتفهاميّه للتقرير بمـا بعـد النّفى كمـا قاله الزمخشـرى فى قوله تعالى: ألـم تعلم أنّ اللّه على كلّ شـىء قـدير، و الأظهر أنّها للانكار الابطالى المفيـده لاثبات ما بعـدها إذا دخلت على النفى، قال تعالى: «أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْـِدَهُ »، أى كاف عبده.

ص:۱۴۲

و حيله و غيله و مكرا و خديعه، منصوبات على نزع الخافض، و إخواننا بالرّفع خبر محذوف المبتدأ، و الجمله فى محلّ النصب مقول تقولوا، و اللاّم فى قوله: لئن أبيتها، لام ابتداء جىء بها تاكيدا للقسم، و جمله ما وجبت جواب القسم استغنى به عن جواب الشرط كما صرّح به علماء الأدبيّه.

قال ابن الحاجب: و إذا تقدّم القسم أوّل الكلام على الشرط لزمه المضىّ لفظا أو معنى، و كان الجواب للقسم لفظا مثل و اللّه إن ايتنى و إن لم تأتنى لاكرمنك و قال نجم الأئمه إذا تقدّم القسم أوّل الكلام ظاهرا أو مقدّرا و بعده كلمه الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط، فيجعل الجواب للقسم و يستغنى عن جواب الشرط لقيام القسم مقامه كما فى قوله تعالى: «لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ » الآيه، و قد تقدّم حكايه ذلك الكلام عنه فى شرح الكلام السابق باختلاف يسير.

و منه يظهر الكلام فى قوله: و و اللّه إن جئتها إنّى للمحقّ الذى آه، قال نجم الائمه: جواب القسم إذا كان جمله اسميه مثبته يصدّر بان مشدّده أو مخفّفه أو باللاّم و هذه اللاّم لام الابتداء المفيده للتأكيد لا فرق بينها و بين إنّ إلاّ من حيث العمل، و إنما اجيب القسم بهما لأنهما مفيدان لتأكيد الذى لأجله جاء القسم، و قال فى موضع آخر من شرح الكافيه فى تحقيق أنّ إنّ المكسوره مع جزئيها فى تقدير الجمله و لذلك دخلت اللاّم فى خبرها دون المفتوحه: اعلم أنّ هذه اللاّم لام الابتداء المذكوره فى جواب القسم و كان حقّها أن تدخل أول الكلام، و لكن لما كان معناها و معنى إنّ سواء أعنى التوكيد و التحقيق، و كلاهما حرف ابتداء كرهوا اجتماعهما فأخّروا اللاّم و صدّروا إنّ لكونها عامله و العامل حرّى بالتقديم على معموله و خاصّه إذا كان حرفا إذ هو ضعيف العمل آه.

و جمله يلمّ اللّه بها شعثنا فى محلّ الجرّ صفه لخصله، و جمله رغبنا جواب اذا طمعنا

ص:۱۴۳

المعنى

اشاره

اعلم أنه قد تقدّم فى التذييل الثانى من شرح الخطبه السادسه و الثلاثين كيفيه قتال الخوارج و جمله من احتجاجاته عليه السّلام معهم، و هذا الكلام أيضا قاله للخوارج احتجاجا عليهم (و قد خرج إلى معسكرهم) أى محلّ عسكرهم و محطه (و هم مقيمون على انكار الحكومه) عليه (فقال عليه السّلام) لهم (أ كلّكم شهد معنا صفّين) و حضرها (فقالوا منّا من شهد و منّا من لم يشهد قال عليه السّلام فامتازوا) أى تفرّدوا (فرقتين فليكن من شهد صفّين فرقه و من لم يشهدها فرقه حتى اكلّم كلّا منكم بكلامه) الذى يليق به و فيه اسكاته و رفع شبهته (و نادى الناس فقال امسكوا عن الكلام و انصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلىّ) و تدبّروا فيما أقول (فمن نشدناه) أى سألنا منه (شهاده فليقل بعلمه فيها) و لا يكتمها.

(ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل، منه أ لم تقولوا) أى قد قلتم (عند رفع المصاحف) بتدليس ابن العاص اللّعين (حيله و غيله و مكرا و خديعه) هؤلاء (اخواننا) فى الدّين و الاسلام (و أهل دعوتنا) أى دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الاسلام فأجابوه (استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه سبحانه) أى طلبوا منا الاقاله و رفع اليد عمّا كنّا عليه من المحاربه و القتال، و سألوا الراحه بالرّجوع إلى كتاب اللّه و العمل بما يقتضيه (فالرأى القبول عنهم) لملتمسهم (و التنفيس عنهم) لكربتهم.

(فقلت لكم) تنبيها على حيلتهم و ارشادا إلى خديعتهم و ايقاظا لكم من نوم الغفله و الجهاله (هذا) أى رفعهم المصاحف (أمر ظاهره ايمان) لتسليمهم ظاهرا الرجوع إلى الكتاب و ايهامهم العمل بما فيه من الأحكام (و باطنه عدوان) إذ كان مقصودهم به الحيله و الظلم و الغلبه و الخديعه (و أوّله رحمه) منكم لهم (و آخره ندامه) عليكم منهم.

(فأقيموا على شأنكم) و ما أنتم فيه من القتال و براز الأبطال(و الزموا طريقتكم و عضّوا على الجهاد بنواجذكم)و هو كنايه عن المبالغه فى الثبات عليه

ص:۱۴۴

(و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق) أراد به معاويه أو عمرو بن العاص حيث كان رفع المصاحف بتدبيره (إن اجيب أضلّ) من أجاب (و إن ترك ذلّ) و خاب (و قد كانت هذه الفعله) و هى الرضا بالحكومه (و قد رأيتكم اعطيتموها) و أقدمتم عليها.

ثمّ أراد رفع شبهتهم بقوله:(و اللّه لئن أبيتها ما وجبت علىّ فريضتها و لا حملنى اللّه ذنبها و و اللّه ان جئتها إنّى للمحقّ الذى يتّبع و ان الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته) يعنى أنّ الحكومه على تقدير امتناعى عنها لم تكن واجبه حتى تجب علىّ فريضتها أى الأحكام الواجبه بسببها و المترتّبه عليها و ما كنت مذنبا بترك الواجب، و على تقدير إقدامى عليها لم تكن محرّمه حتى تكونوا باتّباعكم إيّاى فى الاقدام عليها مرتكبين للحرام، فانّى أنا المحقّ الذى أحقّ أن يتّبع و يقتدى، و انّ كتاب اللّه سبحانه لمعى لفظا و معنى لا افارقه و لا يفارقنى، فلا اقدم على أمر مخالف للقرآن موجب للعصيان.

فان قلت: المعلوم من حاله عليه السّلام حسبما ظهر من الروايات المتقدّمه فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين أنه امتنع من الحكومه أولا و حثّ أصحابه على الجهاد و الثبات عليه، و يدلّ عليه أيضا الكلام الذى نحن بصدد شرحه، ثمّ لما رأى إصرارهم فى الاحابه إلى أهل الشام و البناء على التحكيم رضى عليه السّلام به و بنا عليه، فقد كان الاباء أولا و البناء ثانيا من فعله عليه السّلام، و كان عالما بذلك، فما معنى الاتيان بالشرط المنبئ عن الشكّ؟ قلت إنما أتى بالشرط مع جزمه و علمه به تجاهلا لاقتضاء المقام التجاهل و الابهام، و ذلک لأنّ أصحابه عليه السّلام كانوا فرقتين فرقه ترى التحكيم واجبا، و هم جلّ أصحابه و هم الذين أشار إليهم فى هذا الكلام بقوله: أ لم تقولوا عند رفع المصاحف إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم، و فرقه تراه حراما و الاقدام عليه معصيه، و هم الخوارج الذين قالوا لا حكم إلاّ للّه و لا حكم إلاّ اللّه، فأجمل الكلام و أبهم المرام لاقتضاء المقام، و ساق المعلوم مساق المجهول اسكاتا للفريقين، فانه لو صرّح بما يوافق رأى إحدى الفرقتين تبرّئت

ص:۱۴۵

عنه الفرقه الاخرى و انجرّ الأمر إلى الفساد كما مرّ نظيره فى كلامه الذى قاله فى قتل عثمان: لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت عاصيا، و هو الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

و محصّل جوابه عليه السّلام عن انكارهم للتحكيم يعود إلى أنّه امام مفترض الطاعه و أنّ الأمر إليه و هو وليّ الأمر لو رأى المصلحه فى الاباء منه كان الاباء واجبا، و لو رآها فى الاجابه إليه كانت الاجابه واجبه، و على التقديرين فاللّازم عليهم التسليم و الانقياد لا الانكار و الاعتراض، و الاقتداء و المتابعه لا الرّد و الامتناع فان قلت: فلم أكّد الكلام فى جانب الاباء بتأكيدين أعنى القسم و اللّام و فى الجانب الآخر أتى بأربع تأكيدات و هو القسم و إنّ و اللام و اسميّه الجمله، حيث قال: و و اللّه ان جئتها إنّى للمحقّ، بل و أكّد خامسا بالوصف و قال: الذى يتّبع.

قلت: النكته فى ذلك أنّ مخاطبته بهذا الكلام لما كانت مع الخوارج الزاعمين لكون الاقدام على الحكومه معصيه و حراما دون الاباء، و كانوا مصرّين على انكارها استدعى المقام زياده التأكيد ردّا لزعم المخاطبين، و ابطالا لانكارهم و لهذه النكته أيضا أتى بالموصول تفخيما لشأنه، و جعله وصفا تأكيدا لحقيقته، و أكّد سادسا بقوله: و انّ الكتاب لمعى، اشاره إلى أنّه لا يرد و لا يصدر فى شىء من الأبواب إلاّ بحكم الكتاب، و هذه التحقيقات فى هذا المقام من لطايف البلاغه قصرت عنها أيدى الشارحين و للّه الحمد.

ثمّ رغّب عليه السّلام فى التأسّى بالسّلف الماضين من خيار الصحابه بقوله:

(فلقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّ القتل ليدور بين الآباء و الأبناء و الاخوان و القرابات فما نزداد على كلّ مصيبه و شدّه) أصابتنا و ابتلينا بها (إلاّ ايمانا و مضيّا إلى الحقّ و تسليما للأمر) و رضا بالقضاء (و صبرا على مضض الجراح) أى وجع الجراحات و ألمها و قد تقدّم نظير هذه الفقرات منه عليه السّلام فى الكلام الخامس و الخمسين.

ص:۱۴۶

و محصّله أنا إذا قاتلنا بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كنّا له مسلمين و لأمره مطيعين و منقادين، و لا يزداد ما نزل بنا من المصائب إلاّ نورا و ايمانا، و تسليما و اذعانا، فلا بدّ لكم أن تكونوا كذلك، و أن تردّوا الأمر إلى ولىّ الأمر، و لا تكونوا له مخالفين، و عن حكمه متمرّدين. ثمّ أكّد ابطال انكارهم للحكومه بقوله:(و لكنّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الاسلام) أراد به أهل الشام، و اطلاق المسلم عليهم لاقرارهم ظاهرا بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن كانوا محكومين بكفرهم لبغيهم على الامام المفترض الطاعه يعنى انا إنما قاتلناهم (على ما دخل فيه) أى الاسلام منهم (من الزّيغ) أى العدول عن الحقّ (و الاعوجاج) عن الصّراط المستقيم (و الشبهه) فى الدّين (و التأويل) للكتاب المبين (فاذا طمعنا فى خصله) أراد بها الحكومه (يلمّ اللّه به شعثنا) أى يجمع اللّه بها تفرّقنا و انتشار امورنا (و نتدانا بها إلى البقيه فيما بيننا) أى نتقرّب بتلك الخصله إلى الاصلاح و الاشفاق و الرّحم و ترك الفساد فيما بيننا (رغبنا فيها و أمسكنا عمّا سواها) و حاصله أنّ مقصودنا بالذات من قتال هؤلاء لم يكن محض استيصال النفوس و اراقه الدماء بهوى الأنفس و العناد، و إنما المقصود إرجاعهم عن الضلال إلى الهدى، و من الفساد إلى الرّشاد، فاذا رجونا حصول ذلك الغرض و امكان التّوسل إليه بالحكومه لا بدّ لنا من المصير إليها و الكفّ عن إراقه الدّماء كما نبّه عليه السّلام على ذلك فى كلامه الرابع و الخمسين بقوله: فواللّه ما وقعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه لتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها.

تنبيه

قد اسقط فى أكثر نسخ الكتاب قوله: و قد كانت هذه الفعله، إلى قوله:

مذ صحبته و من جمله تلك النسخ نسخه الشّارح المعتزلى قال فى الشرح: هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا و لكنه ثلاثه فصول لا تلتصق أحدها بالآخر، و هذه عاده الرضىّ

ص:۱۴۷

ینتخب من جمله الخطبه الطویله کلمات فصیحه یوردها علی سبیل التتالی و لیست متتالیه حین تکلّم بها صاحبها، آخر الفصل الأول قوله: و إن ترک ذلّ، و آخر الفصل الثانی قوله: علی مضض الجراح، و الفصل الثالث ینتهی إلی آخر الکلام، هذا.

و روی ذلک الکلام له علیه السّلام فی الاحتجاج عن قوله: ألم تقولوا، إلی آخر الکلام مثل ما فی أکثر النسخ باسقاط ما سقط إلاّ أنّ فیه بدل قوله علی شأنکم علی نیّاتکم و لا تلتفتوا إلی ناعق فی الفتنه نعق إن اجیب أضلّ و إن ترک أذّل، و اللّه العالم

الترجمه

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن حضرت است که گفته است آنرا بخوارج نهروان در حالتی که بیرون رفته بود بسوی لشکرگاه ایشان، و ایشان ایستاده بودند بر انکار حکومت حکمین پس فرمود:

آیا همه شما حاضر بودید با ما در صفین؟ پس گفتند: بعضی از ما حاضر شده بود و بعضی از ما حاضر نشده بود، فرمود: پس جدا شوید از یکدیگر بدو فرقه پس باید باشد کسانی که حاضر صفّین شده بودند یک فرقه، و جماعتی که حاضر نبودند در آن معرکه یک فرقه دیگر تا آنکه تکلّم بکنم با هر فرقه از شما بکلامی که لایق حال او باشد، و صدا کرد مردمان را پس فرمود که:

باز ایستید از حرف زدن، و ساکت شوید از برای شنیدن قول من، و متوجه باشید با قلبهای خودتان بسوی من پس هر کسی که طلب کنم از آن شهادتی را پس باید که بگوید بمقتضای علم خود در آن شهادت، بعد از آن تکلّم فرمود با ایشان بکلام دراز از جملهٔ آن کلام این است که گفت:

آیا نگفتید شما در هنگام برداشتن ایشان مصحفها را از روی حیله گری و تباه کاری و مکاری و فریفتن که: ایشان برادران ماینـد و کسانی هستند که دعوت شده اند باسلام و قبول کرده اند طلب کرده اند از ما اقاله و فسخ گذشته های را، و راحت جستند بسوی کتاب خدا، پس رأی صواب این است که قبول خواهش ایشان را بکنیم، و غم و اندوه ایشان را بر طرف سازیم، پس گفتم شما را که این کارشان کاریست ظاهر

ص:۱۴۸

آن ایمانست و باطن آن نفاق و عدوان، و أول آن ترّحم است از شما بایشان و آخر آن ندامت است و خسران. پس اقامت نمائید بر کار خودتان که عبارتست از محاربه دشمنان، و ثابت قدم بشوید بر راه خود، و بگزید بر بالای جهاد بدندانها، و التفات نکنید بسوی صدا کننده که صدا کرد یعنی معاویه اگر جواب داده شود آن صدا کننده بضلالت افکند جواب دهندهٔ خود را، و اگر ترک کرده شود یعنی جوابش را ندهند خوار و ذلیل گردد.

و بتحقیق که شد این یک کار یعنی رضای شما بحکومت حکمین، و بتحقیق دیدم شما را که عطا کردید آنرا و اقدام نمودید بآن بخدا سوگند هر آینه اگر من امتناع می کردم از آن واجب نمی شد بر من واجبات آن، و بار نمی کرد بر من خداوند گناه آنرا، و بخدا سوگند اگر میآمدم بسوی آن بدرستی و بتحقیق که منم محقّ و درستکار که تبعیت کرده میشوم، و بدرستی کتاب عزیز خدا با من است که جدا نشده ام من از آن از زمانی که مصاحب او شده ام پس بتحقیق که بودیم با حضرت رسول مختار صلوات اللّه علیه و آله در حالتی که کشتن دوران میکرد در میان پدران و پسران و برادران و خویشان، پس زیاده نمی کردیم ما بر بالای هر محنت و شدتی مگر ایمان را بخدا و گذشتن بر حق و منقاد شدن بر أمر و صبر کردن بر سوزش جراحتها، و لکن ما غیر از این نیست که گشتیم مقاتله می کنیم با برادران اسلامی خود بر آنچه داخل شده است در اسلام از جانب ایشان از لغزش و گمراهی و اشتباه و تأویل باطل، پس زمانی که طمع کردیم در خصلتی که جمع کند خداوند متعال بسبب آن خصلت پراکندگی ما را، و تقرب کنیم با یکدیگر بجهه آن خصلت بسوی مهربانی و شفقت در میان ما رغبت می کنیم در آن خصلت و دست برداریم از غیر آن

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الثانى و العشرون من المختار

اشاره

فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى ساعه الحرب و أىّ امرء منكم أحسّ من نفسه رباطه جاش عند اللّقاء، و راى من أحد من إخوانه فشلا، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته الّتى فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء اللّه لجعله مثله، إنّ الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب، إنّ أكرم الموت القتل، و الّذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسّيف أهون علىّ من ميته على الفراش.

اللغه

(ربطه) يربطه من بابى نصر و ضرب شدّه، قال الفيروز آبادى و رابط الجاش و ربيطه شجاع و ربط جاشه رباطه بالكسر أشدّ قلبه و اللّه على قلبه ألهمه الصبر و قوّاه و (النجده) الشجاعه قال الشارح المعتزلى (الميته) بالكسر هيئه الموت كالجلسه و الركبه هيئه الجالس و الراكب يقال مات فلان ميته حسنه قال: و المروىّ فى نهج البلاغه بالكسر فى أكثر الروايات، و قد روى من موته، و هو الأليق يعنى المرّه الواحده ليقع فى مقابل الألف

الاعراب

أىّ شرطيه مرفوعه على الابتداء، و جمله أحسن خبر، و جمله فليذبّ جواب و الباقى واضح.

ص:١٥٠

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام (قاله عليه السّلام للأصحاب فى ساعه الحرب) و لم أظفر بعد على أنه أىّ حرب، و المقصود به امرهم بقضاء حقّ الاخوّه و رعايه شرايط المواساه و المحبه و الذّب عن اخوانهم المسلمين و حمايه بيضه الاسلام و حوزه الدّين قال عليه السّلام (و أىّ امرء منكم أحسّ) أى علم و وجد (من نفسه رباطه جاش) و قوّه قلب (عند اللّقاء) أى عند القتال و لقاء الأبطال (و رأى من أحد من اخوانه) المؤمنين (فشلا) و جبنا (فليذبّ) أى ليدفع المكروه (عن أخيه بفضل نجدته) و شجاعته (التى فضّل أى فضّله اللّه (بها عليه كما يذبّ) و يدفع (عن نفسه) بنهايه الاهتمام و الجدّ (فلو شاء اللّه لجعله مثله) أى لجعل أخاه الجبان شجاعا مثله، و حيث آثره بتلك النعمه و تفرّد بهذه الفضيله و اختصّ بها و لم يجعل أخوه مثله فلا بدّ له من القيام بوظائف النعم و التشكّر بالدفع عن الآخر و ذلك ل (أنّ الموت طالب) للانسان (حثيث) أى سريع فى طلبه (لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب) يعنى لا يخلص(۱) منه الراضى به المقيم له، و لا ينجو منه السّاخط له الهارب عنه، و مع ذلك فلا ينبغى للعاقل أن يختار الفرار على القرار، و يؤثر البقاء على اللقاء، مع ايجابه العارفى الأعقاب، و النار يوم الحساب

۱- (۱) قال الشاعر:ارى الموت لقيام الكرام و يصطفيعقيله مال الفاحش المتشدّدارى العيش كنزا ناقصا كلّ ليلهو ما تنقص الايام و الدّهر ينفدلعمرك ان الموت ما أخطأ الفتيلكاء لطول المرخى و ثنياه باليد يعنى ارى الموت يختار الكرام بالافناء و يصطفى كريمه مال البخيل بالابقاء أو انه يعم الجواد و البخلاء فيصطفى الكرام و كرائم اموال البخلاء أى لا خلاص منه لواجد من الصنفين فلا يجدى البخيل بخله و الجواد جوده و قوله فى البيت الثالث لكاء لطول المرخى الطول الحبل الذى يطول للدابه لترعى فيه و الارخاء الارسال و الثنى الطرف و الجمع الاثناء يقول اقسم بحياتك ان الموت فى مده اخطائه الفتى بمنزله حبل طول للدابه ترعى فيه و طرفاه بيد صاحبه يريد انه لا يتخلص منه كما ان الدابه لا تفلت ما دام صاحبها اخذ بطرفى طولها منه

و أيضا قال (إنّ أكرم الموت القتل) حيث إنّه موجب للذكر الجميل فى الدّنيا و الأجر الجزيل فى العقبا و مع ذلك فلا يجوز للبصير تفويت هذا النفع الكثير على نفسه و الاقدام على الموت بحتف أنفه قال الشاعر:

و إن تكن الأبدان للموت انشئت فقتل امرء و اللّه بالسيف أفضل

ثمّ حاول عليه السّلام تحريص أصحابه و تحريضهم على الجهاد و الثبات عليه و جعل طباعهم مناسبه لطبيعته فقال(و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسّيف أهون علىّ)و أسهل(من ميته على الفراش).

فان قلت: حلفه ذلک هل هو على الحقيقه أو من باب المجاز و المبالغه ترغيبا لأصحابه فى الجهاد؟ قلت: بل هو على حقيقته، لأنّه لفرط محبّته فى اللّه و منتهى شوقه إلى اللّه و غايه رغبته فى ابتغاء مرضات اللّه سبحانه كان فى أعلى مراتب الفناء فى اللّه و البقاء باللّه، فارغا عن نفسه فى جنب مولاه، و مع ذلک الحال لا تأثير فيه لضربات السيوف و طعنات الرّماح البتّه و يشهد بذلک ما رواه غير واحد من أنه عليه السّلام قد أصابت رجله الشريف نشابه فى غزوه صفّين و لم يطق الجرّاحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيه، فلما قام إلى الصّلاه أخرجوها حين كونه فى السجده، فلما فرغ من الصّلاه علم باخراجه و حلف أنه لم يحس ذلک أصلا و يؤيد ذلک ما عن الخرائج مسندا عن أبى جعفر عليه السّلام قال الحسين عليه السّلام قبل أن يقتل إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: يا بنىّ انّک ستساق إلى العراق و هى أرض قد التقى بها النّبيون و أوصياء النّبيين، و هى أرض تدعى غمور او أنک تستشهد بها و يستشهد معک جماعه من أصحابک لا يجدون ألم مسّ الحديد، و تلى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا نار كونى بردا و سلاما على إبراهيم، يكون الحرب عليک و عليهم سلما، الحديث وجه التأييد أنّ أصحاب الحسين عليه السّلام مع كونهم من أدنى عبيد أمير المؤمنين إذا لم يجدوا ألم الحديد بما فيهم من المحبّه و الشوق إلى لقاء الحقّ فكيف به عليه السّلام

ص:۱۵۲

مع خوضه فی بحار المعرفه و کماله فی مقام المحبّه.

هذا کلّه علی ما فی أکثر النسخ من روایه کلامه علیه السّلام کما أوردنا و فی نسخه الشارح المعتزلی هکذا: لألف ضربه بالسیف أهون من میته علی فراش فی غیر طاعه اللّه، و علیه فلا اشکال أصلا لأنّ ألم السیوف دنیویّ، و المیته علی الفراش بغیر الطاعه معقبه للألم الاخروی، و الأوّل أهون و أسهل من الثانی لا محاله و لعذاب الآخره أشدّ و أبقی.

و العجب من الشارح أنه حمل ذلک علی المجاز و المبالغه حیث قال، بعد ایراد کلامه علیه السّلام علی ما حکینا من نسخته: الواجب أن یحمل کلامه إمّا علی جهه التحریض فیکون قد بالغ کعاده العرب و الخطباء فی المبالغات المجازیه، و إمّا أن یکون أقسم علی أنه یعتقد ذلک و هو صادق فیما اقسم لأنّه هکذا کان یعتقد بناء علی ما هو مرکوز فی طبعه من محبّه القتال و کراهیّه الموت علی الفراش، انتهی.

و فیه ما فیه.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که فرموده آنرا بأصحاب خود در ساعت جنگ و هر مردی از شما که احساس کند و بفهمد از نفس خود قوت قلب را هنگام ملاقات أعداء و ببیند از یکی از برادران خود ترس و جبن را پس باید که دفع نماید از برادر خود بزیادتی شجاعت خود که تفضیل داده شده بآن شجاعت ببرادر خود همچنان که دفع میکند از نفس خود، پس اگر می خواست خداوند تعالی هر آینه می گردانید او را در شجاعت مثل آن، بدرستی که مرگ طلب کننده است شتابان که فوت نمی شود از او اقامت کنندهٔ، و عاجز نمی کند او را گریزندهٔ، بدرستی که که گرامی ترین مرگ کشته شدن است، بحق آن کسیکه جان پسر أبی طالب بید قدرت او است هر آینه هزار ضربت با شمشیر سهل و آسان تر است بر من از مردن بر روی بستر.

ص:۱۵۳

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الثالث و العشرون من

اشاره

المختار فى باب الخطب

و كأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب، لا تأخذون حقّا، و لا تمنعون ضيما، قد خلّيتم و الطّريق، فالنّجاه للمقتحم، و الهلكه للمتلوّم.

اللغه

(كشـشت) الأفعى كشـيشا من باب ضـرب إذا صاتت من جلدها لا من فمها قال الشارح المعتزلى: الكشـيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشه قال الراجز:

كشيش افعى اجمعت بعض فهى تحكّ بعضها ببعض

و عن النهايه كشـيش الافعى صوت جلدها إذا تحرّكت، و قد كشت تكش و ليس صوت فمها لأنّ ذلك فصـحيحها، و (الضبّ) دابه بريّه و جمعه ضباب بالكسر كسهم و سهام

الاعراب

جمله لا تأخذون آه فى محلّ النصب على الجال من فاعل تكشّون، و الطريق منصوب على المفعول معه

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المسـتفاد من بعض نسخ النّهج أنّ هذا الكلام و كذلك الكلام الآتى كليهما من فصول الكلام السّابق، حيث إنّ العنوان فيه فى كلّ منهما بلفظ منه و فى بعضـها عنوان ذلك بلفظ منه، و عنوان ما يتلوه بلفظ و من كلام له عليه السّلام و فى نسخه ثالثه العنوان فى كلّ منهما بلفظ منها، و الظاهر أنّه سهو من النساخ لأنّ العنوان فيما سبق حسبما عرفت بلفظ و من كلام له عليه السّلام فلا يناسبه ارجاع الضمير المؤنث إليه و لعلّ الأظهر أنّ كلّا منها كلام مستقلّ لعدم ارتباط أحدها بالآخر، حيث إنّ الكلام السابق حسبما عرفت قاله للأصحاب فى ساعه الحرب للتحريض و التشجيع

ص:۱۵۴

و هذا الكلام كما ترى وارد فى مقام التوبيخ و التقريع لهم، و الكلام الآتى وارد فى مقام تعليم رسوم الحرب، فلا مناسبه لأحدها مع الآخر لو لم يكن الوسط مصادّا لهما، اللّهمّ إلاّ أن يكون السيد (ره) قد اسقط ما يوجب الائتلاف و الارتباط على ما جرت عليه عادته فى الكتاب من الاسقاط و الالتقاط، و بعض فقرات هذا الكلام يأتى فى روايه الارشاد، و هو أيضا يخيّل كونه كلاما مستقلا، و ستطّلع فى شرح الكلام الآتى ما يفيد استقلاله أيضا.

و كيف كان فقد قال عليه السّلام لأصحابه (و كأنّى أنظر إليكم) بما فيكم من الجبن و الفشل (تكشّون كشيش الضباب) المجتمعه يعنى أنّ أصواتكم غمغمه بينكم من الهلع الذى قد اعتراكم، فهى أشبه شىء بأصوات الضباب، أو المراد بيان حالهم فى الازدحام و الهزيمه (لا تأخذون) للّه (حقّا و لا تمنعون ضيما) و ذلاّ (قد خلّيتم و الطريق) أى طريق الآخره (فالنجاه للمقتحم و الهلكه للمتلوّم) أى النجاه فى الدنيا من العار و فى الآخره من النار للداخل فى الجهاد و المقدم عليه، و الهلاك الدائم للمتوقف عن القتال المتثبّط فيه، أو أنّ النجاه من سيف الأعداء للمطرق المقدم، لانه مع اقدامه و تجلّده يرتاع له خصمه و ينخذل عنه نفسه و الهلاك بسيف الأعداء للمتثبط المتلوّم لأنّ نفس خصمه تقوى عليه و طمعه يزداد فيه كما هو مشاهد بالعيان و تشهد به التجربه و الوجدان و فى هذا المعنى قال:

ذق الموت ان شئت العلى و اطعم الرّدى قتيل الأمانى بالمنيّه مكتوب

خض الحتف تأمن خطه الخسف انما يبوح ضرام الخطب و الخطب مشيوب

تنبيه

يشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطا من كلام له عليه السّلام رواه فى البحار من الارشاد قال: من كلامه صلوات اللّه عليه فى هذا المعنى(۱) بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

ما أظن هؤلاء القوم - يعنى أهل الشام - إلاّ ظاهرين عليكم، فقالوا له: بما ذا

۱- (۱) اى فى استنفار القوم الى الجهاد و استبطائهم عنه بعد بلوغ خبر مسير بسر بن ارطاه الى اليمن كما سبق اليه الاشاره فى الارشاد، منه

يـا أمير المـؤمنين؟ فقـال عليـه السّـلام: أرى أمـورهم قـد علـت، و نيرانكـم قـد خبت، و أراهم جـادين، و أراكم و انين، و أراهم مجتمعين، و أراكم متفرّقين، و أراهم لصـاحبهم مطيعين، و أراكم لى عاصـين، أم و اللّه لئن ظهروا عليكم لتجـدنّهم أربـاب سوء من بعـدى لكم، لكأنى أنظر اليهم و قـد شاركوكم فى بلادكم، و حملوا إلى بلادهم فيئكم، و كأنى أنظر اليكم تكشّون كشيش الضـباب، و لاـ تأخـذون حقّـا، و لاـ تمنعـون للّـه مـن حرمـه، و كـأنّى أنظر إليهـم يقتلـون صـالحيكم، و يحيفـون(۱) قرائكـم، و يحرمونكم، و يحجبونكم، و يـدنون الناس دونكم. فلو قـد رأيتم الحرمان و الاثره و وقع السّـيوف و نزول الخوف، لقـد نـدمتم و حسرتم(۲) على تفريقكم فى جهادكم و تذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض و العافيه حين لا ينفعكم التذكار

الترجمه

از جملهٔ كلام آن امام أنام است كه فرمود:

گويا نظر ميكنم بسوى شما كه آواز مى كنيد در ازدحام نمودن بهزيمت و فرار همچو آواز نمودن پوستهاى سوسمار كه بر هم خورنـد در رفتار، در حالتى كه أخـذ نمى كنيـد بجهه خـدا حقّى را، و منع نمى كنيـد ذلّتى را، بتحقيق كه رها شده ايد با طريق آخرت، پس نجـات مر كسـى راست كه داخـل شود بـدون تأمّل در قتال و جهاد و هلاكت مر كسـى راست كه توقّف كنـد از محاربهٔ أعداء.

و من كلام له عليه السّلام فى حثّ اصحابه على القتال و هو المأه

اشاره

و الرابع و العشرون من المختار فى باب الخطب

قاله للاصـحاب فى صـفين و قد رواه غير واحد باختلاف تعرفه انشاء الله فقدّموا الدّارع، و أخّروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنّه

۱- (۱) الحيف الجور و الظلم منه

۲- (۲) الحسره أشد التهلف على الشيء الفائت تقول منه حسر على الشيء بالكسر يحسر حسرا فهو حسير، صحاح

أنبا للسّيوف عن الهام، و التووا فى أطراف الرّماح فإنّه أمور للأسنّه، و غضّوا الأبصار فإنّه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلوّها و لا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم و المانعين الذّمار منكم، فإنّ الصّابرين على نزول الحقائق هم الّذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها حفافيها و ورائها و أمامها، لا يتأخّرون عنها فيسلموها، و لا يتقدّمون عليها فيفردوها، أجزء امرء قرنه، و آسى أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه، و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآخره، و أنتم لهاميم العرب، و السّنام الأعظم، إنّ فى الفرار موجده اللّه و الذّلّ اللاّزم، و العار الباقى، و إنّ الفارّ لغير مزيد فى عمره، و لا محجوز بينه و بين يومه، من رائح إلى اللّه كالظمآن يرد الماء، الجنّه تحت أطراف العوالى، اليوم تبلى الأخبار، و اللّه لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم، أللّهمّ فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم، و شتّت كلمتهم، و أبسلهم بخطاياهم، إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم، و ضرب يفلق الهام، و يطيح العظام، و يندر السّواعد و الأقدام، و حتّى يرموا بالمناسر

ص:۱۵۷

تتبعها المناسر، و يرجموا بالكتائب، تقفوها الحلائب، و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتّى تدعق الخيول فى نواحر أرضهم، و بأعنان مساربهم و مسارحهم. قال السيد ره: الدعق، الدقّ، اى تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم، و نواحر أرضهم، متقابلاتها يقال: منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل.

اللغه

(الدارع) لابس الدّرع و (الحاسر) الذى لا درع عليه و لا مغفر و (نبا) السّيف عن الضريبه كلّ عنها و ارتد و لم يمض و (التوى) انعطف و (المور) التحريك و الاضطراب قال تعالى: يوم تمور السماء مورا، و (الذمار) بالكسر ما يلزمك حفظه و حمايته، و عن الجوهرى فلان حامى الذّمار أى إذا ذمر و غضب حمى و فى شرح المعتزلى الذّمار ما وراء الرّجل مما يحقّ عليه أن يحميه و سمّى ذمارا لأنّه يجب على أهله التذمّر له أى الغضب.

و (الحقائق) جمع الحقيقه بمعنى ما يحق للرّجل أن يحميه، أو بمعنى الرايه كما ذكره فى القاموس و حكى عن الصحاح، و قال الشارح المعتزلى و تبعه غيره إنّ الحقائق جمع حاقه و هى الأمر الصعب الشديد، و منه قوله تعالى: الحاقّه ما الحاقّه يعنى السّاعه، و فى كونه جمعا لها نظر و (الحفاف) وزان كتاب الجانب و فى (امرء) ثلاث لغات: فتح الراء دائما و ضمّها دائما، و اختلافها باختلاف حركه الآخر، تقول: هذا امرء و رأيت امرأ و مررت بامرء و (القرن) بالكسر كفوك فى الشجاعه أو عامّ لكلّ كفو و (آس) أخاه بالهمزه أى جعله اسوه لنفسه و يجوز و اسيت زيدا بالواو و هى لغه ضعيفه و (اللّهاميم) جمع اللّهموم بالضم كعنقود و عناقيد الجواد من النّاس و الخيل و (سنام) الابل معروف و (الموجده) الغضب و السخط و فى بعض النسخ (و الذّل اللّاذم) بالذّال المعجمه أيضا بمعنى اللازم بالزاء يقال: لذمت المكان أى لزمته و (العوالى) جمع

العاليه و هى أعلى القناه أو رأسها أو نصفها الذى يلى السنان.

و (تبلى الأخبار) هنا بالبا الموحّده و فى بعض النسخ بالياه المثنّاه التحتانيّه و (أبسلته) أسلمته إلى الهلكه و (النسيم) الريح اللينه، و فى بعض النسخ النسم أى طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنه، و روى القشم بالقاف و الشين المعجمه و هو اللحم و الشحم و (فلقت) الشىء افلقه بكسر اللاّم فلقا شققته و (المناسر) جمع المنسر بفتح الميم و كسر السّين و بالعكس أيضا قطعه من الجيش تكون امام الجيش الأعظم و (الحلائب) بالحاء المهمله جمع حليبه و هى الطائفه المجتمعه من حلب القوم حلبا من باب نصر أى اجتمعوا من كلّ وجه و يقال احلبوا إذا جاءوا من كلّ أوب للنصره و (الخميس) الجيش لأنه خمس فرق: المقدّمه، و القلب، و الميمنه و الميسره، و الساقه و (المسارب) و (المسارح) جمع المسربه و المسرح و هو المرعى قال الشارح المعتزلى: (و نواحر أرضهم) قد فسّره الرضىّ و يمكن أن يفسّر بأمر آخر، و هو أن يريد أقصى أرضهم و آخرها من قولهم لآخر ليله فى الشهر ناحره و المسارب ما يسرب فيه المال الراعى، و المسارح ما يسرح فيه و الفرق بين سرح و سرب و أنّ السروح إنما يكون فى أول النهار، و ليس ذلك بشرط فى السروب.

الأعراب

جمله لا يتأخرّون عنها آه، بدل من جمله يكتنفونها كما فى قوله تعالى:

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ ».

و قوله: اجزء امرء قرنه آه، قال الشارح المعتزلى: من الناس من يجعل هذه الصيغه و هى صيغه الاخبار بالفعل الماضى فى معنى الأمر كأنه قال ليجزى كلّ امرء قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغه الاخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغه الماضى، و قد جاز الأول نحو قوله:

ص:۱۵۹

«وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ ».

فوجب أن يجوز الثانى، و من النّاس من قال معنى ذلك هلّا اجزء امرء قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصّيغه، انتهى أقول: معنى التحضيض فى الماضى التوبيخ و اللّوم على ترك الفعل و فى المضارع الحضّ على الفعل و الطلب له، و هذا الكلام له عليه السّلام كما ترى وارد فى معرض الحثّ و الترغيب لا اللّوم و التوبيخ، فلا بدّ أن يجعل هلّا هنا على تقدير حذفها حرف عرض،و قوله:من رائح إلى اللّهرائح خبر لمبتدأ محذوف و الجمله صله من، و فى بعض النسخ الرائح إلى اللّه كالظمآن، و هو الأوفق، و يجوز على الأوّل كون خبر من لفظ كالظمآن و جمله يرد صفه للظمآن، و يجوز كون كالظمآن صفه لرائح و خبر من جمله يرد، و على ذلك فلا بدّ أن يراد بالماء الحياه الأبد على سبيل المجاز و فى بعض النسخ كالظمآن يرد إلى الجنّه، و هو يؤيّد كون جمله يرد خبرا كما هو ظاهر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الشارح المعتزلى بعد تقطيعه فى الشرح هذا الكلام له عليه السّلام على فصول ثلاثه قال فى شرح الفصل الثّانى منه و هو قوله: اجزء امرء قرنه إلى قوله و ابسلهم بخطاياهم: و هذه الألفاظ لا يتلو بعضها بعضا و إنما هى منتزعه من كلام طويل انتزعها الرضىّ (ره) و اطرح ما عداها أقول: و ما ظفرت بعد على تمامه، و المستفاد من الروايات الآتيه فى التكمله الآتيه أنه ليس منتزعا من كلام واحد، بل منتزع من كلام متعدّد حسبما تطلع عليه و كيف كان فالغرض منه حثّ أصحابه على الجهاد و تحريضهم و تعليمهم آداب الحرب و رسومها قال عليه السّلام (فقدّموا الدارع) اللاّبس للدّرع (و أخّروا الحاسر) العارى عنه لأنّ سوره الحرب و شدّتها تلتقى و تصادف، الأول فالأول، فوجب أن

يكون أوّل القوم مستلئما و يقدم المستلئم(۱) على غير المستلئم (و عضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسّيوف عن الهام) كما مضى توضيحه فى شرح الكلام الحادى عشر مع ما فيه من إظهار الغيظ و الخنق على الخصم (و التووا فى أطراف الرّماح فانّه أمور للأسنه) أى إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا ليزلق و يتحرّك فلا ينفذ، و حمله الشارح البحرانى (ره) على الالتواء عند إرسال الرّمح و رميه إلى العدوّ بأن يميل صدره و يده فانّ ذلك أنفذ و ليس بشىء (و غضّوا الأبصار فانه أربط للجاش) و رواع القلب إذا اضطرب (و أسكن للقلوب) من الفزع و إنما أمرهم بغضّها لئلاّ يروا من العدوّ ما يهولهم و يدهشهم، و كيلا يرى العدوّ منهم جبنا و فشلا قد مضى ذلك أيضا فى شرح الكلام الحادى عشر (و أميتوا الأصوات) أراد به قلّه الكلام و ترك رفع الأصوات (فانه أطرد للفشل) و الجبن و الجبان يصيح و يرعد و يبرق كما مرّ فى الكلام التاسع (و رايتكم فلا تميلوها) لأنّ ميلها من أسباب انكسار العسكر، لأنهم ينظرون إليها (و لا تخلوها) من محام لها (و لا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم) لضعف الجبناء عن إمساكها.

كما ضعف الأوّل و الثّانى عن إمساكها يوم خيبر و انهزما بأقبح وجه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لأعطينّ الرايه غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله كرّار غير فرّار يفتح اللّه عليه، فلما كان الغد طاولت الأعناق لها، و كلّ رجا أن يدفعها إليه فلم يدفعها إلاّ إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، و فى هذا المعنى قال الشارح المعتزلى فى قصيدته التى قالها فى فتح خيبر:

و ما أنس لا أنس اللذين تقدّما و فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للرايه العظمى و قد ذهبا بها ملابس ذلّ فوقها و جلابيب

يشلها من آل موسى شمردل طويل نجاد السيف اجيد يعبوب

إلى أن قال

دعا قصب العلياء يملكها امرؤبغير أفاعيل الدّنائه مقضوب

ص:۱۶۱

۱- (۱) استلئم لبس اللامه، منه.

یری أنّ طول الحرب و البؤس راحه و انّ دوام السلم و الخفض تعذیب

فللّه عینا من رآه مبارزا و للحرب کأس بالمنیّه مقطوب

إلی آخر ما قال، و قوله (و المانعین الذّمار منکم) أی الذابّین عمّن یجب علیهم حفظه و حمایته، فانّ من کان کذلک لا یترک الرایه حتی یظفر أو یقتل و علّله بقوله (فانّ الصّابرین علی نزول الحقائق) أی نزول الرایات منازلها أو نزول ما یعرض لهم فی الحرب من الحالات التی یجب و یحقّ الحمایه عنها، أو نزول الامور الصّعبه الشدیده کما ذکره الشارح المعتزلی (هم الذین یحفّون برایاتهم) و یحیطون بها (و یکتنفونها حفا فیها) و جانبیها أی الیمین و الیسار (و ورائها و أمامها لا یتأخّرون عنها فیسلموها و لا یتقدّمون علیها فیفردوها) بل یلازمونها أشدّ الملازمه و یراقبونها کمال المراقبه و یحاربون حولها و یضربون خلفها و أمامها.

ثمّ قال (أجزء امرء قرنه و آسا أخاه بنفسه و لم یکل قرنه إلی أخیه فیجتمع علیه قرنه و قرن أخیه) و هو أمر لهم بالمواساه یقول: لیجزی و لیکفی کلّ امرء منکم قرنه و کفوه و لیواس أخاه بنفسه، و لم یدع قرنه ینضمّ إلی قرن أخیه فیصیرا معا فی مقاومه الأخ المذکور، فانّ ذلک قبیح کاسب للّائمه، ناش عن دنائه الهمّه، إذ اولو العزم و ذوو الهمم العالیه لا یرضی أحد منهم بأن یقاتل أخوه اثنین و هو ممسک یده قد خلّی قرنه إلی أخیه هاربا منه أو قائما ینظر إلیه ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال (و أیم اللّه لئن فررتم من سیف العاجله) لحبّ البقاء و الحیاه(لا تسلموا من سیف الآخره)أی من عذاب اللّه و عقابه سبحانه علی فرارکم و تخاذلکم، و تسمیته العذاب بالسیف إما مبنیّ علی الاستعاره أو علی المشاکله (و أنتم لهامیم العرب) أی ساداتها و أجوادها(و السنام الأعظم)أراد شرفهم و علوّ نسبهم علی سبیل الاستعاره أو التشبیه البلیغ لأنّ السنام أعلی أعضاء البعیر و أرفعها (إنّ فی الفرار) من الجهاد (موجده اللّه) سبحانه و غضبه یوم الحساب (و الذلّ اللّازم و العار الباقی) فی الأعقاب (و انّ الفارّ لغیر مزید فی عمره و لا محجوز بینه و بین یومه) یعنی انّ

الفرار لا يزيـد فى عمر الفارّ و لا يحجز بينه و بين اليوم الـذى قـدّر فيه موته كما قال تعالى فى حقّ المنافقين المعتلّين فى الرّجوع يوم الأحزاب بأن بيوتهم عوره:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً ».

يعنى قـل للّـذين اسـتأذنوك فى الرّجوع و اعتلّوا بـأنّ بيوتهم يخـاف عليها: لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل، إن كان حضـر آجالكم فانه لا بـدّ من واحـد منهما و لا ينفعكم الهرب و الفرار، و إن لم يحضـر آجالكم و سـلمتم من الموت أو القتل فى هذه الوقعه لم تمتّعوا فى الدّنيا إلاّ أياما قلائل.

ثمّ أكّـد الحثّ عليهم بـالترغيب و التشويق فقـال (من) هو (رائـح إلى اللّه) و ذاهب إلى رضوان اللّه سبحانه (كالظمآن) العطشان (يرد المـاء) و يروى غلته (الجنّه تحت أطراف العوالى) و أسـنّه الرّمـاح و تحت ظلال السـيوف (اليـوم تبلى الأخبـار) أى أخبـار الحرب من الثبـات و الفرار و يمتحن السـرائر و الضـمائر من الايمان و النفاق و الشـجاعه و الجبن و غيرها، أو يمتحن الأخيار من الأشرار (و اللّه لأنا أشوق) و أرغب (إلى لقائهم) أى الأعداء (منهم إلى ديارهم) ثمّ دعا عليهم بقوله:

(أللّهـم فـان ردّوا الحقّ) و أرادوا إبطـاله (فافضــض جمـاعتهم و شـتّت كلمتهـم) أى بـدّل اجتمـاعهم بالافتراق و اتّفـاق قـولهم بالاختلاف و النفـاق الموجب للهزيمه (و أبسـلهم بخطاياهم) أى اهلكهم و أسـلمهم إلى الهلاك و لا تنصـرهم بما اكتسـبوا من الاثم و الخطاء كما قال سبحانه:

«وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياهُ الـدُّنْيا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِما كَسَبُوا »

ص:۱۶۳

«لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ » ثمّ أشار إلى جدّ الخصم فى الجهاد تهييجا لأصحابه على المقاومه و الثبات فقال عليه السّلام (انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك) متدارك متتابع يتلو بعضه بعضا (يخرج منه النسيم) و الريح اللينه لسعته كما قال الشاعر:

طعنت ابن عبد القيس طعنه ثائر لها نفد لو لا الشعاع أضاها

ملكت بها كفّى فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يعنى أنّ هذه الطعنه لاتّساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ما وراها، و انه لو لا شعاع الدّم لبان منها الضوء (و ضرب يفلق الهام) و يشقق الرءوس (و يطيح العظام و يندر السواعد و الأقدام) أى يسقطها من مواضعها و محالها (و حتّى يرموا بالمناسر) و الجيوش (تتبعها المناسر) الاخر (و يرجموا) أى يغزوا (بالكتائب) و طوائف الجيوش (تقفوها) و تتبعها (الجلائب) و الطوائف الاخرى المجتمعه من كلّ صقع و ناحيه لنصرها و المحاماه عنها (و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه) و يعقّبه (الخميس) الآخر (و حتّى تدعق الخيول) و تدقّ بحوافرها (فى نواحر أرضهم) أى متقابلاتها أو أواخرها (و بأعنان مساربهم و مسارحهم) أى أطراف مراعيهم و نواحيها

تكمله

هذا الكلام رواه المحدّث العلامه المجلسى (ره) بطرق متعدّده و اختلاف كثير أحببت أن أورد ما رواه طلبا لمزيد الفائده فأقول:

روى (قده) فى البحار من الكافى فى حديث مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس بصفّين فقال: انّ اللّه عزّ و جلّ قد دلّكم على تجاره تنجيكم من عذاب أليم، و تشفى بكم على الخير، الايمان باللّه و الجهاد فى سبيل اللّه و جعل ثوابه مغفره للذنب و مساكن طيبه فى جنّات عدن و قال جلّ و عزّ «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ » فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، فقدّموا الدارع و أخّروا الحاسر، و عضّوا

على النواجذ، فانه أبنا للسيوف عن الهام، و التووا على أطراف الرماح فانّه امور للأسنّه، و غضّوا الأبصار فانّه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتو الأصوات فانه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و لا تميلوا براياتكم و لا تزيلوها، و لا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم، فانّ المانع للذّمار و الصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ، و لا تمثلوا بقتيل، و إذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سرّا «سترا ظ» و لا تدخلوا دارا، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلاّ ما وجدتم فى عسكرهم، و لا تهيجوا امرأه بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن امرائكم و صلحائكم، فانهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و قد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشركات و ان كان الرّجل ليتناول المرأه فيعيّر بها و عقبه من بعده و اعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتكم و يكتنفونها، و يصيرون حفافيها و ورائها و أمامها، و لا يضيعونها و لا يتأخّرون عنها فيسلموها و لا يتقدّمون عليها فيفردوها رحم اللّه امرأ واسا أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللاّئمه، و يأتى بدنائه، و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل الاثنين، و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا ينظر إليه و هذا فمن يفعله يمقته اللّه فلا تعرّضوا لمقت اللّه عزّ و جلّ فانما ممرّكم إلى اللّه و قد قال اللّه عزّ و جلّ:

«لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً » و أيم اللّه لئن فررتم من سيوف العاجله لا تسلمون من سيوف الآجله، فاستعينوا بالصبر و الصّدق فانما ينزل النصر بعد الصّبر فجاهدوا فى اللّه حقّ جهاده و لا قوّه إلاّ باللّه.

و فى كلام له آخر

و إذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلونكم، فاذا بدءوا بكم فانهدوا إليهم و عليكم السكينه و الوقار، و عضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسيوف

ص:١۶۵

عن الهـام، و غضّوا الأبصـار، و مـدّوا جبـاه الخيول و وجوه الرّجـال، و أقلّوا الكلام فـانه أطرد للفشـل، و أذهب بالوهل، و وطنوا أنفسـكم على المبارزه و المنازله و المجادله، و اثبتوا، و اذكروا اللّه عزّ و جلّ كثيرا فانّ المانع للـذمّار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الـذين يحفّون براياتهم و يضـربون حافتيها و أمامها، و إذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحـد، و عليكم بالتحامى فانّ الحرب سجال لا يشـدّون عليكم كرّه بعد فرّه، و لا حمله بعد جوله، و من ألقى اليكم السّـلام فاقبلوا منه و اسـتعينوا بالصّبر فانّ بعد الصّبر النّصر من اللّه عزّ و جلّ.

«إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ».

و فى البحار من الارشاد قال من كلامه عليه السّلام أيضا فى هذا المعنى أى فى تحضيضه على القتال يوم صفّين:

معشر النّاس إنّ اللّه قد دلّكم على تجاره تنجيكم من عذاب اليم، و تشفى بكم على الخير العظيم: الايمان باللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الجهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفره الـذّنوب و مساكن طيّبه فى جنات عـدن ثمّ أخبركم أنه «يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ » فقدّموا الدّارع و أخّروا الحاسر و عضّوا على الأضراس فانّه أنبأ للسيوف عن الهام و التووا فى أطراف الرماح فـانه أمور للأسنّه، و غضّوا الأبصـار فانه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلّوها و لا تجعلوها إلاّ فى أيدى شجعانكم، فانّ المانعين للذّمار الصّابرين على نزول الحقـائق أهـل الحفاظ الـذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها، رحم اللّه امرء منكم آسـى أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمه، و يأتى به دنائه و لا تعرّضوا لمقت اللّه، و لا تفرّوا من الموت فانّ اللّه تعالى يقول:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلًا » و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآجله، فاستعينوا بالصبر و الصّلاه و الصّدق فى النّيه فانّ اللّه تعالى بعد الصبّر ينزل النصر، هذا و قد مرّ أكثر الفقرات الأخيره من هذا الكلام الذى نحن بصدد شرحه فى روايه نصر بن مزاحم عن الشّعبى فى شرح الخطبه الخامسه و الثّلاثين عند ذكر كيفيه التحكيم فليراجع ثمه.

بيان ما لعله يحتاج إلى التفسير من ألفاظ الروايتين فأقول قال الجوهرىّ «رصّصت» الشىء رصّا ألصقت بعضه ببعض و منه بنيان مرصوص و «الحفاظ» بالكسر الذّب عن المحارم و «حفافيها» متعلّق بقوله: يكتنفونها أو بقوله: يصيرون أيضا على سبيل التنازع، قال فى البحار و فى بعض النسخ ورائها بدون العطف فهما الامام و الوراء و «نهد» الرّجل نهض و العدوّه صمد لهم.

و قوله عليه السّلام «و مدّوا جباه الخيول و وجوه الرّجال» قال فى البحار لعلّ المراد بهما تسويه الصّفوف و اقامتها راكبين و راجلين، أو كنايه عن تحريكها و توجيهها إلى جانب العدوّ و «الوهل» الضعف و الفزع، و قوله «فانّ الحرب سجال» أى مرّه لنا و مرّه علينا، و أصله إنّ المستقين بالسجل يكون لكلّ واحد منهم سجلّ، و السجل الدلو الكبير و «السّلام» الاستسلام، و قد مرّ تفسير ساير ما يحتاج إلى التفسير فى شرح المتن

تذكره

قد قدّمنا فى شرح الكلام الخامس و السّتين شطرا من وقايع صفّين، و أوردنا تمام وقايعها فى شرحه و شرح ساير الخطب المتقدّمه عليه حسبما مرّت الاشاره اليها هنالك، من أراد الاطلاع عليها فليراجع ثمّه

ص:١٦٧

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن جنابست در تحریص و ترغیب أصحاب خود بر مقاتله و محاربه معاویه و أصحاب او که فرموده:

پس مقدم دارید زره پوش را، و مؤخّر نمائید عاری از زره را، و بگزید بر دندانها یعنی دندانها را بالای همدیگر محکم بگذارید، پس بدرستی که استحکامی دندانها باز گرداننده تر است شمشیرها را از فرق، و پیچیده شوید در أطراف نیزها پس بتحقیق که آن پیچیدگی حرکت دهنده تر است نیزها را از نفوذ آنها، و فرو خوابانید دیده ها را پس بدرستی که آن موجب زیادتی ثبات دل بی آرام است و شدّت سکون قلبها است، و ترک کنید بلندی آوازها را پس بدرستی که آن راننده تر است جبن را.

و علم خودتان را پس میل ندهید آنرا و خالی نگذارید آنرا و مگردانید آنرا مگر بر دست شجاعان خودتان، و مگر بر دست کسانی که باز دارندگانند بی غیرتی را از شما در روز هیجا، پس بدرستی کسانی که صبر نماینده اند بر نزول حقیقه کارهائی که حقیق است بحمایت ایشان اشخاصی هستند که احاطه میکنند بعلمهای خود، و دور آنها را می گیرند از دو جانب چپ و راست آنها و از پس آنها و پیش آنها یعنی محافظت میکنند علمها را از چهار طرف و پس نمی افتند از آن علمها تا تسلیم کنند آنها را بر أعداء، و پیش نمی روند از آنها تا این که تنها گذارند آنها را باید که کفایت کند مرد کفو خودش را در کار زار، و مواساه کند با برادر خودش بنفس خود، و واگذار ننماید قرین و کفو خود را ببرادر خود تا مجتمع شود بر او قرین او و قرین برادر او، و بخدا سوگند اگر بگریزید شما از شمشیر دنیا سلامت نمانید از شمشیر آخرت و حال آنکه شما أشراف عرب هستید و کوهانهائی بزرگتر أرباب أدب می باشید، بدرستی که در گریختن از جنگ غضب پروردگار است، و ذلّت و خواری همیشگی است و عار و سرکوبی باقی است، و بدرستی که فرار کنندهٔ از جنگ زیاده کننده نیست در عمر خود، و باز داشته شده نیست میان خود و میان روز موعود خود

ص:۱۶۸

کسی که رونـده است بسوی آفریدگار مثل تشـنه ایست که وارد شود بر آب بهشت عنبر سـرشت، در زیر أطراف نیزهای بلند مقدار است، امروز آشکار می شود خبرها.

بار پروردگارا اگر رد کنند این قوم بد بنیاد حق را پس پراکنده نما جماعت ایشان را، و متفرّق گردان سخنان باطل ایشان را، و هلاك بگردان ایشان را بگناهان خودشان، ایشان هرگز زایل نمی شوند از موقفهای خودشان بی زدن نیزه پی در پی که خارج بشود از او بجهت گشادی او نسیم، و بی ضـربتی که بشکافد کاسهٔ سر را و بیندازد استخوانها را و بیفکند بازوها و قدمها را، و تا آنکه انـداخته شونـد بلشـکرهائی که مقدمـهٔ لشـکر دیگر باشـند که تابع شود بایشان مقـدّمه الجیش دیگر، و سـنگسار شوند بلشـکرهای گران که تبعیت نماید بایشان لشـکران جمع شده از هر طرف تا آنکه کشـیده شود بشـهرهای ایشان سـپاهی که در عقب آن باشد سـپاهی دیگر، و تا آنکه بکوبند اسبان بسمهای خود در اواخر بلاد ایشان و بنواحی مراعی و چراگاههای ایشان، یعنی اگر جد و کوشش نشود در جهاد ایشان دست از طغیان خود بر نخواهند داشت

و من كلام له عليه السّلام فى التحكيم و هو المأه و الخامس

اشاره

و العشرون من المختار فی باب الخطب.

و رواه الطبرسـی فی الاحتجاج الی قوله لاول البغی نحوه قال علیه السّلام إنّا لم نحکّم الرّجال و إنّما حکّمنا القرآن و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسـطور بین الدّفتین، لا ینطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان، و إنّما ینطق عنه الرّجال، و لمّا دعانا القوم إلی أن نحکّم بیننا القرآن لم نکن الفریق المتولّی عن کتاب اللّه تعالی، و قد قال سبحانه فإن:

ص:۱۶۹

تنازعتم فى شىء فردّوه إلى اللّه و الرّسول، فردّه إلى اللّه أن نحكم بكتابه، و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته، فاذا حكم بالصّدق فى كتاب اللّه فنحن أحقّ النّاس به، و إن حكم بسنّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنحن أولاهم به، و أمّا قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التّحكيم فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل، و يتثبّت العالم و لعلّ اللّه أن يصلح فى هذه الهدنه أمر هذه الأمّه، و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيّن الحقّ، و تنقاد لأوّل الغىّ، إنّ أفضل النّاس عند اللّه من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و كرثه من الباطل و إن جرّ إليه فائده و زاده فأين يتاه بكم و من أين أتيتم، إستعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، و موزّعين بالجور و لا يعدلون به، جفاه عن الكتاب نكّب عن الطّريق، ما أنتم بوثيقه يعلق بها، و لا زوافر عزّ يعتصم إليها، لبئس حشّاش نار الحرب أنتم، أفّ لكم لقد لقيت منكم برحا يوما أناديكم و يوما أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النّداء، و لا إخوان ثقه عند النّجاء.

اللغه

(دفّتا) المصحف جانباه المكتنفان به و (الترجمان) و زان زعفران و عنفوان و ريهقان مفسّر اللّسان باللّسان الآخر، و التاء أصليه و الألف و النّون زائدتان و الفعل ترجم و (التبيّن) يستعمل لازما و متعدّيا و (التثبّت) التأنّى فى الامور و (الهدنه)

ص:۱۷۰

بالضمّ المصالحه و الدّعه و السكون و (الأكظام) جمع كظم كأسباب و سبب و مخرج النفس من الحلق و (كرثه) الغمّ من باب نصر و ضرب و أكرثه اشتدّ عليه و بلغ منه المشقه.

و (تاه) يتيه تيها تحيّر و ضلّ أو تكبر و (اتيتم) بالبناء على المفعول و (أوزعته) بكذا ألهمته و قال الجوهرىّ أوزعته بالشىء أغريته به و (جفات) جمع جاف من جفا السرج عن ظهر الفرس نبا و ارتفع و (نكب) عن الطريق ينكب نكوبا من باب قعد عدل و (زافره) الرّجل خواصّه و أنصاره و (الحشاش) بضمّ الحاء و تشديد الشين جمع حاش و هو الموقد للنار و يروى حشاش بالكسر و التخفيف و هو ما يحشّ به النار أى يوقد و (البرح) الشدّه و فى بعض النسخ بالتاء و هو الحزن و (النجاء) المناجاه مصدر ناجيته نجاء مثل صارعته صراعا و ضاربته ضرابا

الاعراب

قوله: بين الدّفتين، ظرف لغو متعلّق بقوله مسطور أو مستقرّ صفه لخطّ أو حال ضمير مسطور، و مثله فى احتمال الوصفيه و الحاليه جمله لا ـ ينطق آه، و لعلّ اللّه أن يصلح آه لعلّ حرف موضوع للتوقّع و هو الترجّى للمحبوب و الاشفاق من المكروه و تنصب الاسم و ترفع الخبر مثل ساير الحروف المشبّهه بالفعل و يقترن خبرها كثيرا بأن كما فى هذا المقام و فى قوله:

لعلّك يوما أن تلمّ ملمّه عليك من اللاّء يدعنك أجدعا(١)

حملا ـ لها على عسى لاشتراكهما فى الدلاله على الترّجى على سبيل الانشاء فان قلت: أن تجعل مدخولها فى تأويل المصدر و عليه فكيف يصحّ الحمل فى قوله: لعلّ اللّه أن يصلح و قولك لعلّ زيدا أن يقوم إذ الحدث لا يكون خبرا عن الجثه.

قلت: هذا اشكال تعرّض له علماء الأدبيّه فى باب عسى و تفصّوا عنه بوجوه

١- (١) الاجدع بالجيم و الدال المهمله مقطوع الانف أى لعلك ان تنزل عليك نازله من نوازل الدهر من اللاّء يتركنك بهذا الصفه من الجدع، منه

احدها أن يقدر هنا مضاف إمّا فى الاسم أو فى الخبر، فمعنى عسى زيد أن يقوم عسى حال زيد أن يقوم أو عسى زيد صاحب أن يقوم، و نوقش فيه بأنه تكلّف إذ لم يظهر هذا المضاف إلى اللّفظ أبدا لا فى الاسم و لا فى الخبر و ثانيها أنّ أن زائده، و ردّ بأنّ الزائد لا يلزم إلّا مع بعض الكلم و لزومه مطردا فى موضع معيّن مع أيّ كلمه كانت بعيد و ثالثها ما قاله الكوفيّون و هو أنّ أن مع الفعل فى محلّ الرّفع بدلا مما قبله بدل اشتمال كقوله تعالى:

«لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ » إلى قوله:

«أَنْ تَبَرُّوهُمْ ».

أى لا ينهيكم اللّه عن أن تبرّوهم قال نجم الأئمه: و الذى أرى أنّ هذا وجه قريب فيكون فى نحو يا زيدون عسى أن يقوموا قد جاء بما كان بدلا من الفاعل مكان الفاعل و المعنى أيضا يساعد على ما ذهبوا إليه، لأنّ عسى بمعنى يتوقّع، فمعنى عسى زيد أن يقوم أى يتوقّع و يرجا قيامه و إنما غلب فيه بدل الاشتمال لأنّ فيه اجمالا ثمّ تفصيلا و فى إبهام الشىء ثمّ تفسيره وقع عظيم لذلك الشى فىء النفس و قوله و لا يؤخذ باكظامها عطف على قوله يتبيّن، و قوله: حيارى و جفاه و نكب بالجرّ صفه لقوم، و قوله ما أنتم بوثيقه بالجرّ على حذف المضاف أو الموصوف أى بذوى وثيقه أو بعروه وثيقه، و الباء فى قوله و لا يعدلون به إما بمعنى عن كما ذهب إليه الكوفيّون فى قوله تعالى: فاسئل به خبيرا، أى عنه و يؤيّده ما فى بعض النسخ بدل به عنه أوصله بمعناها الأصلى.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام فى مقام الاحتجاج على الخوارج حيث أنكروا عليه التحكيم، و قد مضى فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين كيفيه التحكيم و بدء خروج الخوارج، و فى شرح الخطبه السادسه و الثلاثين احتجاجاته عليه السّلام معهم من كتابى المناقب لابن شهر آشوب و كشف الغمه لعليّ بن عيسى الإربلى، و نقول هنا

قد روى الطبرسى فى الاحتجاج احتجاجه معهم نحو ما قدّمناه من المناقب و لا بأس بايراده هنا لاختلاف الروايتين و توضيحا للمقام و تأكيدا لما تقدّم فأقول: قال (ره): و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أرسل عبد اللّه بن العباس إلى الخوارج و كان بمرئى منهم و مسمع قالوا له فى الجواب: إنّا نقمنا يابن عباس على صاحبك خصالا كلّها مكفره موبقه تدعوا إلى النار أمّا أولها فانّه محا اسمه من امره المؤمنين ثمّ كتب ذلك بينه و بين معاويه فاذا لم يكن أمير المؤمنين و نحن المؤمنون فلسنا نرضى بأن يكون أميرنا و أمّا الثانيه فانه شكّ فى نفسه حيث قال للحكمين انظرا فان كان معاويه أحقّ بها فاثبتاه و إن كنت أولى بها فاثبتانى فاذا هو شكّ فى نفسه و لم يدر أهو حقّ أم معاويه فنحن فيه أشدّ شكا و الثالثه أنه جعل الحكم إلى غيره و قد كان عندنا أحكم الناس و الرابعه أنه حكم الرّجال فى دين اللّه و لم يكن ذلك إليه.

و الخامسه أنه قسم بيننا الكراع و السّلاح يوم البصره و منعنا النساء و الذريّه.

و السادسه أنه كان وصيّا فضيّع الوصيّه قال ابن عبّاس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقاله القوم و أنت أحقّ بجوابهم، فقال عليه السّلام: نعم، ثمّ قال: يابن عبّاس قل لهم ألستم ترضون بحكم اللّه و حكم رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قالوا: نعم، قال: ابدء بما بدءتم به فى بدء الأمر ثمّ قال عليه السّلام:

كنت أكتب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الوحى و القضايا و الشروط و الأمان يوم صالح أبا سفيان و سهيل بن عمرو فكتبت: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبا سفيان بن صخر بن حرب و سهيل بن عمرو فقال سهيل إنا لا نعرف الرّحمن الرّحيم، و لا نقرّ أنّك رسول اللّه، و لكن نحسب ذلك شرفا لك أن تقدّم اسمك قبل أسمائنا و ان كنا أسنّ منك و أبى أسنّ من أبيك، فأمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال اكتب مكان بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: باسمك اللهمّ، فمحوت ذلك و كتبت باسمك اللهمّ و محوت رسول اللّه و كتبت محمّد بن عبد اللّه، فقال لى: إنك تدعى إلى

مثلها فتجیب و أنت مکره و هکذا کتبت بینی و بین معاویه و عمرو بن العاص: هذا ما اصطلح علیه أمیر المؤمنین و معاویه و عمرو بن العاص فقالا: لقد ظلمناک إن أقررنا أنک أمیر المؤمنین و قاتلناک، و لکن اکتب علیّ بن أبی طالب، فمحوت کما محی رسول اللّه، فان أبیتم ذلک فقد جحدتم، فقالوا: هذه لک خرجت منها قال:

و أمّا قولکم انی شککت فی نفسی حیث قلت للحکمین انظرا فان کان معاویه أحق بها منّی فأثبتاه، فانّ ذلک لم یکن شکا منّی، و لکنی أنصفت فی القول قال اللّه تعالی:

«وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ » و لم یکن ذلک شکا و قد علم اللّه أنّ نبیّه علی الحقّ قالوا: و هذه لک قال علیه السّلام:

و أمّا قولکم إنی جعلت الحکم إلی غیری و قد کنت عندکم أحکم النّاس، فهذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد جعل الحکم إلی سعد یوم بنی قریظه و قد کان من أحکم الناس فقد قال اللّه تعالی:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » فتأسّیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قالوا: و هذه لک بحجّتنا قال:

و أمّا قولکم إنّی حکمت فی دین اللّه الرّجال، فما حکمت الرّجال و إنما حکمت کلام الربّ الذی جعله اللّه حکما بین أهله، و قد حکم اللّه الرّجال فی طائر فقال:

«وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ».

فدماء المسلمین أعظم من دم طائر قالوا، و هذه لک بحجّتنا قال:

و أمّا قولکم إنّی قسمت یوم البصره لما اظفر اللّه بأصحاب الجمل الکراع و السلاح و منعتکم النساء و الذریّه فانی مننت علی أهل البصره کما منّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

على أهل مكّه و ان كان عدوّا علينا أخذناهم بذنوبهم و لم نأخذ صغيرا بكبير، و بعد فايّكم كان يأخذ عايشه فى سهمه؟ قالوا: و هذه لك بحجّتنا قال:

و أمّا قولكم إنى كنت وصيّا و ضيّعت الوصيّه فأنتم كفرتم و قدمتم علىّ و أزلتم الأمر عنّى، و ليس على الأوصياء الدّعا إلى أنفسهم إنما يبعث الأنبياء عليهم السّلام فيدعون إلى أنفسهم، و أمّا الوصىّ فمدلول عليه مستغن عن الدّعاء إلى نفسه و ذلك لمن آمن باللّه و رسوله و لقد قال اللّه تعالى:

«وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» فلو ترك الناس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه و لكن كانوا يكفرون بتركهم لأنّ اللّه قد نصبه لهم علما و كذلك نصبنى علما حيث قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا على أنت منّى بمنزله هارون من موسى، أنت منّى بمنزله الكعبه تؤتى و لا تأتى، فقالوا هذه لك بحجّتنا فادعونا، فرجع بعضهم و بقى منهم أربعه آلاف لم يرجعوا ممّن كانوا قعدوا عنه، فقاتلهم و قتلهم إذا عرفت ذلك فأقول: إنّه قد ظهر لك من هذه الرّوايه و من روايه، المناقب المتقدّمه أنّ من جمله ما نقم الخوارج عليه عليه السّلام تحكيمه للرّجال، و من جملته أنه عليه السّلام ضرب للتحكيم أجلا معيّنا، فساق هذا الكلام دفعا لشبهتهم و قال فى ردّ الأوّل و دفعه: إنّ دعويكم علىّ بتحكيم الرجال غير صحيحه ل (أنا لم نحكّم الرجال و انما حكّمنا القرآن و هذا القرآن انما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان و لا بدّ له من مفسّر و ترجمان و إنما ينطق عنه) و يترجمه (الرجال و لما دعانا القوم) أى أهل الشام (إلى أن نحكّم بيننا القرآن) حسبما مرّ تفصيله فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين (لم نكن الفريق المتولى عن كتاب اللّه سبحانه و قد) ذمّ اللّه أقواما على ذلك حيث قال: و إذا دعوا إلى كتاب اللّه ليحكم بينهم تولّوا إلاّ قليلا منهم و هم معرضون بل لا بدّ لنا من التسليم و الاجابه امتثالا لأمره تعالى حيث (قال عزّ من قائل فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى اللّه و الرّسول)

و لما كان الردّ إلى اللّه و الرّسول مجملا محتاجا إلى التفسير و البيان فسّره بقوله (فردّه إلى اللّه) سبحانه (أن نحكم بكتابه) العزيز (و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته) القويمه (فاذا حكم بالصدق فى كتاب اللّه) أى بقول مطابق للواقع لا بتفسيره عن رأى و اعتقاد فاسد (فنحن أحقّ الناس به) أى باللّه أو بكتاب اللّه أو بالحكم الصّدق المستنبط من الكتاب و لوجب بمقتضاه الحكم بخلافتنا و وجوب المتابعه لنا لأنّ اللّه سبحانه قد قال فيه:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » و قال: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

(و إن حكم بسنّه رسول اللّه) بالحقّ لا بتأويله عن هوى النفس (فنحن أولاهم بها) أى بالسنّه و فى بعض النسخ به أى بالحكم الحقّ المستفاد من السنّه أو أولاهم بالرّسول لقوله فيه أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى، و غيره مما قال فيه من الأخبار الداله على أولويته عليه السّلام حسبما قدّمناها فى شرح الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه و غيرها أيضا و محصّل جوابه عليه السّلام انه لما نقموا عليه بتحكيم الرّجال أجاب لهم بأنّ القوم لما رفعوا المصاحف على الرّماح و دعونا إلى كتاب اللّه سبحانه و العمل بحكمه لم يسعنا التّولّى و الاعراض و إن كان دعوتهم فى الظاهر ايمانا و فى الباطن كفرا و عدوانا، فأجبنا إليهم دعوتهم و رضينا بالتحكيم بالقرآن، و حيث إنّ القرآن خطّ مسطور محتاج إلى المفسّر و المترجم قرّرنا الرجلين لمسيس الحاجه إلى التفسير و الترجمه، فالحكم فى الواقع و الحقيقه هو القرآن لا الرّجلان، و انما وجودهما توصّلا إلى التفسير و البيان و حاجه إلى المفسر و التّرجمان، مع انه قد مرّ غير مرّه أنّ رضاه عليه السّلام بالتحكيم كان إجبارا و اضطرارا، لا رغبه و اختيارا، هذا

و لما كان هناك مظنّه أن يقال إنّك بعد ما رضيت بالحكمين و لو من باب الحاجه إلى الترجمه فهلّا انفذت قولهما و لم لم ترض بحكمهما؟ فأجاب عليه السّلام عنه بأنّ الواجب علينا اتّباعهما لو كانا يحكمان فى السنّه و الكتاب بالصدق و الصّواب و لو حكما بالحقّ لكنّا به أحقّ، لكنهما حكما بالهوى و الخطاء فلا يجب علينا الرضاء و الاتباع و لا التنفيذ و الامضاء، هذا.

و العجب من الشّارح المعتزلى حيث ذكر فى هذا المقام سؤالا و جوابا ملخّصه أنه إذا كان البناء على تفسير الرجلين و ترجمتهما و حكمهما فى واقعه أهل العراق و أهل الشام بما فى القرآن دلاله عليه فمن الجائز اختلافهما فى تفسيره و تأويله و استدلال كلّ منهما بدليل يوافق غرضه أو تفسير كلّ منهما لآيه واحده على ما يطابق رأيه، إذ ليس فيه نصّ صريح يحسم مادّه النزاع و يرفع الخلاف من البين.

و أجاب بأنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب حقّ التّأمّل لوجد فيه النّص الصريح على خلافه أمير المؤمنين، لأنّ فيه النصّ الصّريح على أنّ الاجماع حجّه و معاويه لم يكن مخالفا فى هذه المقدّمه و لا أهل الشام، و إذا كان الاجماع حجّه فقد وقع الاجماع لما توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أنّ اختيار خمسه من صلحاء المسلمين لواحد منهم و بيعته يوجب لزوم طاعته و صحّه خلافته، و قد بايع أمير المؤمنين خمسه من صلحاء الصحابه بل خمسون، فوجب أن تصحّ خلافته، و إذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، فقد ثبت أنّ الكتاب لو تؤمّل حق التأمّل لكان الحقّ مع أهل العراق و لم يكن لأهل الشام ما يقدح فى استنباطهم المذكور، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: أما قوله إنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب لوجدا فيه النّص الصريح على خلافه أمير المؤمنين، فهو حقّ لا ريب فيه، لأنّ الآيات الدالّه على خلافته عليه السّلام كثيره لا تحصى، و قد مضى جمله منها فى مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه و أشرنا إلى بعضها هنا أيضا.

و أما قوله لأنّ فيه النّص الصّريح على حجيّه الاجماع، فلا يخفى ما فيه من الخبط و الخطاء، لانّه مع وجود النّص من القرآن على أصل الخلافه لا داعى

إلی إقامته النّص علی حجّیه الاجماع ثمّ الاستدلال به علی خلافته، و إنما هو أشبه شیء بالأكل من القفاء و لعلّ الشارح إنما التزم به لأجل حمایه الحمی و ذابّا عن الخلفاء، لأنّه لو التزم بوجود النّص علی أصل الخلافه لم یجد بدّا من الالتزام ببطلان خلافه المتخلّفین كالالتزام ببطلان خلافه معاویه، و فی ذلک ابطال ما اختاره من المذهب و الدّین.

و بعد الغضّ عن ذلک أقول: أیّ نصّ صریح فی القرآن علی حجّیه الاجماع فانّ الآیات التی استدلّ بها الجمهور علیها من قوله سبحانه:

«وَ مَنْ یُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی وَ یَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّی وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ » و قوله: «وَ كَذلِکَ جَعَلْناكُمْ أُمَّهً وَسَطاً » و قوله: «كُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » و قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ ».

و غیر ذلک مما استدلوا بها علیها جلّها بل كلّها غیر خال عن المناقشه و الفساد كما نبّه علیه الفحول فی كتب الاصول، فانظر إلی كتابی التّهذیب و النّهایه للعلامه الحلّی طاب ثراه تجد صدق ما قلناه و بعد التنزل و التسلیم أقول: غایه الأمر أنّ هذه الأدلّه من قبیل الظّواهر لا ـ من قبیل النصوص، ثمّ لا أدری ما ذا یرید بقوله: فقد وقع الاجماع لما توفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی قوله: و صحّه خلافته، و أی شیء كان غرضه من اقحامه فی البین مع عدم ربطه بالدعوی و عدم الحاجه إلیه فی اثبات المدّعی، لأنّه إذا دلّ الدلیل من القرآن علی حجّیه الاجماع، و قام الاجماع علی خلافه أمیر المؤمنین فتثبت خلافته

ص:۱۷۸

من غير حاجه إلى مقدّمه اخرى اللّهم إلاّ أن يقال بأنّ غايه ما دلّ عليه القرآن هو حجّيه الاجماع و أما أنّ المعتبر فى حصول الاجماع على البيعه هل هو اتفاق الكلّ أو يكفى اتفاق البعض و على الثانى فأقلّ ما يحصل به هل هو اتفاق سبعه أو خمسه أو ثلاثه أم يكفى الاثنان كما ذهب إلى كلّ منها قوم، فهذا شىء لا دلاله فى القرآن عليه فاحتيج فى تعيين القدر المعتبر فى حصوله إلى دليل آخر فذكر هذه المقدّمه لاثبات أنّ المعتبر فيه هو اتفاق الخمسه لا الزائد، فعلى هذا فلا تكون تلك المقدّمه مستغنا عنها، اذ على فرض اعتبار اتفاق الكلّ فى حصوله لا ينهض هذا الدليل على اثبات المدّعى كما لا يخفى إلاّ انّه يتوجّه عليه أنه بعد اشتراط اعتبار الخمسه فى مقام الاختيار و البيعه لا بدّله من الالتزام ببطلان خلافه أبى بكر، لما قد مرّ فى المقصد الثانى من المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الشقشقيه من أنّ خلافته لم تنعقد إلاّ ببيعه عمر و أبى عبيده و سالم و لم يكن هنالك خمسه نفر، و قد مضى ثمّه حكايه كلام من صاحب المواقف و شارحه ينفعك ذكره فى هذا المقام و لو سلّمنا وجود خمسه أيضا حينئذ لما يجديه لاشتراطه فى الخمسه هنا أن يكونوا من صلحاء المسلمين، و من الواضح أنّ الصلحاء يومئذ قد كانوا من المنكرين لخلافته لا المبايعين و إنما بايعه طغاه(۱) طغام و عبيد كالأنعام و تخلّف عنه وجوه الصحابه فى بيت أمير المؤمنين ثمّ أخرجوا ملبّبين و بايعوا مكرهين كما عرفت ذلك كلّه فى مقدمات الخطبه الشقشقيّه و غيرها هذا كلّه على التنزّل و المماشاه، و إلاّ فقد قدّمنا فى مقدّمات الخطبه المذكوره من أنّ الامامه لا تكون إلاّ بالنصّ من اللّه و رسوله لاشتراط العصمه فيه التى لا يعرفها إلاّ اللّه و رسوله، و لا تنعقد ببيعه أجلاف العرب و لا أشرافها كما لا تبطل بعدم بيعتهم فافهم ذلك و اغتنم و بالهدى فاستقم، هذا

۱- (۱) الطغاه جمع الطاغى و الطغام بالطاء لمهمله و الغين المعجمه الاوغاد و السفله من الناس منه،

و قال علیه السّلام فی ردّ الثانی (و أما قولکم لم جعلت بینکم و بینهم أجلا فی التحکیم فانما فعلت ذلک لیتبیّن الجاهل) و یظهر له وجه الحقّ (و یتثبت العالم) و یطمئنّ قلبه (و لعلّ اللّه أن یصلح فی هذه الهدنه) و المصالحه (أمر هذه الامه) المفتونه (و) انما فعلته أیضا لئ (لا تؤخذ) الامه (بأکظامها) أی مجاری أنفاسها (فتعجل عن تبیّن الحقّ و تنقاد لأوّل الغیّ) و هو أوّل شبهه عرضت لهم من رفع المصاحف.

یعنی أنی لو أعجلت فی الأمر و ترکت ضرب الأجل بینی و بینهم و التنفیس عنهم لا لجأهم الارهاق و ضیق الخناق إلی البقاء علی الجهل و العمی و الانقیاد إلی الغیّ و الغوی و عدم ظهور وجه الحقّ و الهدی و هو مناف للغرض المطلوب للشارع و مخالف للمقصود (إنّ أفضل الناس عند اللّه) سبحانه (من) آثر الحقّ و (کان العمل بالحقّ أحبّ الیه و إن نقصه و کرثه) أی یوجب لنقصانه و یوقعه فی الشدّه و المشقه (من الباطل و إن جرّ الیه فائده و زاده)ثمّ قال (فأین یتاه بکم) و تذهبون فی التیه و الحیره (و من أین اتیتم) أی من أیّ وجه أتاکم الشیطان و استحوذ علیکم، أو من أیّ المداخل دخلت علیکم الشبهه و الحیله و الاستفهام علی التعجّب.

ثمّ حثّهم علی الجهاد و قال (استعدّوا للمسیر إلی قوم حیاری عن الحقّ) متحیّرین عنه (لا یبصرونه و موزعین) ملهمین (بالجور لا یعدلون به) أی عنه إلی غیره أو لا یجعلون له مثلا و عدیلا (جفاه عن الکتاب) بعیدون عنه (نکب عن الطریق) أی عادلون عن طریق الهدی إلی سمت الرّدی ثمّ وبّخهم علی التثاقل و التساهل فقال (ما أنتم) (ب) عروه (وثیقه یعلق) و یتمسک (بها) عند القتال (و لا زوافر عزّ یعتصم) و یلتجاء (الیها) عند براز الأبطال (لبئس حشاش نار الحرب أنتم افّ لکم لقد لقیت منکم ترحا) أی شدّه و أذی (یوما انادیکم) جهارا للحثّ علی الجهاد (و یوما اناجیکم) سرّا بتدبیر امور الحرب و الارشاد إلی الرشاد (فلا أحرار صدق عند النداء) حتّی تنصرون و تحمون (و لا اخوان ثقه عند النجاء) حتّی تکتمون السرّ و تحفظون

الترجمه

از جملۀ کلام بلاغت نظام آن امام عالیمقام است در خصوص تحکیم عمرو عاص و أبی موسی اشعری و رد کردن شبهۀ خوارج فرمود که بدرستی ما حکم نگردانیدیم مردمان را، بلکه حکم قرار دادیم ما قرآن را و این قرآن جز این نیست که خطی است نوشته شده میان دو جلد که نطق نمی کند بزبان، و ناچار است مر او را از ترجمان، و جز این نیست که گویا می شود از آن مردمان، و هنگامی که دعوت کرد ما را قوم معاویه ملعون به آن که حاکم گردانیدیم در میان خود قرآن را نشدیم گروهی که اعراض نماید از کتاب خدا و حال آنکه خدا فرموده در کتاب مجید: فان تنازعتم فی شیء فردّوه إلی اللّه و الرسول، یعنی پس اگر نزاع کردید در چیزی از امور دنیا و آخرت پس ردّ کنید آنرا بسوی خدا و رسول، پس ردّ کردن شیء متنازع فیه بسوی خدا آنست که حکم کنیم با کتاب خدا، و رد کردن آن بسوی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آنست که أخذ کنیم سنت و طریقۀ او را، پس اگر حکم کرده شود بصدق و راستی در کتاب خدا پس ما سزاوارترین مردمانیم بآن، و اگر حکم کرده شود بطریقۀ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم پس ما اولویّه داریم بآن.

و أما قول شما که چرا گردانیدی در میان خود و میان ایشان مدّتی معین در تحکیم، پس جز این نیست که کردم آنرا تا دانا شود جاهل، و تأمل نماید عالم و شاید که خداوند اصلاح نماید در این مدّت مصالحه أمر این امّت را، و بتنگی نیفتد و گرفته نشود مجاری نفس ایشان، پس شتابانیده شوند از دانستن حقّ، و گردن نهاده شوند مر اول گمراهی را، بدرستی أفضل مردمان در نزد خداوند تعالی کسی است که عمل کردن بحقّ محبوب تر باشد بسوی او و اگر چه نقصان برساند باو، و اندوهگین نماید او را از عمل کردن بباطل اگر چه جلب منفعت کند بسوی او.

پس از کجا بحیرت افتاده شدید و از کجا آمده شدید یعنی از کجا آمد شیطان

ص:۱۸۱

ملعون بسوی شما و مسلّط گردید بر شما مهیا شوید برای رفتن بسوی جهاد قومی که حیران و سرگردانند از راه حق که نمی بینند آن را، و الهام شدند بظلم و ستم که عدول نمی کنند از آن و دورانند از فهم مضامین کتاب، و اعراض کنندگانند از راه صواب.

نیستید شما صاحبان وثوق که تمسک بشود باو، و نه أعوان و أنصار عزّت که چنگ زده شود به آنها، هر آینه بد فروزندگان آتش حربید شما، دلتنگی باد شما را هر آینه ملاقات کردم از شما بشدّت و أذیّت، یک روزی صدا میکنم شما را از برای جنگ در راه خدا، و یک روز نجوی میکنم با شما از تدبیر امور أعداء، پس نیستید شما از مردانی که صفت آزادی و حمیّت در آنها هست در وقت نداء، و نه برادرانی که اعتماد می شود بر ایشان هنگام رازگوئی و نجوی.

و من کلام له علیه السّلام لما عوتب علی التسویه فی العطاء

اشاره

و تصییره الناس اسوه فی العطاء من غیر تفضیل اولی

السابقات و الشرف و هو المأه و السادس و العشرون

من المختار فی باب الخطب

و قد روی بطریق آخر علی اختلاف تطلع علیه أ تأمرونیّ أن أطلب النّصر بالجور فیمن ولّیت علیه، و اللّه ما أطور به ما سمر سمیر و ما أمّ نجم فی السّماء نجما، لو کان المال لی لسوّیت بینهم، فکیف و إنّما المال مال اللّه، ألا و إنّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و إسراف، و هو یرفع صاحبه فی الدّنیا، و یضعه فی الآخره، و یکرمه فی النّاس، و یهینه عند اللّه، و لم یضع امرؤ ماله فی غیر

حقّه و لا عند غير أهله إلاّ حرّمه اللّه شكرهم، و كان لغيره ودّهم، فإن زلّت به النّعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين، و ألئم خليل.

اللغه

(الأسوه) بالضمّ القدوه و تصيير النّاس اسوه التّسويه بينهم كأنّ كلاّ منهم قدوه صاحبه و (تأمرونّى) بالتّشديد أصله تأمروننى بنونين فاسكنت الاولى و ادغمت فى الثّانيه قال تعالى: أ فغير اللّه تأمرونّى أعبد أيّها الجاهلون و (وليت) الشىء و عليه وزان رضيت إذا ملكت أمره و فى بعض النسخ وليّت بالبناء على المفعول من باب التّفعيل أى ولاّنى اللّه عليه و (طار) حول الشىء يطور طورا إذا حام.

و (ما سمر سمير) قال فى القاموس: السّمر محرّكه اللّيل و حديثه، و ما أفعله ما سمر سمير، أى ما اختلف اللّيل و النّهار، قال الطّريحى سمر فلان إذا تحدّث ليلا، و الاسامره هم الّذين يتحدّثون ليلا، قال: و فى حديث علىّ عليه السّلام لا يكون ذلك ما سمر سمير أى ما اختلف اللّيل و النّهار، و المعنى لا يكون ذلك أبدا، و هو من كلام العرب يقولون: ما أفعله ما سمر السّمير قال الجوهرى: و ابنا سمير اللّيل و النّهار يسمر فيهما، تقول: ما أفعله ما سمر بنا سمير أى أبدا، و لا أفعله السّمر و القمر أى ما دام الناس يسمرون فى ليله القمر، و فى شرح المعتزلى السّمير الدّهر و ابناه اللّيل و النهار و (الخدين) الصّديق من خادنت الرّجال أى صادقته

الاعراب

الباء فى قوله بالجور للمقابله، و فى قوله زلّت به النّعل للتّعديه، و الباقى واضح.

المعنى

اعلم أنّ سنّه رسول اللّه قد كانت جاريه فى تقسيم بيت المال و الفىء و الصّدقات على العدل و التسويه من غير ترجيح و تفضيل لاولى الشّرف و السّابقات على غيرهم و لما ولى أبو بكر حذا حذوه، و لمّا ولىّ عمر ترک السنّه و بنى فى العطيه على

ص:۱۸۳

الترجیح و التفضیل حسب ما تطلع علیه بتفصیل، و لمّا ولیّ عثمان بلغ فی ذلک الغایه و أعطی الناس علی ما یراه و سلک فی الاعطاء الیهم بمقتضی هواه حسب ما عرفته فی شرح الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه.

فلمّا قام أمیر المؤمنین علیه السّلام بالأمر و قد کان النّاس اعتادوا التّفضیل و الترجیح أزمنه متطاوله و مدّه متمادیه و أرادوا التسویه فی العطیّه و العمل بسنّه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شقّ ذلک علی الناس و صعب علیهم تغییر العاده و کان ذلک سببا لنقض البیعه من زبیر و طلحه و آکد أسباب تقاعد الناس عنه علیه السّلام و لحوقهم بمعاویه حیث رأوا منه الصّنیعه حسب ما عرفته فی شرح الخطبه الرابعه و الثلاثین.

فعند ذلک مشی إلیه طائفه من أصحابه و سألوه تفضیل اولی السّابقات و الشرف فی العطاء أی تفضیل ذوی الخصال الحمیده من السّبق فی الاسلام و الهجره و شهود الحروب من البدر و الأحزاب و سائر الخطوب و ذوی المجد و الشرف و المتّصفین بعلوّ الحسب و النّسب.

فلمّا سألوه ذلک أجابهم علیه السّلام بقوله:(أ تأمرونّی أن أطلب النّصر بالجور)استفهام علی سبیل التقریع و التوبیخ: أی کیف تأمروننی أن أطلب النّصر منکم بالجور و الظلم (فی) حقّ (من ولّیت علیه) و ملکت أمره من المسلمین الذین لا سوابق لهم و لا شرف فی حسبهم و نسبهم بنقصهم فی العطاء عن غیرهم و بخسهم حقّهم کما فعله عمر و عثمان (و اللّه ما أطور به) و لا أحوم حومه (ما سمر سمیر) و اختلف اللّیل و النّهار (و ما أمّ) و قصد (نجم فی السّماء نجما) أی دائما لأنّ النجوم لا یزال یقصد بعضها بعضا بحرکتها.

(لو کان المال لی لسوّیت بینهم) تبعا لسیره الرّسول و سنّته و قضاء لحقّ المواساه (فکیف و إنما المال مال اللّه) و الفقراء عیال اللّه فلا ینبغی إزواء ماله عن عیاله و صرفه إلی غیره.

ثمّ نبّه علیه السّلام علی مفاسد صرف المال فی غیر أهله بقوله (ألا و إنّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و إسراف) و قد نهی اللّه عنه و قال:

«إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ » و قال: «وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ».

(و هو يرفع صاحبه فى الدّنيا و يضعه فى الآخره و يكرمه فى النّاس و يهينه عند اللّه) ثمّ نبّه على ما يترتّب على وضع المال فى غير محلّه فى الدّنيا بقوله (و لم يضع امرؤ ماله فى غير حقّه و لا عند غير أهله) رجاء للمكافاه و الجزاء أو توقّعا للشكر و الثناء (إلاّ حرّمه اللّه شكرهم و كان لغيره ودّهم فان زلّت به النّعل يوما) أى إذ اعثر و افتقر يوما (فاحتاج إلى معونتهم ف) هم إذا (شرّ خدين) و صديق (و ألئم خليل) و رفيق كما هو معلوم بالتجربه مشاهد بالعيان.

تنبيه

اشاره

قد أشرنا إلى أنّ أوّل من فتح باب التفضيل فى الصّدقات لاولى الشرف و السّابقات هو عمر بن الخطاب، فحذا حذوه عثمان بن عفّان، و تبعها معاويه بن أبى سفيان، فنبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم، و غيّروا سنّه رسول اللّه، و كان ذلك من أعظم المطاعن على فاتح الباب، حيث خالف السّنّه و الكتاب، و ترتّب على ذلك من المفاسد ما لا يحصى، و من البدعات ما لا تستقصى، و لا بأس باشباع الكلام فى هذا المرام تنبيها على ما ترتّب عليه من الهفوات و الآثام فأقول: قال الشارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام، و اعلم أنّ هذه مسأله فقهيّه و رأى علىّ و أبى بكر فيه واحد، و هو التسويه بين المسلمين فى قسمه الفىء و الصّدقات، و إلى هذا ذهب الشّافعى، و أمّا عمر فانّه لما ولى الخلافه فضّل بعض النّاس على بعض: فضّل السّابقين على غيرهم، و فضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، و فضّل المهاجرين كافّه على الأنصار كافّه، و فضّل العرب على العجم، و فضّل الصّريح على المولى، و قد كان أشار على أبى بكر أيّام خلافته فلم يقبل: و قال: إنّ اللّه لم يفضّل أحدا على أحد و لكنه قال: انّما الصّدقات للفقراء و المساكين، و لم يخصّ قوما دون قوم فلمّا أفضت إليه الخلافه عمل بما

كـان أشـار أوّلاـ قـال: و قـد ذهب كثير من فقهـاء المسـلمين إلى قوله، و المسـأله محـلّ اجتهـاد و للامام أن يعمل بما يؤدّيه اليه اجتهاده و إن كان اتباع علىّ عليه السّـلام عندنا أولى لا سيّما إذا عضده موافقه أبى بكر، و إن صحّ الخبر أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سوّى فقـد صـارت المسأله منصوصا عليها، لأنّ فعله عليه السّـلام كقوله، انتهى أقول: كون المسأله منصوصه لا غبار عليها حسبما تعرفه، و الاجتهاد فى مقابل النّص باطل و قال الشّارح فى شـرح الكلام المائتين و الأربعه و العشـرين عند ذكر مطاعن عمر: إنّه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز حتّى أنّه كان يعطى عايشه و حفصه عشره آلاف درهم فى كلّ سنه، و منع أهل البيت خمسهم الذى يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و انه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المـال على سبيـل القرض إلى أن قال: و نحن نـذكر ما فعله عمر فى هـذا الباب مختصـرا نقلناه من كتاب أبى الفرج عبد الرحمن بن علىّ ابن الجوزى المحدّث فى أخبار عمر و سيرته.

روى أبو الفرج عن سلمه بن عبد الرحمن قال استشار عمر الصّحابه بمن يبدء فى القسم و الفريضه، فقالوا ابدء بنفسك، فقال بل أبدأ بآل رسول اللّه و ذوى قرابته فبدء بالعبّاس.

قال ابن الجوزى: و قد وقع الاتّفاق على أنّه لم يفرض لأحد أكثر ممّا فرض له، و روى أنه فرض له اثنا عشر ألفا و هو الأصحّ.

ثمّ فرض لزوجات رسول اللّه لكلّ واحده عشره آلاف، و فضّل عايشه عليهنّ بألفين فأبت فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول اللّه فإذا أخذت فشأنك، و استثنى من الزوجات جويريه و صفيّه و ميمونه، ففرض لكلّ واحده منهنّ سته آلاف، فقالت عايشه: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يعدل بيننا، فعدل عمر بينهنّ و ألحق هولاء الثلاث بسايرهنّ

ثمّ فرض للمهاجرين الـذين شـهدوا بدرا لكلّ واحد خمسه آلاف و لمن شـهدها من الأنصار لكلّ واحد أربعه آلاف، و قد روى انّه فرض لكلّ واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل خمسه آلاف.

ثمّ فرض لمن شـهد احـدا و ما بعـدها إلى الحديبيّه أربعه آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شـهد المشاهد بعد الحديبيّه ثلاثه آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شـهد المشاهد بعد وفاه رسول اللّه ألفين و خمسمائه و ألفين و ألفا و خمسمائه و ألفا واحدا إلى مأتين و هم أهل هجر و مات عمر على ذلك قال ابن الجوزى و ادخل عمر فى أهل بدر ممن لم يحضـر بدرا أربعه: و هم الحسن و الحسين و أبو ذر و سلمان ففرض لكلّ واحد منهم خمسه آلاف.

قـال ابن الجوزى و روى السّـدى أنّ عمر كسـا أصـحاب النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فلم يرتض فى الكسوه مـا يستصـلحه للحسن و الحسين عليهما السّلام فبعث إلى اليمن فاتى لهما بكسوه فاخره، فلما كساهما قال: الآن طابت نفسى.

قـال ابن الجوزى: فأمّـا مـا أعتمـده فى النسـاء فـانّه جعـل نساء أهل بـدر على خمسـمائه، و نساء من بعـد بـدر إلى الحـديبيّه على أربعمائه، و نساء من بعد ذلك على ثلاثمأه، و جعل نساء أهل القادسيّه على مأتين ثمّ سوّى بين النساء بعد ذلك.

قـال الشـارح بعـد روايه مـا أوردنـا: و لو لم يـدلّ على تصويب عمر فيمـا فعله إلّا اجماع الصـحابه و اتّفاقهم عليه و ترك الانكار لذلك، كان كافيا و قال ثمّه أيضا بعد ما ذكر جواب قاضـى القضاه عن ذلك الطّعن و اعتراض المرتضـى (ره) عليه بأنّ تفضـيل الأزواج لا سبب فيهنّ يقتضـى ذلك و إنّما يفضّل الامام فى العطاء ذوى الأسباب المقتضيه لذلك مثل الجهاد و غيره من الامور العامّ نفعها للمسـلمين ما لفظه: و كيف يقول المرتضى ما جاز أن يفضّل أحدا إلّا بالجهاد و قد فضّل الحسن و الحسين على كثير من أكابر المهاجرين و الأنصار و هما صبيّان ما جاهـدا و لا بلغا الحلم بعد، و أبوهما أمير المؤمنين موافق على ذلك راض به غير منكر له، و هل فعل عمر ذلك إلّا لقربهما من رسول اللّه؟ انتهى

اقول لا یخفی ما فی ذلک من وجوه الکلام و ضروب الملام

اشاره

اما اولا فلأنّ کون القسم بالسّویه موافقا للسنّه و منصوصا علیه ممّا لا غبار علیه، و مخالفه عمر لها فی ابداع التفضیل و کونه بدعه لا خفاء فیه و یـدلّ علی ذلک ما رواه فی البحار من البخاری و مسـلم و غیرهما بأسانیـد عدیـده أنّ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال للأنصاری فی مقام التّسـلیه قریبا من وفاته: ستلقون بعدی اثره فاصبروا حتّی تلقونی علی الحوض، و هل یرتاب عاقل فی أنّ هذا القول بعد أن کان یسوی بین المهاجرین و الأنصار مدّه حیاته إخبار بما یکون بعده من التّفضـیل و یتضمّن عدم إباحته و عـدم رضـاه به و مـا تقـدّم آنفا فی روایه ابن الجوزی من قول عایشه لعمر انّ رسول اللّه کان یعـدل بیننا و ما تقـدّم أیضا فیکلام الشارح من قول أبی بکر لعمر إنّ اللّه لم یفضّل أحدا علی أحد و لکنه قال:

«إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساکِینِ ».

و لم یخصّ قوما دون قوم، و یفیده أیضا تسویه أمیر المؤمنین فی التقسیم، و هو یدور مع الحقّ و الحقّ یدور معه حیثما دار، بنصّ الرسـول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کمـا تظـافرت به الروایـات من طرق المخـالف و المؤالف، و احتجـاجه علی المهـاجرین و الأنصار لمّا کرهوا عـدله فی القسـمه بمخالفه التّفضـیل للشـریعه بما مرّ فی هـذا الکلام الـذی شـرحناه بقوله: أتأمرونّی أن أطلب النصـر بالجور، و قوله: ألا و إنّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و إسراف، و احتجاجه علی طلحه و الزبیر بما یأتی إن شاء اللّه فی الکلام المـأتین و الأـربعه من قوله: و أمـا مـا ذکرتمـا من أمر الاسوه فانّ ذلک أمر لم احکم أنا فیه برأی ولا ولیته هوی منی بل وجـدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه قد فرغ منه فلم احتج الیکما فیما قد فرغ اللّه من قسـمه و امضـی فیه حکمه فلیس لکما و اللّه عندی و لا لغیر کما فیهذا عتبی.

فلو کـان رسول اللّه یقسّم علی التفضـیل لاحتـجّ به عمر علی أبی بکر و لأقـام المهاجرون و الأنصار و طلحه و الزبیر بـذلک علی أمیر المؤمنین حجّه

و العجب من الشّارح أنه مع ذلک کلّه یشکّ فی کون المسأله منصوصا علیها و مع ما قاله فی بعض کلامه من قوله فان قلت: إن أبا بکر قد قسّم بالسویه کما قسّمه أمیر المؤمنین علیه السّلام و لم ینکروا علیه کما أنکروا علی أمیر المؤمنین علیه السّلام.

قلت: قسّم أبو بکر محتذیا بقسم رسول اللّه، فلما ولی عمر الخلافه و فضّل قوما علی قوم ألفوا ذلک و نسوا تلک القسمه الاولی و طالت أیام عمر و اشربت قلوبهم حبّ المال و کثره العطاء، و أمّا الذین اهتضموا فقنعوا و مرنوا علی القناعه و لم یخطر لأحد من الفریقین أنّ هذا الحال تنقض و تتغیّر بوجه ما، فلمّا ولی عثمان أجری الأمر علی ما کان عمر یجریه فازداد وثوق العوام بذلک، و من ألف أمرا شقّ علیه فراقه و تغییر العاده فیه، فلمّا ولیّ أمیر المؤمنین أراد أن یردّ الأمر إلی ما کان فی أیّام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أبی بکر و قد نسی ذلک و رفض و تخلّل بین الزمانین اثنتان و عشرون سنه، فشقّ ذلک علیهم و أکبروه حتی حدث ما حدث من نقض البیعه و مفارقه الطاعه و للّه أمر هو بالغه، انتهی و أقول: مضافا إلی هذا کلّه إنّه لو کان إلی جواز التّفضیل و مصانعه الرّؤساء و الأشراف للمصالح سبیل، لما عدل أمیر المؤمنین إلی العدل و التّسویه مع ما رآه عیانا من تفرّق أصحابه لذلک، و تقاعد النّاس عنه و لحوقهم بمعاویه حیثما عرفته فی شرح الخطبه الرّابعه و الثّلاثین، و من نقض طلحه و الزّبیر بیعته حسبما عرفته فیما تقدّم و تعرفه مفصّلا أیضا إنشاء اللّه تعالی فی شرح الکلام المأتین و الأربعه، و لما أختار فیه إراقه الدّماء و حدوث الفتن، و لما کان یمنع عقیلا صاعا من برّ فیذهب إلی معاویه، إلی غیر ذلک ممّا ترتّب علیه و أما ثانیا فلأنّ استدلال الشّارح علی تصویب عمر فیما فعله باجماع الصحابه فیه:

أولا منع الاجماع إذ لم یجمع علی ذلک إلاّ أجلاف العرب و الخاضمون لمال اللّه خضم الابل نبته الرّبیع، و النّاس أبناء الدّنیا یحبّون المال حبّا جمّا

ص:۱۸۹

و یأکلونه أکلا لمّا، فاذا وصل الیهم منه منافع جزیله و فوائد جلیله و انتفعوا بها فی دنیاهم و کانوا أهل یسار و ثروه بعد ما کانوا ذوی فقر و فاقه و خصاصه کیف ینکرون فعله.

و ثانیا منع حجّیه ذلک الاجماع خصوصا مع مخالفته لسنّه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أما ثالثا فلأنّ ما ذکره الشّارح فی الاعتراض علی المرتضی من عدم انحصار اسباب التفضیل فی الجهاد و جواز کون سببه رعایه القرابه من رسول اللّه مستدلاّ بتفضیل الحسنین علیهما السّلام مع رضاء أبیهما و عدم إنکاره له فیه:

انّ عدم انحصار السبب فی الجهاد علی فرض جواز أصل التّفضیل مسلّم، و اعتراضه علی المرتضی بذلک حقّ إلاّ أنّ أصل التّفضیل ممنوع کما عرفته، و رعایه عمر لقرابه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باطل إذ لو کان ملاحظا للقرابه لما منع بضعه الرّسول و ابنته البتول من حقّها کما هو ظاهر لا یخفی.

و أمّا رضاء أمیر المؤمنین بتفضیل الحسنین علیهما السّلام فامّا أنه للتّقیّه، أو لأنّه لمّا حرمهم حقّهم من الخمس و الفیء و الانفال أخذا ما أخذا عوضا من حقوقهم.

قال فی البحار: و یمکن أن یقال لمّا کان أمیر المؤمنین علیه السّلام ولیّ الأمر فلعلّ ما أخذا صرفه فی مصارفه و کان الأخذ من قبیل الاستنقاذ من الغاصب و الاستخلاص من السّارق، إذا عرفت ذلک فلنشر إلی ما ترتّب علی هذه البدعه و ما أثمرته هذه الشجره الملعونه فأقول:

قال العلامه المحدث المجلسی:

و اعلم أنّ أکثر الفتن الحادثه فی الاسلام من فروع هذه البدعه، فانّه لو استمرّ النّاس علی ما عوّدهم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من العدل و جری علیه الأمر فی أیّام أبی بکر لما نکث طلحه و الزبیر بیعه أمیر المؤمنین علیه السّلام، و لم تقم فتنه الحمل، و لم یستقرّ الأمر لمعاویه، و لا تطرّق الفتور إلی أتباع أمیر المؤمنین و أنصاره و لو کان المنازع له فی أوّل خلافه معاویه لدفعه بسهوله، و لم ینتقل الأمر إلی بنی امیّه، و لم یحدث ما أثمرته تلک الشّجره الملعونه من إراقه الدّماء المعصومه و قتل

الحسین و شیوع سبّ أمیر المؤمنین علی المنابر، ثمّ انتقال الخلافه إلی بنی العبّاس و ما جری من الظلم و الجور علی أهل البیت و علی سائر أهل الاسلام و قد کان من الدّواعی علی الفتن و الشرور بدعته الاخری و هی الشّوری اذ جعل طلحه و الزبیر مرشّحین للخلافه نظیرین لأمیر المؤمنین علیه السّلام فشقّ علیهما طاعته و الصّبر علی الاسوه و العدل، و هذا فی غایه الوضوح و قد روی ابن عبد ربّه فی کتاب العقد علی ما حکاه العلاّمه عنه فی کشف الحقّ قال: إنّ معاویه قال لابن الحصین: أخبرنی ما الّذی شتّت أمر المسلمین و جماعتهم و فرّق ملائهم و خالف بینهم؟ فقال: قتل عثمان، قال: ما صنعت شیئا، قال: ما عندی غیر هذا یا أمیر المؤمنین قال: فأنا أخبرک أنّه لم یشتّت بین المسلمین و لا فرّق أهوائهم إلاّ الشّوری جعلها عمر فی ستّه ثمّ فسّر معاویه ذلک فقال: لم یکن من الستّه رجل إلاّ هواها لنفسه و لقومه، و تطلّعت إلی ذلک نفوسهم، و لو أنّ عمر استخلف کما استخلف أبو بکر ما کان فی ذلک اختلاف، و قد تمّ اثاره الفتنه باغواء معاویه و عمرو بن العاص و اطماعهما فی الخلافه. و کان معاویه عامله علی الشّام و عمرو بن العاص عامله و أمیره علی مصر، فخاف أن یصیر الأمر إلی علیّ فقال لما طعن و علم أنّه یموت: یا أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تناصحوا فان لم تفعلوا علیکم علیها عمرو بن العاص و معاویه بن أبی سفیان روی ذلک ابن أبی الحدید ثمّ حکی عن شیخنا المفید (ره) أنّه قال: کان غرض عمر بالقاء هذه الکلمه إلی النّاس أن تصل إلی عمرو بن العاص و معاویه فیتغلّبا علی مصر و الشّام لو أفضی الأمر إلی علیّ علیه السّلام و بالجمله جمیع ما کان و ما یکون فی الاسلام من الشّرور إلی یوم النشّور إنما أثمرته شجره فتنته فغرس أصل الفتن یوم السقیفه، و ربی بما أبدعه من التفضیل فی العطاء و وضع الشّوری و غیر ذلک، فهو السّهیم فی جمیع المعاصی و الجرائم، و الحامل لجمله الأوزار و الآثام.

تکمله

قد مرّ روایه هذا الکلام له علیه السّلام فی شرح الخطبه الرّابعه و الثّلاثین عن علیّ بن سیف المداینی باختلاف عرفته و رواه أیضا فی مجلدّ الفتن من البحار من کتاب الغارات لإبراهیم بن محمّد الثّقفی عن محمّد بن عبد اللّه بن عثمان عن علیّ بن سیف عن أبی حباب عن ربیعه و عماره قال: إنّ طائفه من أصحاب علیّ مشوا إلیه فقالوا: یا أمیر المؤمنین أعط هذه الأموال و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و قریش علی الموالی و العجم، و من تخاف خلافه من النّاس و فراره، و إنّما قالوا له ذلک للّذی کان من معاویه یصنع بمن أتاه، فقال لهم علیّ: أتأمرونّی أن أطلب النّصر بالجور، و اللّه لا أضلّ «أفعل ظ» ما طلعت شمس و مالاح فی السّماء نجم، و اللّه لو کان ما لهم لی لو اسیت بینهم فکیف و ما هی إلاّ أموالهم.

قال ثمّ أرمّ طویلا ساکتا ثمّ قال: من کان له مال فایّاه و الفساد فانّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و اسراف، و هو ذکر لصاحبه فی الدّنیا و یضعه عند اللّه و لم یضع رجل ماله فی غیر حقّه و عند غیر أهله إلاّ حرمه اللّه شکرهم، و کان لغیره ودّهم، فان بقی معه من یودّه و یظهر له البشر فانّما هو ملق و کذب و إنّما ینوی أن ینال من صاحبه مثل الذی کان یأتی إلیه من قبل، فان زلّت بصاحبه النعل فاحتاج إلی معونته و مکافاته فشرّ خلیل و ألئم خدین، و من صنع المعروف فیما آتاه اللّه فلیصل به القرابه، و لیحسن فیه الضّیافه، و لیفکّ به العانی، و لیعن به الغارم و ابن السّبیل و الفقراء و المهاجرین، و لیصبر نفسه علی الثّواب و الحقوق، فانّ الفوز بهذه الخصال شرف مکارم الدّنیا و درک فضایل الآخره.

و رواه أیضا فی الکافی عن العدّه عن أحمد بن أبی عبد اللّه عن محمّد بن علیّ عن أحمد بن عمرو بن سلیمان البجلیّ عن إسماعیل بن الحسن بن إسماعیل بن شعیب بن میثم التّمار عن إبراهیم بن إسحاق المداینی عن رجل عن أبی مخنف الازدی

قال: أتی أمیر المؤمنین علیه السّلام رهط من الشیعه فقالوا یا أمیر المؤمنین لو أخرجت هذه الأموال ففرّقتها فی هؤلاء الرّؤساء و الأشراف و فضّلتهم علینا حتی إذا استوسقت الامور عدت إلی أفضل ما عودّک اللّه من القسم بالسویه و العدل، فقال أمیر المؤمنین: أتأمرونّی و یحکم أن أطلب النّصر بالجور فیمن ولیت علیه من أهل الاسلام، لا و اللّه لا یکون ذلک ما سمر سمیر و ما رأیت فی السّماء نجما و اللّه لو کانت أموالهم مالی لساویت بینهم فکیف و إنّما هی أموالهم قال ثمّ أرمّ ساکتا طویلا ثمّ رفع رأسه فقال: من کان فیکم له مال فایّاه و الفساد، فانّ إعطائه فی غیر حقّه تبذیر و إسراف، و هو یرفع ذکر صاحبه فی النّاس و یضعه عند اللّه و لم یضع امرء ماله فی غیر حقّه و لا عند غیر أهله إلّا حرّمه اللّه شکرهم، و کان لغیره ودّهم، فان بقی معه منهم بقیّه ممّن یشکر له و یریه النّصح فانّما ذلک ملق منه و کذب، فان زلّت بصاحبهم النّعل ثمّ احتاج إلی معونتهم و مکافئتهم فألئم خلیل و شرّ خدین، و لم یضع امرء ماله فی غیر حقّه و عند غیر أهله إلّا لم یکن له من الحظّ فیما أتی إلّا محمده اللّئام، و ثناء الأشرار ما دام علیه منعما مفضّلا، و مقاله الجاهل ما أجوده، و هو عند اللّه بخیل فأیّ حظّ أبور و أخسر من هذا الحظّ، و أیّ فائده معروف أقلّ من هذا المعروف، فمن کان منکم له مال فلیصل به القرابه، و لیحسن منه الضیافه، و لیفکّ به العانی و الأسیر و ابن السبیل فانّ الفوز بهذه الخصال مکارم الدّنیا و شرف الآخره

الترجمه

از جمله کلام فصاحت انتظام آن جنابست در وقتی که سرزنش کردند او را بر مساوی نمودن در عطاء، و برگردانیدن او مردمان را پیروی شدهٔ یکدیگر در مقام اعطاء بی تفضیل دادن صاحبان سبقت در اسلام و جهاد و هجرت و موصوفان بشرف حسب و نسب و نجابت باین نحو که فرمود:

آیا أمر می کنید شما مرا باین که طلب یاری کنم از شما بظلم و ستم نمودن در حق کسی که والی أمر و صاحب اختیار او هستم، بخدا سوگند که نزدیک نشوم

باين خواهش شما مادامى كه أفسانه گويد زمانه، و مادامى كه قصد كند ستارهٔ در آسمان ستارهٔ ديگر را، يعنى أبدا اقدام در اين كار نميكنم اگر بودى اين مال كه قسمت ميكنم از من هر آينه رعايت برابرى و مواساه مى نمودم در ميان ايشان، پس چگونه ترك مواساه نمايم و حال آنكه جز اين نيست كه اين مال مال خداست آگاه باشيد و بدانيد كه اعطا نمودن مال در غير حق خود بى اندازه خرج كردن و اسراف است، و آن بى أندازگى بلند ميكند صاحب خود را در دنيا، و پست مى گرداند او را در آخرت، و عزيز مى نمايد او را در نزد خلايق، و خوار ميكند او را در نزد خالق، و نگذارد و مصرف نكرد هيچ كس مال خود را در غير مصرف آن و در غير اهل آن مگر آنكه محروم نمود او را خداى تعالى از تشكر و پاداش دادن ايشان، و باشد بجهه غير او دوستى ايشان، پس اگر بلغزد بأو پاى او روزى از روزها پس محتاج بشود بيارى ايشان پس بدترين صديق باشند و لئيم ترين رفيق.

و من كلام له عليه السّلام قاله للخوارج و هو المأة و السابع

اشاره

و العشرون من المختار فى باب الخطب

فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّى أخطأت و ضللت فلم تضلّلون عامّه أمّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى؟ و تأخذونهم بخطاى؟ و تكفّرونهم بذنوبى؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء (البراءه خ» و السّقم، و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب، و قد علمتم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجم الزّانى المحصن ثمّ صلّى عليه ثمّ ورّثه أهله، و قتل القاتل و ورّث ميراثه أهله، و قطع السّارق، و جلد الزّانى غير المحصن، ثمّ قسّم عليهما من الفىء، و نكحا المسلمات، فأخذهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذنوبهم،

و أقام حقّ اللّه فيهم، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام، و لم يخرج أسمائهم من بين أهله، ثمّ أنتم شرار النّاس و من رمى به الشّيطان مراميه، و ضرب به تيهه، و سيهلك فى صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، و مبغض مفرّط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، و خير النّاس فىّ حالا النّمط الأوسط فألزموه، و ألزموا السّواد الأعظم، فإنّ يد اللّه على الجماعه، و إيّاكم و الفرقه، فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان، كما إنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب، ألا من دعا إلى هذا الشّعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه، و إنّما (فإنّما خ) حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، و يميتا ما أمات القرآن، و إحيائه الاجتماع عليه، و إماتته الإفتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إليهم إتّبعناهم، و إن جرّهم إلينا اتّبعونا، فلم آت لا- أبا لكم بجرا، و لا- ختلتكم عن أمركم و لا- لبّسته عليكم، إنّما اجتمع رأى ملائكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه، و تركا الحقّ، و هما يبصرانه، و كان الجور هويهما، فمضيا عليه، و قد سبق استثنائنا عليهما فى الحكومه بالعدل، و الصّمد للحقّ سوء رئيهما، و جور حكمهما.

اللغه

(ضللت) بكسر اللاّم و فتحها و فى بعض النسخ (البراءه) بدل البرء و معناهما واحد

ص:١٩٥

و (احصن) الرّجل إذا تزوّج فهو محصن بالكسر على القياس و بالفتح على غير القياس و كلاهما مرويّ (و ضرب به تيهه) أى وجّهه إليه من ضربت فى الأرض إذا سافرت، و التّيه بالفتح الحيره و بالكسر المفازه التى يتاه فيها.

و عن النّهايه فى حديث علىّ عليه السّلام خير هذه الامّه النّمط الأوسط (النّمط) الطريقه من الطرائق و الضّرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أى من ذلك الضّرب و النّمط الجماعه من النّاس أمرهم واحد و (شعار) القوم علامتهم الّتى بها يتميّزون فى الحرب و (العمامه) بالكسر المغفر و البيضه و ما يلفّ على الرّأس و (البجر) بالضّم الشرّ و الأمر العظيم و (الملاء) من النّاس الأشراف و الرؤساء الذين يرجع إليهم و إنّما قيل لهم ذلك لأنّهم ملأوا بالرّأى و الغناء و (الصّمد) بالفتح فالسّكون القصد.

الاعراب

جمله و قد علمتم حال من فاعل تصلّلون أو تكفرون على سبيل التّنازع، و الباء فى قوله: رمى به و ضرب به للتّعديه، و حالا منصوب على التميز، و بجرأ مفعول آت، و جمله لا أبالكم معترضه بينهما، و سوء رأيهما بالنّصب مفعول سبق.

المعنى

اعلم أنّ مذهب الخوارج أنّ مرتكب الكبائر كافر، و زعموا أنّ التحكيم كبيره، فحكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه لذلك كما مرّ تفصيل ذلك فى شرح الخطبه الخامسه و الثّلاثين و الخطبه السّادسه و الثلاثين، و قد مرّ فى شرح الكلام المأه و الخامس و العشرين فى روايه الاحتجاج قولهم لابن عبّاس: إنّا نقمنا على صاحبك خصالا كلّها مكفّره، فاحتجّ عليه السّلام بهذا الكلام عليهم ابطالا لما زعموا بوجوه أربعه بعضها ناظر إلى منع الصّغرى، و بعضها الى منع الكبرى، و بعضها مبنىّ على التنزّل و المماشاه حسبما تعرفه حيثما بلغ الكلام محلّه و قدّم ما بنائه على المماشاه رعايه لقانون المناظره، و ذلك أنّ الخوارج لمّا قالوا إنّ الدّار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها و قتلوا من لقوه

حتّى الأطفال و البهائم حسبما مرّ فى شرح الخطبه السّادسه و الثّلاثين فقال لهم مماشاه معهم (فان أبيتم إلّا أن تزعموا) و تظنّوا (أنّى أخطأت و ضللت) بنصب الحكمين و الرّضاء بالتحكيم (فلم تضلّلون عامّه امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى و تأخذونهم بخطاى و تكفّرونهم بذنوبى) و تقتلونهم حيثما لقيتم و لا تكفّون عن أحد برّ أو فاجر ما ذنبهم و ما جريرتهم (سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السقم و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب) يعنى تقصير التحكيم على زعمكم إنّما هو مقصور علىّ و مؤاخذته راجع إلىّ فما بال من لم يكن دخيلا فى هذا الأمر و لم يكن منه فى مراح و لا مغدى ثمّ بيّن فساد ما زعموه من كون صاحب الكبيره كافرا، و هو راجع إلى منع الكبرى معلّلا بأنّ رسول اللّه حكم فى مرتكبى الكبائر بأحكام الاسلام و سلك معهم مسلك سائر المسلمين فقال (و قد علمتم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجم الزّانى المحصن) قال الشّهيد (ره) الرّجم يجب على المحصن إذا زنى ببالغه عاقله، و الاحصان إصابه البالغ العاقل الحرّ فرجا مملوكا له بالعقد الدّائم أو الرّق يغدو عليه و يروح إصابه معلومه و قال الشّهيد الثانى فى شرحه: فهذه قيود ثمانيه:

أحدها الاصابه أى الوطى قبلا على وجه يوجب الغسل فلا يكفى مجرّد العقد و لا الخلوه التامّه و لا إصابه الدّبر و لا ما بين الفخذين و لا فى القبل على وجه لا يوجب الغسل و ثانيها أن يكون الواطى بالغا فلو أولج الصّبى حتّى غيب مقدار الحشفه لم يكن محصنا و إن كان مراهقا و ثالثها أن يكون عاقلا فلو وطى مجنونا و إن عقد عاقلا فلا يتحقّق الاحصان و يتحقّق بوطيه عاقلا و إن تجدّد جنونه و رابعها الحرّيه فلو وطى العبد زوجه حرّه و أمه لم يكن محصنا و ان عتق ما لم يطأ بعده

و خامسها أن يكون الوطی بفرج فلا يكفی الدّبر و لا التّفخيذ و نحوه كما سلف و سادسها كونه مملوكا له بالعقد الدّائم أو ملك اليمين فلا يتحقّق بوطی الزّنا و لا الشبهه و إن كان بعقد فاسد و لا المتعه و سابعها كونه متمكّنا منه غدوا و رواحا، فلو كان بعيدا عنه لا يتمكّن منه فيهما و ان تمكّن فی أحدهما دون الآخر أو فيما بينهما أو محبوسا لا يتمكّن من الوصول إليه لم يكن محصنا و إن كان قد دخل قبل ذلک و ثامنها كون الاصابه معلومه و يتحقّق العلم باقراره بها أو بالبيّنه لا بالخلوه و لا الولد لانّهما أعمّ (ثمّ صلّی عليه و ورّثه أهله) فلو كان الزّنا مع كونه كبيره موجبا للكفر لما صلّی عليه و لا ورّثه لعدم جواز الصّلاه علی الكافر و كون الكفر من موانع الارث (و) كذلک (قتل): صلّی اللّه عليه و آله و سلّم (القاتل و ورّث ميراثه أهله) فلو كان القتل مع أنّه كبيره موجبا للكفر لما ورّث أهله منه و هذا بظاهره يدلّ علی أنّ المسلم لا يرث الكافر و هو خلاف المذهب لأنّ الكفر مانع من الارث فی طرف الوارث لا المورث قال المحدّث العلاّمه المجلسیّ و لعلّه إلزام عليهم أقول: و هو يتمّ لو كان مذهب الخوارج كونه مانعا من التّوارث من الطرفين و إلاّ فلا (و) كذلک (قطع) يد (السّارق و جلد الزّانی غير المحصن ثمّ قسّم عليهما من الفیء) و لم يجعل السّرقه و الزّنا مكفّرا مانعا من تقسيم مال الاسلام اليهما (و) كذلک (نكحا) أی السّارق و الزّانی (المسلمات) و لم يمنعهما رسول اللّه من ذلک بل قرّرهما عليه (فأخذهم) أی هؤلاء المذكورين من أهل الكبائر (رسول اللّه بذنوبهم و أقام حقّ اللّه فيهم) و حدّه بجرمهم (و لم يمنعهم سهمهم من الاسلام) من التوريث و التّقسيم و تقرير النّكاح و غيرها (و لم يخرج أسمائهم من بين أهله)

ص:198

أی أهل الاسلام و هذه كلّها تدلّ علی أنّ مرتكب الكبيره لا يخرج بذنبه من حدّ الاسلام إلی الكفر ثمّ نبّه علی اتّصافهم بالغفله و الجهاله، و هلكهم فی أوديه الضّلاله فقال (ثمّ أنتم شرار النّاس) بخروجكم علی الامام الحقّ و بغيكم علی من هو بالاتباع أحقّ (و من رمی به الشيطان مراميه) من طرق الضّلال التی يقودكم بوساوسه إليها (و ضرب به تيهه) و وجهه إليه (و سيهلك فیّ صنفان محبّ مفرط) مجاوز للحدّ (يذهب به الحبّ إلی غير الحقّ) كالغلاه و هم فرق كثيره اتّفق كلّهم لعنهم اللّه علی إبطال الشرائع كما نبّه عليه البرسی فی مشارق الأنوار منهم السّبائيه و هم أصحاب عبد اللّه بن سبا و هو أوّل من غلاكما مرّ فی شرح الكلام الثامن و الخمسين و كان يهوديّا يتستّر بالاسلام و ينتحله و مذهبه أنّ اللّه لا يظهر إلاّ فی أمير المؤمنين وحده، و أنّ الرسل كانوا يدعون إلی علیّ عليه السّلام و أنّ الأئمه أبوابه فمن عرف أنّ عليّا خالقه و رازقه سقط عنه التكليف، و فی شرح المعتزلی قال السبائيه إنّ عليّا لم يمت و الرّعد فی السّماء صوته و البرق ضوءه و إذا سمعوا صوت الرّعد قالوا: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و منهم الخصيّيه أصحاب يزيد بن الخصيب و عنده أنّ اللّه لا يظهر إلاّ فی أمير المؤمنين و الأئمه من بعده، و أنّ الرّسل هو أرسلهم يحثّون عباده علی طاعته و أنّ عمر هو ابليس الا بألسه و أنّ ظلمه زريق قديمه مع نور علیّ لأنّ الظّلمه عكس النّور و منهم المفوّضه و هم قالوا إنّ اللّه فوّض الخلق و الأمر و الموت و الحياه و الرّزق إلی علیّ و الأئمه عليهم السّلام، و إنّ الذی يمرّ بهم من الموت فهو علی الحقيقه و انّ الملائكه يأتيهم بالأخبار و منهم من يقول: إنّ اللّه يحلّ فی هذه الصّوره و يدعو بنفسه إلی نفسه إلی غير ذلك من مزخرفاتهم التی لا يجوز تضييع الأوقات فی نقلها و حكايتها، و فرقهم تزيد علی عشرين حسبما ذكره البرسی فی مشارق الأنوار و غيره، و بالجمله فهؤلاء كلّهم

ص:۱۹۹

هـالكون لاـفراطهم فى المحبّه و ادّعـائهم للامام ما لا يرضـى به و تجاوزهم فيه عن مرتبه العبوديّه إلى مرتبه الالوهيه الرّبوبيّه (و) مثل هؤلاء فى الاتّصاف بالهلاك (مبغض مفرّط يـذهب به البغض إلى غير الحقّ) كالنّواصب و الخوارج، قال فى البحار: و تقييد البغض بالافراط لعلّه لتخصـيص أكمل الأفراد بالـذّكر، أو لأنّ المبغض مطلقا مجاوز عن الحدّ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سـيوجد منهم مع أنّ فيه رعايه الازدواج و التّناسب بين الفقرتين.

أقول: هـذا كلّه بناء على كون لفظه مفرط من باب الافعال، و أمّا على كونها من باب التفعيل كما فى بعض النّسـخ فلا حاجه إلى التكلّف (و خير النّاس فىّ حالاـ النمـط الأوسـط) و هم التـاركون لطرفى الاـفراط و التّفريط، و المهتـدون إلى الجادّه الوسـطى و الصّراط المستقيم السّالك بهم إلى الجنان، و الموصل لهم إلى أعظم الرّضوان و لذلك أمر بلزومه بقوله (فالزموه و الزموا السّواد الأعظم) أى جمله النّاس و معظمهم المتجمعين إلى طاعه السـلطان العادل و سـلوك المنهج المسـتقيم و النّهج القويم(فانّ يد اللّه على الجمـاعه)و هو كنايه عن الحفظ و الـدّفاع عنهم يعنى أنّ الجماعه من أهل الاسـلام فى كنف اللّه سـبحانه (و إيّاكم و الفرقه فانّ الشاذّ من النّاس) طعمه (للشـيطان كما أنّ الشّاذّ من الغنم) فريسه (للـذئب)ثمّ قال (ألا من دعا إلى هذا الشّـعار) قال البحرانى: أى مفـارقه الجمـاعه و الاسـتبداد بـالرّأى. و قـال الشّـارح المعـتزلى: يعنى شـعار الخـوارج و كـان شـعارهم أنّهم يحلقـون وسـط رؤوسـهم، و يبقون الشّعر وسطه مستديرا حوله كالاكليل، و قيل شعارهم ما ينادون به فى الحرب من قولهم: لا حكم إلاّ اللّه أو لا حكم إلاّـ للّه(فـاقتلوه و لو كـان)الـدّاعى(تحت عمـامتى هـذه)قيـل: و هو كنايه عن نفسه أى و لو كان الـدّاعى أنا، و قال الشارح المعتزلى: أى و لو كان اعتصم و احتمى بأعظم الأشياء حرمه، فلا تكفوا عن قتلهمّ أشار إلى بطلان الصّغرى و منع كون التّحكيم كبيره بقوله (و إنّما حكّم

الحكمـان ليحييـا مـا أحيـا القرآن و يميتـا مـا أمـات القرآن) يعنى أنّ تحكيم الحكمين إنّمـا كان المقصود به التّوصّل إلى حكم القرآن من حيث إنه خطّ مستور بين الدّفتين محتاج إلى الترجمان لا لمطلوبيّتهما بالذّات حسبما مرّ فى كلامه المأه و الخامس و العشرين و شرحه، فالحكم فى الحقيقه هو القرآن لا الرّجلان فوجودهما إنّما هو إحياء ما أحياه القرآن و إماته ما أماته (و إحيائه الاجتماع عليه) و الاتّباع له و الالتزام على ما شهد باستصوا به و استصلاحه (و إماتته الافتراق عنه) و التّولى و الاعراض عمّن شهد بضـلاله (فان كان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم و إن جرّهم الينا اتبعونا) و من المعلوم أنّ القرآن إنّما كان يجرّهم إليه عليه السّـلام إلاّـ أنّ الحكمين خالفا حكم الكتـاب و لم يحييـا مـا أحيـاه و لم يميتـا مـا أماته (فلم آت لا أبا لكم بجرا) أى داهيه و شـرّا (و لا ختلتكم) و خـدعتكم (عن أمركم و لاـ لبّسـته عليكم) أى ما جعلت الأمر مشـتبها و متلبّسا عليكم، و محصّـله أنّى ما أتيت بشـىء موجب للكفر و الضلال حتّى تكفّرونى و تضلّلونى ثمّ أبطل زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد بوجه آخر أشار اليه بقوله و (انّما اجتمع رأى ملاـئكم) و رؤسائكم (على اختيار رجلين) يعنى أنّى ما أقـدمت على التحكيم برضاء و اختيار منّى و إنّما اجتمع رأى اشـرافكم عليه و كنت مجبورا فيه و مستكرها له و مع ذلك فقد (أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن) و لا يخالفا حكمه (فتاها عنه و تركا الحقّ و هما يبصـرانه) فنبذا الكتاب و نكبا عن سـمت الهدى و الصّواب (و كان الجور هواهما فمضيا عليه) و أقاما فيه (و) أيضـا ف (قـد سـبق اسـتثناؤنا عليهمـا فى الحكومه بالعـدل و الصّـمد) أى القصـد (للحقّ سوء رأيهمـا و جور حكمهمـا) يعنى أنا اشترطنـا عليهما فى كتاب الصّـلح أن لا يتجاوزا حكم القرآن، و لا يحكما بهوى النفس و سوء الرّأى فخالفوا «فخالفا ظ» الكتاب المبين، و خانوا «خانا ظ» فى حقّ المسلمين، فكان اللاّئمه فى ذلك إليهما و العبؤ عليهما، فلا يجب علينا اذا اتّباع حكمهما فنضلّ و نخزى

ص:۲۰۱

الترجمه

از جمله کلام آن حضرت است که فرمود بخارجیان بی ایمان:

پس اگر امتناع می نمائید از اطاعت مگر بجهه این که گمان فاسد می کنید که من خطا کردم و بضلالت افتاده ام پس چرا گمراه می دانید عموم امت پیغمبر را صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بگمراهی من، و أخذ می کنید ایشان را بخطای من، و تکفیر می کنید آنها را بگناهان من، شمشیرهای شما بر دوشهای شما، می نهید آنها را بر محلّهای سلامتی و بیماری و می آمیزید گناهکار را بغیر گنه کار، و حال آنکه بتحقیق عالم هستید باین که حضرت رسول صلّی اللّه علیه و آله سنگسار نمود زنا کار صاحب زن را پس از آن نماز کرد بر او و داد میراث او را بوارثان او، و بقتل آورد قاتل را از روی قصاص و إرث داد میراث او را بوارثان او، و برید دست دزد را و تازیانه زد بر زنا کننده غیر صاحب زن پس قسمت کرد بر ایشان از مال غنیمت، و نکاح کردند آن دو نفر زنان مسلمه را پس مؤاخذه نمود بایشان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بجهت گناهان ایشان و اقامه نمود حق خدا را در ایشان و با وجود آن منع نفرمود ایشان را از سهمی که داشتند از اسلام، و خارج نکرد نام ایشان را از میان أهل اسلام پس شما شریرترین مردمانید و کسی هستید که انداخته است او را شیطان لعین بمواضع انداختن خود، و برده است او را به بیابان گمراهی خود، و زود باشد که هلاک شود در حقّ من دو صنف: یکی دوست افراط کننده که ببرد او را آن دوستی بسوی غیر حق، و یکی دشمن تقصیر کننده است که ببرد او را آن دشمنی بسوی غیر حق، و بهترین مردمان در حق من از حیث حال جماعتی هستند که وسط باشند میان افراط و تفریط، پس لازم شوید بآن جماعت و ملازم باشید بسواد أعظم پس بدرستی که دست عنایت پروردگار بر سر جماعت است، و بپرهیزید از تفرقه پس بدرستی که شخصی که تنها شده است از خلق طعمه شیطان لعین است چنانچه تنها مانده از گوسفندان طعمهٔ گرگ است آگاه باشید و بدانید هر کسی که بخواند مردمان را بسوی این شعار خارجیان

ص:۲۰۲

پس بکشید او را و اگر چه شود آن شخص در زیر عمامهٔ من، و جز این نیست که تحکیم ساخته شدند آن دو نفر حاکم تا این که زنده سازند چیزی را که زنده ساخته آن را قرآن، و بمیرانند چیزی را که میرانیده آن را قرآن، و زنده گردانیدن آن عبارت است از اجتماع و اتفاق بآن، و میرانیدن آن عبارت است از افتراق از آن پس اگر کشیده بود ما را قرآن بسوی ایشان تبعیّت ایشان می کردیم، و اگر کشیده بود ایشان را بسوی ما متابعت می کردند ما را پس نیاوردم پدر مباد شما را بجهه شما شرّی را، و فریب ندادم شما را از کار شما، و مشتبه نکردم آن کار را بر شما، و جز این نیست که جمع شد رأی های رؤسای شما بر اختیار کردن دو مرد، أخذ پیمان کردیم از ایشان که تجاوز نکنند از حکم قرآن پس متحیّر و سرگردان شدند از آن، و ترک کردند حق را و حال آنکه می دیدند حق را و بصیر بودند بآن و بود ظلم و جور آرزوی ایشان، پس بگذشتند بآن و حال آنکه سابق شد استثنا کردن ما بر ایشان در حکم کردن بعدالت و قصد کردن مر حق سوء رای ایشان را، و حکم بجور ایشان را یعنی در أول أمر استثنا کرده بودیم که این دو نفر اگر اندیشهٔ بدو حکم جور نمایند معتبر نخواهد شد.

و من خطبه له علیه السّلام فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره

اشاره

و هی المأه و الثامنه و العشرون من المختار

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین

الفصل الاول

اشاره

یا أحنف کأنّی به و قد سار بالجیش الّذی لا یکون له غبار و لا لجب و لا قعقعه لجم و لا حمحمه خیل، یثیرون الأرض بأقدامهم کأنّها أقدام النّعام.

ص:۲۰۳

قال السّيد (ره) يومى بذلك إلى صاحب الزّنج ثمّ قال عليه السّلام: ويل لسكككم العامره، و الدّور المزخرفه الّتى لها أجنحه كأجنحه النّسور، و خراطيم كخراطيم الفيله من أولئك الّذين لا ينتدب قتيلهم، و لا يفتقد غائبهم، أنا كابّ الدّنيا لوجهها، و قادرها بقدرها، و ناظرها بعينها.

اللغه

(الملحمه) هى الحرب أو الوقعه العظيمه فيها و موضع القتال، مأخوذ من اشتباك النّاس فيها كاشتباك لحمه الثّوب بالسّدى و (اللّجب) محرّكه الجلبه و الصّياح و (القعقعه) تحريك الشىء اليابس الصّلب مع صوت و تفسيره بحكايه صوت السّلاح و نحوه غير مناسب للمضاف إليه و (اللّجم) جمع اللّجام ككتب و كتاب و (الخمحمه) صوت الفرس حين يقصر فى الصّهيل و يستعين بنفسه و (النعام) اسم لجنس النعامه و يقع على الواحد و (النسر) طائر معروف و يجمع على أنسر على وزن أفعل و نسور و (الفيله) وزان عنبه جمع الفيل و (كببت) فلان على وجهه تركته و لم ألتفت إليه، و كبّه قلبه و صرعه

الاعراب

قول السيّد: بالبصره إمّا ظرف لغو متعلق بقوله يخبر أو مستقرّ صفه للملاحم و كلاهما جائزان، لأنّ هذه الخطبه قد خطب بها فى البصره كما أنّ تلك الملاحم كانت فيها، و جمله و قد سار منصوبه المحلّ على الحال من قوله به، و العامل محذوف و التّقدير كأنّى أبصر به و قد سار، و جمله يثيرون حال من الجيش، و الباقى واضح

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه قد خطب بها فى البصره كما صرّح به الشّارح المعتزلى و الشّارح البحرانى، و المستفاد من الثّانى أنّها من فصول الخطبه التى قدّمنا روايتها منه فى شرح الكلام الثالث عشر، و أنّه عليه السّلام خطبها بعد الفراغ من حرب

أهل البصره و وقعه الجمل على ما تقدّم ثمّه و هو من جمله الأخبار الغيبيّه له عليه السّلام و هذا الفصل كما نبّه عليه السيّد (ره) إشاره إلى خروج صاحب الزنج و هو رجل اسمه علىّ زعم أنّه علىّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب، قال الشّارح المعتزلى: و أكثر النّاس يقدحون فى نسبه خصوصا الطّالبيّون و جمهور النسابين اتّفقوا على أنّه من عبد القيس و أنّه علىّ بن محمّد بن عبد الرّحيم، و امه أسديّه من أسد بن خزيمه جدّه محمّد بن حكيم الأسدى من أهل الكوفه أحد الخارجين مع زيد بن علىّ على هشام بن عبد الملك، و ذكر المسعودى فى مروج الذهب أنّ أفعال علىّ بن محمّد صاحب الزنج تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّا و تصدّق ما رمى به من دعوته فى النّسب، لأنّ ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقه فى قتل النّساء و الأطفال و الشيخ الفانى و المريض و كيف كان فقد كان ظهوره فى البصره فى سنه خمس و خمسين و مأتين، فتبعه الزّنج الّذين كانوا يسبخون السّباخ فى البصره و كان أكثر اتباعه فى أوّل أمره عبيد الدّهاقين بالبصره، و استمالهم إلى الفتنه بالمواعد و استنقاذهم من أيدى ساداتهم و استخلاصهم من سوء الحال و ما يلقونه من شدّه العبوديّه و الخدمه و منّا هم أن يجعلهم قوّاد جيشه، و يملّكهم الضّياع و الأموال، و حلف لهم بالايمان المغلّظه أن لا يخدع بهم و لا يخذلهم و لا يدع شيئا من الاحسان إلّا أتى إليهم، و اجتمع اليه السّودان من كلّ جهه، و تبعه جمع كثير من غيرهم، و فعل بأهل البصره و غيرهم ما هو مشهور و فى كتب السّير مسطور مأثور، و قد ذكره الشّارح المعتزلى على تفصيله من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لك ذلك فلنعد إلى شرح كلامه فأقول :قوله:(يا أحنف) قيل كان اسمه صخر و قيل الضّحاك بن قيس بن معاويه من بنى تميم و كنيته أبو بحر شهد مع أمير المؤمنين عليه السّلام الجمل و لم يشهد صفّين مع أحد الفريقين قال البحرانى: و الخطاب مع الاحنف، لأنّه كان رئيسا ذا عقل و سابقه فى قومه و بسببه كان اسلام بنى تميم حين دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يجيبوا، فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق

فأسلموا و أسلم الأحنف.

(كأنّى به) أى علىّ بن محمّد صاحب الزّنج (و قد سار بالجيش الّذى لا يكون له غبار) أصلا أو الغبار الشّديد الذى جرت العاده بسطوعها عند مسير الجيوش و الفرسان و ثورانها من حوافر الخيل (و لا لجب) و صياح (و لا قعقعه لجم و لا حمحمه خيل) إذ لم يكونوا ركبا بل كانوا مشاه حفاه(يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام)تشبيهأقدامهم بأقدام النعاملكونها فى الأغلب قصارا عراضا منتشره الصدر مفرّجات الأصابع كما فى النّعام، و أراد باثارتهم الأرض بأقدامهم شدّه وطئهم لها، و كنّى بها عنها و ما قيل: من أنّ المعنى أنهم يثرون التراب بأقدامهم لأنّ أقدامهم فى الخشونه كحوافر الخيل ففيه أنه لا يلائم ظاهر قوله لا يكون له غبار إلّا أن يحمل المنفىّ على الغبار الشّديد حسبما قدّمناه.

ثمّ قال: (ويل لسكككم العامره) أى لطرقكم المستويه و أزّقتكم المعموره (و الدّور المزخرفه) المموّهه بالزّخرف و الذّهب (الّتى لها أجنحه كأجنحه النّسور) أراد بأجنحه الدّور رواشنها و ما يعمل من الأخشاب و البوارى بارزه عن السّقوف حفظا للحيطان و غيرها عن الأمطار و شعاع الشمس (و خراطيم كخراطيم الفيله) أراد بخراطيمها ميازيبها التى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل و تطلى بالقار يكون نحوا من خمسه أذرع أو أزيد تدلى من السّطوح ليسيل منها ماء المطر و يحفظ السّطوح و الحيطان (من أولئك الذين لا ينتدب قتيلهم) قيل إنه وصف لهم لشدّه البأس و الحرص على القتال و لا يبالون بالموت، و قيل: لأنهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل و ولد ممّن عادتهم النّدبه (و لا يفتقد غائبهم) لكثرتهم و كونهم إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره، أو لكونهم غرباء ليس لهم أقرباء من شانهم افتقاد الغائب.

ثمّ قال:(أنا كابّ الدّنيا لوجهها)كنايه عن عدم التفاته إليها كما حكى مثله عن عيسى أنه قال: أنا الّذى كببت الدّنيا على وجهها ليس لى زوجه تموت و لا بيت يخرب و سادى الحجر و فراشى المدر و سراجى القمر، أو أراد به علمه

بأسرارها و بواطنها كما يقال قلّب الأمر ظهرا لبطن.

(و قادرها بقدرها) أى معامل لها بمقدارها (و ناظرها بعينها) أى ناظر إليها بعين البصيره و العبره، أو أنظر إليها نظرا يليق بها و هو نظر الحقاره و الذّله.

كما يشهد به ما رواه فى غايه المرام من رساله الأهواز للصّادق عليه السّلام قال:

قال علىّ بن الحسين سمعت أبا عبد اللّه الحسين عليهما السّلام يقول: حدّثنى أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّى كنت بفدك فى بعض حيطانها و قد صارت لفاطمه، قال: فاذا أنا بامرئه قد قحمت علىّ و فى يدى مسحاه أعمل بها، فلمّا نظرت إليها طار قلبى ممّا تداخلنى من جمالها، فشبّتها بثنيه بنت عامر الجمحى و كانت من أجمل نساء قريش، فقالت: يابن أبى طالب هل لك أن تزوّج بى فاغنيك عن هذه و أدلّك على خزائن الأرض فيكون لك المال ما بقيت و لعقبك من بعدك؟ فقلت لها: من أنت حتّى أخطبك من أهلك؟ قالت: أنا الدّنيا، قلت لها: ارجعى و اطلبى زوجا غيرى، و أقبلت على مسحاتى و أنشأت أقول:

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّه و ما هى إن غرّت قرونا بطائل

أتتنا على زىّ العزيز ثنيّه و زينتها فى مثل تلك الشّمائل

فقلت لها غرّى سواى فانّنى عروف عن الدّنيا و لست بجاهل

و ما أنا و الدّنيا فانّ محمّدا أحلّ صريعا بين تلك الجنادل

وهبها أتتنا بالكنوز و درّها و أموال قارون و ملك القبائل

أليس جميعا بالفناء مصيرها و تطلب من خزّانها بالطّوائل

فغرّى سواى انّنى غير راغب بما فيك من ملك و عزّ و نائل

فقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشأنك يا دنيا و أهل الغوائل

فانّى أخاف اللّه يوم لقائه و أخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدّنيا و ليس فى عنقه تبعه لأحد حتّى لقى اللّه سبحانه محمودا غير ملوم و لا مذموم، ثمّ اقتدت به الأئمّه من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشىء

من بوائقها صلّى اللّه عليهم أجمعين و أحسن مثواهم.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن سرور دین و قدوهٔ ارباب یقین است در آنچه خبر می دهد بآن از وقایع عظیمه در شهر بصره باین نحو که می فرماید:

أی أحنف گویا من نظر میکنم به آن شخص در حالتی که سیر کند با لشکری که نباشد مر آنرا گرد و غباری، و نه آواز هائلی، و نه صدای حرکت لجامها، و نه آواز اسبها، بشورانند خاك را بقدمهای خود گویا که قدمهای ایشان قدمهای شتر مرغان است در پهنائی و کوتاهی، و در گشادگی انگشتان اشاره می فرماید آن حضرت باین کلام بعلیّ بن محمّد رئیس لشکر زنگیان.

بعد از آن فرمود: وای در آن زمان براههای آبادان شما، و بخانهای زر اندودی که مر آنها راست بالها مثل بالهای کرکسان، و خرطومها مانند خرطومهای فیلان، از این لشکری که گریسته نشود بر مقتولان ایشان، و جسته نشود غائبان ایشان، من افکنندهٔ دنیا هستم بروی او، یعنی بی اعتنا هستم بآن، و اندازه کنندهٔ اویم باندازهٔ آن، و نظر کنندهٔ اویم بچشمی که مناسب و لایق او هست.

الفصل الثانی منها

اشاره

و یؤمی بذلک الی وصف الاتراک

کأنّی أراهم قوما کأنّ وجوههم المجانّ المطرقه، یلبسون السّرق و الدّیباج، و یعتقبون الخیل العتاق، و یکون هنالک استحرار قتل حتّی یمشی المجروح علی المقتول، و یکون المفلت أقلّ من المأسور. فقال له بعض أصحابه: لقد اعطیت یا أمیر المؤمنین علم الغیب؟

ص:۲۰۸

فضحك عليه السّلام و قال للرّجل و كان كلبيّا يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم، و إنّما علم الغيب علم السّاعه و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ » الآيه، فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى، و قبيح أو جميل، و سخىّ أو بخيل، و شقىّ أو سعيد، و من يكون فى النّار حطبا، أو فى الجنان للنّبيّين مرافقا، فهذا علم الغيب الّذى لا يعلم أحد إلاّ اللّه، و ما سوى ذلك فعلم علمه اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعلّمنيه، و دعا لى بأن يعيه صدرى، و تضطمّ عليه جوانحى.

اللغه

(المجانّ) بفتح الميم و تشديد النّون جمع المجن بكسر الميم و هو الترس أو المجنّه بالكسر أيضا كالمحاشّ و المحشّه و هو الدّبر إلاّ أنّه بالفتح و هو مأخوذ من الجنّ و هو السّتر كأنّ التّرس يستتر به و منه الجنّ لاستتاره عن النّظر و الجنين لاستتاره فى الرّحم، و المجنون لاستار عقله، و الجنان للقلب و الجنّه لالتفافها بالأشجار و استتارها بها و قال سبحانه: «فلمّا جنّ عليه اللّيل» أى ستره.

و (المطرقه) و زان مكرمه من باب الافعال قال فى القاموس و المجانّ المطرقه كمكرمه الذى يطرق بعضها على بعض كالنّعل المطرقه المخصوفه، و يروى المطرقه بالتّشديد كمعظّمه أى الّتى طرّق و ركب بعضها على بعض و اطراق البطن ما ركب بعضها على بعض، و الطّراق كلّ خصيفه يخصف بها النّعل و يكون حذوها سواء، و كلّ صنعه على حذو، و جلد النّعل و أن يقوّر جلد على مقدار التّرس فيلزق بالتّرس.

ص:٢٠٩

و (السرق) محرّكه شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامّه و الواحده سرقه و (يعتقبون الخيل) أى يحتبسونها و يرتبطونها من اعتقب السلعه إذ احبسها من المشترى ليقبض الثّمن أو يجبنونها لينتقلوا من غيرها إليها، و (اضطمّ) الشّيء جمعه إلى نفسه، و (الجوانح) الضّلوع تحت التّرائب مما يلى الصّدر و يروى جوارحى بدل جوانحى.

الاعراب

قوما منصوب على البدل من ضمير الجمع فى أراهم و ابدال الظاهر من الضّمير الغائب لا غبار عليه بتصريح علماء الأدبيّه، و جمله يلبسون منصوبه المحلّ على الحال من ضمير الجمع أيضا، و الاضافه فى أخا كلب لانتسابه إلى تلك القبيله و هى من الاضافات الشائعه فى لهجه العرب و الرّابط إلى الموصول فى قوله لا يعلم أحد محذوف

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الموجود فى نسخ النّهج غير نسخه الشّارح البحرانى عنوان هذا الفصل بلفظ: منها، و أمّا نسخه الشّارح فالعنوان فيها بقوله: و من كلام له عليه السّلام و هو يفيد كون ذلك كلاما مستقلّا لا من فصول الكلام السّابق و الأمر سهل.

قال السّيد ره: و يؤمى به إلى وصف الأتراك، و هم امّه تسمّون بالتّتار، و كانت مساكنهم فى أقاصى بلاد المشرق فى جبال طخاج من حدود الصّين، و بينهم و بين بلاد الاسلام الّتى ما وراء النّهر ما يزيد على مسير ستّه أشهر، و كان عددهم فى الكثره متجاوزا عن حدّ الاحصاء، و كانوا من أصبر النّاس على القتال لا يعرفون الفرار، و يعملون ما يحتاجون إليه من السّلاح بأيديهم و من أصبر خلق اللّه على الجوع و العطش و الشّقاء، يأكلون الميته و الكلاب و الخنازير، و كان ثيابهم من أخشن الثياب، و منهم من يلبس جلود الكلاب و الدّواب الميته، و هم أشبه شيء بالوحش و السّباع، و كان چنگيز خان رئيسهم و ابن رئيسهم، و ما زال سلفه رؤساء تلك الجهه، و كان شجاعا مدبّرا عاقلا موفقا منصورا فى الحرب فأحبّ الملك و طمع فى البلاد فنهض بمن معه من أقاصى الصّين، إلى حدود تركستان فى سنه ستّ عشر

و ستّ مأئه، و حارب الملوك ملوك الخطاء و قفجاق و ما وراء النّهر و خراسان و العراقين و آذربيجان و أرمنيّه و الشام و غيرها، و ملك هذه البلاد، و قتل من الذّكران و الاناث فى كلّ ما مرّ عليه جيشه من البلدان ما لا يحصى عددهم إلاّ اللّه سبحانه، و قد نهبوا أكثر ما مرّوا عليه من المدن و القرى، و أحرقوه و خرّبوه و استأصلوا أهله، و سبوا الخرم، و استرّقوا الغلمان، و فعلوا كلّ قبيح منكر فيها، و لم يتركوا من الظّلم و الجور على المسلمين و المعاهدين شيئا على ما هو فى كتب التّواريخ و السّير مسطور، و فى الألسنه إلى زماننا هذا و قد مضى من زمانه نحوا من سبعمائه سنه مشهور مأثور، و كان ظهورهم فى عصر الشّارح المعتزلى، فأورد طرفا من حالهم و وقائعهم فى الشّرح من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لك ذلك فأقول: إنّه عليه السّلام يخبر عن حالهم و يقول(كأنّى أراهم قوما كأنّ وجوههم المجانّ المطرقه)تشبيهها بالمجان فى الاستداره و العظم و الانبساط و توصيفها بالمطرقه للخشونه و الغلظه (يلبسون السّرق و الدّيباج) و لا منافاه بين ذلك و بين ما قدّمنا من كون لباسهم أخشن اللّباس، لأنّ ما قدّمناه كان فى بدو حالهم و ذلك بعد ما ظهر دولتهم و علا أمرهم، أو أنّ ذلك وصف حال الرؤساء، و ما قدّمنا وصف ثياب الأتباع مع أنّه لا داعى إلى الجمع لأنّ ما تقدّم من نقل أرباب التواريخ و كلام الامام هو الصّحيح الأحقّ بالاتباع.

(و يعتقبون الخيل العتاق) أى يحتبسونها لينتقلوا من غيرها إليها عند مسيس الحاجه و مقام الضّروره (و يكون هناك استحرار قتل) و شدته (حتّى) ينتهى الأمر إلى أن (يمشى المجروح) منهم (على المقتول) منهم لعدم مبالاه الجرحى بقتل القتلى أو من مقاتليهم فيكون إشاره إلى كونهم مجروحين و كون مقابليهم مقتولين (و يكون المفلت) النّاجى من أيديهم (أقلّ من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السّلام) قال الشّارح المعتزلى: و سرّ هذا الضّحك أنّ النّبى و الولىّ إن تجدّدت عنده نعمه للّه سبحانه أو عرف النّاس و جاهته عند اللّه فلا بدّ أن يسرّ بذلك، و قد

يحدث الضحكك من السّرور و ليس ذلكك بمذموم إذا خلا من التّيه و العجب و كان محض السّرور و قد قال سبحانه:

«فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ ».

اقول: و فى هذا المعنى قوله سبحانه: «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ »، فانّ التحدّث بالنّعمه أعنى إظهارها و إشاعتها قد يكون الدّاعى إليه هو العجب و الشّهره و إظهار الكبر و النّخوه به على الخلق فهو قبيح محرّم مذموم، و قد يكون السّبب له محض إظهار أنها ممّا منّ اللّه سبحانه بها عليه فيشكر عليه و يحمد له، و هذا حسن ممدوح مأمور به فى الآيه و إليه الاشاره فى الحديث بقوله: و التحديث بنعمه اللّه شكر و تركه كفر.

و قال الصّادق عليه السّلام فى روايه الكافى: إذا أنعم اللّه بعبده بنعمه فظهرت عليه سمّى حبيب اللّه محدّثا بنعمه اللّه، و إذا أنعم اللّه على عبده بنعمه فلم تظهر عليه سمّى بغيض اللّه مكذّبا بنعمه اللّه.

(و قال عليه السّلام للرّجل و كان كلبيّا: يا أخا كلب ليس هو) أى ما أخبرت به من خبر الأتراك (بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم) أراد به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما سيصرّح به (و إنّما علم الغيب) هو العلم بامور خمسه أشار إليها سبحانه فى سوره لقمان و هو (علم السّاعه و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ».

يعنى عنده سبحانه علم وقت قيامها و استأثر به و لم يطّلع عليه أحد من خلقه، و يعلم نزول الغيث فى مكانه و زمانه، و يعلم ما تحمله الحوامل (فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى و قبيح أو جميل و سخىّ أو بخيل و شقىّ أو سعيد و من

یکون فی النّار حطبا أو فی الجنان للنّبیّین مرافقا) و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا من خیر أو شرور بما تعزم علی شیء فتفعل خلافه و قیل ما یعلم بقائه غدا فکیف یعلم تصرّفه، و ما تدری نفس فی أیّ أرض تموت و قیل انّه إذ ارفع خطوه لم یدر انّه یموت قبل أن یضع الخطوه أم لا.

(فهذا) أی ما ذکر من العلم بالامور الخمسه المعدوده (علم الغیب الذی لا یعلمه أحد إلاّ اللّه سبحانه و ما سوی ذلک فعلم علّمه سبحانه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فعلّمنیه) رسول اللّه باذن من اللّه (و دعا لی بأن یعیه) أی یحفظه(صدری و تضطم علیه جوانحی)أی تضبطه قلبی و یشتمل علیه، و کنّی بالجوانح عن القلب لاشتمالها علیه.

اقول: و محصّل ما استفید من کلامه أنّ ما أخبر به من خبر الأتراک و نحوه ممّا یکون و یحدّث به فی غابر الزّمان فلیس هو من علم الغیب و إنّما علم الغیب هو العلم بالامور الخمسه المعدوده فی الآیه الشّریفه إلاّ أنه یشکل بوجهین.

أحدهما انّه کیف یمکن نفی علم الغیب عمّا أخبر به مع أنّک قد عرفت فی شرح الفصل الثّانی من الخطبه التّسعین أنّ الغیب عباره عمّا غاب عن الخلق علمه و خفی مأخذه، و من المعلوم أنّ الحوادث التی تحدث و الملاحم التی تقع فی غابر الزّمان ممّا هو غائب عن نظر الخلق و هو اسّهم.

و ثانیهما أنّه کیف یصلح حصر علم الغیب فی الامور الخمسه فانّه بعد ما کان المدار علی التعلّم من ذیعلم فلا تفاوت حینئذ بین تلک الامور و غیرها، لا مکان العلم بها بتعلیم ذی العلم، بل هو واقع، و تحقیق المقام یحتاج إلی بسط فی الکلام لکونه من مزالّ الأقدام.

فأقول بعد الاعتصام بالملک العلاّم و التمسّک بذیل أئمّه الأنام علیهم الصّلاه و السّلام: إنّ مقتضی بعض الأدلّه هو اختصاص علم الغیب باللّه سبحانه و نفیه عمّن سواه تعالی، و مقتضی البعض الآخر إثباته لغیره تعالی من الأنبیاء و الأئمه و الملائکه و الرّسل علیهم السّلام، و مفاد طائفه ثالثه من الأدلّه هو التّفصیل.

أمّا الأدلّه الأول فمنها قوله تعالی فی سوره الأنعام: و عنده مفاتح الغیب

لا یعلمها إلّا هو، و فی سوره الأعراف: لو کنت أعلم الغیب لاستکثرت من الخیر و ما مسّنی السّوء، و فی سوره یونس إنّما الغیب للّه، و فی سوره هو دو النّحل، و للّه غیب السّماوات و الأرض، و فی سوره النّمل قل لا یعلم من فی السماوات و الأرض الغیب إلّا اللّه، و بمعناها آیات و أخبار اخر.

و أمّا الأدلّه الثّانیه فمثل ما دلّ بعلم المدبّرات من الملائکه بأوقات وقوع الحوادث، و ما دلّ بعلم ملک الموت بأوقات الآجال، و ما دلّ علی اخبار الأنبیاء بالمغیبات، و ما دلّ علی علم النبیّ و الأئمه بما کان و ما یکون و ما هو کائن.

کما فی البحار من بصائر الدّرجات عن ابن معروف عن حمّاد عن حریز عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سئل علیّ علیه السّلام عن علم النبیّ فقال: علم النبیّ علم جمیع النّبیّین و علم ما کان و علم ما هو کائن إلی قیام السّاعه، ثم قال: و الّذی نفسی بیده إنّی لأعلم علم النبیّ و علم ما کان و علم ما هو کائن فیما بینی و بین قیام الساعه و فیه أیضا من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن یونس عن الحرث بن مغیره و عدّه من أصحابنا فیهم عبد الأعلی و عبیده بن عبد اللّه بن بشر الخثعمیّ و عبد اللّه بن بشیر سمعوا أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّی لأعلم ما فی السماوات و أعلم ما فی الأرضین و أعلم ما فی الجنه و أعلم ما فی النّار و أعلم ما کان و ما یکون، ثمّ مکث هنیئه فرأی أنّ ذلک کبر علی من سمعه فقال: علمت من کتاب اللّه إنّ اللّه یقول: فیه تبیان کلّشیء.

و فیه من مصباح الأنوار باسناده إلی المفضّل قال: دخلت علی الصّادق علیه السّلام ذات یوم فقال لی یا مفضّل هل عرفت محمّدا و علیّا و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام کنه معرفتهم؟ قال: یا مفضّل من عرفهم کنه معرفتهم کان مؤمنا فی السّنام(1) الأعلی، قال: قلت: عرّفنی ذلک یا سیّدی، قال: یا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق اللّه عزّ و جلّ، و ذراه و براه و أنّهم کلمه التّقوی و خزّان السماوات و الأرضین و الجبال و الرّمال و البحار، و علموا کم فی السّمآء من نجم

۱- (۱) ای أعلی مدارج الایمان و سنام کل شی أعلاء.

و ملک و وزن الجبال وکیل ماء البحار و أنهارها و عیونها، و ما تسقط من ورقه إلّا علموها و لا حبّه فی ظلمات الأرض و لا رطب و لا یابس إلّا فی کتاب مبین، و هو فی علمهم، و قد علموا ذلک، فقلت: یا سیّدی قد علمت ذلک و أقررت به و آمنت، قال: نعم یا مفضّل، نعم یا مکرم، نعم یا محبور(۱) ، نعم یا طیّب طبت و طابت لک الجنّه و لکلّ مؤمن بها.

و فی الکافی عن محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزیز، عن محمّد بن الفضیل، عن أبی حمزه قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: لا و اللّه لا یکون عالم جاهلا أبدا، عالما بشیء جاهلا بشیء، ثمّ قال: اللّه أجلّ و أعزّ و أکرم من أن یفرض طاعه عبد یحجب عنه علم سمائه و أرضه، ثمّ قال: لا یحجب ذلک عنه.

إلی غیر ذلک من الأخبار المتظافره بل المتواتره الدّاله علی عموم علمهم علیهم السّلام بما فی الآفاق و الأنفس، و علی کونهم أعرف بطرق السّماء من طرق الأرض، و کونهم شهداء علی النّاس و الشهاده فرع العلم و معرفتهم علی النّاس لحقیقه الایمان و حقیقه الکفر و علمهم بعدد أهل الجنّه و أهل النّار، و غیر ذلک ممّا کان أو یکون و قد مضی کثیر من تلک الأخبار فی شرح الخطب السّابقه، و لا حاجه إلی الاعاده المفضیه إلی التکرار و الاطاله و أمّا الطائفه الثّالثه من الأدلّه فیستفاد منها التفصیل و به یجمع بین الأدلّتین المتقدّمتین و یقیّد اطلاقهما أو یخصّص عمومهما و وجه الجمع امور ثلاثه:

الأول

أن یکون المراد بالأدلّه الاول الحاصره للغیب فی اللّه سبحانه النافیه له عن غیره أنّه سبحانه عالم به بذاته لا یعلمه غیره کذلک فیکون المراد بالأدلّه الاخر أنّ غیره یعلم الغیب بعلم مستفاد منه سبحانه بوحی أو إلهام أو نکت فی القلوب و نقر فی الأسماع أو غیر ذلک من جهات العلم و یدلّ علی ذلک قوله سبحانه فی سوره آل عمران: «وَ ما کانَ اللّهُ لِیُطْلِعَکُمْ »

۱- (۱) لعله من الحبره قال فی القاموس الحبره بالضم نعمه حسنه و المبالغه فی ما وصف بجمیل.

«عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ »، و فی سوره الجنّ: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلی غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ».

روی فی الصّبا فی عن الخرائج عن الرّضا عليه السّلام فی هذه الآيه قال: فرسول اللّه عند اللّه مرتضی، و نحن ورثه ذلك الرّسول الذی اطّلعه اللّه علی ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون إلی يوم القيامه و يأتی فی روايه الكافی و البحار من البصائر عن أبی جعفر عليه السّلام أنّه قال فی هذه الآيه، و كان محمّد ممّن ارتضاه، و مضی فی شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السّادسه و الثّمانين فی روايه البحار قول أمير المؤمنين لسلمان: يا سلمان أما قرأت قول اللّه عزّ و جلّ حيث يقول: عالم الغيب فلا يظهر علی غيبه أحدا إلاّ من ارتضی من رسول، فقلت: بلی يا أمير المؤمنين، فقال أنا ذلك المرتضی من الرسول الذی أظهره اللّه عزّ و جلّ علی غيبه.

أقول: و المستفاد من هذه الرّوايه كون لفظه من فی قوله من رسول اللّه ابتدائيه، كما أنّ المستفاد من الروايتين السّابقتين كونها بيانيّه و لا منافاه لأنّ هذه تأويل للباطن و ما تقدّم تفسير للظّاهر كما هو ظاهر هذا.

و قال الطبرسیّ فی تفسير هذه الآيه: ثمّ استثنی فقال إلاّ من ارتضی من رسول، يعنی الرّسل، فانّه يستدلّ علی نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب فيكون آيه و معجزه لهم، و معناه أنّ من ارتضاه و اختاره للنبوّه و الرساله فانّه يطلعه علی من شاء من غيبه علی حسب ما يراه من المصلحه و هو قوله:

«فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ».

و الرّصد الطريق أی يجعل له إلی علم ما كان من قبله من الأنبياء و السّلف و علم ما يكون بعده طريقا و قال (ره) فی قوله تعالی: «وَ لِلّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ »: معناه و للّه علم ما غاب

ص:۲۱۶

فی السّموات و الأرض لا یخفی علیه شیء منه، ثمّ قال (ره): وجدت بعض المشایخ ممّن یتّسم بالعدل و التّشیّع قد ظلم الشّیعه الامامیّه فی هذا الموضع من تفسیره فقال: هذا یدلّ علی أنّ اللّه تعالی یختصّ بعلم الغیب خلافا لما تقول الرّافضه:

إنّ الأئمه علیهم السّلام یعلمون الغیب، و لا شکّ أنّه عنی بذلک من یقول بامامه الاثنی عشر و یدین بأنّهم أفضل الأنام بعد النبیّ علیهم السّلام، فإنّ هذا دأبه و دیدنه، فهو یشنّع فی مواضع کثیره من کتابه علیهم و ینسب القبایح و الفضائح الیهم و لا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغیب لأحد من الخلق، و إنّما یستحقّ الوصف بذلک من یعلم جمیع المعلومات لا بعلم مستفاد، و هذه صفه القدیم سبحانه، العالم لذاته لا یشرکه فیه أحد من المخلوقین، و من اعتقد أنّ غیر اللّه سبحانه یشرکه فی هذه الصّفه فهو خارج عن ملّه الاسلام و أمّا ما نقل عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و رواه عنه الخاصّ و العامّ من الاخبار بالغائبات فی خطب الملاحم و غیرهما کاخباره عن صاحب الزّنج و عن ولایه مروان الحکم و أولاده و ما نقل من هذا الفنّ عن أئمه الهدی علیهم السّلام، فانّ جمیع ذلک ملقّی من النّبی ممّا اطّلعه اللّه علیه، فلا معنی لنسبه ما روی عنهم هذه الأخبار المشهوره إلی أنّه یعتقد کونهم عالمین بالغیب، و هل هذا إلاّ سبّ قبیح و تضلیل لهم بل تکفیر و لا یرتضیه من هو بالمذهب خبیر، و اللّه یحکم بینه و بینهم و إلیه المصیر.

و فی البحار من بصائر الدرجات باسناده عن عبد الأعلی و عبیده بن بشیر قال:

قال أبو عبد اللّه ابتداء منه: و اللّه إنّی لأعلم غیب السّموات و الأرض و ما فی الجنّه و ما فی النّار و ما کان و ما یکون إلی أن تقوم السّاعه، ثمّ قال: اعلمه من کتاب اللّه أنظر إلیه هکذا ثمّ بسط کفّیه ثمّ قال: إنّ اللّه یقول:

«وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ ءٍ » و فیه من مجالس المفید باسناده عن أبی المغیره قال: کنت أنا و یحیی بن عبد اللّه بن الحسین عند أبی الحسن علیه السّلام فقال له یحیی جعلت فداک إنّهم یزعمون

أنّک تعلم الغیب؟ قال: سبحان اللّه ضع یدک علی رأسی فواللّه ما بقیت شعره فیه و لا جسدی إلاّ قامت، ثمّ قال: لا و اللّه ما هی إلاّـ وراثه عن رسول اللّه و فی الکافی عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عیسی عن معمّر بن خلاّد قال: سأل أبا الحسن علیه السّلام رجل من أهل فارس فقال له: أ تعلمون علم الغیب فقال قال أبو جعفر: یبسط لنا العلم فنعلم و یقبض عنّا فلا نعلم، و قال: سرّ اللّه عزّ و جلّ أسرّه إلی جبرئیل و أسرّه جبرئیل إلی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و أسرّه محمّد إلی من شاء اللّه.

قال المفید (ره) فی محکیّ کلامه من کتاب المسائل: أقول: إنّ الأئمه من آل محمّد علیهم السّلام قد کانوا یعرفون ضمائر بعض عبادهم، و یعرفون ما یکون قبل کونه و لیس ذلک بواجب فی صفاتهم، و لا شرط فی إمامتهم، و إنّما أکرمهم اللّه تعالی به و علّمهم إیّاه للطف فی طاعتهم و التبجیل بامامتهم، و لیس ذلک بواجب عقلا، و لکنّه وجب لهم من جهه السّماع، فأما اطلاق القول علیهم بأنّهم یعلمون الغیب فهو منکر بیّن الفساد، لأنّ الوصف بذلک إنّما یستحقّه من علم الأشیاء بنفسه، لا بعلم مستفاد و هذا لا یکون إلاّ للّه عزّ و جلّ، و علی قولی هذا جماعه أهل الدهامه إلاّ من شذّ عنهم من المفوّضه و من انتمی إلیهم من الغلاه، هذا.

و أنت بعد ما أحطت خبرا بما ذکرنا تقدر علی دفع ما استشکلناه فی کلامه علیه السّلام من نفیه علم الغیب عمّا أخبر به عن خبر الأتراک، و محصّل دفعه أنّ قوله:

یا أخا کلب إنّه لیس هو بعلم غیب، لم یرد به نفی علم الغیب عنه رأسا أراد به سلب علم الغیب علی زعم الکلبی السّائل فانه علیه السّلام لما أخبر بما أخبر من الغیب توهّم السّائل أنه علیه السّلام علمه من تلقاء نفسه بدون توسّط معلم کما هو زعم الغلاه فرّده علیه السّلام بقوله: لیس هو بعلم غیب و انّما هو تعلّم من ذی علم فان قلت: قول السّائل لقد اعطیت یا أمیر المؤمنین علم الغیب ینافی ذلک، لظهوره فی أنّ اعتقاده أنّ اللّه أعطاه العلم بذلک، لا أنّه علمه بنفسه قلنا: لفظ الاعطاء لا ینافیه، لامکان أن یکون مراده منه أنّه علیه السّلام آتاه اللّه قوّه یقتدر بها علی علم الغیب من غیر حاجه إلی وساطه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو إلهام إلهی

أو توسّط الملائكه النّازلين فی ليله القدر و نحو ذلک و بالجمله من دون حاجه إلی تعليم معلّم فافهم و تأمّل و الحاصل أنّهم عليهم السّلام لا يعلمون إلّا ما علّمهم اللّه سبحانه، و تعليمه فيكلّ آن فلو لم يعلمهم فی آن ما كان عندهم شیء و لا يعلمهم اللّه إلّا بواسطه محمّد و هو قولهم الحقّ كما فی الكافی عن زراره قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: لو لا أنّا نزاد لأنفدنا، قال: قلت: تزدادون شيئا لا يعلمه رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: أما انّه إذا كان ذلک عرض علی رسول اللّه ثمّ علی الأئمه ثمّ انتهی الأمر إلينا.

و عن يونس بن عبد الرّحمن عن بعض أصحابه عن أبی عبد اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قال: ليس شیء يخرج من عند اللّه عزّ و جلّ حتّی يبدء برسول اللّه، ثمّ بأمير المؤمنين، ثمّ بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا فملخّص الكلام و فذلكه المرام ما ورد فی الأخبار و ذكره علمائنا الأخيار من أنّهم لا يعلمون الغيب لا ينافی باخبارهم بأشياء كثيره من الغيب، لأنّ ذلک كلّه من الوحی الذی نزل علی رسول اللّه فعلّمهم رسول اللّه ذلک بأمر من اللّه، و لأنّ عندهم علم القرآن كلّه و فيه تبيان كلّ شیء، و تفصيل كلّ شیء و هو مستور محجوب عن الأغيار و قد كشفه اللّه سبحانه لمحمّد و آله الأطهار الأبرار، و ما أخبروا به من ذلک المستور عن غيرهم، و أيضا عندهم الاسم الأكبر و به يعلمون ما شاءوا كما ورد فی أحاديثهم فعلی ما ذكر لو قيل انّهم لا يعلمون الغيب بمعنی من ذاتهم فهو حقّ، و أمّا لو قيل إنّهم لا يعلمونه أصلا فلا بل قد علموا كثيرا منه بتعليم الرّسول و علموا بعضه بما عندهم من الاسم الأكبر و بعضه بما كتب فی القرآن و مصحف فاطمه و الجامعه و الجفر، و بعضه بالملائكه الذين ينزلون إليهم ليله القدر و بغيرهم من الملائكه المسخّرين لهم، و الجانّ الذين يخدمونهم و ينقلون إليهم علوم ما غاب عنهم و ما لم يكن مشاهدا و علی هذه كلّها دلّت أخبارهم و هذه العلوم الغائبه هی المشار إليها فی قوله: فلا يظهر علی غيبه أحدا إلّا من ارتضی من رسول، و فی قوله و لكنّ اللّه يجتبی من رسله من يشاء هی المراد بقوله فی الزّياره الجامعه: و اصطفاكم بعلمه و ارتضاكم

ص:۲۱۹

لغيبه و اختاركم لسرّه

الوجه الثانى

أن يقال: إنّ الغيب على قسـمين: قسم هو غيب عند الكلّ، و قسم هو غيب عند بعض شهاده عند آخر، و الأول قد يعبّر عنه بالعلم المكفوف و هو مختصّ باللّه سبحانه و عليه يحمل الأدلّه الـدّالّه على أنّ الغيب للّه، و الثانى هو المعبّر عنه بالعلم المبـذول و عليه يحمل الأدلّه المثبته لعلهم بالغيب و هذه القسـمه مستفاده من أخبار كثيره مثل ما فى البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن بشير الدهان قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ للّه علما لا يعلمه أحد غيره، و علما قد علمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه.

و عن سـماعه عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال إنّ للّه علما علّمه ملائكته و أنبيائه و رسـله فنحن نعلمه، و علما لم يطّلع عليه أحد من خلق اللّه و عن سدير قال: سـمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تبارك و تعالى: بديع السّموات و الأرض، قال أبو جعفر عليه السّـلام إنّ اللّه ابتـدع الأشـياء كلّها على غير مثال كان، و ابتـدع السّـموات و الأرض و لم يكن قبلهنّ سموات و لا أرضون، أما تسـمع لقوله تعالى: و كان عرشه على الماء، فقال حمران: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، فقال له أبو جعفر عليه السّـلام: إلّا من ارتضـى من رسول فانّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا، و كان اللّه و محمّد ممّن ارتضاه، و أمّا قوله عالم الغيب فانّ اللّه تبارك و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدّر من شىء و يقضيه فى علمه، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيّه فيقضـيه إذا أراد و يبدو له فلا يمضـيه، فأمّا العلم الذى يقدّره اللّه و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول اللّه ثمّ إلينـا و رواه فى الكافى عن سـدير نحوه إلّا أنّ فيه بعـد قوله: و يقضـيه فى علمه، قبل أن يخلقه و قبل أن يفضيه إلى الملائكه و فى البحار من البصائر أيضا عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ للّه

علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء، و علم علّمه ملائكته و رسله و أنبيائه و نحن نعلمه قال العلامه المجلسىّ: قوله: من ذلك يكون البداء، أى إنّما يكون البداء فيما لم يطّلع اللّه عليه الأنبياء و الرّسل حتما لئلّا يخبروا فيكذبوا هذا.

و ربما يظهر من بعض الأخبار أنّه قد يخرج من العلم المخزون إليهم عليهم السّلام ما لا يخرج إلى غيرهم، و هو ما رواه فى البحار من البصائر عن ابن هاشم عن البرقى رفعه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إنّ للّه علمين، علم تعلمه ملائكته و رسله، و علم لا يعلمه غيره، فما كان ممّا يعلمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه، و ما خرج من العلم الذى لا يعلم غيره فالينا يخرج و يدلّ على ذلك ما قدّمناه فى تحقيق معنى السّر فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه فليراجع إليه و قال بعض الأعلام فى توضيح المرام: اعلم أنّ المراد بالغيب ما غاب عن الحسّ، فاذا قيل غيب اللّه يراد به ما غاب عن بعض خلقه أو عن كلّهم، لأنّ اللّه سبحانه لم يغب عنه غائبه فلا يكون عنده غيب، و أمّا خلقه فلهم غيب و شهاده، و قد يكون غيب فى امكان عند بعض شهاده عند بعض آخر، و قد يكون غيب عند الكلّ أمّا الأوّل هو الغيب الذى ارتضاهم عليهم السّلام له، و هو غيب عند غيرهم و شهاده عندهم و أمّا الثّانى و هو ما كان غيبا عند كلّ الخلق فهو ما دخل فى الامكان و أحاطت به المشيه إلّا أنّه لم تتعلّق به تعلّق التكوين، و هذا لا يتناهى و لا ينفد أبد الآبدين و ذلك هو خزائنه التى لا تفنى و لا يتصوّر فيها نقص بكثره الانفاق، فهو عزّ و جلّ ينفق منها كيف يشاء، و الذى ينفق منه فى أوقات الانفاق و أمكنته ينزل من الغيب، إلى البيوت التى ارتضاهم لغيبه و ينزّل من أبوابها ما يشاء.

و ذلك المخزون منه محتوم، و منه موقوف فالمحتوم منه ما لا يمكن تغييره و هو كون ما كان فانّه لا يمكن بعد أن كان ألّا يكون، و منه ما يمكن تغييره و لكنّه

وعـد ألاّ يغيّره و هو لا يخلف الميعاد و قال تعالى فى محتوم الخير: فلا كفران لسـعيه و إنّا له لكاتبون، و فى محتوم الشـرّ: و لكن حقّ القول منّى لأملئنّ جهنّم من الجنّه و النّاس أجمعين، و هـذا المحتوم لو شاء غيّره و محاه و الموقوف مشـروط فيكون كذا إن حصل كذا و إن لم يحصل كذا لكان كذا و كذا، و الشّـرط هو السّـبب و أما المانع فقد يكون فى الغيب و الشّـهاده، و قد يكون فى الغيب و لا يكون فى الشهاده، لأنّه إذا وجد فى الشهاده وجد فى الغيب و لا يلزم العكس.

فإذا وجد المقتضـى فان وجد المانع منه فان اعتدلا فهو الموقوف كما ذكر و إن رجّح أحدهما فالحكم له فاذا وجد المقتضـى و فقـد المانع فان فقـد فى الغيب و الشّـهاده حتم وجوده، فان تمّت قوابله وجد و وصل إليهم علمه لأنّه ممّا شاء، و إن انتظرت جاز فى الحكمه الاخبـار به فيخبر به على جهه الحتم و لا بـدّ أن يكون إلاّ أنّه قبل كونه فى الصّـفحه الثّانيه من اللّوح، و هـذا عنـدهم عليهم السّـلام و منه ما كان و منه ما يكون، و إلى هـذا القسم أشاروا فى أخبارهم أنّ عنـدنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه و إن فقـد المانع فى الغيب خاصّه جاز فى الحكمه الاخبار به فيخبر به من غير حتم، و هـذا قـد يكون و قـد لا يكون، و الفائـده فى الاخبـار به مع أنّه سـبحانه لاـ يكـذّب نفسه و لا يكـذّب أنبيائه و رسـله و حججه هى اظهار التّوحيـد بالخلق و الأمر و الاسـتقلال بالملك و إرشاد الخلق إلى اعتقاد البـداء، لأنّه ما عبد اللّه شـىء أفضل من البداء أى إثبات البداء للّه تعالى، و هذا بجوز للحجج الاخبـار به لاـ على سبيـل الحتم بـل عليهم أن يعرفوا من لاـ يعرفوا إنّ اللّه يفعـل مـا يشـاء و إنّه يمحو مـا يشاء و يثبت و عنـده أمّ الكتاب و لهذا قالوا عليهم السّلام ما معناه إذا أخبرناكم بأمر فكان كما قلنا فقولوا:

صدق اللّه و رسوله، و إن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق اللّه و رسوله توجروا مرّتين و ليس عليهم أن يعرفوا من لا يعرف هذا فى خصوص الواقعه، لأنّ ذلك

ص:۲۲۲

یوجب الشّک فی تصدیقهم عند أکثر النّاس، و قد یلزمهم من ذلک التقول علی اللّه لانه سبحانه لم یأمر بذلک فی کلّ واقعه، و إن کان قد یأمر بذلک کما فی وعد موسی بین ثلاثین و أربعین فی معرض التقریر و الهدایه و البیان و قد یلزم من البیان خلاف المقصود من الاخبار، و هذا القسم قد یکون یوجد مانعه فی الشهاده کالصدقه فی دفع البلاء المبرم یعنی الذی ابرم فی الغیب لعدم المانع هناک و الدّعاء فی ردّ البلاء و قد ابرم ابراما کذلک، و کبعض الأفعال بل و کلّ الطّاعات و تفصیل ذلک یطول.

الوجه الثالث

أن یحمل الأدلّه الحاصره لعلم الغیب فی اللّه سبحانه علی الخمسه المذکوره فی الآیه، و الأدلّه المثبته له علی غیره تعالی علی ما سوی الخمسه و یدلّ علی هذا الجمع هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام الذی نحن فی شرحه و یدلّ علیه أیضا ما فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم القمیّ (ره) بعد ذکر الآیه قال الصّادق علیه السّلام: هذه الخمسه أشیاء لم یطّلع علیه ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل و هی من صفات اللّه عزّ و جلّ و من الخصال عن ابن الولید عن الصّفار عن ابن هاشم عن عبد الرحمن بن حمّاد عن إبراهیم بن عبد الحمید عن أبی اسامه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی أبی: ألا اخبرک بخمسه لم یطلع اللّه علیه أحدا من خلقه؟ قلت: بلی قال علیه السّلام:

إنّ اللّه عنده علم السّاعه، الآیه.

و من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن أبی الجارود عن الاصبغ ابن نباته قال سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: إنّ للّه علمین: علم استأثر به فی غیبه فلم یطلع علیه نبیّا من أنبیائه و لا ملکا من ملائکته و ذلک قول اللّه تعالی إنّ اللّه عنده علم السّاعه و ینزّل الغیث و یعلم ما فی الأرحام و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا و ما تدری نفس بأیّ أرض تموت، و له علم قد اطلع علیه ملائکته فما اطلع علیه ملائکته فقد اطلع علیه محمّدا و آله، و ما اطلع علیه محمّدا و آله فقد اطلعنی علیه بعلمه الکبیر منّا و الصّغیر.

و بمعناها أخبار اخر مفيده لتفرّد اللّه سبحانه بهذه الامور الخمسه إلاّ أنّ هذا الجمع يشكل من وجهين:

احدهما أنّ أشياء كثيره أخبروا عليهم السّلام بأنّهم لا يعلمونها، و ليست من هذه الخمسه و ثانيهما أنّهم عليهم السّلام كثيرا ما أخبروا بكثير من هذه الامور الخمسه كما هو غير خفيّ على من تتبع الأخبار و الآثار منها إخبار أمير المؤمنين بحمل الجاريه التى اختصم فيها قومه و إعلامه بأنّ الجنين فى بطنها علقه وزنها سبعمائه و خمسون درهما و دانقان، فوجدوها كما قال عليه السّلام حتى قال أبوها أشهد أنّك تعلم ما فى الأرحام و الضمائر، و أنت باب الدّين و عموده فى قصّه بيت الطست المعروفه و منها إخباره بوقت قتله و مقتله و قاتله و كذلك الحسين عليه السّلام و منها إخبارهم بآجال النّاس مثل ما فى الكافى عن أحمد بن مهران عن محمّد بن علىّ عن سيف بن عميره عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت العبد الصّالح ينعى إلى الرّجل نفسه، فقلت فى نفسى: و إنّه ليعلم متى يموت الرّجل من شيعته فالتفت إلىّ شبه المغضب و قال: يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنايا و البلايا و الامام أولى بعلم ذلك، ثمّ قال: يا اسحاق اصنع ما أنت صانع فانّ عمرک قد فنا و انّک تموت إلى سنتين و إخوتک و أهل بيتک لا يلبثون إلاّ يسيرا حتّى يتفرّق كلمتهم و يخون بعضهم بعضا حتّى يشمت بهم عدوّهم، فكان هذا فى نفسک، فقلت فانّى استغفر اللّه ممّا عرض فى صدرى، فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلاّ يسيرا حتى مات، فما أتى عليهم إلاّ قليل حتّى قام بنو عمّار بأموال النّاس فافلسوا و فيه عن إسحاق قال حدّثنى محمّد بن الحسن بن شمّون قال حدّثنى أحمد بن محمّد قال كتبت إلى أبى محمّد عليه السّلام حين أخذ المهتدى فى قتل الموالى: يا سيّدى الحمد للّه الذى شغله عنّا، فقد بلغنى أنّه يهدّدک و يقول و اللّه لا جلينّهم عن جديد

الأرض فوقّع أبو محمّد بخطه علیه السّلام: ذاک أقصر لعمره، عد من یومک هذا خمسه أیّام و یقتل فی الیوم السّادس بعد هوان و استخفاف یمرّ به، فکان کما قال علیه السّلام و فی العیون عن سعد بن سعد عن أبی الحسن الرّضا علیه السّلام أنّه نظر إلی رجل فقال له یا عبد اللّه أوص بما ترید و استعدّ لما لا بدّ منه فکان فمات بعد ذلک بثلاثه أیّام.

و فی الاحتجاج فیما خرج من التّوقیع إلی أبی الحسن السّمری رابع الوکلاء الأربعه: بسم اللّه الرّحمن الرحیم یا علیّ بن محمّد السّمری أعظم اللّه أجر إخوانک فیک، فانّک میّت ما بینک و بین ستّه أیام، فاجمع أمرک و لا توص إلی أحد یقوم مقامک بعد وفاتک، فقد وقعت الغیبه التّامه، فلا ظهور إلّا بعد إذن اللّه تعالی ذکره و ذلک بعد طول الأمد و قسوه القلوب و امتلاء الأرض جورا، و سیأتی من شیعتی من یدّعی المشاهده، ألا فمن ادّعی المشاهده قبل خروج السّفیانی و الصّیحه فهو کاذب مفتری و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلیّ العظیم. فنسخوا هذا التّوقیع و خرجوا من عنده فلمّا کان الیوم السّادس عادوا إلیه و هو یجود بنفسه، فقال له بعض النّاس: من وصیّک بعدک، فقال: للّه أمر هو بالغه و قضی، فهذا آخر کلام سمع منه رضی اللّه عنه و أرضاه، هذا و الاخبار الدّاله علی علمهم(۱) علیهم السّلام بالمنایا و البلایا و الانساب، و بعلمهم بأنّهم متی یموتون، و بعلمهم بما فی الأرحام، و بما یصیبون و یکتسبون، و بنزول المطر فوق حدّ الاحصاء متجاوزه عن حدّ الاستقصاء روی أبو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: إنّ الامام لو لم یعلم ما یصیبه و إلی ما یصیر فلیس ذلک بحجّه اللّه علی خلقه و إذا عرفت ذلک فأقول: و یمکن التفصّی عن هذین الاشکالین اما عن الاول فبحمل ما اخبروا بأنّهم لا یعلمونه علی أنهم علیهم السّلام لا یعلمونه

۱- (۱) یعنی علمهم بامور المعدوده فی الآیه الشریفه أعنی قوله: إن اللّه عنده علم الساعه و ینزّل الغیث الآیه م

من تلقاء أنفسهم على ما تقدّم تفصيلا فى أوّل وجوه الجمع و أما عن الثانى فبما فى المجلد السّابع من البحار قال (ره) بعد ما عقد بابا على أنّ الأئمه عليهم السّلام لا يعلمون الغيب و أورد الآيات و الأخبار الدالّه لذلك:

تذكره

قد عرفت مرارا أنّ نفى علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحى أو إلهام و إلّا فظاهر أنّ عمده معجزات الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام من هذا القبيل و أحد وجوه إعجاز القرآن أيضا اشتماله على الاخبار بالمغيبات و نحن نعلم أيضا كثيرا من المغيبات باخبار اللّه تعالى و رسوله و الأئمه صلوات اللّه عليهم كالقيامه و أحوالها و الجنّه و النّار و الرجعه و قيام القائم و نزول عيسى عليه السّلام و غير ذلك من أشراط السّاعه و الكرسى و الملائكه و أمّا الخمسه التى وردت فى الآيه فتحتمل وجوها الأوّل أن يكون المراد أنّ تلك الامور لا يعلمها على التعيين و الخصوص إلاّ اللّه تعالى، فانّهم إذا أخبروا بموت شخص فى اليوم الفلانى فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقه التى تفارق الرّوح الجسد فيها مثلا، و يحتمل أن يكون ملك الموت لا يعلم ذلك.

الثانى أن يكون العلم الحتمى بها مختصّا به تعالى و كلّ ما أخبر اللّه به من ذلك محتمل للبداء الثالث أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلّا من قبله فيكون كسائر الغيوب، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره أقول: و يؤيّد ذلك ما رواه سدير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ أبى مرض مرضا شديدا حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله عند رأسه، فنظر إليه فقال عليه السّلام إنّى لست بميّت من وجعى هذا إنّه أتانى اثنان فأخبرانى أنّى لست بميّت من وجعى هذا قال: فبرء و مكث ما شاء اللّه أن يمكث فبينما هو صحيح ليس

به بأس قال علیه السّلام: یا بنیّ إنّ الذین أتیانی من وجعی ذاک أتیانی فأخبرانی أنّی میّت یوم کذا و کذا، قال: فمات فی ذلک الیوم الرّابع ما أومأنا إلیه سابقا، و هو أنّ اللّه تعالی لم یطّلع علی تلک الامور کلّیه أحدا من الخلق علی وجه لابداء فیه، بل یرسل علمها علی وجه الحتم فی زمان قریب من حصولها، کلیله القدر أو أقرب من هذا، و هذا وجه قریب تدلّ علیه أخبار کثیره، إذ لا بدّ من علم ملک الموت بخصوص الوقت کما ورد فی الأخبار و کذا ملائکه السّحاب و المطر بوقت نزول المطر، و کذا المدبّرات من الملائکه بأوقات وقوع الحوادث، هذا و قد أطنبنا الکلام فی هذا المقام لکونه من مزالّ الأقدام، و قد أتینا فیه ما یقتضیه التأمّل و یسوق إلیه النّظر و التدبّر فی أخبار الأئمه علیهم السّلام، و الأمر بعد ذلک موکول إلیهم، فانّ أهل البیت أدری بما فیه و سرّ الحبیب مع الحبیب لیس قلم یحکیه، و ما التوفیق إلاّ باللّه، و الحمد للّه علی ذلک

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه است، و اشاره می فرماید بآن بسوی وصف ترکان و بیان حال ایشان گویا من می بینم ایشان را گروهی گویا روهای ایشان سپرهائیست که پوست بر پوست دوخته شده باشند در استداره و غلظت در حالتی که می پوشند جامهای حریر و دیبا، و جنیه می کشند اسبهای خوب و نجیب، و باشد در آن مکان شدت قتل و قتال تا این که راه می رود مرد زخم دار بر مرد کشته شده، و باشد نجات یابنده کمتر از اسیر و دستگیر.

پس گفت مر آن حضرت را بعض أصحاب او: هر آینه بتحقیق عطا شدۀ یا أمیر المؤمنین علم غیب را، پس تبسّم فرمود آن حضرت و فرمود بآن مرد و بود او از قبیلۀ کلب

ص:۲۲۷

أی برادر كلب نیست آن چه كه خبر دادم من از آن علم غیب، و جز از این نیست كه آن آموختنی است از صاحب علم یعنی حضرت رسالتمآب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و غیر از این است كه علم غیب علم بوقت قیامت است و به آن چه كه خداوند تبارك و تعالی تعداد فرمود آنرا با كلام معجز نظام خود كه فرموده: إنّ اللّه عنده علم السّاعه و ینزّل الغیث و یعلم ما فی الأرحام تا آخر آیه، یعنی بدرستی خداوند عالم در نزد اوست علم قیامت، و فرو می فرستد باران را، و میداند آن چه كه در رحم مادران است، پس میداند حق تعالی آنچه كه در رحمها است از مذكّر یا مؤنّث و زشت یا خوب و صاحب سخاوت و بخیل و صاحب شقاوت یا سعادت را، و آن كسی را كه باشد در آتش دوزخ سوزان، و در بهشت عنبر سرشت رفیق پیغمبران، پس این است علم غیب كه نمی داند او را هیچكس جز خدا و آنچه كه غیر از این است پس علمی است كه تعلیم فرموده آنرا خداوند متعال پیغمبر خود، پس تعلیم فرمود پیغمبر سلام اللّه علیه بمن آنرا، و دعا كرده در حقّ من باین كه نگه دارد آن علم را سینهٔ من، و ضبط كند آنرا قلب من، و اللّه أعلم بالصّواب.

و من خطبه له علیه السّلام فی ذكر المكائیل و الموازین

اشاره

و هی المأه و التاسعه و العشرون من المختار فی

باب الخطب

عباد اللّه إنّكم و ما تأملون من هذه الدّنیا أثویاء مؤجّلون، و مدینون مقتضون، أجل منقوص، و عمل محفوظ، فربّ دائب مضیّع، و ربّ كادح خاسر، و قد أصبحتم فی زمن لا یزداد الخیر فیه إلاّ إدبارا، و الشّرّ فیه إلاّ إقبالا، و الشّیطان فی هلاك النّاس إلاّ طمعا، فهذا أوان قویت عدّته، و عمّت مكیدته، و أمكنت فریسته، اضرب

بطرفک حیث شئت من النّاس، فهل تبصر إلاّ فقیرا یکابد فقرا، أو غنیّا بدّل نعمه اللّه کفرا، أو بخیلا اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفرا، أو متمرّدا کأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقرا، أین خیارکم و صلحائکم و أحرارکم و سمحائکم، و أین المتورّعون فی مکاسبهم، و المتنزّهون فی مذاهبهم؟ أ لیس قد ظعنوا جمیعا عن هذه الدّنیا الدّنیّه و العاجله المنغّصه، و هل خلّفتم إلاّ فی حثاله لا تلتقی بذمّهم الشّفتان استصغارا لقدرهم، و ذهابا عن ذکرهم، فإنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، ظهر الفساد فلا منکر متغیّر، و لا زاجر مزدجر، أ فبهذا تریدون أن تجاوروا اللّه فی دار قدسه، و تکونوا أعزّ أولیائه عنده، هیهات لا یخدع اللّه عن جنّته، و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته، لعن اللّه الآمرین بالمعروف التّارکین له، و النّاهین عن المنکر العاملین به.

اللغه

(المکائیل) جمع المکیال و هو ما یکال به الطعام کالکیل و المکیل و المکیله و (أثویاء) جمع ثویّ کأغنیاء و غنیّ و هو الضّیف و الأسیر و المجاور بأحد الحرمین من ثوی المکان و به یثوی ثواء أطال الاقامه به و (دنت) الرّجل أقرضته و هو مدین و مدیون و دنت أیضا استقرضت و صار علیّ دین فأنا داین یعدّی و لا یعدّی و (مقتضون) جمع مقتضی کمرتضون جمع مرتضی و (مضیّع) یروی بالتّشدید و التخفیف و (زاد اللّه خیرا) و زیده، فزاد و ازداد و (الفرس) القتل و الفریس القتیل و فرس الأسد فریسته دقّ عنقها، و الأسد فرّاس و فارس و مفترس و فروس و المنغّصه ()

بتشدید الغین و تخفیفها و کسرها و فتحها و (الحثاله) السّاقط الرّدی من کلّ شیء (فلا منکر متغیّر) کلاهما بصیغه المفعول و الأوّل من باب الأفعال و الثانی من باب التفعیل و فی بعض النّسخ کلاهما بصیغه الفاعل إلاّ أنّ الأوّل من باب الافعال و الثّانی من باب التفعیل مغیّر بدل متغیّر

الاعراب

أجل و عمل خبران محذوف المبتدأ، و قوله: أین خیارکم، استفهام علی سبیل التّحسر و التحزّن، و قوله: أ لیس قد ظعنوا، استفهام علی سبیل الابطال و الانکار أو التّقریر لما بعد النّفی، و قوله: أ فبهذا، استفهام علی سبیل التوبیخ و التّقریع.

المعنی

اعلم أنّ هذه الخطبه کما ذکره السّید خطبها فی ذکر المکائیل و الموازین قال الشّارح المعتزلی: و لست أری فی هذه الخطبه ذکرا للمکاییل و الموازین الّتی أشار إلیه الرّضی (ره) اللّهم إلاّ أن یکون قوله: و این المتورّعون فی مکاسبهم، أو قوله ظهر الفساد، و دلالتهما علی المکائیل و الموازین بعیده انتهی و قد یقال إنّ ذلک ابتناء علی ما هو دأب السّید (ره) و عادته فی الکتاب من التقطیع و الالتقاط، فلعلّه أسقط ما اشتمل علی ذکر الموازین و المکائیل، و لا یبعد أن یکون ذکر عنده تطفیف النّاس فی المکائیل و الموازین و اشتهار ذلک بینهم فخطب بهذه الخطبه نهیا لهم عن ذلک المنکر علی سبیل الاجمال و وبّخهم علی فعلهم بقوله أین المتورّعون و نحو ذلک، فالمراد بقوله: فی ذکر المکائیل: عند ذکرها و فی وقته لا أنّها مذکوره فی الخطبه صریحا و کیف کان فقد نبّه علیه السّلام أوّلا علی فناء الدّنیا و زوالها و زهاده قدرها إزعاجا للمخاطبین عن الرکون إلیها و الاعتماد علیها و الشّغف بها فقال:(عباد اللّه إنّکم و ما تأملون من هذه الدّنیا أثویاء مؤجّلون) أی أنتم ما ترجونه من هذه الدّنیا الدّنیّه من البقاء و التّعیش فیها بمنزله أضیاف منزلین فی منزل مقترین إلی أجل

ص:۲۳۰

معلوم و وقت معدود (و مدينون مقتضون) أى ما أوتيتم فيها من زبرجها و زخارفها مطالبون بها و محاسبون عليها كالمديون المطالب بدينه، و قيل استعار لفظ المدين لهم باعتبار وجوب التكاليف المطلوبه منهم و ليس بشىء (أجل منقوص و عمل محفوظ) أى آجالكم منقوصه بمضىّ اللّيالى و الأيّام و انقضاء الشهور و السّنين، و أعمالكم محفوظه بأيدى الكرام الكاتبين.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى عدم جواز الاغترار بالأعمال و الابتهاج بها بقوله:(فربّ دائب مضيّع و ربّ كادح خاسر) يعنى كم من مجدّ فى العباده متعب نفسه فى الاتيان بها مضيّع لها بما يلحقها من العجب و الرّياء و نحو ذلك ممّا يبطلها و يضيّعها، كابطاله صدقاته بالمنّ و الأذى، و كم من ساع خاسروهم الأخسرون أعمالا الّذين ضلّ سعيهم فى الحياه الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، الّذين يأتون بالطاعات فاقده لشرائطها المعتبره فى القبول كطاعه الخوارج و النّواصب و الغلاه و من يحذو حذوهم.

(و قد أصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدبارا و الشّر إلّا إقبالا) لغلبه اتّباع الهوى و النكوب عن سمت الرشاد و الهدى (و الشيطان فى هلاك النّاس إلّا طمعا) لأنّه بعد ما ضعف جانب الحقّ و قوى جانب الباطل فهنا لك يطمع إبليس فى اغواء النّاس و إهلاكهم و يستولى على أوليائه(فهذا أوان قويت عدّته)استعاره للشّرور و المفاسد الّتى هى زاد الشيطان و ذخيرته (و عمّت مكيدته) للناس إلّا الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى(و أمكنت فريسته)أى أمكنته فريسته من نفسها حتّى سهل عليه افتراسها، و هى استعاره لأهل الضّلال باعتبار هلاكهم فى يده و استيلائه عليهم و تمكّنه من إغوائهم و إضلالهمثمّ شرح عليه السّلام أنواع الشّرور الّتى لا تزيد إلّا إقبالا بقوله:(اضرب بطرفك) أى أمعن النّظر (حيث شئت من النّاس فهل تبصر إلّا فقيرا يكابد فقرا) أى يتحمّل مشاقته و يقاسى مرارته و متاعبه، و هو إشاره إلى استكراه الفقير لفقره و استنكافه منه، و لا شكّ أنّ ذلك محبط لأجره واضع لقدره

ص:۲۳۱

و لذلک قال علیه السّلام یا معشر الفقراء اعطوا اللّه الرّضا من قلوبکم تظفروا بثواب فقرکم.

و عن أمیر المؤمنین علیه السّـلام إنّ للّه عقوبات و مثوبات بالفقر، فمن علامه الفقر إذا کان مثوبه أن یحسن إلیه خلقه و یطیع ربّه و لا یشکو حاله و یشکر اللّه تعالی علی فقره و من علامته إن یکون عقوبه أن یسوء إلیه خلقه و یعصی ربّه و یکثر الشّکایه و یتسخّط القضاء (أو غنیّا بدّل نعمه اللّه کفرا) لأنّ الانسان لیطغی أن رآه استغنی فیلهیه غناءه عن ذکر اللّه تعالی کما قال سبحانه: ألهیکم التّکاثر، و قال: إنّما أموالکم و أولادکم فتنه.

بیان ذلک أنّ ذکر اللّه سبحانه و شکره و الثناء علیه و التفکّر فیجلاله یستدعی قلبا فارغا، و الغنیّ لا فراغ له، و إنّما یصبح و یمسی و هو متفکّر فی إصلاح ماله، مصروف الحواسّ إلی حفظه قال عیسی علیه السّلام: فی المال ثلاث آفات: أن یأخذه من غیر حلّه، فقیل: إن أخذه من حلّه، فقال: یضعه فی غیر حقّه، فقیل: إن وضعه فی حقّه، فقال: یشغله إصلاحه عن اللّه تعالی و فی إحیاء العلوم عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: سیأتی بعدکم قوم یأکلون أطائب الدّنیا و ألوانها، و یرکبون فره الخیل و ألوانها، و ینکحون أجمل النّساء و ألوانها و یلبسون أجمل الثّیاب و ألوانها، لهم بطون من القلیل لا تشبع، و أنفس بالکثیر لا تقنع، عاکفین علی الدّنیا، یغدون و یروحون الیها، اتخذوها آلهه من دون إلههم، و ربّا دون ربّهم، إلی أمرها ینتهون، و لهواهم یتّبعون، فعزیمه من محمّد بن عبد اللّه لمن أدرک ذلک الزّمان من عقب عقبکم و خلف خلفکم أن لا یسلّم علیهم و لا یعود مرضاهم، و لا یتّبع جنائزهم، و لا یوقّر کبیرهم، فمن فعل ذلک فقد أعان علی هدم الاسلام (أو بخیلا اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفرا) أی ثروه و کثره فی المال، و لمّا کان البخیل هو الذی لا یطیب قلبه بالعطاء و هذا علی اطلاقه لیس حراما و لا من

أفراد الشّر الذى أشار عليه السّلام إلى اقباله و ازدياده و لا جرم خصّه بالبخيل فى عرف الشّرع و هو الّذى يمنع من أداء الواجب عليه، و البخل فى غير الواجب مكروه مذموم و فاعله ملوم، و فى الواجب موجب للعقاب و العتاب مبعّد لفاعله من حظيره القدس و حضره ربّ الأرباب كما قال اللّه سبحانه: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » (أو متمرّدا كان باذنه عن سمع المواعظ) و النّصايح (وقرا) و ثقلا فلهم أعين لا يبصرون بها، و لهم قلوب لا يفقهون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها، ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوه و لهم عذاب عظيم ثمّ تحسّر و تأسّف على فوت الخيار و موت الصلحاء الأخيار فقال (أين خياركم و صلحائكم و أحراركم و سمحائكم) أى أخياركم و أسخيائكم (و أين المتورّعون فى مكاسبهم) المراقبون لشرائط التجارات و المواظبون لرسوم المعاملات الآخذون بوظائف العدل و الانصاف، و المجانبون عن التطفيف و البخس و الاعتساف (و المتنزّهون فى مذاهبهم) أى المتباعدون عن الأخذ بالمقاييس و الاراده الفاسده و بالاستحسانات العقليّه و العقائد الكاسده (أ ليس قد ظعنوا) و ارتحلوا (جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّه و العاجله المنغّصه) المكدّره فلم يبق منهم من تأخذون منه مكارم الآداب و الأخلاق، و ترجعون إليه فى صالح الأعمال و الأفعال لعلّكم تقتبسون آثارهم و تتّبعون أفعالهم ثمّ نبّه على حقاره الباقين و رذالتهم فقال (و هل خلفتم إلاّ فى حثاله لا تلتقى بذمّهم الشفتان) أى ما بقيتم إلاّ فى أوغاد النّاس و أراذلهم و طغاتهم و حمقائهم يأنف الانسان أن يذمّهم و لا يطبق إحدى الشّفتين منه على الاخرى ليتكلّم فيهم (استصغارا لقدرهم و ذهابا) أى ترفّعا (عن ذكرهم) و احتقارا لهم (فانّا للّه و إنّا إليه راجعون) من اصابه هذه المصائب و ابتلاء تلك البليّه، فانّ المبتلى و المصاب إنّما يسترجع إذا وقع فى بليّه أو ابتلى بمصيبه (ظهر الفساد) فى النّاس بارتفاع المعروف و اشتهار المنكر (فلا منكر متغيّر) أى لا يتغيّر فعل منكر لعدم وجود المغيّر و المنكر

أو لعدم تأثير انكاره لعدم تأثّره فى نفسه عن قبيح فعله، و يؤيّده ما فى بعض النّسخ من قوله فلا منكر مغيّر بدله أى ليس منكر يغيّر سوء فعله (و لا زاجر مزدجر) عن قبيح عمله فيكون القرينه الثّانيه تفسيرا للاولى، و المقصود أنّه لا ينتهى النّاهى عن المنكر عمّا ينهى عنه، و لا زاجر يزدجر و يتّعظ (أ فبهذا) الحال (تريدون أن تجاوروا اللّه فى دار قدسه) و تسكنوا جنّته (و تكونوا أعزّ أوليائه عنده) و تلقوا النّضره و السّرور، و تنزلوا الغرف و القصور و تشربوا الشّراب الطهور و تلبسوا الدّيباج و الحرير، و تزوّجوا بالحور العين، و تخدموا الولدان المخلّدين (هيهات لا يخدع اللّه عن جنّته و لا تنال مرضاته إلّا بطاعته) لأنّ الخديعه إنّما تجوز على من لا يعلم السّر دون من هو عالم بالسّر و أخفى يعلم ما فى السّموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثّرى، فالطّمع فى نزول الجنان و الدّرجات و نيل الرّضوان و المرضاه ليس إلّا من اغترار الأنفس و أمانى إبليس، فلا يغرّنكم الحيوه الدّنيا و لا يغرّنكم باللّه الغرور (لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له، و النّاهين عن المنكر العاملين به) لأنّ الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر إنّما هو بعد الاتيان بالأوّل و الانتهاء عن الثانى، قال اللّه تعالى: يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون، و قد مضى أخبار كثيره فى هذا المعنى فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه المأه و الرّابعه

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن امام مبين و سيّد وصيّين است در ذكر پيمانها و ترازوها بندگان خدا بدرستى كه شما و آنچه اميد مى داريد بآن در اين دنيا مهمانانيد مهلت داده شده تا مدّت معيّن، و قرض دارانيد طلبكارى شده أجل شما أجلى است نقصان يافته، و عمل شما عملى است نگه داشته شده، پس بسا جهد كنندۀ در عبادت كه ضايع كنندۀ اوست، و بسا سعى كنندۀ كه زيان كار است، و بتحقيق صباح كرديد

در زمانی که زیاده نمی شود نیکوئی در آن مگر إدبار او، و نه بـدی مگر إقبال آن، و نه شیطان لعین در هلاک مردمان مگر طمع او، پس این زمان زمانی است که قوّت یافته ذخیرۀ مهیا شـدۀ آن لعین، و فرا گرفته است کیـد و مکر او غالب خلق را، و دست داده است شکار او بگردان نظر خود را هر جـا که می خواهی از مردمـان، پس نمی بینی مگر فقیر که می کشـد رنـج و تعب فقر را، یـا غنیّ کـه بـدل نمـوده نعمـت خـدا را بکفران، یـا بخیلی که أخـذ نمـوده بخـل بحقّ خـدا را از کـثرت مـال، یا گردنکشی که گویا در گوش او از شـنیدن موعظها سنگینی و گره است، کجایند أخیار شما و صالحین شما و آزاد مردان شما و سـخیان شـما؟ و کجایند کسانی که پرهیزکار بودند در کسـبهای خودشان، و دو روی می جسـتند از شـبه باطله در مذهبهای خودشان؟ آیا رحلت نکردند همگی ایشان از این دنیای پست و بی مقدار، و از این شـتاب کنندۀ کدورت آمیز واپس گذاشـته نشده اید مگر در پست و بد مردمان که بهم نمی آید بمذمت ایشان لبها بجهت حقیر شمردن قدر ایشان، و بجهت اظهار رفعت از ذکر ایشان پس بـدرستی که ما بنـدگانیم خداونـد تعالی را و بتحقیق که ما بسوی او رجوع خواهیم کرد، ظاهر گردیـد فساد در میـان عبـاد، پس نیست انکـار کننـدۀ معاصـی تغیر دهنـده عمـل قبیـح خود را، و نه منع کننـدۀ از قبایـح بـاز دارنـدۀ خود از معصـیت، آیا پس باین حال می خواهید مجاور باشـید خدا را در سـرای پاکیزۀ او، و بشوید عزیزترین دوستان او در نزد او، چه دور است این آرزو، فریب داده نمی شود خـدای متعـال از بهشت خود، و درک نمی شود خوشـنودی او مگر بطاعت او، لعنت کند خدا امر بمعروف کنندگانی که ترک کننده آن معروف باشند، و نهی کنندگان از منکر که عمل کننده باشند بآن منکر.

و من كلام له عليه السّلام لابى ذر (ره) لما اخرج الى الربذه

اشاره

و هو المأه و الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

و هو مروى فى روضه الكافى بتفصيل تطلع عليه انشاء اللّه يا أبا ذرّ إنّك غضبت للّه سبحانه فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك، فاترك فى أيديهم ما خافوك عليه، و اهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، و أغناك عمّا منعوك، و ستعلم من الرّابح غدا، و الأكثر حسّدا، و لو أنّ السّموات و الأرضين كانتا على عبد رتقا ثمّ اتّقى اللّه لجعل اللّه له منهما مخرجا، لا يونسنّك إلاّ الحقّ، و لا يوحشنّك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك، و لو قرضت منها لأمنوك.

اللغه

قال الطريحى (الرّبذه) بالتّحريك قريه معروفه قرب المدينه نحوا من ثلاثه أميال كانت عامره فى صدر الاسلام فيها قبر أبى ذر الغفارى و جماعه من الصّحابه و هى فى هذا الوقت دارسه لا يعرف لها أثر و لا رسم و (الرّتق) ضدّ الفتق قال اللّه تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما »، و رتقت المرأه رتقا من باب تعب إذا انسدّ مدخل الذّكر من فرجها فلا يستطاع جماعها فهى رتقاء واسع (القرض) القطع و منه الحديث كان بنى إسرائيل إذا أصاب أحدا قطره من بول قرضوا لحومهم بالمقاريض أى قطعوها، و سمّى القرض المصطلح و هو ما تعطيه لتقضاه به لأنّه قطيعه من مالك (الأمن) ضدّ الخوف و أمن كفرح أمنا و أمانا بفتحهما.

ص:۲۳۶

الاعراب

قد مضى تحقيق الکلام فی ما فی مثل قوله فما أحوجهم فی شرح الخطبه المأه و الثّامنه، و ما فی ما منعتهم یحتمل المصدر و الموصول فالعاید محذوف و مثله علی الاحتمال الثانی ما فی عمّا منعوک، فافهم

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام حسبما أشار إلیه السیّد (ره) قاله لأبی ذرّ لما أخرج إلی الرّبذه بأمر عثمان اللّعین، و ستعلم نبأه بعد حین (یا أبا ذر إنّک غضبت) القوم (للّه سبحانه فارج من غضبت له) و إنّما أتی بالموصول و لم یقل فارج اللّه لما فیه من تقریر الغرض المسوق له الکلام، فانّ المقصود بهذا الکلام تسلیه همّ أبی ذرّ رحمه اللّه و سلب وحشته و کأبته، فانّه إذا کان غضبه للّه سبحانه و فی اللّه سبحانه خالصا مخلصا فلا بدّ أن یکون رجاه باللّه و حریّ حینئذ علیه سبحانه الذی کان غضبه له أن لا یخیّب رجاه و لا یقطع أمله بل یکون مونسه فی الوحشه و أنیسه فی الوحده، و ناصره و معینه و حافظه علی کلّ حاله، ففی التّعبیر بالموصول زیاده تقریر لعدم تخیّب رجاه، و فیه من التّسلیه له ما لا یخفی (إنّ القوم) أراد به عثمان و معاویه و أمثالهما (خافوک علی دنیاهم و خفتهم علی دینک) یعنی أنّهم خافوا منک أن تفسد دنیاهم کما أنّک خفت أن تفسدوا دینک (فاترک فی أیدیهم ما خافوک علیه و اهرب منهم بما خفتهم علیه فما أحوجهم إلی ما منعتهم) أیما أعظم احتیاجهم إلی منعک إیّاهم لأنّک إنّما تمنعهم من المنکرات و فی هذا المنع لهم من الفوائد ما لا تحصی و فی ترکه من المضارّ ما لا تستقصی، أو ما أکثر حاجتهم إلی الذی منعته منهم بخروجک من بین أظهرهم و هو دینک الذی خفتهم علیه (و) ما (أغناک عمّا منعوک) أی ما کثر غنائک عن الّذی منعوک منه و هو دنیاهم الّتی خافوک علیها (و ستعلم من الرّابح غدا) أی فی الآخره (و الأکثر حسّدا)ثمّ أراد زیاده ترغیبه فی الثّقه و الاعتماد علی اللّه سبحانه فقال(و لو أنّ

السّموات و الأرضين كانتا على عبد رتقا)أى مرتقين منسدّين و هو كنايه عن شدّه الضّيق أى لو كان العبد فى غايه الشّده و نهايه الضّنك و الضيق بحيث ضاقت عليه السّموات و الأرض بما رحبت (ثمّ اتقى اللّه) سبحانه (لجعل اللّه له منهما مخرجا) حسبما وعده فى الكتاب العزيز بقوله: و من يتّق اللّه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكّل على اللّه فهو حسبه.

(لا يونسنّك إلاّ الحقّ و لا يوحشنّك إلاّ الباطل فلو قبلت دنياهم) و لم تمنعهم من زبرجها و زخارفها و قيناتها (لأحبّوك و لو قرضت منها) و قطعت قطيعه لنفسك من مالها و قبلت ما يعطونك منها إليك (لأمنوك) أى كنت فى أمن من شرورهم، و لم يصل إليك أذا هم

تنبيه

فى ذكر نبذ من أحوال أبى ذر و فضائله و كيفيه اسلامه و اخراجه

الى الربذه

فأقول: أبو ذر اسمه جندب(۱) ابن السّكن كما قاله الطريحى، أو جندب ابن جناده كما قاله المجلسيّ و هو الأشهر فسمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبد اللّه، و هو من بنى غفار و زان كتاب أمّا كيفيّه اسلامه ففى الروضه من الكافى عن أبى علىّ الأشعريّ عن محمّد ابن عبد الجبّار عن عبد اللّه بن محمّد عن سلمه اللّؤلؤى عن رجل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ألا أخبركم كيف كان إسلام سلمان و أبى ذر؟ فقال الرّجل و أخطأ: أمّا إسلام سلمان فقد عرفته فأخبرنى باسلام أبى ذر، فقال: إنّ أبا ذر كان فى بطن مرّ يرعى غنما فأتى ذئب عن يمين غنمه فهشّ (۲) بعصاه على الذئب فجاء الذّئب عن شماله فهشّ عليه أبو ذر فقال له أبو ذر ما رأيت ذئبا أخبث منك و لا شرّا، فقال الذّئب:

و اللّه شرّ منّى أهل مكّه بعث اللّه عزّ و جلّ نبيّا فكذّبوه و شتموه، فوقع فى اذن

ص:۲۳۸

۱- (۱) جندب وزان درهم كما فى القاموس

۲- (۲) اى صال م

أبی ذر فقـال لامرءته هلمّی مزودی و إداوتی و عصـای، ثمّ خرج علی رجليه يريـد مکّه ليعلم خبر الـذئب و مـا أتـاه به حتی بلغ مکّه، فـدخلها فی ساعه حارّه و قـد تعب و نصب و أتا زمزم و قـد عطش فاغترف دلوا فخرج لبنا، فقال فی نفسه: هذا دالّه يدلّنی علی أنّ خبر الـذئب و مـا جئت له حقّ فشـرب و جـاء إلی جـانب من جوانب المسـجد فـاذا حلقه من قريش فجلس إليهم فرآهم يشـتمون النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم کما قال الذئب، فما زالوا فی ذلک من ذکر النبیّ و الشـتم له حتی جاء ابو طالب من آخر النهار، فلما رأوه قال بعضـهم لبعض: کفّوا فقـد جاء عمّه، قال: فکفّوا، فما زال يحدّثهم و يکلّمهم حتی کان آخر النهار، ثمّ قـام و قمت علی اثره فـالتفت إلیّ فقـال: اذکر حاجتـک، فقلت هـذا النبیّ المبعوث فيکم؟ قـال: و ما تصـنع به؟ قلت: او من به و اصدّقه و أعرض عليه نفسی و لا يأمرنی بشیء إلّا أطعته، فقال: و تفعل؟ فقلت: نعم، قال:

فقال: غدا فی هذا الوقت إلیّ حتی أدفعک إليه، قال: فبتّ تلک اللّيله فی المسـجد حتی إذا کان الغد جلست معهم، فما زالوا فی ذکر النبیّ و شـتمه حتّی طلع ابو طـالب فلما رأوه قال بعضـهم لبعض امسـکوا فقـد جاء عمّه فأمسـکوا فما زال يحـدّثهم حتی قام فتبعته فسـلّمت عليه فقال: اذکر حاجتک، فقلت: النبیّ المبعوث فيکم؟ قال: و ما تصـنع به؟ قلت: اؤمن به و أصدقّه و أعرض عليه نفس و لا يأمرنی بشـیء إلّا أطعته قال: و تفعل؟ قلت: نعم، قال: قم معی، فتبعته فـدفعنی إلی بيت فيه حمزه عليه السّـلام فسـلّمت عليه و جلست فقال لی: ما حاجتک؟ فقلت: هـذا النّبیّ المبعوث فيکم؟ قال: و ما حاجتک إليه؟ قلت: اؤمن به و اصدّقه و أعرض عليه نفسی و لا يأمرنی بشیء إلّا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، قال: فشهدت قال:

فدفعنی حمزه إلی بيت فيه جعفر فسلّمت عليه و جلست، فقال لی جعفر: ما حاجتک؟ فقلت: هذا النبیّ المبعوث فيکم؟ قال: و ما حاجتک إليه؟ قلت: أؤمن به و أصدّقه و أعرض عليه نفسـی و لا يأمرنی بشـیء إلّا أطعته، فقال: تشـهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريک له و أنّ محمّدا عبده و رسوله، قال: فشهدت، فدفعنی إلی بيت فيه علیّ عليه السّلام فسلّمت و جلست فقال: ما حاجتک؟ قلت: هذا النبیّ المبعوث فيکم؟ قال: و ما

حاجتـک إليه؟ قلت: أومن به و اصـدّقه و أعرض عليه نفسـی، و لاـ يـأمرنی بشـیء إلاّـ أطعته، قـال: تشـهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّـدا رسول اللّه، قال: فشـهدت فدفعنی إلی بيت فيه رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم فسـلّمت و جلست فقال لی رسول اللّه: ما حاجتک؟ قلت:

النبیّ المبعوث فيکم؟ قال: و ما حاجتک إليه؟ قلت: أؤمن به و اصدّقه و لا يأمرنی بشـیء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّـدا رسول اللّه، فقلت: أشـهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله، فقال لی: يا باذر انطلق إلی أهلک فانّک تجد ابن عمّ لک قد مات و ليس له وارث غيرک، فخذ ما له و أقم عند أهلک حتّی يظهر أمرنا، قال: فرجع أبو ذر و أخذ و أقام عند أهله حتّی ظهر أمر رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: هذا حديث أبی ذر و إسلامه «رض»

و أما مناقبه الجميله و خصاله الحميده و کراماته البديعه

فأکثر من أن تحصـی، و کفی فی فضـله اختصاصه برسول اللّه و کونه من خيار صحابته و تالی مرتبه سلمان و أنّه ارتدّ النّاس بعد رسـول اللّه إلی أعقـابهم القهقری و لم يبق غيرهمـا و غير عمّـار و المقـداد و قـد قـال فيه رسول اللّه مـا أقلّت الغـبراء و لاـ أظلّت الخضـراء علی ذی لهجه أصدق من أبی ذر، قيل بماذا فضّـله اللّه بهذا و شـرّفه؟ قال رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم: لأنّه کـان بفضـل علیّ أخی رسول اللّه قوّالاـ و له فی کـلّ الأحوال مـدّاحا، و لشانئه و أعـدائه شانئا، و لأوليائه و أحبّائه مواليا، سوف يجعله اللّه فی الجنان من أفضل سکانها، يخدمه ما لا يعرف عدده إلاّ اللّه من وصايفها و غلمانها و ولدانها.

و عن علیّ بن إبراهيم عن الصّـادق عليه السّـلام قـال: نزل قـوله تعـالی: إنّ الـذين آمنـوا و عملـوا الصالحـات کـانت لهم جنّات الفردوس نزلاً، فی أبی ذر و المقداد و سلمان و عمّار.

و فی الکافی عن سهل عن محمّد بن عبد الحميد عن يونس عن شعيب العقر قوفی

قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام شیء یروی عن أبی ذر رضی اللّه عنه أنّه کان یقول ثلاث یبغضها النّاس و أنا احبّها: احبّ الموت، و احبّ الفقر، و احبّ البلاء، فقال: إنّ هذا لیس علی ما تروون إنّما عنی الموت فی طاعه اللّه أحبّ إلیّ من الحیاه فی معصیه اللّه و البلاء فی طاعه اللّه أحبّ إلیّ من الصحّه فی معصیه اللّه، و الفقر فی طاعه اللّه أحبّ إلیّ من الغنی فی معصیه اللّه و فی تفسیر الامام عند تفسیر قوله: الّذین یؤمنون بالغیب و یقیمون الصّلاه، قال: و حدّثنی أبی عن أبیه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان من خیار أصحابه أبو ذر الغفاری فجاء ذات یوم فقال: یا رسول اللّه إنّ لی غنیمات قدر ستّین شاه أکره أن ابدئه فیها و افارق حضرتک و خدمتک، و أکره أن أکلها إلی راع فیظلمها و یسیء رعیها، فکیف أصنع؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ابدء فیها فبدء فیها، فلمّا کان فی الیوم السّابع جاء إلی رسول اللّه فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا أبا ذرّ، فقال لبیّک یا رسول اللّه، قال: ما فعلت غنیماتک؟ فقال: یا رسول اللّه إنّ لها قصّه عجیبه، قال: و ما هی؟ قال یا رسول اللّه بینا أنا فی صلاتی إذ عدا الذّئب علی غنمی فقلت: یا ربّ صلاتی یا ربّ غنمی فآثرت صلاتی فأحضر الشیطان ببالی یا أبا ذر أین أنت إن عدت الذّئاب علی غنمک و أنت تصلّی فأکلها کلّها و ما بقی لک فی الدّنیا ما تتعیّش به؟ فقلت للشیطان: یبقی لی توحید اللّه و الایمان بمحمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و موالاه أخیه سیّد الخلق بعده علیّ ابن أبی طالب علیه السّلام و موالاه الأئمه الهادین الطّاهرین من ولده علیهم السّلام و معاداه أعدائهم و کلّما فات من الدّنیا بعد ذلک سهل و أقبلت علی صلاتی، فجاء ذئب فأخذ حملا و ذهب به و أنا أحسّ به إذ أقبل علی الذّئب أسد قطعه نصفین و استنقذ الحمل و ردّه إلی القطیع ثمّ نادی یا أبا ذر اقبل علی صلاتک فانّ اللّه قد و کلنی بغنمک إلی أن تصلّی، فأقبلت علی صلاتی و قد غشینی التّعجب ما لا یعلمه إلاّ اللّه تعالی حتّی فرغت منها، فجاءنی الأسد و قال لی امض إلی محمّد فأخبره إنّ اللّه تعالی قد أکرم صاحبک الحافظ شریعتک و و کل أسدا بغنمه یحفظها، فتعجّب من کان حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صدقت یا أبا ذر و لقد آمنت به أنا و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین، فقال بعض المنافقین:

هـذا بمواطاه بين محمّـد و أبى ذر يريـد أن يخدعنا بغروره و اتّفق منهم عشـرون رجلا و قالوا نذهب إلى عنمه فنظر إليها و ننظر إلى أبى ذر إذا صلّى هل يأتى الأسد و يحفظ غنمه فنبيّن بذلك كذبه، فذهبوا و نظروا و أبو ذر قائم يصلّى و الأسد يطوف حول غنمه و يرعيها و يردّ إلى القطيع ما يشـذّ عنه منها حتى إذا فرغ من صـلاته ناداه الأسـد هات قطيعك مسـلّما وافر لعـدو سالما، ثمّ نـاداهم الأسـد معاشـر المنافقين أنكرتم تولّى محمّـد و علىّ و الطّيبين من آلهما و المتوسّل إلى اللّه تعالى بهما أن يسـخّرنى ربّى لحفـظ غنمه، و الّـذى أكرم محمّـدا و آله الطيّـبين، لقـد جعلنى اللّه طـوع يـدى أبى ذر حتّى لـو أمرنى بافتراسـكم و إهلاـككم لأهلككم، و الّذى لا يحلف بأعظم منه لو سـئل اللّه بمحمّد و آله الطّيبين أن يحول البحار دهن زنبق و بان و الجبل مسكا و عنبرا و كـافورا و قضـبان الأشـجار قضب الزّمرد و الزّبرجـد لما منعه اللّه ذلك، فلمّا جاء أبو ذر إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: يا أبا ذر إنّك أحسنت طاعه اللّه فسخّر اللّه لك من يطيعك فى كفّ العوارى عنك، فأنت من أفضل من مدحه اللّه عزّ و جلّ بأنّهم يقيمون الصّلاه

و أما كيفيه اخراجه الى الربذه و ما جرى بينه و بين عثمان

فقـد رواه العـامّه و الخـاصّه قال الشّارح المعتزلى و علم الهـدى فى محكىّ الشافى و اللّفظ للثّانى: إنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم مـا أعطاه و أعطى الحرث بن الحكم بن أبى العاص ثلاثمأه ألف درهم، و أعطى زيـد بن ثابت مأئه ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشّـر الكافرين بعذاب أليم، و يتلو قول اللّه عزّ و جلّ الذين يكنزون الذّهب و الفضّه و لا ينفقونها فى سبيل اللّه فبشّرهم بعـذاب أليم، فرفع ذلـك مروان إلى عثمـان، فأرسـل إلى أبى ذر رحمه اللّه نائلاـ مولاـه أن انته عمّا يبلغنى عنك، فقال: أ ينهانى عثمـان عن قراءه كتـاب اللّه عزّ و جلّ و عيب من ترك أمر اللّه فواللّه لأن أرضـى اللّه بسـخط عثمان أحبّ إلىّ و خير لى من أن أرضـى عثمان بسـخط اللّه، فأغضب عثمان ذلك فأحفظه و تصابر، و قال عثمان يوما: أ يجوز للامام أن يأخذ من المال فاذا أيسر قضاه؟ فقال كعب الأخبار: لا بأس بـذلك، فقال أبو ذر رحمه اللّه: يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لى و تولعك بأصحابى الحق بالشّام،

فأخرجه اليها، فكان أبو ذر ينكر على معاويه أشياء يفعلها، فبعث إليه معاويه ثلاثمأه دينار فقال أبو ذر: إن كانت من عطائى الذى حرمتمونيه عامى هذا قبلتها، و إن كانت صله فلا حاجه لى فيها وردّها عليه، و بنى معاويه الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاويه إن كانت هذه من مال اللّه فهى الخيانه، و إن كانت من مالك فهو الاسراف، فكان أبو ذر يقول: و اللّه لقد حدثت أعمالا ما أعرفها و اللّه ما هى فى كتاب اللّه و لا فى سنّه نبيّه، و اللّه إنّى لأرى حقّا يطفأ و باطلا يحيى و صادقا مكذّبا و اثره بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه و قال حبيب بن مسلمه الفهرى لمعاويه: إنّ أبا ذر لمعضد عليكم الشّام فتدارك أهله إن كان لكم فيه حاجه، فكتب معاويه إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاويه أما بعد فاحمل جنيدبا إلىّ على أغلظ مركب و أوعره، فوجّه به مع من سار به اللّيل و النّهار، و جمله على شارف ليس عليها إلاّ قتب حتّى قدم بالمدينه و قد سقط لحم فخذيه من الجهد.

أقول: و عن المسعودى فى مروج الذّهب أنّه ردّ الى المدينه على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائه من الصّقاليه يطردون به حتّى أتوا به المدينه و قد تسلّخت بواطن أفخاذه و كاد يتلف، فقيل له: إنّك تموت، قال: هيهات لن أموت حتّى انفى قال السيّد[1] ره و فى روايه الواقدى إنّ أبا ذر لما دخل على عثمان قال:

لا أنعم اللّه بك عينا يا جنيدب، فقال أبو ذر رحمه اللّه: أنا جندب و سمّانى رسول اللّه عبد اللّه فاخترت اسم رسول اللّه الذى سمّانى به على اسمى، فقال عثمان: أنت الذى تزعم أنّا نقول إنّ يد اللّه مغلوله و إنّ اللّه فقير و نحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال اللّه على عباده، و لكن اشهد أنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

إذا بلغ ابن أبى العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال اللّه دولا، و عباد اللّه خولا[2] ، و دين اللّه دخلا ثمّ يريح عباد اللّه منهم، فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول اللّه؟

۱- (۱) أى علم الهدى م

۲- (۲) أى عبيدا و خدما يستعبدونهم و يستخدمونهم، منه

فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول اللّه؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنّون أنى صدقت؟ قالوا: لا و اللّه ما ندرى، فقال عثمان: ادعو الى عليا فدعى فلمّا جاء قال عثمان لأبى ذر: اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص، فحدّثه، فقال عثمان لعلىّ: هل سمعت هذا من رسول اللّه؟ فقال: لا و صدق أبو ذر، فقال:

كيف عرفت صدقه؟ فقال: لأنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر، فقال من حضر(۱) من أصحاب النبىّ جميعا: لقد صدق أبو ذر، فقال أبو ذر: أحدّثكم أنّى سمعت هذا من رسول اللّه ثمّ تتّهمونى ما كنت أظنّ أن أعيش حتّى أسمع من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال السّيّد (ره): و روى الواقدى فى خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميّين قال: رأيت أبا ذر يوما دخل به على عثمان فقال له: أنت الذى فعلت و فعلت؟ فقال له أبو ذر: قد نصحتك فاستغششتنى و نصحت صاحبك فاستغشّنى، فقال عثمان: كذبت و لكنّك تريد الفتنه و تحبّها قد قلبت الشّام علينا، فقال له أبو ذر:

اتّبع سنّه صاحبيك لا يكون لأحد عليك كلام، فقال له عثمان: ما لك و ذلك لا أمّ لك، فقال أبو ذر و اللّه ما وجدت لى عذرا إلّا الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، فغضب عثمان فقال: أشيروا علىّ فى هذا الشيخ الكذّاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فانّه قد فرّق جماعه المسلمين أو أنفيه من الأرض، فتكلّم علىّ عليه السّلام و كان حاضرا فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون قال: إن يك كاذبا فعليه كذبه و إن يك صادقا يصبكم بعض الّذى يعدكم إنّ اللّه لا يهدى من هو مسرف كذّاب فأجابه عثمان بجواب غليظ لم احبّ أن أذكره و أجابه علىّ عليه السّلام مثله أقول هذا الجواب الذى لم يحبّ ذكره هو قوله لعنه اللّه: بفيك التّراب، فأجابه عليه السّلام بقوله: بل بفيك التّراب كما يأتى فى روايه تقريب المعارف قال الواقدى: ثمّ إنّ عثمان حظر على النّاس أن يقاعدوا أبا ذر و يكلّموه، فمكث كذلك أيّاما ثمّ أمر أن يؤتى به، فلمّا أتى به و وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول اللّه و رأيت أبا بكر و عمر هل رأيت هديك هديهم إنّك لتبطش

۱- (۱) «أما هذا فسمعناه كلّنا من رسول اللّه خ»

فى بطش جبّار، فقال: اخرج عنّا من بلادنا، فقال أبو ذر: فما أبغض إلىّ جوارک فالى أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال: فأخرج إلى الشّام أرض الجهاد، فقال:

إنما أجلبتک من الشّام لما قد أفسدتها أفأردّک إليها؟ قال: إذا أخرج إلى العراق قال: لا، قال: و لم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبهه و طعن على الأئمه، قال: فأخرج إلى مصر، قال: لا، قال: فالى أين أخرج قال: حيث شئت فقال هو إذا التعرّب بعد الهجره أخرج إلى نجد، قال عثمان: الشّرف الشّرف الا بعد أقصى فأقصى، فقال أبو ذر: قد أبيت ذلک علىّ، قال: امض على وجهک هذا و لا تعودنّ الرّبذه و فى البحار من تقريب المعارف لأبى الصّلاح عن الثّقفى فى تاريخه عن عبد الملک ابن أخى أبى ذر قال: كتب معاويه إلى عثمان: إنّ أبا ذر قد حرّف قلوب أهل الشّام و بغّضک إليهم فما يستفتون غيره و لا يقضى بينهم إلاّ هو، فكتب عثمان إلى معاويه أن احمل أبا ذر على ناب صعب و قتب ثمّ ابعث معه من يبخش به بخشا(۱) عنيفا حتّى يقدم به علىّ، قال: فحمله معاويه على ناقه صعبه عليها قتب ما على القتب إلاّ مسح ثمّ بعث معه من يسيره سيرا عنيفا و خرجت معه فما لبث الشّيخ إلاّ قليلا حتّى سقط مايلى القتب من لحم فخذيه و قرح، فكنت إذا كان اللّيل أخذت ملائى فالقيتهما تحته فاذا كان السّحر نزعتهما مخافه أن يرونى فيمنعونى من ذلک حتّى قدمنا المدينه، و بلغ عثمان ما لقى أبو ذر من الوجع و الجهد فحجبه جمعه و جمعه حتّى مضت عشرون ليله أو نحوها و أفاق أبو ذر ثمّ أرسل اليه و هو معتمد على يدى فدخلنا عليه و هو متّکى، فاستوى قاعدا فلمّا دنى أبو ذر منه قال عثمان:

لا أنعم اللّه بعمرو عينا تحيّه السّخط إذا التقينا

فقال له أبو ذر: فو اللّه ما سمّانى اللّه عمرا و لا سمّانى أبواى عمرا و إنّى على العهد الذى فارقت عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما غيّرت و لا بدّلت، فقال له عثمان: كذبت لقد كذبت على نبيّنا و طعنت فى ديننا و فارقت رأينا و ضغنت قلوب المسلمين علينا، ثمّ قال لبعض غلمانه: ادع لى قريشا، فانطلق رسوله فما لبثنا أن امتلاء البيت من

۱- (۱) البخش بالجيم الاسراع و بالخاء المعجمه الحثّ و السوق الشديد و التحريک للايذاء، منه

رجال قریش، فقال لهم عثمان إنّا أرسلنا إلیکم فی هذا الشّیخ الکذّاب الذی کذب علی نبیّنا و طعن فی دیننا و ضغن قلوب المسلمین علینا، و إنّی قد رأیت أن أقتله أو أصلبه أو أنفیه من الأرض، فقال بعضهم: رأینا لرأیک تبع، و قال بعضهم: لا تفعل فانّه صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و له حقّ فما منهم أحد أدّی الذی علیه فبیناهم کذلک إذا جاء علیّ بن أبی طالب یتوکّأ علی عصا سرّا، فسلّم علیه و نظر و لم یجد مقعدا فاعتمد علی عصاه فما أدری أتخلّف عهد أمّ یظنّ به غیر ذلک، ثمّ قال علیّ فیما أرسلتم إلینا؟ قال عثمان: أرسلنا إلیکم فی أمر قد فرّق لنا فیه الرّأی فأجمع رأینا و رأی المسلمین فیه علی أمر، قال علیّ علیه السّلام: و للّه الحمد أما أنّکم لو أشرتمونا لم نألکم نصیحه، فقال عثمان: إنّا أرسلنا إلیکم فی هذا الشیخ الذی قد کذب علی نبیّنا و طعن فی دیننا و خالف رأینا و ضغن قلوب المسلمین علینا، و قد رأینا أن نقتله أو نصلبه أو ننفیه من الأرض، قال علیّ علیه السّلام أفلا أدلّکم علی خیر من ذلکم و أقرب رشدا تترکونه بمنزله آل فرعون «إن یک کاذبا فعلیه کذبه و إن یک صادقا یصبکم بعض الذی یعدکم إنّ اللّه لا یهدی من هو مسرف کذّاب» فقال عثمان لعنه اللّه: بفیک التّراب، فقال له علیّ علیه السّلام بل بفیک التراب، و سیکون به فأمر بالنّاس فاخرجوا و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم القمّی فی قوله تعالی: و إذ أخذنا میثاقکم لا تسفکون دمائکم الآیه، أنّها نزلت فی أبی ذر رحمه اللّه و عثمان بن عفّان، و کان سبب ذلک لمّا أمر عثمان بن عفّان بنفی أبا ذر إلی الرّبذه، دخل علیه أبو ذر و کان علیلا متوکّئا علی عصاه و بین یدی عثمان مأئه ألف درهم قد حملت إلیه من بعض النّواحی و أصحابه حوله ینظرون إلیه و یطمعون أن یقسّمها فیهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال له عثمان: مأئه ألف درهم حملت إلیّ من بعض النواحی ارید أن أضمّ إلیها مثله و أری فیه رأیی، فقال أبو ذر: یا عثمان أیّما أکثر مأئه ألف درهم أو أربعه دنانیر؟ فقال: بل مأئه ألف درهم، فقال: أما تذکر أنا و أنت و قد دخلنا علی رسول اللّه عشیّا فرأیناه کئیبا حزینا فسلّمنا علیه فلم یردّ علینا السّلام، فلمّا أصبحنا أتیناه فرأیناه ضاحکا مستبشرا فقلنا له: بآبائنا و امّهاتنا دخلنا علیک البارحه فرأیناک

کئیبا حزینا، ثمّ عدنا إلیک الیوم فرأیناک ضاحکا مستبشرا، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: نعم کان قد بقی عندی من فیء المسلمین أربعه دنانیر لم أکن قسّمتها و خفت أن یدرکنی الموت و هی عندی و قد قسّمتها الیوم و استرحت منها، فنظر عثمان إلی کعب الأخبار فقال له: یا أبا إسحاق ما تقول فی رجل أدّی زکاه ماله المفروضه هل یجب علیه فیما بعد ذلک شیء؟ فقال: لا و لو اتّخذ لبنه من ذهب و لبنه من فضّه ما وجب علیه شیء، فرفع أبو ذر عصاه و ضرب به رأس کعب ثمّ قال له: یابن الیهودیّه الکافره ما أنت و النّظر فی أحکام المسلمین قول اللّه أصدق من قولک حیث قال:

«اَلَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ ».

فقال عثمان: یا أبا ذر إنّک شیخ قد خرفت و ذهب عقلک و لو لا صحبتک لرسول اللّه لقتلتک، فقال: کذبت یا عثمان أخبرنی حبیبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: إنّهم لا یفتنونک و لا یقتلونک و أمّا عقلی فقد بقی منه ما أحفظ حدیثا سمعته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیک و فی قومک، فقال: ما سمعت فیّ و فی قومی؟ قال: سمعته یقول: إذا بلغ آل أبی العاص ثلاثین رجلا صیّروا مال اللّه دولا، و کتاب اللّه دخلا، و عباده خولا و الفاسقین حزبا و الصّالحین حربا، فقال عثمان: یا معشر أصحاب محمّد هل سمع أحد منکم هذا من رسول اللّه؟ قالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول اللّه، فقال عثمان:

ادع لی علیّا فجاء أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له عثمان: یا أبا الحسن انظر ما یقول هذا الشّیخ الکذّاب، فقال علیه السّلام: مه یا عثمان لا تقل کذّاب فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء علی ذی لهجه أصدق من أبی ذرّ فقال

ص:۲۴۷

أصحاب رسول اللّه: صدق أبو ذر فقد سمعنا هذا من رسول اللّه، فبكى أبو ذر عند ذلك فقال: ويلكم كلّكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم أنّى أكذب على رسول اللّه، ثمّ نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا أنت تقول إنّك خيرنا قال: نعم خلفت حبيبى رسول اللّه على هذه الجبّه و هو علىّ بعد و أنتم قد أحدثتم أحداثا كثيره و اللّه سائلكم عن ذلك و لا يسألنى، فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ ما أخبرتنى عن شيء أسألك عنه، فقال أبو ذر: و اللّه لو لم تسألنى بحقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا لأخبرتك فقال: أىّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها؟ قال: مكّه حرم اللّه و حرم رسوله أعبد اللّه فيها حتّى يأتينى الموت، فقال: لا و لا كرامه، قال: المدينه حرم رسول اللّه قال: لا و لا كرامه لك، قال: فسكت أبو ذر، فقال عثمان: أىّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ قال: الرّبذه التى كنت فيها على غير دين الاسلام، فقال عثمان:

سر إليها، قال أبو ذر: قد سألتنى فصدقتك و أنا أسألك فاصدقنى، قال: نعم فقال:

أخبرنى لو بعثتنى فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسرونى فقالوا لا نفديه إلاّ بثلث ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فان قالوا لا نفديه إلاّ بنصف ما تملك، قال:

كنت أفديك، قال فان قالوا لا نفديه إلاّ بكلّ ما تملك قال كنت أفديك، قال أبو ذر رحمه اللّه: اللّه أكبر قال لى حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما: يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك: أىّ البلاد أحبّ اليك فتقول: مكّه حرم اللّه و حرم رسوله أعبد اللّه فيها حتى يأتينى الموت، فيقال لك لا و لا كرامه لك، فتقول: فالمدينه حرم رسول اللّه، فيقال لك لا و لا كرامه لك ثمّ يقال لك أىّ البلاد أبغض اليك أن تكون فيها، فتقول: الرّبذه الّتى كنت فيها على غير دين الاسلام، فيقال لك سر اليها، فقلت:

إنّ هذا لكائن يا رسول اللّه؟ فقال: إى و الذى نفسى بيده إنّه لكائن فقلت: يا رسول اللّه أفلا أضع سيفى هذا على عاتقى فأضرب به قدما قدما؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، اسمع و اسكت و لو لعبد حبشىّ و قد أنزل اللّه تعالى فيك و فى عثمان آيه، فقلت: و ما هى يا رسول اللّه فقال: قوله تبارك و تعالى: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ » و فى الرّوضه من الكافى عن سهل عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن حفص التميمى قال حدّثنى أبو جعفر الخثعمىّ قال:

لمّا سيّر عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذه شيّعه أمير المؤمنين و عقيل و الحسن و الحسين عليهم السّلام و عمّار بن ياسر رضى اللّه عنه، فلمّا كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أبا ذر إنّما غضبت للّه عزّ و جلّ فارج من غضبت له إنّ القوم خافوك على دينارهم و خفتهم على دينك فارحلوك عن الفناء و امتحنوك بالبلاء، لو كانت السّماوات و الأرض على عبد رتقا ثم اتّقى اللّه جعل له مخرجا، لا يؤنسنّك إلاّ الحقّ و لا يوحشنّك إلاّ الباطل ثمّ تكلّم عقيل و قال: يا أبا ذر أنت تعلم أنّا نحبّك و نحن نعلم أنّك تحبّنا و أنت قد حفظت فينا ما ضيّع النّاس إلاّ القليل، فثوابك على اللّه عزّ و جلّ، و لذلك أخرجك المخرجون و سيّرك المسيّرون، فثوابك على اللّه عزّ و جلّ فاتّق اللّه و اعلم أنّ استعفاؤك البلاء من الجزع و استبطاؤك العافيه من الأياس فدع

الأیاس و الجزع فقل: حسبی اللّه و نعم الوکیل.

ثمّ تکلّم الحسن علیه السّلام و قال: یا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إلیک ما قد تری و أنّ اللّه بالمنظر الأعلی، فدع عنک ذکر الدّنیا بذکر فراقها، و شدّه ما یرد علیک لرخاء ما بعدها، و اصبر حتّی تلقی نبیّک صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو عنک راض إن شاء اللّه.

ثمّ تکلّم الحسین علیه السّلام فقال: یا عمّاه إنّ اللّه تبارک و تعالی قادر أن یغیّر ما تری و هو کلّ یوم فی شأن، القوم منعوک دنیاهم و منعتهم دینک فما أغناک عمّا منعوک و أحوجهم إلی ما منعتهم فعلیک بالصّبر، و إنّ الخیر فی الصّبر و الصّبر من الکرم و دع الجزع فانّ الجزع لا یغنیک

ص:۲۴۸

ثمّ تكلّم عمّار رضى اللّه عنه فقال: يا أبا ذرّ أوحش اللّه من أوحشك و أخاف من أخافك، أنّه و اللّه ما منع النّاس أن يقولوا الحقّ إلاّ الرّكون إلى الدّنيا و الحبّ لها، ألا إنّما الطاعه على الجماعه و الملك لمن غلب عليه، و إنّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا و الآخره ذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلّم أبو ذر رحمه اللّه فقال: عليكم السّلام و رحمه اللّه و بركاته بأبى و أمّى هذه الوجوه، فانّى إذا رأيتكم ذكرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بكم و مالى بالمدينه شجن و لا سكن غيركم و إنّه ثقل على عثمان جوارى بالمدينه كما ثقل على معاويه فآلى أن يسيّرنى إلى بلده و طلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفه، فزعم أنّه يخاف أن أفسد على أخيه النّاس بالكوفه و آلى باللّه ليسيّرنى إلى بلده لا أرى بها أنيسا و لا أسمع بها حسيسا و إنّى و اللّه ما اريد إلاّ اللّه عزّ و جلّ صاحبا و مالى مع اللّه وحشه حسبى اللّه لا إله إلاّ هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم و صلّى اللّه على محمّد و آله الطاهرين و فى البحار عن المسعودى فى مروج الذّهب بعد أن أورد كيفيّه ردّ عثمان له رحمه اللّه إلى المدينه و ساق الحديث إلى نفيه له منها قال:

فقال له عثمان: و اروجهك عنّى قال: أسير إلى مكّه، قال: لا و اللّه، قال فإلى الشّام، قال: لا و اللّه، قال: فإلى البصره قال: لا و اللّه فاختر غير هذه البلدان، قال لا و اللّه لا أختار غير ما ذكرت لك و لو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيئا من البلدان فسيّرنى حيث شئت من البلاد، قال إنّى اسيّرك إلى الرّبذه، قال: اللّه أكبر صدق رسول اللّه قد أخبرنى بكلّ ما أنا لاق قال: و ما قال لك؟ قال: أخبرنى أنى امنع من مكّه و المدينه و أموت بالرّبذه و يتولّى دفنى نفر يريدون العراق إلى نحو الحجاز و بعث أبو ذر إلى جمل فحمل عليه امرأته و قيل ابنته، و أمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الرّبذه و لمّا طلع عن المدينه و مروان يسيّره عنها طلع علىّ بن ابى طالب عليه السّلام و معه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عقيل أخوه و عبد اللّه بن جعفر و عمّار بن ياسر فاعترض

مروان و قال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين نهى الناس أن يمنحوا أبا ذر أو يشيّعوه، فان كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه السّلام عليه بالسّوط و ضرب بين اذنى ناقه مروان و قال تنحّ نحّاك اللّه إلى النّار، و مضى مع أبى ذر فشيّعه ثمّ ودّعه و انصرف فلمّا أراد عليه السّلام الانصراف بكى أبو ذر و قال: رحمكم اللّه أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن و ولدك ذكرت بكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ عليه السّلام، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرنى من عليّ ردّ رسولى عمّا وجّهته له و فعل و فعل و اللّه لنعطينّه حقّه، فلمّا رجع عليّ عليه السّلام استقبله النّاس و قالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال عليّ عليه السّلام: غضب الخيل على اللّجم، فلمّا كان بالعشّى و جاء عثمان قال: ما حملك على ما صنعت بمروان و لم اجترأت عليّ وردت رسولى و أمرى؟ فقال: أمّا مروان فاستقبلنى بردّى فرددته عن ردّى، و أما أمرك لم أردّه، فقال:

ألم يبلغك أنّى قد نهيت النّاس عن أبى ذرّ و تشييعه؟ فقال عليّ عليه السّلام أو كلّما أمرتنا به من شيء نرى طاعه اللّه و الحقّ فى خلافه اتبعنا فيه أمرك لعمر اللّه ما نفعل، فقال عثمان: أقد مروان، قال: و ممّ أقيد قال: ضربت بين اذنى راحلته و شتمته فهو شاتمك و ضارب بين أذنى راحلتك، قال عليّ أمّا راحلتى فهى تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل، و أمّا أنا فو اللّه لئن شتمنى لأشتمنّك بمثله لا كذب فيه و لا أقول إلّا حقا، قال عثمان: و لم لا يشتمك إذا شتمته فو اللّه ما أنت بأفضل عندى منه، فغضب عليّ عليه السّلام و قال: لى تقول هذا القول أمر و ان يعدل بى فلا و اللّه أنا أفضل منك، و أبى أفضل من أبيك و أمّى أفضل من امّك و هذه نبلى قد نثلتها فانثلّ نبلك، فغضب عثمان و احمرّ وجهه و قام و دخل، و انصرف عليّ فاجتمع إليه أهل بيته و رجال المهاجرين و الأنصار فلمّا كان من الغد و اجتمع النّاس شكى إليهم عليًا، و قال إنّه يغشّنى و يظاهر من يغشّنى يريد بذلك أبا ذرّ و عمّارا و غيرهما، فدخل النّاس بينهما حتّى اصطلحا و قال عليّ: و اللّه ما أردت بتشييعى أبا ذر إلّا اللّه تعالى، هذا.

و قد روى الشّارح المعتزلى أكثر ما أوردناه من الأخبار فى تلك القصّه

بطرق آخر نحو ما رويناه و هى كافيه فى الطعن على عثمان و القدح فيه لأنّ أيذائه لأبى ذر رحمه اللّه و إهانته به فى حكم المعاداه للّه و لرسوله، و قد قال اللّه تعالى: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربه، و شهادته على أبى ذرّ بالكذب بعد ما سمع من أمير المؤمنين شهاده النّبىّ عليه بالصّدق و كونه أصدق النّاس لهجه تكون فى الحقيقه راجعه إلى تكذيب رسول اللّه و ردّا لقوله، و أعظم ذلک منازعته فى تلک القضيّه مع أمير المؤمنين و إسائته الأدب فى حقّه و هى كافيه فى وجوب طعنه و لعنه و العجب أنّ الشّارح المعتزلى بعد ما أورد الأخبار الدّاله على إخراجه من المدينه بالاجبار اتبعه بقوله: و اعلم أنّ أصحابنا قد رووا أخبارا كثيره معناها أنّه اخرج إلى الرّبذه باختياره «إلى أن قال» و نحن نقول: هذه الأخبار و إن كانت قد رويت لكنّها ليست فى الاشتهار و الكثره كتلک الأخبار و الوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان و حسن الظنّ بفعله أنّه خاف الفتنه و اختلاف كلمه المسلمين فيغلب على ظنّه أنّ إخراج أبى ذرّ (ره) إلى الرّبذه أحسم للشّغب و أقطع للأطماع من أن يشرئب إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعاه للمصلحه، و مثل ذلک يجوز للامام هكذا يقول أصحابنا المعتزله و هو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشّاعر:

إذا ما أتت من صاحب لک زلّه فكن أنت محتالا لزلّته عذرا

و إنّما يتأوّل أصحابنا حال من يحتمل حاله التّأويل كعثمان، فأمّا من لا يحتمل حاله التّأويل و إن كانت له صحبه سالفه كمعايه و أضرابه فانّهم لأيتأوّلون لهم إذ كانت أفعالهم و أقوالهم لا وجه لتأويلها و لا يقبل العلاج، و الاصلاح انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: أمّا ما حكاه عن أصحابه من روايتهم الأخبار الدّاله على إخراجه بالاختيار، ففيه أنّ هذه الأخبار ممّا تفرّد بروايته أولياء عثمان المتعصّبون له دفعا للعار و الشّنار عنه، و هى لا تكافؤ أخبار الاجبار عددا و سندا و شهره بين المؤالف و المخالف، مضافا إلى ما فيها من مخايل الصّدق و دلائل الصّواب و الصّحه، و هل تظنّ فى حقّ مثل أبى ذر أو يحكم عقلک بأنّه ترک إقامه حرم اللّه و حرم رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

ص:۲۵۲

و مجاوره قبره و مصاحبه أمير المؤمنين و آله المعصومين و اختار المهاجره إلى الفلاه و الأرض القفر بالطّوع و الاختيار و الرّغبه و الرّضاء كلّا ثمّ كلّا و كيف يرضى من له أدنى عقل و كياسه من المسلمين أن يموت فى أرض اليهود و يكون فيها و يرجّحها على الدّفن فى حرم الرّسول فضلا عن أبى ذرّ و أمثاله، إن هذا إلّا مفترى.

و أمّا ما اعتذر به الشارح عنه ففيه أنّ حمل فعل المسلم على الصّحه إنما هو اذا لم يكن الغالب على حاله الفساد، و أمّا اذا كان الغالب على حاله ذلك فلا، و حال عثمان و سابقه فى السّوء و الفساد معلوم، و كفى بذلك اغتصابهم الخلافه لأمير المؤمنين عليه السّلام و تغييرهم شريعه سيّد المرسلين و إحراقهم باب بضعه خاتم النبيّين و جعلهم القرآن عضين، و اعتياضهم الدّنيا بالدّين، مضافه إلى مطاعنهم الدّثره و فضائحهم الجمّه الّتى تقدّمت فى مقامه و تأتى أيضا و مع ذلك فأىّ شىء أوجب حسن الظنّ بفعل عثمان حتّى تأوّل الأخبار الناصّه بسوء فعله.

ثمّ أقول: هب أنّ الدّاعى على إخراجه كان خوف الفتنه و شقّ العصا على زعمك، و لكن أىّ شىء كان الدّاعى على حمله من الشّام إلى المدينه على جمل صعب ليس عليها إلّا قتب يابس حتّى سقط لحم فخذيه من الجهد، و ما كان السّبب لهذه الأذيّه؟ فان قلت: إنّ معاويه فعل ذلك فى حقّه قلت: عثمان كتب إلى معاويه بأن يحمله على أغلظ مركب و أوعره مع من ساربه اللّيل و النّهار.

و أما تفرقه الشّارح بين عثمان و معاويه فهو أعجب ثمّ أعجب، لأنّ كليهما من فروع الشّجره الملعونه، و كلّ منهما فى مقام المحادّه و المعاداه و الظّلم لأمير المؤمنين و لعتره سيّد النّبيّين و لرؤساء الدّين، فلا يمكن إصلاح حالهما و علاج قبايح أعمالهما و فضائح أفعالهما بعد العين بالأثر و لا بعد الدّرايه بالخبر، و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

ص:۲۵۳

الترجمه

از جمله کلام آن بزرگوار است مر أبی ذر غفاری را در حینی که اخراج شد از مدینهٔ طیّبه بسوی ربذه فرمود:

ای أبو ذر بدرستی که تو غضب کردی از برای رضای خدای تبارك و تعالی پس امیدوار باش بکسی که از برای او غضب نمودی، بدرستی که این قوم ترسیدند از تو بر دنیای خودشان و ترسیدی تو از ایشان بر دین خود، پس ترک کن در دست ایشان آنچه را که ترسیدند از تو بر آن، و بگریز از ایشان به آن چه که ترسیدی از ایشان بر او، پس چه بسیار احتیاج دارند به آن چه که منع کردی تو ایشان را یعنی از دین خود، و چه قدر بی نیازی تو از آنچه که منع کردند تو را یعنی دنیایشان و زود باشد که بدانی که کیست صاحب ربح و منفعت فردای قیامت و بیشتر مردمان در حالتی که حسد برند او را.

و اگر آسمانها و زمینها باشند بر بندهٔ بسته شده پس بپرهیزد آن بنده از خدای تعالی هر آینه بگرداند پروردگار متعال از برای آن بنده محلّ خروجی از آنها یعنی أبواب فرج بر وی او مفتوح می شود، و نباید مونس بشود ترا مگر خدا، نباید وحشت آورد ترا غیر از باطل، پس اگر قبول کرده بودی دنیای ایشان را هر آینه دوست می داشتند ترا، و اگر قطع کرده بودی و اخذ نمودی از دنیا یعنی قبول هدایای ایشان را می کردی هر آینه در أمان بودی از شرّ ایشان.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الاحد و الثلاثون من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

أیّتها النّفوس المختلفه، و القلوب المتشتّته، الشّاهده أبدانهم،

ص:۲۵۴

و الغائبه عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعه الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحقّ، اللّهم إنّك قد تعلم إنّه لم يكن الّذى كان منّا منافسه فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح فى بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطّله من حدودك، اللّهمّ إنّى أوّل من أناب، و سمع و أجاب لم يسبقنى إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاه، و قد علمتم أنّه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج و الدّماء و المغانم و الأحكام و إمامه المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، و لا ـ الجاهل فيضلّهم بجهله، و لا ـ الجافى فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدّول، فيتّخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى فى الحكم، فيذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطّل للسّنّه، فيهلك الامّه.

اللغه

(ظارت) النّاقه إذا عطفت على ولد غيرها و ظأرتها أيضا أى عطفتها يتعدّى و لا يتعدّى و (المعز) من الغنم خلاف الضّأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى و (سرار) العدل قال الفيروز آبادى: السّرار كسحاب من الشّهر آخر ليله كسراره و سرره و قال أيضا: سراره الوادى أفضل مواضعه كسرّته و سرّه و سراره، و قال

الكندری فی محکیّ کلامه: سرار الشهر و سرره آخر لیله منه، و السّرار المساره من السّر و جمع سرر الکفّ و الجبهه.

و (المنافسه) المغالبه فی الشیء النّفیس و (الحطام) ما تکسّر من الیبس و (النّهمه) بلوغ الهمّه و الشّهوه فی الشیء و هو منهوم بکذا مولع به، و روی نهمته محرّکه و هی إفراط الشّهوه فی الطّعام و (الجفاء) خلاف البرّ و الصّله و رجل جافی الخلق و الخلقه أی غلیظ منقبض و (الحائف) بالحاء المهمله من الحیف و هو الظلم و الجور و (الدّول) بضمّ الدّال المهمله جمع الدّوله اسم للمال المتداول به قال تعالی: کیلا یکون دوله بین الأغنیاء منکم، و روی الخائف للدّول بالخاء المعجمه و کسر الدّال جمع دوله بالفتح و هی الغلبه

الاعراب

الباء فی قوله اطلع بکم أمّا تعدیه أو سببیّه، و سرار العدل إمّا منصوب علی الظّرف أو مفعول به حسبما تعرف فی بیان المعنی

المعنی

اشاره

اعلم أنّ المقصود بهذا الکلام توبیخ أصحابه و ذمّهم علی التّقصیر فی اتّباع الحق و الاعراض عن متابعه الامام العدل، و أشار إلی بعض مناقبه المستلزمه لوجوب اتّباعه و عقّبه بالتّعریض علی المنتحلین للخلافه الغاصبین لها فقال(أیّتها النّفوس المختلفه)الأهواء(و القلوب المتشتّته)الآراء (1) و (أظأرکم) و أعطفکم (علی الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزی من وعوعه الأسد) و صوته (هیهات أن اطلع بکم سرار العدل) أی بعد أن أظهرکم و أبیّن لکم ما خفی من العدل و استسرّ لتخاذ لکم و تفرّق أهوائکم.

و قال الشّارح المعتزلی: یفسّره النّاس بمعنی هیهات ان اطلعکم مضیئین و منوّرین سرار العدل، و السّرار آخر لیله من الشهر و تکون مظلمه و یمکن أن یفسّر عندی علی وجه آخر، و هو أن یکون السّرار ههنا بمعنی السّرر و هی خطوط

۱- (۱) هکذا فی النسخه المصحّحه، و الظاهر أنّ فیه سقطا «المصحّح» «ج ۱۶»

مضيئه فى الجبهه فيكون معنى كلامه عليه السّلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و إشراق وجهه، و يمكن فيه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار على الظّرفيه و يكون التقدير هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل و استخفائه، فيكون حذف المفعول و حذفه كثير، انتهى و عن الكندرى قال فى محكىّ كلامه و سرار العدل أى فى سرار فحذف حرف الجرّ و وصل الفعل، و قيل أى هيهات أن اظهر بمعونتكم ما خفى و استسرّ من اقمار العدل و أنواره، انتهى و هو أولى ممّا ذكره الشارح المعتزلى و الأظهر ما ذكرناه (أو اقيم اعوجاج الحقّ) أى ما اعوجّ منه بسبب غلبه الضّلال و الجهّال عليه.

ثمّ نبّه على برائه ساحته و تزكيه نفسه فى أمر الخلافه فقال(اللّهمّ انّک تعلم انّه لم يکن الذى كان)وقع(منّا)و هو الرّغبه فى الخلافه أو الحروب أو الجميع (منافسه فى سلطان)و حرصا عليه(و التماس شىء من فضول الحطام)أى طلبا لشىء من زخارف الدّنيا و زينتها السّاقطه عن درجه الاعتبار الغير المحتاج إليها(و لكن لنردّ المعالم من دينک)أى الآثار الّتى يهتدى بها فيه(و نظهر الاصلاح فى بلادک) و نرفع الفساد عنها(فيأمن المظلومون من عبادک و تقام المعطّله من حدودک) و لا يخفى ما فى هذه الجمل من التّعريض على المتقدّمين المنتحلين للخلافه و الاشاره إلى أنّ طلبهم لها إنّما كان تنافسا فى الملک و السّلطنه، و رغبه فى القنيات الدّنيويّه، و إلى أنّ أنوار الدّين فى زمانهم قد انطمست، و آثار الشّرع المبين قد اندرست، و أنّه شاع الفساد فى البلاد و غلب الجور و الظّلم على العباد و تعطّل الحدود و الأحكام و تغيّر الحلال و الحرام.

ثمّ انّه لمّا بيّن أنّ طلبه للخلافه لم يکن للدّنيا أكّد هذا المعنى بقوله (اللّهمّ إنّى أوّل من أناب) و رجع إليک (و سمع) دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و أجاب) إليه (لم يسبقنى إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاه) أمّا كون هذه الجمله تأكيدا لما سبق فلأنه إذا كان أوّل النّاس اسلاما مع عدم كون الاسلام معروفا حينئذ متوقّعا به الانتفاع فى الدّنيا لا بدّ و أن يكون إسلامه للّه سبحانه و ابتغاء لرضاه، و من كان هذا حاله

فی بدایه أمره کیف یخطر ببال عاقل أنّه یطلب الدّنیا و حطامها، و یجرّد علیها السّیف فی آخر عمره.

و أمّا کونه علیه السّلام أوّل من أناب و أجاب إلی الایمان و الاسلام فهو المتّفق علیه بین الشّیعه و المشهور بین الجمهور لم یخالف فی ذلک إلاّ شرذمه منهم لا یعتدّ بخلافهم و ستعرف تفصیل ذلک فی التنبیه الآتی.

و أمّا أنّه سبق النّاس بالصّلاه و لم یسبقه غیره فیدلّ علی ذلک ما رواه فی المجلّد التّاسع من البحار من کتاب المناقب للشّیخ الفقیه رشید الدّین أبی جعفر محمّد ابن علیّ بن شهر آشوب المازندرانی تغمّده اللّه برحمته، قال ما هذا لفظه:

أبو عبد اللّه المرزبانی و أبو نعیم الاصبهانی فی کتابیهما فیما نزل من القرآن فی علیّ علیه السّلام و النطنزی فی الخصائص عن الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس، و روی أصحابنا عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: و ارکعوا مع الرّاکعین، نزلت فی رسول اللّه و علیّ بن أبی طالب و هما أوّل من صلّی و رکع.

المرزبانی عن الکبی عن أبی صالح عن ابن عباس فی قوله تعالی: إنّ الذین آمنوا و عملوا الصّالحات اولئک أصحاب الجنّه هم فیها خالدون، نزلت فی علیّ خاصّه و هو أوّل مؤمن و أوّل مصلّ بعد النّبیّ.

تفسیر السّیدی عن قتاده عن عطاء عن ابن عبّاس فی قوله: إنّ ربّک یعلم أنّک تقوم أدنی من ثلثی اللّیل و نصفه و ثلثه و طائفه من الّذین معک، فأوّل من صلّی مع رسول اللّه علیّ بن أبی طالب.

تفسیر القطان عن وکیع عن سفیان عن السّدی عن أبی صالح عن ابن عباس فی قوله تعالی: یا أیّها المدثّر، یعنی محمّدا ادّثّر بثیابه، قم فأنذر، أی فصلّ ادع علیّ بن أبی طالب إلی الصّلاه معک، و ربّک فکبّر، ممّا تقول عبده الأوثان تفسیر یعقوب بن سفیان قال: حدّثنا أبو بکر الحمیدی عن سفیان بن عیینه عن ابن أبی النجیح عن مجاهد عن ابن عباس فی خبر یذکر فیه کیفیه بعثه النبیّ ثمّ قال: بینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قائم یصلّی مع خدیجه إذ طلع علیه علیّ بن ابی طالب

فقال له: ما هـذا يا محمـد؟ قال: هذا دين اللّه فآمن به و صدقه، ثمّ كانا يصلّيان و يركعان و يسجدان فأبصرهما أهل مكّه ففشا الخبر فيهم أنّ محمّدا قد جنّ، فنزل: ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمه ربّك بمجنون.

شرف النّبى عن الخركوشى قال: و جاء جبرئيل بأعلى مكّه و علّمه الصّلاه فانفجرت من الوادى عين حتى توضّأ جبرئيل بين يدى رسول اللّه، و تعلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه الطّهاره ثمّ أمر به عليّا عليه السّلام تاريخى الطبرى و البلادرى، و جامع التّرمذى، و أبانه العكبرى، و فردوس الدّيلمى، و أحاديث أبى بكر بن مالكك، و فضائل الصّحابه عن الزّعفرانى عن يزيد ابن هارون عن شعبه عن عمرو بن مرّه عن أبى حمزه عن زيد بن أرقم، و مسند أحمد عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قالا قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل من صلّى معى علىّ تاريخ النّسوى قال زيد بن أرقم: أوّل من صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علىّ.

جامع الترمدى و مسند أبى يعلى الموصلى عن أنس، و تاريخ الطّبرى عن جابر قالا:

بعث النبىّ يوم الاثنين و صلّى علىّ يوم الثلثاء أبو يوسف النّسوى فى المعرفه و أبو القسم عبد العزيز بن إسحاق فى أخبار أبى رافع عن عشرين طريقا عن أبى رافع قال: صلّى النّبىّ أوّل يوم الاثنين، و صلّت خديجه آخر يوم الاثنين، و صلى علىّ يوم الثلثاء من الغد.

أحمد بن حنبل فى مسند العشره و فى الفضائل أيضا، و النّسوى فى المعرفه، و التّرمذى فى الجامع، و ابن بطّه فى الابانه روى علىّ بن الجعد عن شعبه عن سلمه ابن كهيل عن حبّه العرنى قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول: أنا أوّل من صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ابن حنبل فى مسند العشره و فى فضائل الصّحابه أيضا عن سلمه بن كهيل عن حبّه العرنى فى خبر طويل أنّه قال علىّ عليه السّلام: اللهمّ لا أعرف أنّ عبدا من هذه الأمّه عبدك قبلى غير نبيّك ثلاث مرّات، الخبر.

و فى مسند أبى يعلى ما أعلم أحدا من هذه الامّه بعد نبيّها عبد اللّه غيرى الخبر،.

ص:۲۵۹

الحسين بن علیّ علیهما السّلام فی قوله تعالی: تریهم رکّعا سجّدا، نزلت فی علیّ بن أبی طالب.

و روی جماعه أنّه نزل فیه: الّذین یقیمون الصّلاه و یؤتون الزّکاه و هم راکعون.

تفسیر القطّان قال ابن مسعود: قال علیّ علیه السّلام: یا رسول اللّه ما أقول فی السجود فی الصّلاه؟ فنزل سبّح اسم ربّک الأعلی، قال: فما أقول فی الرّکوع؟ فنزل فسبّح باسم ربّک العظیم، فکان أوّل من قال ذلک و أنّه صلّی قبل النّاس کلّهم سبع سنین و أشهرا مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و صلّی مع المسلمین أربع عشره سنه و بعد النّبیّ ثلاثین سنه.

ابن فیّاض فی شرح الأخبار عن أبی أیّوب الأنصاری قال: سمعت النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: لقد صلّت الملائکه علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین، و ذلک أنّه لم یؤمن بی ذکر قبله، و ذلک قول اللّه سبحانه: الّذین یحملون العرش و من حوله یسبّحون بحمد ربّهم و یستغفرون لمن فی الأرض.

و فی روایه زیاد بن المنذر عن محمّد بن علیّ عن أمیر المؤمنین علیه السّلام لقد مکثت الملائکه سنین لا تستغفر إلّا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لی و فینا نزلت و الملائکه یسبّحون بحمد ربّهم و یستغفرون للّذین آمنوا ربّنا إلی قوله: الحکیم.

و روی جماعه عن أنس و أبی أیّوب، و روی شیرویه فی الفردوس عن جابر قال:

قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائکه علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین قبل النّاس، و ذلک أنّه کان یصلّی و لا یصلّی معنا غیرنا، و فی روایه لم یصلّ فیها غیری و غیره، و فی روایه لم یصلّ معی رجل غیره سنن ابن ماجه و تفسیر الثعلبی عن عبد اللّه ابن أبی رافع عن أبیه أنّ علیا علیه السّلام صلّی مستخفیا مع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سبع سنین و أشهرا تاریخ الطّبری و ابن ماجه قال عباد بن عبد اللّه: سمعت علیا علیه السّلام یقول:

أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنا الصّدّیق الأکبر لا یقولها بعدی إلّا کاذب

مفتر، صلّيت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبع سنين.

مسندى أحمد و أبى يعلى قال حبه العرنى: قال علىّ عليه السّلام: صلّيت قبل أن يصلّى النّاس سبعا.

الحميرى

ألم يصلّ علىّ قبله حججاو وحّد اللّه ربّ الشّمس و القمر

و هؤلاء و من فى حزب دينهمقوم صلاتهم للعود و الحجر

و له

و كفاه بأنّه سبق النّاسبفضل الصّلاه و التوحيد

حججا قبلهم كوامل سبعابركوع لديه أو بسجود

و له

أ ليس علىّ كان أوّل مؤمنو أوّل من صلّى غلاما و حدّا

فما زال فى سرّ يروح و يغتديفيرقى بثيراء أو بحراء مصعدا

يصلّى و يدعو ربّه فيهما معالمصطفى مثنى و إن كان أوحدا

سنين ثلاثا بعد خمس و أشهركوامل سبعا قبل أن يتمرّدا

و هو أوّل من صلّى القبلتين صلّى إلى بيت المقدس أربع عشره سنه، و المحراب الذى كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصلّى و معه علىّ و خديجه معروف، و هو على باب مولد النبىّ فى شعب بنى هاشم، و قد روينا عن الشيرازى ما رواه عن ابن عباس فى قوله:

و السّابقون الأوّلون، نزلت فى أمير المؤمنين سبق النّاس كلّهم بالايمان و صلّى القبلتين و بايع البيعتين.

الحميرى

و صلّى القبلتين و آل تيمو اخوتها عدىّ جاحدونا

و صلّى إلى الكعبه تسعا و ثلاثين سنه تاريخ الطّبرى بثلاثه طرق، و ابانه العكبرى من أربعه طرق، و كتاب المبعث عن محمّد بن إسحاق، و التاريخ النّسوى، و كتاب الثعلبى، و كتاب المادرى

و مسند أبى يعلى الموصلى، و يحيى بن معين، و كتاب أبى عبد اللّه محمّد بن زياد النيسابورى عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل بأسانيدهم عن ابن مسعود، و علقمه البجلى و إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جدّه أنّ كلّ واحد منهم قال: رأى عفيف أخو الأشعث بن قيس الكندى شابّا يصلى، ثمّ جاء غلام فقام عن يمينه، ثمّ جاءت امرئه فقامت خلفها، فقال للعبّاس: هذا أمر عظيم، قال: ويحك هذا محمّد، و هذا علىّ، و هذه خديجه إنّ ابن أخى هذا حدّثنى أنّ ربّه ربّ السّماوات و الأرض أمر بهذا الدّين، و اللّه ما على ظهر الأرض على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثه.

و فى كتاب النّسوى أنّه كان يقول بعد إسلامه: لو كنت أسلمت يومئذ كنت ثانيا مع علىّ بن أبى طالب.

و فى روايه محمّد بن إسحاق عن عفيف قال: فلمّا خرجت من مكّه إذا أنا بشاب جميل على فرس فقال: يا عفيف ما رأيت فى سفرك هذا؟ فقصصت عليه، فقال لقد صدقك العبّاس و اللّه إنّ دينه لخير الأديان و إنّ امّته أفضل الامم، قلت: فلمن الأمر من بعده؟ قال: لابن عمّه و ختنه على بنته، يا عفيف الويل كلّ الويل لمن يمنعه حقّه.

ابن فيّاض فى شرح الأخبار عن ابن أبى الحجّاف عن رجل أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال فى خبر: هجم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله - يعنى أبا طالب - و نحن ساجدان قال:

أ فعلتماها ثمّ أخذ بيدى فقال: انظر كيف تنصره و جعل يرغّبنى فى ذلك و يحضّنى عليه الخبر.

و فى كتاب الشّيرازى أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله لمّا نزل الوحى عليه أتى المسجد الحرام و قام يصلّى فيه، فاجتاز به علىّ عليه السّلام و كان ابن تسع سنين فناداه يا علىّ إلىّ اقبل، فأقبل إليه ملبّيا، قال: أتى رسول اللّه إليك خاصّه و إلى الخلق عامّه، فقال: يا علىّ فقف عن يمينى و صلّ معى، فقال: يا رسول اللّه حتّى أمضى و أستأذن أبا طالب والدى قال: اذهب فانّه سيأذن لك، فانطلق يستأذن فى اتّباعه فقال: يا ولدى تعلم أنّ محمّدا و اللّه أمين منذ كان، امض و اتّبعه ترشد و تفلح و تشهد فأتى علىّ عليه السّلام و رسول اللّه قائم يصلّى فى المسجد، فقام عن يمينه يصلّى معه، فاجتاز بهما أبو طالب و هما يصلّيان

فقال: يا محمّد ما تصنع؟ قال: أعبد إله السّماوات و الأرض و معى علىّ يعبد ما أعبد، و أنا أدعوك إلى عباده اللّه الواحد القهّار، فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجده و أنشأ يقول:

و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى اغيّب فى التّراب دفينا

تاريخ الطّبرى و كتاب محمّد بن إسحاق أنّ النّبى كان إذا حضرت الصّلاه خرج إلى شعاب مكّه و خرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيا من قومه فيصلّيان الصّلاه فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك زمانا.

ثمّ روى الثعلبى معهما أنّ أبا طالب رأى النّبىّ و عليّا يصلّيان فسأل عن ذلك فأخبره النّبى أنّ هذا دين اللّه و دين ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم فى كلام له، فقال علىّ: يا أبه آمنت باللّه و رسوله و صدقته بما جاء به و صلّيت معه للّه فقال له: أما انّه لا يدعو إلاّ إلى خير فألزمه.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا نبّه على أنّ طلبه للخلافه إنما كان للّه سبحانه و تعالى لا تنافسا فى زخارف الدّنيا و التماسا لحطامها و عقّبه بالاشاره إلى سبقه فى الاسلام و الصّلاه مع النّبىّ المقتضى لتقدّمه على غيره أردفه بالاشاره إلى موانع الامامه تنبيها على أنّه هو الامام دون غيره لوجود المقتضى و انتفاء الموانع فيه مع عدمه و وجودها فى غيره فقال (و قد علمتم) و حصول ذلك العلم لهم إمّا من الكتاب كقوله تعالى: لا ينال عهدى الظّالمين، و قوله: أ فمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يهدى، و قوله: قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون، و ما يضاهى ذلك ممّا يستنبط منه شروط الولايه و أحكامها، و إمّا بنصّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو باعلام سابق منه عليه السّلام و على أىّ تقدير فالمقصود به الاشاره إلى استحقاقهم للتوبيخ و التقريع لكون تقصيرهم فى حقّ الامام عن علم منهم لا عن جهل فيعذرون و يعتذرون و قوله (انّه لا ينبغى) أى لا يجوز (أن يكون الوالى على الفروج و الدّماء و المغانم و الأحكام و إمامه المسلمين البخيل) الشّحيح و هو فى لسان الشّرع من يمنع

الواجب (فتكون فى أموالهم نهمته) أى حرصه و جشعه أو فرط شهوته (و لا الجاهل فيضلّهم بجهله) و إضلاله معلوم (و لا الجافى) سىّ ء الخلق (فيقطعهم بجفائه) و انقباضه عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم (و لا الحائف للدّول) أى الجائر للأموال و الظالم فى تقسيمها بأن لا يقسّمها بالسّويه بل يرجّح بعضهم على بعض (فيتّخذ قوما) و يخصّهم بالعطاء (دون قوم) و على روايه الخائف للدّول بالخاء المعجمه و كسر الدّال فالمراد به من يخاف دول الأيّام و تقلّبات الدّهور و غلبه الأعداء فيتّخذ قوما يرجو نفعهم و نصرهم فى دنياه، و يقويهم على غيرهم و يفضّلهم فى العطاء و سائر جهات الاكرام على الآخرين (و لا المرتشى فى الحكم) أى آخذ الرّشوه و هو بالكسر ما يعطيه الشّخص الحاكم و غيره ليحكم أو يحمله على ما يريد، و فى الحديث لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الرّاشى و المرتشى و الرايش يعنى المعطى للرّشوه و الآخذ لها و السّاعى بينهما يزيد لهذا و ينقص لهذا، و الحاصل أنّه لا يجوز أن يكون آخذ الرّشوه حاكما (فيذهب بالحقوق) أى حقوق النّاس و يبطلها و يخرجها من يد صاحبها (و يقف بها دون المقاطع) أى يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالجور أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصّلح و يذهب بعض حقّه قال العلاّمه المجلسىّ (قد): و يحتمل أن يكون دون بمعنى غير أى يقف فى غير مقطعه (و لا المعطل للسنّه) و الطريقه الشّرعيّه النّبويّه (فيهلك الامّه) فى الدّنيا أو الآخره أو كليهما

تبصره

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام فى ابداء المناسبه و الارتباط بين ما ذكره من سبقه عليه السّلام إلى التّوحيد و المعرفه و الصّلاه و ما عقّبه به من تقرير قاعده الامامه و التعرّض لموانعها ما محصّله:

إنّه عليه السّلام إذا كان أوّل السّابقين وجب أن يكون أقرب المقرّبين، لأنّه تعالى قال: و السّابقون السّابقون أولئك المقرّبون، و إذا كان أقرب المقرّبين وجب

ص:۲۶۴

أن ينتفى عنه الموانع السّـته التى جعل كلّ واحد منها صادّا عن الامامه و قاطعا عن استحقاقها و هى البخل، و الجهل، و الجفاء، و العصبيّه فى دولته، أى تقـديم قوم على قوم، و الارتشاء فى الحكم، و التعطيل للسـنّه، و إذا انتفت عنه هذه الموانع السـتّه تعيّن أن يكون هو الامـام، لأـنّ شـروط الامـامه موجوده فيه بالاتّفـاق، فـاذا كانت موانعها عنه منتفيه و لم يحصل لغيره اجتماع الشّـروط و ارتفاع الموانع وجب أن يكون هو الامام، لأنّه لا يجوز خلوّ العصر من امام سواء كانت هذه القضيّه عقليّه أو سمعيّه.

أقول: بعـد هـذا التحقيق هـل بقى للشـارح عـذر فى اعتقـاده بامامه الثّلاثه و خلافتهم و جعله عليه السّـلام رابعهم؟ و العجب كلّ العجب أنّه ينطق بـالحقّ و لاـ يـذعن به كمثـل المنـافقين يقولون بـأفواهم ما ليس فى قلوبهم و من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور، ثمّ قال الشّارح:

فـان قلت: أ فتراه عنى بهـذا قومـا بأعيـانهم؟ قلت: الامـاميّه تزعم أنّه رمز بالجفاء و العصبيه لقوم دون قوم إلى عمر و رمز بالجهل إلى من كـان قبله، و رمز بتعطيل السّـنه إلى عثمان و معاويه، و أمّا نحن فنقول: إنّه عليه السّـلام لم يعن ذلك و إنّما قال قولا كلّيا غير مخصوص، و هذا هو اللاّئق بشرفه، و قول الاماميّه دعوى لا دليل عليها و لا يعدم كلّ أحد أن يستنبط من كلّ كلام ما يوافق غرضه و إن غمض، و لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقه.

أقول: أمّا أنّ فى كلامه رمزا و إشاره إلى من ذكر فهو ممّا لا غبار عليه، و أمّا أنّ فيه دلاله عليه فلم تـدّعه الاماميّه حتّى يناقش فيه أو يعترض عليهم، و الاشـاره غير الـدّلاله، و أمّـا استـبعاد ذلـك بعـدم لياقته بشـرفه عليه السّـلام و منافاته لسودده ففيه أنّ شـرافته مقتضـيه للارشاد على الهدى و التّنبيه على ضلال قاده الرّدى و هفوه من اتّبعهم و أذعن بخلافتهم من أهل العصبيّه و الهوى، لأنّه من باب الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر المناسب لشأن الامام و وظيفته

ص:۲۶۵

و قد مرّ فى فقرات الخطبه الشّقشقيّه ما هو نصّ فى هذا المعنى، و أبلغ فى الدّلاله على هذا الغرض، مثل تنبيهه على جفاوه عمر و غلظته بقوله: فصيّرها فى حوزه خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها، و على جهله بقوله: و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها، و على بخل عثمان بقوله: و قام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضم الابل نبته الرّبيع آه و نحو هذه الألفاظ فى تضاعيف كلماته كثير كما هو غير خفىّ على الخبير البصير.

و بعد الغضّ عن ذلك كلّه فأقول: إنّ عمده غرض الاماميّه التّنبيه على اتّصاف الخلفاء بتلك الأوصاف الرّذيله، و بعد تسليم الشارح و إذعانه باتّصافهم بها لا ضروره فى النّقض و الابرام فى دلاله كلامه عليه السّلام على هذا المرام.

ثم أقول: الأظهر على تقدير كون كلامه عليه السّلام رمزا إليهم أن يشار بالبخيل إلى عثمان لما هو المعلوم من حاله من أكله أموال المسلمين، و لما مرّ منه فى الخطبه الشّقشقيه، و بالجاهل إلى جميعهم، و بالجافى إلى عمر، و بالحائف للدّول إلى عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما، و بالمعطل للسّنه إلى الجميع.

تنبيه

اشاره

لا خلاف بين المسلمين إلاّ من شرذمه من العامه العثمانيّه فى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام

سبق النّاس كلّا إلى الاسلام و التّوحيد

، كما صرّح به عليه السّلام فى هذا الكلام بقوله:

اللّهمّ إنّى أوّل من أناب و سمع و أجاب، و فى الكلام السّادس و الخمسين بقوله:

فانّى ولدت على الفطره و سبقت إلى الايمان و الهجره، و نحو ذلک فى كلماته و احتجاجاته كثير، و الأخبار فى هذا المعنى من طرق العامّه و الخاصّه بالغه حدّ التّواتر، و استقصائها غير ممكن و لا حاجه إلى إيرادها مع وضوح المطلب و ظهوره ظهور الشّمس الضّحى.

و إنّما نورد على وجه التّأييد و على رغم أنوف المخالفين ما أورده شيخ المحدّثين العلامه المجلسى قدّس اللّه روحه، و شيخ الأمّه الشيخ المفيد نوّر اللّه

ضریحه: و من المخالفین الشارح المعتزلی أهبط اللّه قدره.

فأما العلامه المجلسی

فقد قال فی المجلّد التاسع من بحار الأنوار بعد ما أورد فی هذا الباب کثیرا من الأخبار ما لفظه:

لا- یخفی علی من شمّ رائحه الانسانیّه و ترقّی عن درکات البهیمیّه و العصبیّه أنّ سبق إسلامه صلوات اللّه علیه مع ورود تلک الأخبار المتواتره من طرق الخاصّه و العامّه من أوضح الواضحات، و الشاکّ فیه کالمنکر لأجلی البدیهیّات، و أنّ من تمسّک بأنّ ایمانه کان فی طفولیّته، و لم یکن معتبرا فقد نسب الجهل إلی سیّد المرسلین، حیث کلّفه ذلک و مدحه به فی کلّ موطن، و به أظهر فضله علی العالمین، و إلی أشرف الوصیّین حیث تمدّح و افتخر و احتج به فی مجامع المسلمین و إلی الصّحابه و التّابعین حیث لم ینکروا علیه ذلک مع کون أکثرهم من المنافقین و المعاندین.

ثمّ اعلم أنّا قد ترکنا کثیرا من الرّوایات و ما یمکن ذکره من التأییدات فی هذا المطلب حذرا من التکرار و الاسهاب و الاطاله و الاطناب.

فقد روی ابن بطریق رحمه اللّه فی کتاب العمده فی سبق اسلامه و صلاته من مسند أحمد بن حنبل ثلاثه عشر حدیثا، و من تفسیر الثعلبی أربعه، و من مناقب ابن المغازلی سبعه، و روی فی المستدرک أیضا أخبارا کثیره فی ذلک، و رواه صاحب الصّراط المستقیم بأسانید من طرقهم، و العلاّمه فی کشف الحقّ و کشف الیقین و غیرهما بأسانید من کتبهم، و قد ترکنا إیرادها مع کثیر ممّا أورده المفید فی الارشاد، و النیسابوری فی روضه الواعظین، و الطّبرسی فی اعلام الوری، و ابن الصّباغ فی الفصول المهمّه، و غیرها من الاصول و الکتب الّتی عندنا، انتهی کلامه رفع مقامه.

و أما الشيخ المفيد قدس اللّه روحه

فقد قال فی محکیّ کلامه من کتاب الفصول:

أجمعت الأمّه علی أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام أوّل ذکر أجاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لم یختلف فی ذلک أحد، من أهل العلم إلّا أنّ العثمانیه طعنت فی ایمان أمیر المؤمنین علیه السّلام بصغر سنّه فی حال الاجابه، قالوا: إنّه علیه السّلام لم یک فی تلک الحال بالغا فیقع ایمانه علی وجه المعرفه، و إنّ ایمان أبی بکر حصل منه مع الکمال، فکان علی الیقین، و المعرفه و الاقرار من جهه التقلید و التلقین غیر مساو للاقرار بالمعلوم المعروف بالدّلاله، فلم یحصل خلاف من القوم فی تقدّم الاقرار من أمیر المؤمنین للجماعه و الاجابه منه للرّسول علیه و آله السّلام، و انّما خالفوا فیما ذکرناه.

و أنا ابیّن غلطهم فیما ذهبوا إلیه من توهین إقرار أمیر المؤمنین و حملهم إیّاه علی وجه التلقین دون المعرفه و الیقین بعد أن أذکر خلافا حدث بعد الاجماع من بعض المتکلّمین و الناصبه من أصحاب الحدیث، و ذلک أنّ ههنا طائفه تنسب إلی العثمانیّه تزعم أنّ أبا بکر سبق أمیر المؤمنین إلی الاقرار و تعتلّ فی ذلک بأحادیث مولّده باضعاف.

منها أنّهم رووا عن أبی نضره «نضیره خ» قال: أبطأ علیّ و الزّبیر عن بیعه أبی بکر قال: فلقی أبو بکر علیا فقال له: أبطأت عن بیعتی و أنا أسلمت قبلک و لقی الزبیر فقال له: أبطأت عن بیعتی و أنا أسلمت قبلک.

و منها حدیث أبی امامه عن عمرو بن عنبسه قال: أتیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أوّل ما بعث و هو بمکه و هو حینئذ مستخف فقلت: من أنت؟ فقال: أنا نبیّ، قلت: و ما النبیّ؟ قال: رسول اللّه، قلت: اللّه أرسلک؟ قال: نعم، قلت: بما أرسلک؟ قال:

بأن نعبد اللّه عزّ و جلّ و نکسر الأصنام و نوصل الأرحام، قلت: نعم ما أرسلک به من تبعک علی هذا الأمر؟ قال: حرّ و عبد یعنی أبا بکر و بلالا و کان عمر یقول: لقد رأیتنی و أنا رابع الاسلام، قال: فأسلمت و قلت: أبایعک یا رسول اللّه و منها حدیث الشّعبی قال: سألت ابن عبّاس عن أوّل من أسلم فقال: أبو بکر

ثمّ قال: أما سمعت قول حسّان:

إذا تذكّرت شجوا من أخى ثقه فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البريّه أعطاها و أعدلها بعد النّبيّ و أرقاها بما حملا

الثّانى التّالى المحمود مشهده و أوّل النّاس منهم صدّق الرّسلا

و منها حديث رووه عن منصور عن مجاهد أنّ أوّل من أظهر الاسلام سبعه رسول اللّه و أبو بكر و خباب و صهيب و بلال و عمار و سميّه.

و منها حديث رووه عن عمر بن مرّه قال: ذكرت لإبراهيم النخعى حديثا فأنكره و قال أبو بكر أوّل من أسلم قال الشيخ قدس اللّه روحه فيقال لهم:

أما الحديث الاول فانّه رواه أبو نضره، و هذا أبو نضره مشهور بعداوه أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد ضمنه ما ينقض اضلالهم فى الامامه، و لو ثبت لكان أرجح من تقدّم اسلام أبى بكر و هو أنّ أمير المؤمنين و الزّبير أبطئا عن بيعه أبى بكر، و إذا ثبت أنّهما أبطئا عن بيعته و تأخّرا نقض ذلك قولهم أنّ الامّه اجتمعت عليه و لم يكن من أمير المؤمنين عليه السّلام كراهيّه لأمره، و إذا ثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد كان متأخّرا عن بيعته على وجه الكراهه لها بدلاله ما رووه من قول أبى بكر له أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلك على وجه الحجّه عليه فى كونه أولى بالامامه منه، ثبت بطلان إمامه أبى بكر، لأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يجوز أن يكره الحقّ و لا أن يتأخّر عن الهدى، و قد أجمعت الأمّه على أنه عليه السّلام لم يوقع خطأ بعد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله يعثر عليه طول مدّه أبى بكر و عمر و عثمان، و إنّما ادّعت الخوارج الخطاء منه فى آخر أيّامه بالتحكيم و ذهبت عن وجه الحقّ فى ذلك و إذا لم يجز من الأمير المؤمنين التّأخّر عن الهدى و الكراهه للحقّ و الجهل بموضع الأفضل، بطل هذا الحديث، و ما زلنا نجتهد فى اثبات الخلاف لأمره، و النّاصبه تحيد عن قبول ذلك و تدفعه أشدّ دفع حتى صاروا يسلمونه طوعا و اختيارا، و ينظمونه فى احتجاجهم بفضل صاحبهم، و هكذا يفعل اللّه تعالى بأهل الباطل لحينهم، و يسلبهم التوفيق حتّى

يدخلوا فيما يكرهون من حيث لا يشعرون.

على أنّ بازاء هذا الحديث عن أبى بكر حديثا ينقضه من طريق أوضح من طريق أبى نضره، و هو ما رواه علىّ بن مسلم الطوسى عن زافر بن سليمان عن الصلت ابن بهرام عن الشّعبى قال: مرّ علىّ بن أبى طالب و معه أصحابه على أبى بكر فسلّم و مضى، فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس فى الاسلام سبقا، و أقرب النّاس من نبيّنا رحما، و أعظمهم دلاله عليه و أفضلهم فداء عنه بنفسه فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب.

و هذا يبطل ما ادّعوه على أبى بكر و أضافه أبو نضره إليه.

و أما حديث عمرو بن عنبسه فانّه من طريق أبى امامه و لا خلاف أنّ أبا امامه كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السّلام و المتحرين عنه، و أنّه كان فى جيش معاويه ثمّ فيه عن عمر بأنه شهد لنفسه أنّه كان رابع الاسلام، و شهاده المرء لنفسه غير مقبوله إلّا أن يكون معصوما أو يدلّ دليل على صدقه، و إذا لم يثبت شهادته لنفسه بطل الحديث بأسره.

مع أنّ الرّوايه قد اختلفت عن عمر من طريق أبى أمامه، فروى عنه فى حديث آخر أنّه قال: أتيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بماء يقال له عكاظ، فقلت له: يا رسول اللّه من تابعك على هذا الأمر؟ فقال: من بين حرّ و عبد، فاقيمت الصّلاه فصلّيت خلفه أنا و أبو بكر و بلال، و أنا يومئذ رابع الاسلام.

فاختلف اللفظ و المعنى فى هذين الحديثين و الواسطه واحد فتاره يذكر مكه و تاره يذكر عكاظا، و تاره يذكر أنّه وجده مستخفيا بمكّه، و تاره يذكر أنّه كان ظاهرا يقيم الصّلاه و يصلّى بالنّاس معه، و الحديث واحد من طريق واحد، و هذا أدلّ دليل على فساده.

و أما حديث الشعبى فقد قابله الحديث عنه من طريق الصّلت بن بهرام المتضمّن لضدّه و فى ذلك إسقاطه، مع أنّه قد عزاه إلى ابن عبّاس و المشهور عن ابن عبّاس ضدّ ذلك و خلافه، ألا ترى إلى ما رواه أبو صالح عن عكرمه عن ابن عبّاس

و هذان أصدق على ابن عبّاس من الشّعبى، لأنّ أبا صالح معروف بعكرمه و عكرمه معروف بابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكه علىّ و على علىّ بن أبى طالب سبع سنين، قالوا: و لم ذلك يا رسول اللّه؟ قال: لم يكن من الرّجال غيره، و من طريق عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل من أسلم بعد خديجه بنت خويلد علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه.

و أما قول حسان فانّه ليس بحجّه من قبل أنّ حسّان كان شاعرا و قصد الدّوله و السّلطان، و قد كان منه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انحراف شديد عن أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان عثمانيّا و حرّض النّاس على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و كان يدعو إلى نصره معاويه و ذلك مشهور عنه فى نظمه، ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شعرى و ليت الطّير يخبرنى ما كان بين علىّ و ابن عفّانا

ضحوا بأشمط عنوان السّجود به يقطع اللّيل تسبيحا و فرقانا

لتسمعنّ و شيكا فى ديارهم اللّه أكبر يا ثارات عثمانا

فان جعلت النّاصبه شعر حسّان حجّه فى تقديم ايمان أبى بكر فلتجعله حجّه فى قتل أمير المؤمنين عثمان و القطع على أنّه اخصّ النّاس بقتله، و أنّ ثاراته يجب أن يطلب منه، فان قالوا: إنّ حسّان غلط فى ذلك، قلنا لهم و كذلك غلط فى قوله فى أبى بكر، و ان قالوا لا يجوز غلطه فى باب أبى بكر لأنّه شهد به بحضره الصّحابه فلم يردّوا عليه، قيل لهم ليس عدم اظهارهم الرّد عليه دليلا على رضاهم به لأنّ الجمهور كانوا شيعه أبى بكر و كان المخالفون له فى تقيّه من الجهر بالتنكير عليه فى ذلك مخافه الفرقه و الفتنه مع أنّ قول حسان يحتمل أن يكون أبو بكر من المتقدّمين فى الاسلام و الأوّلين دون أن يكون أوّل الأوّلين، و لسنا ندفع أن أبا بكر ممّن يعدّ فى المظهرين للاسلام أوّلا و إنّما ننكر أن يكون أوّل الأوّلين فلمّا احتمل قول حسّان ما وصفناه لم ينكر المسلمون عليه ذلك.

ص:۲۷۱

مع أنّ حسّان قد حرض على أمير المؤمنين ظاهرا و دعا إلى مطالبته بثارات عثمان جهرا فلم ينكر عليه فى الحال منكر، فيجب أن يكون مصيبا فى ذلك، فان قالوا:

هذا شيء قاله فى مكان دون مكان فلما ظهر عنه أنكره جماعه من الصّحابه، قيل لهم: فان قنعتم بذلك، و اقترحتم فى الدّعوى فاقنعوا منّا بمثله فيما اعتقدتموه فى شعره فى أبى بكر، و هذا ما لا فضل فيه على أنّ حسان بن ثابت قد شهد فى شعره بامامه أمير المؤمنين عليه السّلام نصّا و ذكر ذلك بحضره النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فجزاه خيرا فى قوله:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ و أسمع بالرّسول مناديا

فى أبيات تقدّم ذكره منّا فى مقدّمات الخطبه الثّالثه المعروفه بالشّقشقيّه و شهد أيضا لأمير المؤمنين عليه السّلام بسبق قريش إلى الايمان حيث يقول:

جزى اللّه خيرا و الجزاء بكفّه أبا حسن عنّا و من كأبى حسن

سبقت قريشا بالّذى أنت أهله فصدرك مشروح و قلبك ممتحن

فشهد بتقديم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام الجماعه، و هذا مقابل لما تقدّم و مسقط له فان زعموا أنّ هذا محتمل، فكذلك ما ذكرتموه عنه أيضا محتمل.

و أما روايتهم عن مجاهد فانّها مقصوره على مذهبه و رأيه و مقاله، و بازاء مجاهد عالم من التّابعين ينكرون عليه و يذهبون إلى خلافه فى ذلك و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوّل النّاس ايمانا، و هذا القدر كاف فى ابطال قول مجاهد، على أنّ الثابت عن مجاهد خلاف ما ادّعاه هؤلاء القوم و أضافوه إليه، و ضدّه و نقيضه روى ذلك منهم من لا يتّهم عليه سفيان بن عيينه عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و اثره عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم السبّاق أربعه: يوشع بن نون إلى موسى بن عمران.

و صاحب يس إلى عيسى بن مريم، و سبق علىّ بن ابى طالب عليه السّلام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نسى النّاقل عن سفيان الآخر، و قد ذكرت فى حديث غير هذا أنّه مؤمن آل فرعون و هذا يسقط تعلّقهم بما ادّعوه من مجاهد.

و أما حديث عمرو بن مره عن إبراهيم فهو أيضا نظير قول مجاهد، و إنما

اخبر عمرو عن مذهب إبراهيم، و الغلط جائز على إبراهيم و من فوقه، و بازاء إبراهيم من هو فوقه و أجلّ قدرا منه يدفع قوله و يكذّبه فی دعواه كأبی جعفر و أبی عبد اللّه الصّادق علیهما السّلام و من غیر أهل البیت قتاده و الحسن و غیرهما مما لا یحصی كثره و فی هذا غنی عن غیره.

قال الشیخ قدس اللّه روحه فهذه جمله ما اعتمد القوم فیما ادّعوه من خلافنا فی تقدیم إیمان أمیر المؤمنین علیه السّلام و تعلّقوا به، و قد بیّنت عوارها و أوضحت حالها، و أنا أذكر طرفا من أسماء من روی أنّ أمیر المؤمنین كان أسبق الخلق إلی رسول اللّه و أوّل من الذكور إجابه له و ایمانا به فمن ذلك الرّوایه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام نفسه من طریق سلمه بن كهیل عن حبّه العرنی قال: سمعت علیا یقول: اللّهمّ لا أعرف عبدا لك عبدك من هذه الأمّه قبلی غیر نبیّها علیه و آله السّلام، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال: لقد صلّیت قبل أن یصلّی أحد سبعا.

و من طریق المنهال عن عبایه الأسدی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنین و من طریق جابر عن عبد اللّه بن یحیی الحضرمی عن علیّ علیه السّلام قال: صلّیت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثلاث سنین و لم یصلّ أحد غیری.

و من طریق نوح بن قیس الطّاخی عن سلیمان أبی فاطمه عن معاذه العدویه قال: سمعت علیّا یخطب علی منبر البصره فسمعته یقول: أنا الصّدیق الأكبر آمنت قبل أن یؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن یسلم.

و من طریق عمرو بن مرّه عن أبی البختری عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: صلّیت قبل النّاس سبع سنین.

و من طریق نوح بن دراج عن خالد الخفاف قال: أدركت النّاس و هم یقولون:

وقع بین علیّ و عثمان كلام فقال عثمان و اللّه أبو بكر و عمر خیر منك، فقال علیّ علیه السّلام كذبت و اللّه لأنا خیر منك و منهما، عبدت اللّه قبلهما و عبدت اللّه بعدهما

و من طریق الحارث الأعور قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: اللّهمّ إنّی لا أعرف عبدا من عبادک عبدک قبلی.

و قال علیه السّلام قبل لیله الهریر بیوم و یحرّض النّاس علی أهل الشّام: أنا أوّل ذکر صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لقد رأیتنی أضرب بسیفی قدامه و هو یقول لا سیف إلاّ ذو الفقار و لا فتی إلاّ علیّ حیاتک حیاتی و موتک موتی.

و قال علیه السّلام و قد بلغه أنّ قوما یطعنون علیه فی الاخبار عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد کلام خطبه(۱): بلغنی أنکم تقولون إنّ علیا یکذب، فعلی من أکذب أعلی اللّه فأنا أوّل من آمن به و عبده و وحّده، أم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فأنا أوّل من آمن به و صدّقه و نصره.

و قال علیه السّلام لمّا بلغه افتخار معاویه عند أهل الشّام شعره المشهور الذی یقول فیه:

سبقتکم إلی الاسلام طرّا صغیرا ما بلغت أوان حلمی

و أنا أذکر الشعر بأسره فی موضع غیر هذا عند الحاجه إلیه إنشاء اللّه تعالی.

و من ذلک ما رواه أبو أیّوب خالد بن زید الأنصاری صاحب رسول اللّه من طریق عبد الرحمن معمّر عن أبیه عن أبی أیّوب رحمه اللّه، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: صلّت الملائکه علیّ و علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام سبع سنین، و ذلک أنّه لم یصلّ معی رجل غیره.

و من ذلک ما رواه سلمان الفارسی رحمه اللّه علیه من طریق علیم الکندی عن سلمان قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أوّلکم ورودا علیّ الحوض أوّلکم اسلاما علیّ بن أبی طالب.

و من ذلک ما رواه أبو ذر الغفاری رحمه اللّه علیه من طریق محمّد بن عبید اللّه بن أبی رافع عن أبیه عن جدّه عن أبی ذر قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول لعلیّ بن أبی طالب:

أنت أوّل من آمن بی، فی حدیث طویل.

و روی أبو سخیله عن أبی ذر أیضا قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو آخذ بید علیّ علیه السّلام یقول: أنت أوّل من آمن بی و أوّل من یصافحنی یوم القیامه.

۱- (۱) و قد مضی هذا الکلام بروایه السید ره فی الکتاب و هو المختار السبعون، منه

و قد رواه ابن أبی رافع عن أبيه أيضا عن أبی ذر قال: أتيته اودّعه فقال:

ستكون فتنه فعليك بالشيخ علىّ بن أبی طالب صلوات اللّه عليه و تسليمه فانى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول أنت أوّل من آمن بی.

و من ذلک ما رواه حذيفه اليمان رحمه اللّه عليه عن طريق قيس بن مسلم عن ربعی بن خراش قال: سألت حذيفه اليمان عن علیّ بن أبی طالب صلوات اللّه عليه فقال: ذاک أقدم النّاس سلما و أرجح النّاس حلما.

و من ذلک ما رواه جابر بن عبد اللّه الأنصاری رحمه اللّه عليه من طريق شريک عن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل عن جابر قال: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم الاثنين و أسلم علیّ عليه السّلام يوم الثّلثاء.

و من ذلک ما رواه زيد بن أرقم من طريق عمرو بن مرّه عن أبی حمزه مولى الأنصار قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أوّل من صلّى مع النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علیّ بن أبی طالب و من ذلک ما رواه زيد بن صوحان العبدی من طريق عبد اللّه بن هشام عن أبيه عن طريف بن عيسى الغنوی أنّ زيد بن صوحان خطب فی مسجد الكوفه فقال: سيروا إلى أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و أوّل المؤمنين إيمانا.

و من ذلک ما روته أمّ سلمه زوج النّبیّ من طريق مساور الحميری عن امّه قالت: قالت امّ سلمه: و اللّه لقد أسلم علیّ بن أبی طالب أوّل النّاس و ما كان كافرا، فی حديث طويل.

و من ذلک ما رواه عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطلب رحمه اللّه عليه من طريق أبی صالح عن عكرمه عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكه علیّ و على علیّ بن أبی طالب سبع سنين، قالوا و لم ذاک يا رسول اللّه؟ قال: لم يكن معی من الرّجال غيره، و من طريق عمرو بن ميمون عنه ما تقدّم ذكره، و روى مجاهد عنه أيضا مثل ذلک و قد سلف لنا فيما مضى.

و من ذلک ما رواه قثم بن العبّاس بن عبد المطّلب عن طريق قيس بن أبی حازم عن أبی إسحاق قال: دخلت على قثم بن العبّاس فسألته عن علیّ فقال: كان أوّلنا

برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لحوقا و أشدّنا به لصوقا.

و من ذلک ما رواه مالک الأشتر رحمه اللّه عليه من طريق الفضل بن أدهم المدنى قال: سمعت مالک بن الحارث الاشتر يقول فى خطبه خطبها بصفّين: معنا ابن عمّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سيف من سيوف اللّه علىّ بن أبى طالب صلّى مع رسول اللّه صغيرا و لم يسبقه بالصّلاه ذکر، و جاهد حتّى صار شيخا کبيرا.

و من ذلک ما رواه سعيد بن قيس من طريق مالک بن قدّامه الارحبى أنّ سعيد ابن قيس خطب النّاس بصفّين فقال: معنا ابن عمّ نبيّنا صدق و صلّى صغيرا و جاهد مع نبيّکم کبيرا.

و من ذلک ما رواه عمرو بن الحمق الخزاعى من طريق عبد اللّه بن شريک العامرى قال: قام عمرو بن الحمق يوم صفين فقال: يا أمير المؤمنين أنت ابن عمّ نبيّنا و أوّل المسلمين إيمانا باللّه عزّ و جلّ.

و من ذلک ما رواه هاشم بن عتبه بن أبى وقاص من طريق جندب قال: قال هاشم يوم صفّين: نجاهد فى طاعه اللّه مع ابن عمّ رسول اللّه و أوّل من آمن باللّه و أفقه النّاس فى دين اللّه.

و من ذلک ما رواه محمّد بن کعب من طريق عمر مولا غفره عن محمّد بن کعب قال: أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و من ذلک ما رواه مالک بن الحويرث من طريق مالک بن الحسن بن مالک قال: أخبرنى أبى عن جدّى مالک بن الحويرث قال: أوّل من أسلم من الرّجال علىّ بن أبى طالب.

و من ذلک ما رواه أبو بکر عتيق بن أبى قحافه و عمر بن الخطاب و أنس ابن مالک و عمر و بن العاص و أبو موسى الأشعرى.

و الذى رواه أبو بکر من طريق زافر بن سليمان عن الصّلت بن بهرام عن الشّعبى قال: مرّ علىّ بن أبى طالب على أبى بکر و معه أصحابه فسلّم عليهم و مضى فقال أبو بکر: من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس فى الاسلام سبقا و أقرب النّاس برسول اللّه قرابه، فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب، الحديث و قدّمناه

ص:۲۷۶

فيما مضى.

و أما عمر فانّ أبا حازم مولى ابن عباس قال: سمعت عبد اللّه بن عباس يقول قال عمر بن الخطّاب: كفّوا عن علىّ بن أبى طالب فانّى سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه خصالا قال: إنّك أوّل المؤمنين بعدى ايمانا، و ساق الحديث.

و أما عمرو بن العاص فان تميم بن جذيم النّاحى قال: إنّا لمع أمير المؤمنين عليه السّلام بصفّين إذ خرج إليه عمرو بن العاص فأراد أن يكلّمه فقال عمرو: تكلّم فانّك أوّل من اسلم فاهتدى و وحّد فصلّى.

و من ذلك ما رواه أبو موسى الأشعرى عن طريق يحيى بن سلمه بن كهيل عن أبيه سلمه عن أبى جعفر عن ابن عباس قال أبو موسى الأشعرى: علىّ أوّل من أسلم.

و من ذلك ما رواه أنس بن مالك من طريق عباد بن عبد الصّمد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائكه علىّ و على علىّ بن أبى طالب سبع سنين، و ذلك أنّه لم يرفع إلى السّماء شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنى محمّدا رسول اللّه إلاّ منّى و من علىّ صلوات اللّه عليه.

و من ذلك ما روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى من طريق قتاده بن دعامه السّدوسى قال: سمعت الحسن يقول: إنّ عليّا عليه السّلام صلّى مع النّبى أوّل النّاس فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكه علىّ و على علىّ سبع سنين.

و من ذلك ما روى عن قتاده من طريق سعيد بن أبى عروبه قال: سمعت قتاده يقول: أوّل من صلّى من الرّجال علىّ بن أبى طالب.

و من ذلك ما روى عن أبى إسحاق من طريق يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق قال: كان أوّل ذكر آمن و صدّق علىّ بن أبى طالب و هو ابن عشر سنين، ثمّ أسلم بعده زيد بن حارثه.

و من ذلك ما روى عن الحسن بن زيد من طريق إسماعيل بن عبد اللّه بن أبى يونس قال: أخبرنى أبى عن الحسن بن زيد أنّ عليا كان أوّل ذكر أسلم.

فاما الروايه عن آل أبى طالب فى ذلک فانّها أکثر من أن تحصى، و قد أجمع بنو هاشم و خاصّه آل علىّ لا تنازع بينهم على أنّ أوّل من أجاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الذّکور علىّ بن أبى طالب و نحن أغنياء بشهره ذلک عن ذکر طرقه و وجوهه.

فأما الاشعار التى تؤثر عن الصحابه فى الشهاده له عليه السّلام بتقديم الايمان

و أنّه أسبق الخلق إليه فقد وردت عن جماعه منهم و ظهرت عنهم على وجه يوجب العلم و يزيل الارتياب و لم يختلف فيها من أهل العلم بالنقل و الارتياب إثنان.

فمن ذلک قول خزيمه بن ثابت ذى الشهادتين رحمه الله عليه:

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا أبو حسن ممّا يخاف من الفتن

وجدناه أولى النّاس بالنّاس أنّه أطبّ قريش بالکتاب و بالسّنن

و إنّ قريشا لا يشقّ غباره إذا ما جرى يوما على الضمر البدن

ففيه الذى فيه من الخير کلّه و ما فيهم مثل الذى فيه من حسن

وصىّ رسول اللّه من دون أهله و فارسه قد کان فى سالف الزمن

و أوّل من صلّى من النّاس کلّهم سوى خيره النسوان و اللّه ذو منن

و صاحب کبش القوم فيکلّ وقعه يکون لها نفس الشّجاع لدى الذقن

فذاک الذى تثنى الخناصر باسمه إمامهم حتّى اغيّب فى الکفن

و منه قول کعب بن زهير:

صهر النّبىّ و خير النّاس کلّهم فکلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصّلاه مع الامّى أوّلهم قبل العباد و ربّ النّاس مکفور

و منه قول حسان بن ثابت:

جزی اللّه خیرا و الجزاء بکفّه «و قدّمنا البیتین فیما سلف»

ص:۲۷۸

و منه قول ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب حيث يقول عند بيعه أبى بكر:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقل عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعلم النّاس بالآثار و السّنن

و آخر النّاس عهدا بالنّبى و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذى ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

و فى هذا الشّعر قطع من قائله على إبطال إمامه أبى بكر و إثبات الامامه لأمير المؤمنين عليه السّلام.

و منه قول فضل بن عتبه بن أبى لهب فيما ردّ به على الوليد بن عقبه فى

مديحه لعثمان و مرثيته له و تحريضه على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قصيدته

التى يقول فى أولها:

ألا إنّ خير النّاس بعد ثلاثه قتيل التجوبى الّذى جاء من مضر

فقال الفضل رحمه اللّه عليه:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد مهيمنه التاليه فى العرف و النكر

و خيرته فى خيبر و رسوله بنبذ عهود الشرك فوق أبى بكر

و أوّل من صلّى و صنو نبيّه و أوّل من أردى الغواه لدى بدر

فذاك علىّ الخير من ذا يفوقه أبو حسن حلف القرابه و الصهر

و فى هذا الشعر دليل على تقدّم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام و على أنّه كان الأمير فى سنه تسع على الجماعه و كان فى جمله رعيّته أبو بكر على خلاف ما ادّعته النّاصبه من قولهم إنّ أبا بكر كان الأمير على الجماعه و إنّ أمير المؤمنين كان تابعا له.

ص:۲۷۹

و منه قول مالک بن عباده الغافقی حلیف حمزه بن عبد المطلب رحمه اللّه علیه:

رأیت علیّا لا یلبّث قرنه إذا ما دعاه حاسرا أو مسر بلا

فهذا و فی الاسلام أوّل مسلم و أوّل من صلّی و صام و هلّلا

و منه قول عبد اللّه بن ابی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب:

و کان ولیّ الأمر بعد محمّد علیّ و فی کلّ المواطن صاحبه

وصیّ رسول اللّه حقا و جاره و أوّل من صلّی و من لان جانبه

و فی هذا الشعر أیضا دلیل علی اعتقاد هذا الرّجل فی أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه کان الخلیفه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بلا فصل.

و منه قول النجاشی بن الحارث بن کعب:

فقل للمضلّل من وائل و من جعل الغثّ یوما سمینا

جعلت ابن هند و أشیاعه نظیر علیّ أما تستحونا

إلی أوّل النّاس بعد الرّسول أجاب الرّسول من العالمینا

و منه قول جریر بن عبد اللّه البجلی:

فصلّی الإله علی أحمد رسول الملیک تمام النعم

و صلّی علی الطّهر من بعده خلیفتنا القائم المدّعم

علیّا عنیت وصیّ النّبیّ یجالد عنه غواه الامم

له الفضل و السبق و المکرمات و بیت النّبوّه لا المهتضم

و فی هذا الشّعر أیضا تصریح من قائله بامامه أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنّه کان الخلیفه علی من تقدّم.

و منه قول عبد اللّه بن حکيم التميمی:

دعانا الزبير إلى بيعه و طلحه بعد ما أثقلا

ص:۲۸۰

فقلنا صفقنا بأيماننا و إن شئتما فخذا الأشملا

نكثتم عليّا على بيعته و إسلامه فيكم أوّلا

و منه قول عبد اللّه بن جبل حليف بنى جمح:

لعمرى لئن بايعتم ذا حفيظه على الدّين معروف العفاف موفّقا

عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجد صدوقا و للجبّار قدما مصدّقا

أبا حسن فارضوا به و تبايعوا فليس كمن فيه لذى العيب منطقا

علىّ وصىّ المصطفى و وزيره و أوّل من صلّى لذى العرش و اتّقى

و منه قول ابى الاسود الدئلى:

و انّ عليّا لكم مفخر يشبه بالأسد الأسود

أما إنّه سيّد العابدين بمكّه و اللّه لم يعبد

و منه قول زفر بن زيد بن حذيفه الاسدى:

فحوطوا عليّا و احفظوه فانّه وصىّ و فى الاسلام أوّل أوّل

و منه قول قيس بن سعد بن عباده بصفين:

هذا علىّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا إمام لا نبالى من غوى

و منه قول هاشم بن عتبه بن أبى وقاص بصفين:

أشلّهم بذى الكعوب شلّا مع ابن عمّ أحمد تجلّا

أوّل من صدّقه و صلّى

ص:۲۸۱

قال الشيخ قدّس اللّه روحه: و أمّا قول النّاصبه إنّ ايمان أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه لم يقع على وجه المعرفه و إنّما كان على وجه التقليد و التلقين و ما كان بهذه المنزله لم يستحقّ صاحبه المدحه و لم يجب به الثّواب، و ادّعائهم أنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه كان فى تلك الحال ابن سبع سنين و من كان هذه سنّه لم يكن كامل العقل و لا مكلّفا، فانّه يقال لهم: إنّكم قد جهلتم فى ادّعائكم أنّه كان وقت مبعث النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ابن سبع سنين و قلتم قولا لا برهان عليه يخالف المشهور و يضادّ المعروف، و ذلك انّ جمهور الرّوايات جاءت بأنّه عليه السّلام قبض و له خمس و ستّون سنه و جاء فى بعضها أنّ سنه كانت عند وفاته ثلاثا و ستّين فأمّا ما سوى هاتين الرّوايتين فشاذّ مطروح و قد يعرف فى صحيح النّقل و لا يقبله أحد من أهل الرّوايه و العقل.

و قد علمنا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاثا و عشرين سنه منها ثلاث عشره قبل الهجره، و عشر بعدها، و عاش بعده ثلاثين سنه، و كانت وفاته فى أربعين من الهجره، فاذا حكمنا فى سنّه على خمس و ستّين كما تواترت به الأخبار كانت سنّه عند مبعث النّبى صلّى اللّه عليه و آله اثنتى عشره سنه، و إن حكمنا على ثلاث و ستّين كانت سنّه عند المبعث عشر سنين، و كيف يخرج من هذا الحساب أن يكون سنّه عند المبعث سبع سنين.

اللّهمّ إلّا أن يقول قائل إنّ سنّه كانت عند وفاته ستّين سنه فيصحّ ذلك له إلّا أنه يكون دافعا للمتواتر من الأخبار، منكرا للمشهور من الآثار، معتمدا على الشّاذ من الرّوايات، و من صار إلى ذلك كان الأولى فى مناظرته البيان له على وجه الكلام فى الأخبار، و التّوقيف على طرق الفاسد من الصّحيح فيها دون المجازفه فى المقاله، و كيف يمكن عاقلا سمع الأخبار أو نظر فى شىء من الآثار أن يدّعى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام توفّى و له ستّون سنه مع قوله عليه السّلام الشائع عنه الذايع فى الخاص و العام عند ما بلغه من ارجاف أعدائه فى التدبير و الرّأى:

بلغنى أنّ قوما يقولون إنّ علىّ بن أبى طالب شجاع لكن لا بصيره له بالحرب

ص:۲۸۲

للّه أبوهم و هل فيهم أحد أبصر بها منّى لقد قمت فيها و ما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على السّتّين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع.

فخبّر عليه السّلام بأنّه نيف على السّتّين فى وقت عاش بعده دهرا طويلا، و ذلك فى أيّام صفين و هكذا يكذب قول من زعم أنه صلوات اللّه عليه توفّى و له ستّون سنه مع أنّ الرّوايات قد جاءت مستفيضه ظاهره بأنّ سنّه كانت عند وفاته بضعا و ستّين سنه و فى مجيؤها بذلک على الانتشار دليل على بطلان مقال من أنكر ذلک.

فمن ذلک ما ذكره علىّ بن عمرو بن أبى سيره عن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل قال:

سمعت محمّد بن الحنفيه يقول فى سنه الجحاف حين دخلت سنه إحدى و ثمانين هذه لى خمس و ستّون سنه و قد جاوزت من أبى قلت: و كم كان سنّه يوم قتل؟ قال:

ثلاثا و ستّين سنه.

و منهم أبو القاسم نعيم قال: حدّثنا شريک عن أبى إسحاق قال توفّى علىّ صلاه اللّه عليه و هو ابن ثلاث و ستّين سنه.

و منهم يحيى بن أبى كثير عن سلمه قال: سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: و قد سئل عن سنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه يوم قبض قال: قد كان نيف على السّتين.

و منهم ابن عايشه من طريق أحمد بن زكريّا قال: سمعته يقول: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ ابن عشر سنين و قتل علىّ و له ثلاث و ستّون سنه و منهم الوليد بن هاشم الفخذى «الفحدمى خ» من طريق أبى عبد اللّه الكواسجى «شحى خ» قال: أخبرنا الوليد بأسانيد مختلفه أنّ عليّا صلوات اللّه عليه قتل بالكوفه يوم الجمعه لتسع عشره ليله خلت من شهر رمضان سنه أربعين و هو ابن خمس و ستّين سنه.

فأما من روى أنّ سنه كانت عند البعثه أكثر من عشر سنين فغير واحد.

منهم عبد اللّه بن مسعود من طريق عثمان بن المغيره عن وهب عنه قال:

إنّ أوّل شىء علمته من أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّى قدمت مكّه فأرشدونا إلى العباس ابن عبد المطّلب فانتهينا إليه و هو جالس إلى زمزم فبينا نحن جلوس إذ أقبل رجل

من باب الصّفا عليه ثوبان أبيضان على يمينه غلام مراهق أو محتلم تتبعه امرأه قد سترت محاسنها حتّى قصدوا الحجر، فاستلمه و الغلام و المرأه ثمّ طاف بالبيت سبعا و الغلام و المرأه يطوفان معه، ثمّ استقبل الكعبه فقام فرفع يديه و كبّر فقام الغلام عن يمينه و كبّر و قامت المرأه خلفهما فرفعت يديها فكبّرت، فأطال القنوت ثمّ ركع فركع الغلام و المرأه معه، ثمّ رفع رأسه فأطال القنوت، ثمّ سجد و يصنعان ما صنع فلمّا رأينا شيئا ننكره و لا نعرفه بمكّه أقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل إنّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه، قال: أجل و اللّه ما تعرفون هذا، قلنا: ما تعرفه قال:

هذا ابن أخى محمّد بن عبد اللّه، و هذا علىّ بن أبى طالب، و هذه المرأه خديجه بنت خويلد، و اللّه ما على وجه الأرض أحد يعبد اللّه بهذا الدّين إلّا هؤلاء الثلاثه.

و روى قتاده عن الحسن و غيره قال: كان أوّل من آمن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن خمس عشره سنه أو ستّ عشره سنه.

و روى شدّاد بن أوس قال: سألت خباب بن الأرتّ عن إسلام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: أسلم و هو ابن خمس عشره سنه، و لقد رأيته يصلّى مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو مستحكم البلوغ.

و روى علىّ بن زيد عن أبى نضره قال: أسلم علىّ و هو ابن أربع عشره سنه، و كان له يومئذ ذؤابه يختلف إلى الكتاف.

و روى عبد اللّه بن زياد عن محمّد بن علىّ قال: أوّل من آمن باللّه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن إحدى عشره سنه.

و روى الحسن بن زيد قال: أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن خمسه عشره، و قد قال عبد اللّه بن الحارث بن أبى سفيان بن عبد المطلب.

و صلّى علىّ مخلصا بصلاته لخمس و عشر من سنيه كوامل

و خلّى اناسا بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع حامل

و روى سلمه بن كهيل عن أبيه عن حبه بن جوين العرنى قال: أسلم علىّ صلوات اللّه عليه و آله و كان له ذؤابه يختلف إلى الاكتاف.

ص:۲۸۴

على أنّا لو سلّمنا لخصومنا ما ادّعوه من أنه كان له عند المبعث سبع سنين لم يدلّ ذلك على صحّه ما ذهبوا إليه من أنّ ايمانه كان على وجه التّلقين دون المعرفه و اليقين، و ذلك أنّ صغر السنّ لا ينافى كمال العقل و ليس دليل وجوب التكليف بلوغ الحلم فيراعى ذلك هذا باتّفاق أهل النّظر و العقول، و إنّما يراعى بلوغ الحلم فى الأحكام الشّرعيه دون العقليه، فقد قال سبحانه فى قصّه يحيى: و آتيناه الحكم صبيّا، و قال فى قصّه عيسى: فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان فى المهد صبيّا، قال إنّى عبد اللّه آتانى الكتاب و جعلنى نبيّا و جعلنى مباركا أينما كنت و أوصانى بالصّلوه و الزّكاه ما دمت حيّا، فلم ينف صغر سنّ هذين النّبيّين عليهما السلام كما عقلهما أو الحكمه الّتى آتاهما اللّه سبحانه، و لو كانت العقول تحيل ذلك لا حالته فيكلّ أحد و على كلّ حال.

و قد أجمع أهل التفسير إلّا من شذّ عنهم فى قوله تعالى: و شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هو من الصّادقين، أنّه كان طفلا صغيرا فى المهد أنطقه اللّه عزّ و جلّ حتّى برء يوسف من الفحشاء و أزال عنه التهمه.

و النّاصبه إذا سمعت هذا الاحتجاج قالت: إنّ هذا الذى ذكرتموه فيمن عددتموه كان معجزا لخرق العاده و دلاله لنبىّ من أنبياء اللّه، فلو كان أمير المؤمنين مشاركا لمن وصفتموه فى خرق العاده لكان معجزا له أو للنبىّ و ليس يجوز أن يكون معجزا له و لو كان معجزا للنّبىّ لجعله فى معجزاته و احتجّ به فى جمله بيّناته و لجعله المسلمون فى آياته، فلمّا لم يجعله رسول اللّه لنفسه علما و لا عدّه المسلمون فى معجزاته علمنا أنّه لم يجر فيه الأمر على ما ذكرتموه.

فيقال لهم: ليس كلّ ما خرق اللّه به العاده وجب أن يكون علما و لا لزم أن يكون معجزا و لا شاع علمه فى العام و لا عرف من جهه الاضطرار، و إنّما المعجز العلم هو خرق العاده عند دعوه داع أو برائه معروف يجرى براءته مجرى التّصديق له فى مقاله، بل هى تصديق فى المعنى و إن لم يك تصديقا بنفس اللّفظ و القول،

و كلام عيسى إنّما كان معجزا لتصديقه له فى قوله: إنّى عبد اللّه آتانى الكتاب و جعلنى نبيّا، مع كونه خرقا للعاده و شاهدا لبرائه أمّه من الفاحشه.

و لصدقها فيما ادّعته من الطهاره، و كان حكمه يحيى فى حال صغره تصديقا له فى دعوته فى الحال و لدعوه أبيه زكريّا فصارت مع كونها خرق العاده دليلا و معجزا، و كلام الطّفل فى برائه يوسف إنّما كان معجزا لخرق العاده بشهادته ليوسف عليه السّلام للصّدق فى برائه ساحته و يوسف نبىّ مرسل فثبت أنّ الأمر ما ذكرنا و لم يكن كمال عقل أمير المؤمنين شاهدا فى شىء ممّن ادّعاه و لا استشهد هو عليه السّلام به فيكون مع كونه خرقا للعاده معجزا و لو استشهد به أو شهد على حدّ ما شهد الطفل ليوسف و كلام عيسى له و لامّه و كلام يحيى لأبيه بما يكون فى المستقبل و الحال لكان لخصومنا وجه للمطالبه بأن يذكر ذلك فى المعجزات لكن لا وجه له على ما بيّناه.

على أنّ كمال عقل أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن ظاهرا للحواسّ، و لا معلوما بالاضطرار فيجرى مجرى كلام المسيح، و حكمه يحيى، و كلام شاهد يوسف، فيمكن الاعتماد عليه فى المعجزات، و إنّما كان طريق العلم مقال الرّسول و الاستدلال الشّاق بالنظر الثاقب و السرّ لحاله عليه السّلام و على مرور الأوقات بسماع كلامه و التأمل لاستدلالاته و النظر فيما تؤدّى إلى معرفته و فطنته ثمّ لا يحصل ذلك إلاّ لخاص من النّاس و من عرف وجوه الاستنباطات و ما جرى هذا المجرى فارق حكمه حكم ما سلف للأنبياء من المعجزات و ما كان لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الاعلام إذا تلك بظواهرها فقدح فى القلوب أسباب اليقين و تشرك الجميع فى الحال الظاهره منها المنبئه عن خرق العادات دون أن تكون مقصوره على ما ذكرناه من البحث الطويل و الاستقرار للأحوال على مرور الأوقات أو الرّجوع فيه إلى نفس قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى يحتاج فى العلم به إلى النّظر فى معجز غيره و الاعتماد على ما سواه من البيّنات فلا ينكر أن يكون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّما عدل عن ذكر ذلك و احتجاجه به فى جمله آياته لما وصفناه.

و شیء آخر و هو أنّه لا ینکر أن یکون اللّه سبحانه علم من مصلحه خلقه الکفّ من رسول اللّه عن الاحتجاج بذلک و الدّعاء إلی النظر فیه و أنّ اعتماده علی ما ظاهره خرق العاده أولی فی مصلحه الدّین.

و شیء آخر و هو أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إن لم یحتجّ به علی التفصیل و التعیین فقد فعل ما یقوم مقام الاحتجاج به علی البصیره و الیقین، فابتدأ علیّا علیه السّلام بالدعوه قبل الذّکور کلّهم ممّن ظاهره البلوغ و افتتح بدعوته قبل أداء رسالته، و اعقد علیه فی ایداعه سرّه و أودعه ما کان خائفا من ظهوره عنه، فدلّ باختصاصه بذلک علی ما یقوم مقام قوله إنّه معجز له و إنّ بلوغ عقله علم علی صدقه، ثمّ جعل ذلک من مفاخره و جلیل مناقبه و عظیم فضایله، و نوّه بذکره و شهره بین أصحابه فاحتجّ له به فی اختصاصه، و کذلک فعل أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه فی ادّعائه له، فاحتجّ به علی خصومه و تمدّح به بین أولیائه و فخربه علی جمیع أهل زمانه، و ذلک هو معنی النطق بالشّهاده بالمعجز له بل هو الحجّه فی کونه نائبا فی القوم بما خصّه اللّه تعالی منه و نفس الاحتجاج لعلمه و دلیل اللّه و برهانه و هذا یسقط ما اعتمدوه.

و ممّا یدلّ علی أنّ أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه کان عند بعثه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالغا مکلّفا و أنّ إیمانه به کان بالمعرفه و الاستدلال و أنّه وقع علی أفضل الوجوه و آکدها فی استحقاق عظیم الثّواب أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مدحه به و جعله من فضائله و ذکره فی مناقبه، و لم یک بالذی یفضل بما لیس یفضل و یجعل فی المناقب ما لا یدخل فی جملتها، و یمدح علی ما لا یستحقّ علیه الثواب.

فلما مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أمیر المؤمنین علیه السّلام بتقدّمه الایمان فیما ذکرناه آنفا:

من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لفاطمه علیها السّلام: أما ترضین أنّی زوّجتک أقدمهم سلما: و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی روایه سلمان: أوّل هذه الأمّه ورودا علی نبیّها الحوض أوّلها إسلاما علیّ بن أبی طالب و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائکه علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین، و ذلک إنّه لم لم یکن من الرّجال أحد یصلّی غیری و غیره.

و إذا کان الأمر علی ما وصفناه فقد ثبت أنّ إیمانه وقع بالمعرفه و الیقین

دون التقليد و التلقين لا سيّما و قد سمّاه رسول اللّه إيمانا و إسلاما و ما يقع من الصبيان على وجه التلقين لا يسمّى على الاطلاق الدّينى إيمانا و إسلاما.

و يدلّ على ذلك أيضا أنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه قد تمدّح به و جعله من مفاخره و احتجّ به على أعدائه و كرّره فى غير مقام من مقاماته حيث يقول:

اللّهمّ إنّى لا أعرف عبدا لك عبدك من هذه الامه قبلى، و قوله أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمت قبل أن يسلم و قوله صلوات اللّه عليه لعثمان أنا خير منك و منهما عبدت اللّه قبلهما و عبدت اللّه بعدهما و قوله عليه السّلام أنا أوّل ذكر صلّى، و قوله عليه السّلام على من اكذب أعلى اللّه فأنا أوّل من آمن به و عبده.

فلو كان إيمانه على ما ذهبت إليه النّاصبه من جهه التّلقين و لم يكن له معرفه و لا علم بالتّوحيد لما جاز منه أن يتمدّح بذلك، و لا أن يسمّيه عباده و لا أن يفخر به على القوم، و لا أن يجعله تفضيلا له على أبى بكر و عمر، و لو أنه فعل من ذلك ما لا يجوز لردّه عليه مخالفوه و اعترضه فيه مضادّوه و حاجّه فى بطلانه مخاصموه، و فى عدول القوم عن الاعتراض عليه فى ذلك و تسليم الجماعه له ذلك دليل على ما ذكرناه و برهان على فساد قول النّاصبه الذى حكيناه.

و ليس يمكن أن يدفع ما رويناه فى هذا الباب من الأخبار لشهرتها و اجماع الفريقين من النّاصبه و الشّيعه على روايتها، و من تعرّض للطعن فيها مع ما شرحناه لم يمكنه الاعتماد على تصحيح خبر وقع فى تأويله الاختلاف، و فى ذلك ابطال جمهور الأخبار، و إفساد عامه الآثار وهب أنّ من لا يعرف الحديث و لا خالط أهل العلم يقدم على انكار بعض ما رويناه أو يعاند فيه بعض العارفين به و يغتنم الفرصه بكونه خاصّا فى أهل العلم كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين فى ذلك و قد شاع من شهرته على حدّ يرتفع فيه الخلاف و انتشر حتّى صار مسموعا من العامّه فضلا عن الخواص فى قوله عليه السّلام:

محمّد النّبى أخى و صنوى و حمزه سيّد الشّهداء عمّى

ص:۲۸۸

و جعفر الذی یضحی و یمسی یطیر مع الملائکه ابن امّی

و بنت محمّد سکنی و عرسی مساط لحمها بدمی و لحمی

و سبطا أحمد ولدای منها فمن فیکم له سهم کسهمی

سبقتکم إلی الاسلام طرّا علی ما کان من فهمی و علمی

و أوجب لی الولاء معا علیکم خلیلی یوم دوح غدیر خم

و فی هذا الشعر کفایه فی البیان عن تقدّم ایمانه و أنّه وقع مع المعرفه بالحجه و البیان، و فیه أیضا أنّه کان الامام بعد الرسول بدلیل المقال الظّاهر فی یوم الغدیر الموجب للاستخلاف.

و ممّا یؤید ما ذکرناه ما رواه عبد اللّه بن الأسود البکری عن عبید اللّه بن أبی رافع عن أبیه عن جدّه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلّی یوم الاثنین و صلّت خدیجه معه و دعا علیّا إلی الصّلاه معه یوم الثلثاء فقال له: أنظرنی حتّی ألقی أبا طالب فقال له النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّها أمانه، فقال علیّ: فإن کانت أمانه فقد أسلمت لک فصلّی معه و هو ثانی یوم المبعث.

و روی الکلینی عن أبی صالح عن ابن عبّاس مثله، و قال فی حدیث إنّ هذا دین یخالف دین أبی حتّی أنظر فیه و اشاور أبا طالب فقال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: انظرواکتم، قال: فمکث هنیئه ثمّ قال بل أجبتک و اصدّق بک فصدّقه و صلّی معه.

و روی هذا المعنی بعینه و هذا المقال من أمیر المؤمنین علی اختلاف فی اللفظ و اتفاق فی المعنی کثیر من حمله الآثار، و هو یدلّ علی أنّ أمیر المؤمنین کان مکلّفا عارفا فی تلک الحال بتوقفه و استدلاله و تمییزه بین مشوره أبیه و بین الاقدام علی القبول و الطاعه للرّسول من غیر فکره و لا تأمل، ثمّ خوفه أن القی ذلک إلی أبیه أن یمنعه منه مع أنّه حقّ فیکون قد صدّ عن الحقّ فعدل عن ذلک إلی القبول و عدل من النّبیّ مع أمانته و ما کان یعرفه من صدقه من مقاله و ما سمعه من القرآن الذی نزل علیه و أراد اللّه من برهانه أنه رسول محقّ فآمن به و صدّقه، و هذا بعد أن میّز بین الامانه و غیرها و عرف حقّها و کره أن یفشی سرّ الرسول و قد ائتمنه علیه

و هذا لا يقع باتفاق من صبىّ لا عقل له و لا يحصل ممّن لا تميز معه.

و يؤيده أيضا ما ذكرناه أنّ النبىّ بدء به فى الدّعوه قبل الذكور كلّهم و إنّما أرسله اللّه تعالى إلى المكلّفين فلو لم يعلم أنه عاقل مكلّف لما افتتح به أداء رسالته و قدّمه فى الدعوه على جميع من بعث اللّه إليه، لأنه لو كان الأمر على ما ادّعته الناصبه لكان عليه السّلام قد عدل عن الأولى و تشاغل بما لم يكلّفه عن أداء ما كلّفه و وضع فعله فى غير موضعه، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجلّ عن ذلك.

و شىء آخر و هو أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعا عليّا فى حال كان مستترا فيها بدينه كاتما لأمره خائفا ان شاع من عدوّه فلا يخلو أن يكون قد كان واثقا من أمير المؤمنين بكتم سرّه و حفظ وصيّته و امتثال أمره و حمله من الدّين ما حمله، أو لم يكن واثقا بذلك فان كان واثقا و لم يثق به عليه السّلام إلاّ و هو فى نهايه كمال العقل و على غايه الأمانه و صلاح السريره و العصمه و الحكمه و حسن التّدبير، لأنّ الثقه بما وصفناه دليل جميع ما شرحناه على الحال الّتى قدّمنا وصفها، و إن كان غير واثق من أمير المؤمنين بحفظ سرّه و غير آمن من تضييعه و إذاعه أمره فوضعه عنده من التفريط و ضدّ الحزم و الحكمه و التدبير، حاشا الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من ذلك و من كلّ صفه نقص و قد أعلى اللّه عزّ و جلّ رتبته و أكذب مقال من ادّعا ذلك فيه.

و إذا كان الأمر على ما بيّناه فما ترى النّاصبه قصدت بالطّعن فى ايمان أمير المؤمنين إلاّ عيب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الزم لافعاله و وصفه بالعبث و التفريط و وضع الأشياء غير موضعها و الازراء عليه فى تدبيراته و ما أراد مشايخ القوم و من ألقى هذا المذهب اليهم إلاّ ما ذكرناه و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون.

و انما أوردت هذا الكلام بطوله مع كثره فوائده و مزيد عوائده و وثاقه مبانيه و لطافه معانيه و إنبائه عن علوّ شأن قائله و رفعه مقامه و طول باعه فى باب المناظره و الجدال و قوّه ذراعه فى إبطال مقال أهل العصبيّه و الضّلال، فحرىّ له أن يلقّب بالمفيد و هنيئا له أن يخرج باسمه التّوقيع الشريف من الامام الرّشيد، جزاه اللّه عن مذهب الحقّ و أهله خير الجزاء.

ص:٢٩٠

و أما الشارح المعتزلی

فقد قال فی شرح الکلام السّادس و الخمسین إنّ أکثر أهل الحدیث و أکثر المحقّقین من أهل السّیره رووا أنّه أوّل من أسلم، ثمّ روی من کتاب الاستیعاب لأبی عمرو یوسف بن عبد البرّ روایات کثیره دالّه علی سبق إسلامه علیه السّلام.

و قال بعدها: و اعلم أنّ شیوخنا المتکلّمین لا یکادون یختلفون فی أنّ أوّل النّاس إسلاما علیّ بن أبی طالب إلاّ من عساه خالف فی ذلک من أوائل البصریّین، فأمّا الّذی تقرّرت المقاله علیه الآن فهو القول بأنّه سبق الناس إلی الایمان لا تکاد تجد الیوم فی تصانیفهم و عند متکلّمیهم و المحقّقین منهم خلافا فی ذلک.

قال: و اعلم أنّ أمیر المؤمنین ما زال یدّعی ذلک لنفسه و یفتخر به و یجعله فی أفضلیّته علی غیره و یصرّح بذلک، و قد قال غیر مرّه: أنا الصدّیق الأکبر، و أنا الفاروق الأوّل أسلمت قبل اسلام أبی بکر و صلّیت قبل صلاته.

و روی عنه هذا الکلام بعینه أبو محمّد بن قتیبه فی کتاب المعارف و هو غیر متّهم فی أمره و من الشّعر المرویّ عنه فی هذا المعنی الأبیات التی أوّلها:

محمّد النبیّ أخی و صنوی و حمزه سیّد الشهداء عمّی

و من جملتها:

سبقتکم إلی الاسلام طرّا غلاما ما بلغت أوان حلمی

و الأخبار الوارده فی هذا الباب کثیره جدّا لا یتّسع هذا الکتاب لذکرها فلیطلب من مظانّها، و من تأمّل کتب السّیر و التّواریخ عرف من ذلک ما قلناه.

ثمّ قال: فأمّا الذّاهبون إلی أنّ أبا بکر أقدمها إسلاما فنفر قلیلون، و نحن نذکر ما أورده ابن عبد البرّ أیضا فی کتاب الاستیعاب فی ترجمه أبی بکر و ذکر الأخبار الوارده فی سبق إسلامه، ثمّ قال و معلوم أنّه لا نسبه لهذه الرّوایات التی ذکرناها فی ترجمه علیّ الدّاله علی سبقه، و لا ریب أنّ الصّحیح ما ذکره أبو عمرو أنّ علیّا کان هو السابق و أنّ أبا بکر هو أوّل من أظهر الاسلام فظنّ أنّ السّبق له.

فدلّ مجموع ما ذكرناه أنّ عليّا هو أوّل النّاس إسلاما و أنّ المخالف فى ذلك شاذّ، و الشّاذّ لا يعتدّ به.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام أنام است در توبيخ و مذمت أصحاب خود كه فرمود:

أي نفسهاى متخلف و أي قلبهاى پراكنده و متفرّق كه حاضر است بدنهاى ايشان و غايب است از ايشان عقلهاى ايشان، بر مى گردانم شما را بر حق و شما رم مى كنيد از آن مثل رم كردن بز از آواز مهيب شير، چه دور است كه اظهار بكنم بشما نهان عدل را يا اين كه راست بكنم كجى حقرا.

بار پروردگارا البته تو مى دانى كه نبود آنچه كه واقع شد از ما يعنى طلب خلافت و محاربه از براى رغبت كردن در سلطنت دنيا، و نه أز جهه خواهش چيزى از متاع بى قدر و بها، و ليكن اين طلب و حرب بجهه اين بود كه برگردانيم آثار دين تو را، و اظهار اصلاح نمائيم در شهرهاى تو تا اين كه ايمن شوند ستم رسيده از بندگان تو، و بر پا شود آنچه كه تعطيل افتاد از حدود تو.

بار پروردگارا بتحقيق من أوّل كسى هستم كه بازگشت نمود بسوى تو و شنيد دعوت پيغمبر را و قبول نمود آن را، سبقت نكرد بمن مگر حضرت رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنماز، و بتحقيق كه شما دانسته ايد آنكه جائز و سزاوار نيست كه باشد حاكم والى بر فرجها و بر خونها و غنيمتها و حكمها و أمانت مسلمانان شخص بخيل تا شود در مالهاى ايشان حرص و رغبت او، و نه شخص نادان تا بضلالت اندازد ايشان را بجهالت خود، و نه شخص كج خلق تا ببرد ايشان را از يكديگر بجهه كج خلقى خود، و نه شخص ظلم كننده در دولتها تا فرا گيرد قوم دون قوم را و ترجيح بدهد بعض ايشان را به بعضى، و نه شخص رشوت گيرنده در حكم تا ببرد حقوق مسلمانان را

و نگه بدارد آن حقوق را در مقام قطع کردن و قطع و فصل ننماید، و نه شخصی که تعطیل کننده است سنّت و شریعت مطهره را تا این که بهلاکت اندازد امت را.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانی و الثلاثون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

نحمده علی ما أخذ و أعطی، و علی ما أبلی و ابتلی، الباطن لکلّ خفیّه، و الحاضر لکلّ سریره، العالم بما تکنّ الصّدور، و ما تخون العیون، و نشهد أن لا إله غیره، و أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نجیبه و بعیثه، شهاده یوافق فیها السّرّ الإعلان، و القلب اللّسان. منها:

فإنّه و اللّه الجدّ لا اللّعب، و الحقّ لا الکذب، و ما هو إلاّ الموت أسمع داعیه، و أعجل حادیه، فلا یغرّنّک سواد النّاس من نفسک، فقد رأیت من کان قبلک ممّن جمع المال، و حذر الإقلال، و أمن العواقب طول أمل، و استبعاد أجل، کیف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه، و أخذه من مأمنه محمولا علی أعواد المنایا، یتعاطی به الرّجال الرّجال، حملا علی المناکب، و إمساکا بالأنامل، أ ما رأیتم الّذین یأملون

ص:۲۹۳

بعیدا، و یبنون مشیدا، و یجمعون کثیرا، کیف أصبحت بیوتهم قبورا، و ما جمعوا بورا، و صارت أموالهم للوارثین، و أزواجهم لقوم آخرین، لا فی حسنه یزیدون، و لا من سیّئه یستعتبون، فمن أشعر التّقوی قلبه برز مهله، و فاز عمله، فاهتبلوا هبلها، و اعملوا للجنّه عملها، فإنّ الدّنیا لم تخلق لکم دار مقام، بل خلقت لکم مجازا لتزوّدوا منها الأعمال إلی دار القرار، فکونوا منها علی أوفاز، و قرّبوا الظّهور للزّیال.

اللغه

قال الشّارح المعتزلی (أبلی) أی أعطی یقال: قد أبلاه اللّه بلاء حسنا أی أعطاه قال زهیر:

جزی اللّه بالاحسان ما فعلا بکم و أبلاهما خیر البلاء الذی یبلو

و أمّا قوله (و ابتلی) فالابتلاء إنزال مضرّه بالانسان علی سبیل الاختبار کالمرض و الفقر و المصیبه، و قد یکون بمعنی الاختبار فی الخیر إلاّ أنّه کثیرا ما یستعمل فی الشّر.

أقول: و الظاهر أنّ استعمال البلاء فی الاعطاء أیضا علی الغالب لا دائما، و إلاّ فقد قال سبحانه: و لنبلونکم بشیء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثّمرات.

و التحقیق أنّ الابلاء و الابتلاء کلاهما من البلاء بمعنی الاختبار و الامتحان قال الفیروزآبادی: ابتلیت الرّجل اختبرته و امتحنته کبلوته بلوا، ثمّ قال: و البلاء

يكون منحه و يكون محنه، و فى المصباح بلاه اللّه بخير أو شرّ يبلوه بلوا و أبلاه بالألف و ابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه، و الاسم بلاء مثل سلام، و البلوى و البليّه مثله و (كننته) أكنه من باب قتل سترته، و أكننته بالألف أخفيته، و قال أبو زيد الثلاثى و الرّباعى لغتان فى السرّو فى الاخفاء جميعا و تكنّ الصّدور فى النّسخ من باب الافعال.

و (اللعب) فى بعض النسخ بفتح اللاّم و كسرها و فى بعضها بتخفيف العين قال ابن قتيبه و لم يسمع فى التخفيف فتح اللاّم مع السكون و هو الظاهر من الفيروزآبادى قال:

لعب كسمع لعبا و لعبا و تلعابا ضدّ جدّ و هو لعب و لعب و (الكذب) أيضا فى بعض النسخ بفتح الأوّل و كسر الثانى و فى بعضها بالسّكون و (دعا) المؤذّن الناس إلى الصّلاه فهو داعى اللّه و (حدوت) بالابل حثثتها على السّير بالحداء و حدوته على كذا بعثته عليه و (المشيد) من شدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشّيد و هو بالكسر الجصّ و (البور) الفاسد الهالك و قوم بور أى هلكى قال سبحانه: و كنتم قوما بورا، و هو جمع باير كحول و حايل.

و (يستعتبون) فى بعض النسخ على البناء للفاعل و فى بعضها على البناء للمفعول، و (برز مهله) أى فاق أو بمعنى أبرز أى أظهر، و المهل شوط الفرس هكذا قال الشّارح المعتزلى، و شوط الفرس جريه مرّه إلى غايه، و الأظهر أنّ المهل بمعنى التقدّم فى الخير كما قاله فى القاموس و (اهتبل) فلان الصّيد بغاه و طلبه و اهتبل كلمه حكمه اغتنمها، و الهبال و زان شداد الصيّاد، و ذئب هبال أى محتال، و اهتبل هبلك محرّكه عليك بشأنك و (الأوفاز) جمع و فز بسكون الفاء و يحرّك أيضا و هو العجله و (الظهور) كأظهر جمع ظهر الرّكاب و هم مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها و (زايله) مزايله و زيالا أى فارقه

الاعراب

قوله: فانّه و اللّه آه الضّمير إمّا راجع إلى متقدّم ذكره لفظا فى تضاعيف كلامه عليه السّلام و أسقطه السّيد (ره) و التقطه غيره على ما هو عادته من التقطيع و الالتقاط أو أنّه ضمير الشّان كما فى قولك هو الأمير مقبل أى الشأن هذا.

قال نجم الأئمه: و هذا الضمير فى الحقيقه كأنه راجع إلى المسئول عنه بسؤال

ص:۲۹۵

مقدّر كأنه سمع ضوضاه و جلبه فاستبهم الأمر فسأل بالشأن و القصه، فقلت هو الأمير مقبل، أى الشأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السؤال غير ظاهر قبل اكتفى فى التفسير بخبر هذا الضمير بتعقّبه بلا فصل لأنه معين للمسئول عنه و مبيّن له، فبان لك بهذا أنّ الجمله بعد الضمير لم يؤت بها لمجرّد التّفسير، بل هى كسائر اخبار المبتدات لكن سمّيت تفسيرا لما قرّرته، و القصد بهذا الابهام ثمّ التفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشّأن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون مضمون الجمله المفسّره شيئا عظيما يعتنى به فلا يقال: هو الذّباب يطير، و قد يخبر عن ضمير الأمر المستفهم منه تقديرا بالمفرد تقول: هو الأمر حتّى لا تبقى على صرفه باقيه.

و قال أيضا فى موضع آخر فى شرح قول ابن الحاجب: المضمر ما وضع لمتكلّم أو مخاطب أو غايب تقدّم ذكره لفظا أو معنى أو حكما: و التقدّم الحكمى أن يكون المفسّر مؤخّرا لفظا و ليس هناك ما يقتضى تقدّمه على محلّ الضّمير إلاّ ذلك الضّمير، فنقول إنه و ان لم يكن متقدّما على الضمير لا لفظا و لا معنى إلا أنّه فى حكم المتقدّم نظرا إلى وضع ضمير الغائب و إنّما يقتضى ضمير الغائب تقدّم المفسر لأنّه وضعه الواضع معرفه لا بنفسه بل بسبب ما يعود إليه، فان ذكرته و لم يتقدّم مفسّره بقى مبهما منكرا لا يعرف المراد به حتّى يأتى تفسيره بعده و تنكيره خلاف وضعه، فالشىء الحامل لهم على مخالفه مقتضى وضعه بتأخير مفسّره عنه قصد التفخيم و التعظيم فى ذكر ذلك المفسّر بأن يذكروا أوّلا شيئا مبهما حتّى يتشوّق نفس السامع إلى العثور على المراد به ثمّ يفسّروه، فيكون أوقع فى النفس و أيضا يكون ذلك المفسّر مذكورا مرّتين بالاجمال و التّفصيل ثانيا فيكون آكد انتهى.

و قوله: أسمع داعيه و أجل حاديه، منصوبان على الحال أمّا لفظا لو كان أفعل بصيغه التفضيل فيكون داعيه و حاديه مجرورين بإضافه افعل إليهما من باب إضافه الصّفه إلى مفعوله، و لو كان اسمع فعلا ماضيا من باب الافعال فداعيه منصوب بالمفعوليه كذا فى أكثر النّسخ و الجمله منصوبه المحلّ على الحال من الموت و العامل معنى الضمير أعنى هو لأنّه للشّأن و الشأن بمعنى المصدر كما فى قولك ما شأنك

واقفا و المصدر فى معنى الفعل مضافا إلى تقويته معنى بشبه الفعل اخرى، كأنّه قيل: ما الشّأن المسئول عنه إلاّ الموت فافهم جيّدا، و إضافه داعيه إلى الضّمير من باب اضافه الصّفه إلى المفعول، و كذلك الكلام فى أعجل حاديه، و قوله: فلا يغرّنّك سواد النّاس من نفسك، قال الشارح المعتزلى من ههنا إمّا بمعنى الباء أى لا يغرّنّك النّاس بنفسك و صحّتك و شبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلّقه بالظاهر، و إمّا أن تكون متعلّقه بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك و راكنا إليها.

أقول: فعلى ما ذكره تكون بمعنى الباء السببيّه، و لكنّ الأظهر أن تكون بمعنى عند كما قاله أبو عبيده فى قوله تعالى: لن تغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم من اللّه شيئا، فالمعنى لا يغرّنّك سواد النّاس مجتمعين عندك، و يحتمل أن يكون بمعناها الأصلى، أى لا يغرنّك النّاس من إصلاح نفسك و لا يشغلونك عن التّوجه إلى ذاتك.

و طول أمل منصوب على المفعول له لأمن أوله و للأفعال السابقه أيضا على سبيل التّنازع، قال الشّارح المعتزلى: و يجوز أن ينصب على البدل من المفعول المنصوب برأيت و هو من و يكون التّقدير فقد رأيت طول أمل من كان، و هذا بدل الاشتمال، و قد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحابُ اَلْأُخْدُودِ اَلنّارِ » «انتهى» و لا بأس به و العايد المحذوف فى الآيه لفظه منه أى النّار منه و قيل النّار مرفوع خبر لمبتدأ محذوف أى هو النّار و قيل: التقدير ذى النّار، هذا و روى فى بعض النّسخ بطول أمل.

و حملا و امساكا إمّا منصوبان على المصدر و العامل محذوف حال من فاعل يتعاطى، أو مفعوله أى حالكونهم يحملونه حملا فيكون حالا مقدّره على حدّ:

فادخلوها خالدين، أو مفعولان لأجله أى يتعاطونه للحمل و الامساك، و مشيدا صفه حذف موصوفه أى بناء مشيدا و قصرا مشيدا، و مهله فى بعض النّسخ بالرّفع

ص:۲۹۷

و بعضها بالنّصب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على فصلين: أحدهما حمد اللّه المتعال و الاشاره إلى جمله من نعوت الكبرياء و الجمال، و الثّانى التنفير من الدّنيا و الوصيّه بالزهد و التقوى.

اما الفصل الاول

فهو قوله (نحمده على ما أخذ و أعطى) أى على أخذه و إعطائه، و المراد بالاعطاء واضح، و أمّا الأخذ فيجوز أن يراد به أخذ الميثاق فى عالم الذرّ بالتوحيد و النّبوه و الولايه كما يشهد به قوله سبحانه: و إذ أخذ ربّك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم أ لست بربّكم الآيه، أو أخذ عموم التكاليف أو خصوص الحقوق الماليّه كالخمس و الزّكاه و الصّدقات، أو أخذ ما أعطاه على بعض العباد و ابتلائهم بالفقر و المسكنه بعد الغنى و الثّروه، فانّ أخذ ذلك كلّه من العباد لما كان فعلا جميلا منه سبحانه و تعالى عائدا منفعته إليهم و نعمه منه عزّ و جلّ عليهم استحقّ بذلك حمدا و شكرا و إن كان فى بعضها ضرر دنيوىّ إلّا أنّ ثمرتها الاخرويه أعظم و جزائها أدوم.

و يحتمل أن يكون المراد به أخذ المجرمين، و مؤاخذه العاصين، و إعطاء المحسنين، و إنعام الصّالحين (و) نحمده (على ما أبلى و ابتلى) أى على اختباره و امتحانه بالخير و الشّر و النفع و الضّرر، لأنّ البلاء للأولياء كرامه، و الصّبر على المكاره و التحمل على المشاق من أفضل العبادات و أعظم القربات، و إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب، و قد تقدّم تحقيقه فى شرح الخطبه المأه و الثّالثه عشر فتذكّر.

(الباطن لكلّ خفيّه) أى الخبير البصير بكلّ ما يبطن و يخفى (الحاضر لكلّ سريره) أى العالم بكلّ ما يسرّ و يكتم، و إن تجهر بالقول فانّه يعلم السّر

و أخفى (العالم بما تكنّ الصّدور) و تستره (و ما تخون العيون) و تسترقه من الرّمزات و اللّحظات على وجه الخيانه و الخلاف كما قال عزّ من قائل: و اللّه يعلم خائنه الأعين و ما تخفى الصّدور، و قد مضى تحقيق الكلام فى عموم علمه سبحانه بالجزئيات و الكلّيات و ما يتّضح به معنى هذه الفقرات فى شرح الفصل السّادس و السّابع من الخطبه الاولى و شرح الخطبه الرّابعه و السّتين و الخامسه و الثّمانين.

(و نشهد أن لا إله) إلاّ اللّه (غيره) متوحّدا فى عزّ جلاله متفرّدا فى قدس جماله، متعاليا عن نقص كماله (و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله نجيبه و بعيثه) أى عبده المنتجب المصطفى من بين كافّه الخلق و المرسل المبعوث إلى عامّتهم (شهاده يوافق فيها السّر الاعلان و القلب اللّسان) أى صادره عن صميم القلب و وجه الخلوص و توافق الباطن للظّاهر.

و أما الفصل الثانى (منها)

فهو قوله عليه السّلام (فانّه و اللّه الجدّ لا اللّعب و الحقّ لا الكذب و ما هو إلاّ الموت) لا يخفى ما فى هذا الكلام من التّهويل و التخويف و الانذار بالموت لما فيه على و جازته من وجوه التّاكيد و ضروب التّفخيم البالغه إلى عشره بعضها لفظيّه و بعضها معنويّه كما هو غير خفىّ على العارف بأسرار البلاغه و بدايعها.

أولها التأكيد بانّ و الثانى الاتيان بضمير الشأن إبهاما للمرام و قصدا للتّفخيم و الاعظام و تشويقا للسّامعين إلى ما يتلوه من النّبا العظيم الثالث اسميّه الجمله الرابع الاعتراض بين شطرى الكلام بقسم، و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم الخامس الاخبار بأنّه جدّ ليس بهزل السادس تعريف الجدّ باللّام قصدا للمبالغه من باب زيد الشّجاع أى الكامل فى هذا الوصف السابع تعقيبه بانّه ليس بلعب الثامن إردافه بأنّه حقّ لا كذب و فيه من وجوه التّأكيد ما فى قرنيه التاسع الاتيان بضمير الشّأن ثانيا قصدا لزياده التمكن ما يعقبه فى ذهن السّامعين لأنّ

المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب العاشر الاتيان بكلمه الحصر أعنى ما و إلّا.

و اتبع ذلـک کلّه بالوجه الحادی عشر فقال(أسـمع داعیه)و بالوجه الثانی عشـر فقال(و أعجل حادیه)أی أسـمع من دعاه إلی اللّه سبحـانه أی المـدعوّ له و أسـرع من سـاقه إلی مکـانه و حثّه إلی السّـیر الیه و نسـبه الاسـماع و الاعجـال إلی الموت من التوسّع و التوکیـد بهـذا کلّه لشدّه ما رآه من المخاطبین من الغفله و نومه الجهاله و اشـتغالهم عن ذکر الموت و ما یحلّ علیهم من الفناء و الفوت و عن أخـذ الـذّخیره و الزّاد لیوم المعـاد، فـأنزلهم منزله المنکرین إیقاظا لهم عن رقـده الغافلین، و أعلمهم أنّ الموت حقّ یقین لیس منه خلاـص و لاـ مناص لا فرار و لا محار، و أنّه یـدرکهم و لو کانوا فی بروج مشـیّده و إذا جاء أجلهم لا یسـتأخرون ساعه و لا یستقدمون.

(فلا یغرنّک سواد النّاس) و کثرتهم و اجتماعهم حولک (من نفسک) و من الاشـتغال باصلاحها، و قال الشّارح البحرانی: أی فلا یغرنّـک من نفسک الأماره بالسّوء وسوسـتها و اسـتغفالها لک عن ملاحظه الموت برؤیه سواد النّاس أی کثرتهم إذ کثیرا مّا یری الانسان المیت محمولا فیتدارکه من ذلک رقّه و روعه، ثمّ یعاوده الوسواس الخنّاس و یأمره باعتبار کثره المشـیّعین له من النّاس. و أن یجعـل نفسه من الاحیـاء الکثیرین بملاـحظه شـبابه و صـحته و یـأمره باعتبـار أسـباب موت ذلـک المیّت من القتـل و سـائر الأمراض، و باعتبار زوال تلک الأسباب فی حقّ نفسه و بالجمله فیبعّد فی اعتباره عند الموت بکلّ حیله.

فنهی علیه السّـلام السّامعین عن الانخداع للنّفس بهذه الخدیعه، و أسـند الغرور إلی سواد النّاس لأنّه مادّته، و نبّه علی فساد تلک الخـدیعه و الاـغترار بقوله (فقـد رأیت من کـان قبلـک ممّن جمع المال و حـذر الاقلال) أی خاف من الافتقار و مسائه الحال (و أمن العواقب) و اطمئنّ بالأقارب (طول أمل و استبعاد أجل کیف نزل به الموت)

و حلّ بساحته الفناء و الفوت (فأزعجه) و أقلعه (عن وطنه) و سكنه (و أخذه عن مأمنه) و مسكنه، و أرهقته منيّته دون الأمل، و شذّ به عنه تخرّم الأجل (محمولا على أعواد المنايا) و النّعوش (يتعاطى به الرّجال الرّجال) و يتداولونه(حملا له على المناكب و امساكا بالأنامل)أى بالأيدى تسميه للكلّ باسم جزئه.

ثمّ أكّد فساد الاغترار بتقرير آخر فقال (أ ما رأيتم الذين يأملون) أملا (بعيدا و يبنون) قصرا (مشيدا و يجمعون) مالا (كثيرا كيف أصبحت) أى صارت (بيوتهم قبورا و ما جمعوا بورا) أى فاسدا هالكا (و صارت أموالهم للوارثين و أزواجهم لقوم آخرين) بلى و هو مدرك بالعيان يشهد به التجربه و العيان (لا في حسنه يزيدون و لا من سيئه يستعتبون) أى لا يمكن لهم الزّياده فى الحسنات و لا طلب أن يعتب أى يرضى اللّه منهم فى السّيئات، و على البناء للمجهول فالمعنى أنّه لا يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار بعد الانتقال إلى دار القرار، و ذلك لأنّ استزاده الحسنات و استعتاب السّيئات إنّما هو فى دار التّكليف و حاله الحياه و أمّا الآخره فهو دار الجزاء، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون، فان يصبروا فالنّار مثوى لهم و إن يستعتبوا فما هم من المعتبين، و قد تقدّم توضيح ذلك فى شرح الفصل الخامس من فصول الخطبه الثّانيه و الثّمانين.

و لما نبّه على زوال الدّنيا و فنائها أردفه بما هو زاد الاخرى و ذخيرتها فقال (فمن أشعر التقوى قلبه) أى لازمه لزوم الشعار بالجسد (برز مهله) أى فاق على أقرانه فى جريه إلى مكانه أى تقدّمهم فى السّير و اكتساب الخير أو أنّه أبرز جريه و بان سبقه (و فاز عمله) أى نال إلى جزاء عمله و أدرك منتها أمله (فاهتبلوا هبلها) و اغتنموا فرصتها و عليكم بشأنها (و اعملوا للجنّه عملها) الّذى به تدركونها و تستحقّونها.

(فانّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام) لتنافسوا فيها (و انّما خلقت لكم مجازا لتزوّدوا منها) صالح (الأعمال) و تتقوّوا للوصول بها (إلى دار القرار)

ص:٣٠١

و مصاحبه الأبرار (فكونوا منها على أو فاز) و عجله(و قربوا الظهور)و الرّكاب (للزّيال)و المفارقه.

قال الشّارح المعتزلى أمرهم أن يكونوا فيها على سرعه فى قطع عقباتها و عجّل فى الارتحال عنها، لأنّ التّأنّى فيها يستلزم الالتفات إلى لذاتها و الغفله عن المقصد الحقّ، و استعار له لفظ الظهور و هى الرّكاب مطايا الآخره و هى الأعمال الصّالحه و تقريبها للزّيال هو العنايه بالأعمال المقرّبه إلى الآخره المستلزمه للبعد عن الدّنيا و الاعراض عنها و مفارقتها.

الترجمه

از جمله خطب آن بزرگوار و مقتداى أخيار است:

حمد ميكنم معبود بحق را بر اين كه أخذ فرمود و عطا نمود، و بر اين كه امتحان كرد با خير و شر خبير است بهر أمر پنهان، و حاضر است مر هر سرّ نهان را، عالم است به آن چه پوشيده است آن را سينها، و بر آنچه خيانت ميكند در آن چشمها، و شهادت مى دهيم كه نيست معبودى غير از او، و اين كه محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله برگزيدۀ اوست و فرستاده شدۀ اوست، چنان شهادتى كه موافقت نمايد در آن ظاهر و باطن، و قلب با زبان.

بعض ديگر از فقرات خطبه اينست كه فرموده:

پس بدرستى كه آن حقيقت است نه بازيچه، و راست است نه دروغ، و نيست آن مگر مرگ در حالتى كه شنوانيد خوانندۀ خود را، و شتابانيد رانندۀ خود را، پس مغرور و فريفته ننمايد ترا سياهى مردمان و كثرت ايشان از اصلاح حال تو، و حال آنكه بتحقيق ديدى تو كسى را كه بود پيش از تو از آن كسى كه جمع كرد مال را و ترسيد از افتقار و پريشانى، و ايمن شد از عواقب امور بجهه درازى آرزو، و بعيد شمردن أجل چگونه فرود آمد باو مرگ پس بر كند او را از وطن مألوف خود و بگرفت او را از محلّ أمن خود در حالتى كه برداشته شده بود بر چوبهاى

مرکبها فرا می گرفتند او را مردان از مردان بنوبه بجهه برداشتن بر دوشها، و نگه داشتن با دستها، آیا ندیدید کسانی را که آرزوی دور و دراز می کردند، و قصرهای محکم می ساختند، و جمع می نمودند مالهای بسیار را گردید خانهای ایشان قبرها و آنچه که جمع می نمودند نیست و نابود، و گشت مالهای ایشان مال وارثان، و زنان ایشان أز برای دیگران، نه در ثواب قدرت زیاده دارند، و نه از گناه قدرت استرضا و معذرت.

پس کسی که شعار قلب خود نمود تقوی و پرهیزکاری را ظاهر شد پیش قدمی او، و فائز شد بعمل خود، پس اهتمام کنید اهتمامی که لایق آن تقوی باشد، و عمل نمائید بجهت بهشت عملی که به آنجا برساند، پس بدرستی که دنیای غدّار خلق نشده است از برای شما سرای اقامت و قرار، و جز این نیست خلق شده است برای شما راه گذرگاه تا توشه بردارید از آن عملهای شایسته را که برساند شما را بسوی سرای قرار، پس باشید از آن بر شتاب، و نزدیک گردانید پشتهای مرکب را از برای رحلت و مفارقت نمودن از این دنیای فانی و بی وفا.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثالثه و الثلاثون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

و انقادت له الدّنیا و الآخره بأزمّتها، و قذفت إلیه السّموات و الأرضون مقالیدها، و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضره، و قدحت له من قضبانها النیران المضیئه، و آتت أکلها بکلماته الثّمار الیانعه.

ص:۳۰۳

منهـا و کتـاب اللّه بین أظهرکم، نـاطق لاـ یعیا لسانه، و بیت لا تهـدم أرکانه، و عزّ لا تهزم أعوانه. منها أرسـله علی حین فتره من الرّسل، و تنازع من الألسن، فقفّی به الرّسل، و ختم به الوحی، فجاهد فی اللّه المدبرین عنه، و العادلین به.

اللغه

(المقالیـد) جمع المقلاد و هو کالمقلد بکسر المیم المفتاح، و فی المصـباح المقالید الخزائن و (قدح) بالزّند رام الایراء(۱) به و المقـدح و المقـداح و القداح حدیدته و (القضـبان) بالضمّ جمع القضـیب و هو الغصن المقطوع و (النّیران) جمع النّار و (الاکل) بالضمّ و بضمّتین المأکول، و هو (بین أظهرهم) و ظهریهم و ظهر انیهم أی وسطهم و فی معظمهم.

قال الشّارح المعتزلی: و إنّما قالت العرب: من بین أظهرهم و لم یقل بین صدورهم، لارادتهم بذلک الاشعار لشدّه المحامات عنه و المرامات من دونه، لأنّ الذیل(۲) إذا حامی القوم عنه اسـتقبلوا الأسنه و السیوف عنه بصدورهم و کان هو محروسا مصونا عن مباشـره ذلـک وراء ظهورهم و (تهـدم) بالبنـاء علی الفاعـل و فی بعض النسـخ بالبناء علی المفعول و (تهزم) بالعکس من هزمت الجیش هزما من باب ضربته کسرته.

ص:۳۰۴

۱- (۱) الایراء الاستخراج بالنار قال تعالی «أَ فَرَأَیْتُمُ النّارَ الَّتِی تُورُونَ»، منه.

۲- (۲) أذیال الناس أواخرهم، منه. «ج ۱۹»

الاعراب

الباء فی قوله: بالغدوّ، بمعنی فی، و فی قوله: بکلماته، للسّببیّه، و الثمار الیانعه، بدل من أکلها، أو عطف بیان، و الواو فی قوله: و کتاب اللّه، إمّا عاطفه لو کان لها معطوف علیه أسقطه السّید (ره) علی عادته، أو للحال، أی تفعلون کذا و کتاب اللّه بینکم، و قوله: بین أظهرکم، خبر لکتاب اللّه، فیکون ناطق خبرا لمبتدأ محذوف، أی و هو ناطق، أو بدلا من بین أظهرکم، و یجوز کونه خبرا لکتاب اللّه، فیکون بین أظهرکم صفه لکتاب اللّه أو حالا، و الأوّل أظهر بل أقوی

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه یدور علی فصول ثلاثه علی سبیل التّقطیع و الالتقاط.

الفصل الاول

فی تمجید اللّه سبحانه باعتبار عموم قدرته و نفاذ أمره و عظمه سلطانه

و هو قوله (و انقادت له)أی للّه تعالی السّابق ذکره فی أوّل الخطبه أسقطه السیّد (ره) علی عادته(الدّنیا و الآخره بأزمّتها)أراد به نفوذ أمره سبحانه فیهما و کونه مالکا لأمرهما و دخولهما فی ذلّ الامکان و الافتقار إلیه تعالی علی سبیل الاستعاره بالکنایه، تشبیها لهما بالحیوان السّلس المنقاد لصاحبه الذی بیده زمامه المتمکّن من التّصرف فیه کیف شاء، و ذکر الأزمّه تخییل و الانقیاد ترشیح.

(و قذفت) أی ألقت(إلیه السّماوات و الأرضون مقالیدها)و هو کنایه عن قدرته و حفظه لها و أنّه لا یملک أمرها و لا یتمکّن من التّصرف فیها غیره، و هو اقتباس من قوله سبحانه فی سوره الزّمر: له مقالید السّموات و الأرض، قال الزّمخشری: أی هو مالک أمرها و حافظها، و هی من باب الکنایه(۱) لأنّ حافظ

ص:۳۰۵

۱- (۱) یعنی أنّ حافظ الخزائن یلزمه أن یکون مالک المقالید فذکر اللاّزم أعنی ملک المقالید و ارید الملزوم اعنی حفظ الخزائن کما فی زید کثیر الرماد، منه.

الخزائن و مـدبّر أمرها هو الّذى يملك مقاليدها، و منه قولهم: فلان القيت إليه مقاليد الملک، و هى المفاتيح، و فى مجمع البيان يريـد مفاتيح السّـموات و الأرض بالرّزق و الرّحمه عن ابن عبّاس و قتاده، و قيل خزائن السّـموات و الأرض يفتح الرّزق على من يشاء و يغلقه عمّن يشاء عن الضّـحاک، و قال فى تفسير قوله: له مقاليـد السّـموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشاء و يقـدر انّه بكلّ شـىء عليم فى سوره الشورى: أى مفاتيح أرزاق السّماوات و الأرض و أسبابها فتمطر السّماء بأمره و تنبت الأرض باذنه عن مجاهـد، و قيـل معنـاه خزائن السّـماوات و الأرض عن السّـدى يوسّع الرّزق لمن يشـاء و يضـيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح.

قال الشّارح البحرانى (ره) بعد ما حكى عن ابن عبّاس كون المقاليد بمعنى المفاتيح: و عن اللّيث كونه بمعنى الخزائن:

أقول: لفظ القذف مجاز(۱) فى تسليمها و انقيادها بزمام الحاجه و الامكان إلى قدرته مع جميع ما هى سبب فى وجوده فى هذا العالم ممّا هو رزق و رحمه للخلق و كـذلک لفظ المفاتيـح على رأى ابن عبّاس اسـتعاره للأسـباب المعـدّه للأرزاق و الرّحمه، و تلک الأسـباب كحركات السّـماوات و اتّصالات بعض الكواكب ببعض و كاسـتعدادات الأرض للنّبات و غيره، و وجه الاسـتعاره أنّ هـذه الأسباب باعدادها الموادّ الأرضيه يفتح بها خزائن الجود الالهى كما يفتح الأبواب المحسوسه بمفاتيحها و كلّها مسـلّمه إلى حكمه و جريانها بمشـيّته، و على قول اللّيث فلفظ الخزائن استعاره فى موادّها و استعداداتها، و وجه الاستعاره أنّ تلک الموادّ و الاستعدادات يكون فيها بالقوّه و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه انتهى.

و هو تحقيق نفيس إلاّـ أنّ الأـظهر أنّ المقاليـد إن جعلت بمعنى المفاتيـح يكون كلاـمه من بـاب الاسـتعاره بالكنايه، حيث شـبّه السّماوات و الأرضون بخزائن الملک بجامع أن فيها ما يحتاج إليه الخلق كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه، و يكون

۱- (۱) من باب مجاز المرسل للتلازم بين القذف و الانقياد، منه.

ذکر مقالیدها تخییلا، و ذکر القذف ترشیحا، و فی نسبه القذف إلیها نکته خفیّه و هی الاشاره إلی أنّها لتمکینها التام لبارئها فکأنّها باختیارها ألقت و سلّمت مفاتیحها إلیه سبحانه، و علی هذا فالمقالید بمعناها الأصلی و لیس استعاره کما زعمه الشارح و أمّا إن جعلت بمعنی الخزائن فهو کما قال الشّارح استعاره لما فیه من الموادّ و الاستعدادت فافهم جیّدا.

(و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضره) أراد به خضوع التکوین و ذلّ الامکان کما قال سبحانه: أ لم تر أنّ اللّه یسجد له من فی السّموات و من فی الأرض و الشّمس و القمر و النجوم و الجبال و الشّجر و الدّواب.

(و قدحت له من قضبانها النّیران المضیئه) نسبهالقدحإلیالأشجارمن باب التوسّع و المجاز العقلی، لکونالأشجارسببا مادیّا، و المراد أنّ تلک الأشجار أورت النّار و استخرجتها من أمر اللّه سبحانه و اقتضاء مشیّته، و فیه إشاره إلی کمال القدره لأنّ إخراج النّار من الشّجر الأخضر الذی یقطر منه الماء أعجب کما قال تعالی فی سوره یس: الّذی جعل لکم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون، و فی سوره الواقعه: أ فرأیتم النّار التی تورون ء أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذکره و متاعا للمقوین.

قال الفخر الرّازی: فی شجره النار وجوه:

أحدها أنّها الشّجره التی توری النّار منها بالزند و الزّنده کالمرخ.

و ثانیها الشجره الّتی تصلح لا یقاد النّار فانها لو لم تکن لم یسهل إیقاد النار لأنّ النّار لا تتعلّق بکلّ شیء کما تتعلّق بالحطب.

و ثالثها اصول شعلها و وقود شجرتها، و لو لا کونها ذات شعل لما صلحت لانضاج الأشیاء، و فی ذلک تذکره و متاع للمقوین، أی للّذین یوقدونه فیقوونه و یزیدونه.

(و آتت اکلها بکلماته الثّمار الیانعه) النّاضجه، و المرادبکلماتهقدرته و مشیته المعبّر عنهما بلفظ کن، قال الشّارح البحرانی: و إطلاق الکلمات علیها

ص:۳۰۷

استعاره وجهها نفوذ تلك الأحكام فى المحكومات كنفوذ الأوامر القوليّه فى المأمورات و أراد بايتاء الثّمار دخولها طوعا فى الوجود المعبّر عنه بقوله تعالى فيكون.

الفصل الثانى منها

فى ذكر كتاب اللّه و تعظيمه تنبيها على وجوب متابعته

و هو قوله:

(و كتاب اللّه بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه) المراد بكتاب اللّه إما معناه الحقيقى أعنى القرآن فيكون ناطق استعاره تبعيّه لأنّ من شأن الكتاب الدلاله لا النّطق إلاّ أنّه شبّه به فى ايضاح المعنى و إيصاله إلى الذّهن فاستغير له لفظ النّطق، و يجوز أن يكون مجازا مرسلا باعتبار أنّ الدلاله لازم للنطق فذكر الملزوم و اريد اللاّزم، و على هذا فيكون قوله: لا يعيا لسانه، ترشيحا للاستعاره.

و المقصود أنّ كتاب اللّه الكريم بينكم لم يرتفع عنكم، و هو كلام ربّكم ناطق بالسّداد، كاشف عن المراد، هاد إلى الرّشاد، لا يعجز لسانه، و لا يقصر بيانه يؤدى مطوّى الكلمات إلى مقتبسيه على مرور الأوقات، كيف لا و هو معجز النّبوّه، و مستند الامّه، و قد أخرس الفصحاء عن مجازاته، و قيّد البلغاء بالعىّ عن مباراته، و عاد سحبان بيانهم باقلا، و تناصروا فلم يجدوا إلاّ خاذلا، و تعاهدوا و تقاعدوا فعدموا معينا و نصيرا، و عادوا بالخيبه و الخذلان فلا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و مع ذلك كلّه كيف تجهلون برتبته و مقامه، و ترغبون عن حدوده و أحكامه و تخالفونه فى حلاله و حرامه.

و يجوز أن يكون استعاره لنفسه الشريف، فيكون من باب الاستعاره المجرّده حيث قرن بما يلائم المستعار له و هو ناطق لا يعيا لسانه، و على هذا فالنطق و اللسان مستعملان فى معناهما الحقيقى.

و يحتمل أن يكون لا يعيا لسانه كنايه عن عدم قصوره فى البيان و تبليغ الأحكام قوله(و بيت لا تهدم أركانه)تشبيه كتاب اللّه بالبيت الوثيق غير الهادم أركانه سواء اريد به معناه الحقيقى أو المجازى باعتبار أنّ البيت كما أنّه يحفظ أهله

فکـذلک الکتاب الکریم یحفظ العامل بما فیه، و هکذا أمیر المؤمنین علیه السّـلام یحفظ من یأوی إلیه و یذعن بولایته فی الدّنیا و الآخره من العذاب الألیم و السخط العظیم و قوله:لا تهدم أرکانه،ترشیح للتّشبیه إن جعلنا کلامه من باب التشبیه البلیغ کما علیه المحقّقون، و إن جعلناه استعاره فیکون ذلک ترشیحا للاستعاره و فی وصف البیت بذلک إشاره إلی استحکام قواعد کتاب اللّه و براهینه النّاطقه.

و أمّا قوله (و عزّ لا تهزم أعوانه) فهو لیس علی حذ و ما سبق و إنّما اطلق علیه العزّ لکونه سببا للعزّ الأبدی الدائم، و المراد بأعوانه هو اللّه سبحانه الحافظ له کما قال تعالی: إنّا نحن نزّلنا الـذکر و إنّا له لحافظون، و کـذلک الملائکه و الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فهم أیضا حافظون له ذابّین عنه.

و الفصل الثالث منها

فی وصف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو قوله (أرسله علی حین فتره من الرّسل) أی فی زمان فتور منهم و انقطاع الوحی عنهم و اندراس معالم دینهم علی ما تقدّم تفصیلا فی شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبه الاولی، و فی شرح الخطبه الثامنه و الثمانین أیضا (و تنازع من الألسن) أی تشتّت الآراء و الأهواء الموجب لاختلاف الکلمات، فانّ النّاس فی الجاهلیه کان قوم منهم یعبدون الأصنام، و قوم یعبدون الشیطان، و طائفه تعبد الشّمس، و طائفه تعبد المسیح علیه السّلام علی ما عرفت تفصیلا فی شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبه الاولی، فکانت کلّ طائفه تحتجّ علی مخالفیها و تجادلهم و تنازعهم بألسنتهم لتصرفهم إلی مذهبهم.

(فقفی به الرّسل) و اتبعهم به (و ختم به الوحی) و الرساله (فجاهد فی اللّه) سبحانه بالقول و العمل (المدبرین عنه و العادلین به) أی الجاعلین له سبحانه عدیلا و نظیرا.

الترجمه

أز جملهٔ خطبهای آن إمام زمان و سرور عالمیان است که فرموده:

و گردن نهاد او را دنیا و آخرت بأفسارهای خود، و انداخت بسوی او آسمانها و زمینها کلیدها یا خزینهای خود را، و سجده نمود مر او را در هنگام صبح و عصر

ص:۳۰۹

درختهای با طراوت و نضارت، و بیرون آورد بجهه حکم او أز شاخهای خود آتشهای روشن، و ببخشید خوردنی خود را بحکم کلمات تامّه او میوهای رسیده.

از جملهٔ آن خطبه اینست که فرموده:

و کتاب خداوند تبارک و تعالی در میان شما است، گوینده ایست که عاجز نمی شود زبان او، و خانه ایست که خراب نمی شود ارکان او، و عزّتیست که مغلوب نمی شود یاری کنندگان او.

و بعض دیگر از آن خطبه اینست که فرمود: فرستاد پیغمبر را در زمان سستی از پیغمبران، و هنگام اختلاف زبانها، پس آورد او را از عقب پیغمبران و ختم کرد با او وحی را، پس جهاد نمود خاتم انبیاء در راه خدا با کسانی که رو گردان بودند از پروردگار، و مثل و شبیه قرار داده بودند خدای را.

الفصل الثانی منها:

اشاره

و إنّما الدّنیا منتهی بصر الأعمی لا یبصر ممّا ورائها شیئا، و البصیر ینفذها بصره، و یعلم أنّ الدّار ورائها، فالبصیر منها شاخص، و الأعمی إلیها شاخص، و البصیر منها متزوّد، و الأعمی لها متزوّد. منها:

و اعلموا أنّه لیس من شیء إلاّ یکاد صاحبه أن یشبع منه أو یملّه إلاّ الحیاه فإنّه لا یجد له فی الموت راحه، و إنّما ذلک بمنزله الحکمه الّتی هی حیاه للقلب المیّت، و بصر للعین العمیاء، و سمع للاذن الصّماء، و ریّ للظّمان، و فیها الغنی کلّه، و السّلامه، کتاب اللّه تبصرون به، و تنطقون به، و تسمعون به، و ینطق بعضه ببعض، و یشهد بعضه

على بعض، و لا يختلف فى اللّه، و لا يخالف لصاحبه عن اللّه، قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم، و نبت المرعى على دمنكم، و تصافيتم على حبّ الآمال، و تعاديتم فى كسب الأموال، لقد استهام بكم الخبيث، و تاه بكم الغرور، و اللّه المستعان على نفسى و أنفسكم.

اللغه

(شخص) يشخص من باب منع شخوصا خرج من موضع إلى غيره، و يتعدّى بالهمزه فيقول أشخصته و شخص شخوصا أيضا ارتفع، و شخص البصر إذا ارتفع و يتعدّى بنفسه فيقال: شخص الرّجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف، و ربّما يعدّى بالباء فيقال: شخص الرّجل ببصره فهو شاخص و أبصار شاخصه و شواخص و (مللت) من الشىء مللا من باب تعب و ملاله سئمت و ضجرت و هو ملول و (الدّمن) بالكسر ما يتلبّد من السّرجين، و الدّمنه موضعه و الدّمنه آثار الدّار و النّاس و ما سوّدوه، و الحقد القديم و جمع الكلّ دمن كسدر و دمن كعدد (الغرور) بالفتح الشيّطان

الاعراب

اللاّم فى قوله: الدّار، للجنس و ستعرف وجهه، و قوله: و يكاد صاحبه أن تشبع، الغالب فى خبر كاد أن لا يقترن بأن كما فى قوله تعالى: و ما كادوا يفعلون، و هكذا فى غير واحد من نسخ المتن، و اقترانه بها قليل و منه قول الشاعر يرثى ميتا:

كادت النّفس أن تفيض عليه إذ غدا بين ريطه(۱) و برود

و مثل كاد فى هذا الحكم كرب فيقلّ اقتران خبره بأن و علّله علماء الأدبيّه بأنّهما يدّلان على شدّه مقارنه الفعل و مداومته و ذلك يقرب من الشّروع فى الفعل و الأخذ فيه فلم يناسب خبرهما أن يقترن غالبا بأن المشعره بالاستقبال، و لذلك لا تقول كاد زيد يحجّ إلاّ و قد أشرف عليه و لا تقول ذلك و هو فى بلده، و قوله: استهام بكم

۱- (۱) بفتح الراء و سكون الياء المثناه و الطاء المهمله الملأه اذا كانت شقه واحده و البرود بضمّ الباء جمع برد نوع من الثياب و المراد بهما الكفن اى قرب النفس أن تقضى اذ صار ذلك الميت بين أثواب الكفن.

الخبيث، الباء للتّعديه أى جعلكم هائمين كما تقول فى استنفرت القوم إلى الحرب استنفرت لهم أى جعلتهم نافرين، و يحتمل أن تكون بمعنى من، أى طلب منكم أن تهيموا.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذا الفصل التنفير عن الدّنيا و توبيخ من قصر نظره اليها، و ذيّله بالموعظه الحسنه و النصيحه.

فقوله:(و إنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمى)استعار لفظ الأعمى للجاهل و الجامع قصور الجاهل عن إدراك الحقّ كقصور عادم البصر عن إدراك المبصرات و مثله قوله سبحانه: و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخره أعمى و أضلّ سبيلا، و رشّح الاستعاره بقوله(لا يبصر ممّا ورائها شيئا)لأنّ ذلك وصف المستعار له أعنى الجاهل، و أمّا المستعار منه أعنى عادم البصر فهو لا يبصر أصلا و هو تذييل و توضيح و تفسير لكون الدّنيا منتهى بصره، و المقصود أنّ الجاهل لكون همّته مصروفه معطوفه إلى الدّنيا مقصور نظره إليها غافل عما عداها غير ملتفت إلى أنّ ورائها الآخره و هى أولى بأن تصرف إليه الهمم بما فيها مما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين من مزيد العوائد و الفوائد و النّعم.

(و البصير ينفذها بصره) أى العارف العالم ينفذ بصره من الدّنيا (و يعلم أنّ الدّار ورائها) يعنى يعرف أنّ الدّار الحقيقى أى دار القرار ورائها فيبلغ جهده فى الوصول إليها(فالبصير)النافذ البصر(منها شاخص)راحل لأنّه بعد ما عرف أنّ الدّار ورائها لا يقف دونها بل يجعلها بمنزله طريق سالك به إلى وطنه و مكانه (و الأعمى إليها شاخص)ناظر لأنّه بعد ما لم يعرف ورائها شيئا يزعم أنّ هذه هى الدّار، و أنّ له فيها القرار، فيقصر نظره إليها.

و لا يخفى ما فى هذه القرينه مع سابقتها من الجناس التّام و المطابقه بين الأعمى و البصير،و مثلهما فى المطابقه قوله(و البصير منها متزوّد و الأعمى لها متزوّد)

یعنی أنّ البصیر یتزوّد منها من الأعمال الصّالحه و التّقوی ما یوصله إلی مقرّه و مقامه، و الأعمی لتوهّمه أنّ وطنه و مسکنه هی الدّنیا و أنّ مقرّه تلک الدّار و لیس له ورائها دار فیتزوّد لها و یتّخذ من زبرجها و زخارفها و قیناتها ما یلتذّ و یتعیّش به فیها.

و لهذا المعنی أی لأجل اختلاف النّاس بالمعرفه و الجهاله و افتراقهم بالعمی و البصیره اختلفت الآراء و الأهواء، فبعضهم و هم أهل الدّنیا و الرّاکنون إلیها یحبّ الحیاه و یغتنمها و ینهمک فی الشّهوات، و ینتهز الفرصه فی طلب العیش و اللّذات، فیرجّح الحیاه علی الممات و یمدحها کما قال الشّاعر:

أو فی یصفّق بالجناح مغلسا و یصیح من طرب إلی ندمان

یا طیب لذّه هذه دنیاکم لو أنّها بقیت علی الانسان

و البعض الآخروهم أهل الآخره العارفون بأنّ الدّنیا دار الفناء و أنّ الدّار ورائها یرجّح الموت علی الحیاه و یتشوّق إلیه کما قال:

جزی اللّه عنّا الموت خیرا فانّه أبرّ بنا من کلّ برّ و أرءف

یعجّل تخلیص النّفوس من الأذی و یدنی من الدّار الّتی هی أشرف

و قال آخر:

من کان یرجو أن یعیش فانّنی أصبحت أرجو أن أموت لاعتقا

فی الموت ألف فضیله لو أنّها عرفت لکان سبیله أن یعشقا

فان قلت: إذا کان هوی أهل الآخره و رغبتهم علی ما ذکرت فی الموت، فکیف التّوفیق بینه و بین قوله علیه السّلام:(و اعلموا أنّه لیس من شیء إلاّ و یکاد صاحبه أن یشبع منه و یملّه إلاّ الحیاه فانّه لا یجد له فی الموت راحه) فانّ ظاهر هذا الکلام یفید أنّ اللّذات کلّها لعموم النّاس مملول منها إلاّ الحیاه معلّلا بأنّه لا استراحه فی الممات؟ قلت: ظاهر هذا الکلام و ان کان یعطی العموم و کراهیّه الموت للکلّ إلاّ أنّه یحمل علی الخصوص أعنی کراهیّته لأهل الشقاوه جمعا بینه و بین الأخبار الدّاله

ص:۳۱۳

على محبوبيّته لأولياء اللّه سبحانه كقوله صلّى اللّه عليه و آله: ليس للمؤمن راحه دون لقاء اللّه.

و ربّما يوجّه بعد إبقائه على العموم تاره بأنّ الموت يفوت متجر الآخره و ينقطع به الاستعداد لكمال أشرف مما حصل عليه الميّت و إن كان وليّا، فلا جرم لا يجد الرّاحه التى يلحقه بما يفوته من ذلك الكمال، و اخرى بأنّ النفوس البشريّه لما لم يكن معارفها ضروريّه و لم يتمكّن ما دامت فى هذه الأبدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعاده أو شقاوه، فبالحرىّ أن لا تجد لها راحه يتصوّرها فى الموت.

أقول: و أنت خبير بما فيه، فانّ عدم التمكن من الاطلاع على ما بعد الموت إنّما هو للمحجوبين دون العارفين من الأنبياء و المرسلين، و أولياء اللّه المتّقين، فانهم من سعادتهم على ثقه و يقين، ألا ترى إلى قول علىّ المرتضى سلام اللّه عليه تترى: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و الأوجه ما قاله الشّارح البحرانى (ره) حيث قال: إن كان مراده عليه السّلام بقوله: لا يجد فى الموت راحه، أى فى نفس الموت مع قطع النّظر عن غيره من أحوال الآخره، فالحقّ مع قول من عمّم فقدان الرّاحه فى حقّ الجميع، إذ الموت من حيث هو موت لا راحه فيه لأحد من النّاس كافّه، و إن كان مراده فقدان الرّاحه فى الموت و ما بعده، فالحقّ التخصيص بأهل الشّقاوه الدّائمه، فانّ شدّه محبّه الحياه و نقصانها متفاوته بحسب تصوّر زياده الرّاحه فى الآخره و نقصانها، و ذلك ظاهر عند اعتبار أهل الدّنيا المقبلين عليها بالكلّيه.

ثمّ قال عليه السّلام (و إنّما ذلك بمنزله الحكمه) اختلف الشّارحان المعتزلى و البحرانى فى المشار إليه بذلك.

فقال الأوّل: إنّ هذا الكلام له عليه السّلام إلى قوله و السّلامه فصل آخر غير ملتئم بما قبله، و انّ الاشاره بذلك إلى كلام من كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رواه لهم و حضّهم على التمسّك به و الانتفاع بمواعظه، ثمّ قال: و الحكمه المشبّه كلام الرسول بها هى المذكوره فى قوله تعالى: و من يؤت الحكمه فقد اوتى خيرا كثيرا.

و قال الثّانی: قوله علیه السّلام: و إنّما ذلک، أی الأمر الذی هو أحقّ بأن لا یملّ و لا یشبع منه، بمنزله الحکمه أی ما کان بمنزله الحکمه.

أقول: أمّا قول الأول فهو رجم بالغیب و تأویل من غیر دلیل، لعدم ثبوت التّقطیع و الالتقاط بعد فی هذه الفقره و فی الفقرات الآتیه کما زعمه، و علی تقدیر ثبوته فلا یتعیّن أن تکون الاشاره به إلی کلام رواه من الرّسول بل یحتمل أن یکون اشاره إلی ما وعظهم به و نصحهم من کلام نفسه.

و أمّا قول الثانی ففیه من التّعسف و الخبط ما لا یخفی، لعدم ارتباط هذا الکلام علی ما ذکره بما تقدّمه من الکلام من حیث المعنی، مضافا إلی منافرته بل منافاته للقواعد الأدبیّه و الاصول العربیّه کما هو غیر خفیّ علی ذوی الأذهان المستقیمه، و کیف کان فما قیل أو یمکن أن یقال فی هذا المقام فانّما هو تخمین و حسبان لا یمکن أن یوجّه به کلام الامام حتّی یقوم علیه دلیل بیّن.

ثمّ الحکمه عباره عن معرفه الصّانع سبحانه و العلم النّافع فی الآخره و یأتی مزید بیانها فی شرح الفصل الثّالث من المختار المأه و الأحد و الثّمانین إنشاء اللّه تعالی.

و للاشاره إلی التّفخیم و التعظیم أتبعه بقوله (الّتی هی حیاه للقلب المیّت) القلب المیّت هو القلب الجاهل القاصر عن إدراک وجوه المصالح و حیاته عباره عن اهتدائه إلی ما فیه صلاحه و رشده، و جعل الحکمه حیاه له لکونها سببا للاهتداء، فأطلق علیها لفظ الحیاه مبالغه.

(و) قوله(بصر للعین العمیاء)من باب التشبیه البلیغ یعنی أنها بمنزله حسّ البصر لها، و ذلک لأنّ العین المتّصفه بالعمی کما أنّها عاجزه عن إدراک الألوان و الأضواء، فاذا کان لها الابصار و ارتفع عنها العمی تمکّنت من إدراکها، فکذلک الحکمه للجاهل تحصل له بها البصیره، فتمکّن بها و تقدر علی إدراک المآرب الحقّه.

و کذلک قوله(و سمع للاذن الصّماء)فانّ الصّمم مانع عن إدراک الاذن

و بارتفاعه عنها و حصول حسّ السّمع لها تقدر على إدراك الأصوات و الأقوال، و كذلك بارتفاع الجهاله عن الجاهل و حصول الحكمه و البصيره له يقدر على الاطلاع على ما هو خير فى المآل.

و أمّا قوله(و ريّ للظّمآن)فيحتمل أن يكون من باب التّشبيه البليغ كسابقيه، بأن يراد بالظّمآن معناه الحقيقى و وجه الشبه أنّ العطشان كما يؤلمه داء العطش و بارتوائه بالماء يرتفع عنه تلك الدّاء، فكذلك الجاهل يؤذيه داء الجهاله و بحصول الحكمه له يرتفع عنه هذا الدّاء و يحتمل أن يكون من باب الاستعاره بأن يستعار لفظ الظّمآن للجاهل و الجامع ما سبق من أنّ كلّا منهما له داء يتأذّى به و يحتاج إلى علاجه إلّا أنّ ما للأوّل وجدانىّ، و ما للثّانى عقلانىّ، و على هذا الوجه فيكون ذكر الرّى ترشيحا و قوله (و فيها الغنى كلّه و السّلامه) أمّا أنّ فيها الغنى فلأنّ من اوتى الحكمه فقد اوتى خيرا كثيرا، و بها يوصل إلى الحقّ المتعال، و يسبح فى بحار معرفه ذى الجلال، و فى ذلك غنى العارفين عمّا سواه سبحانه من العالمين، و هو تعالى غايه مراد المريدين، و منتهى رغبه الرّاغبين، و كنز المساكين.

و أمّا أنّ فيها السّلامه فلأنّ بها يسلم من داء الجهل فى الدّنيا، و ينجى من سخط الجبّار و عذاب النّار فى الاخرى.

و أمّا قوله (كتاب اللّه) فيحتمل أن يكون كلاما منفصلا عمّا قبله أسقط السّيد (ره) ما بينهما فارتفع الارتباط بالتّقطيع و الالتقاط، أو أنّه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا كتاب اللّه و يظهر من الشّارح البحرانى الاتّصال حيث قال: كتاب اللّه خبر مبتدأ إمّا خبر ثان لذلك(1) و ما كان بمنزله الحكمه خبر أوّل، أو لمبتدأ محذوف تقديره: و هو كتاب اللّه و يحتمل أن يكون عطف بيان لما كان بمنزله الحكمه.

1- (1) اى لفظه ذلك فى قوله و ذلك بمنزله الحكمه، منه.

أقول: لم يتقدّم فی كلامه علیه السّلام لفظ ما كان بمنزله الحكمه حتّی یجعل خبرا أوّلا أو معطوفا علیه للكتاب، و انّما قال علیه السّلام: و إنّما ذلک بمنزله الحکمه.

فان قلت: لعلّه مقدّر فی ضمن الكلام.

قلت: لا دلیل علی تقدیره، مع أنّا لم نر بیانا حذف مبیّنه.

و كیف كان فقد وصف الكتاب بأوصاف:

الأوّل انكم (تبصرون به) لكونه سببا لابصار طریق الحقّ بما فیه من الآیات البیّنات و أدله الصّدق.

(و) الثّانی انكم (تنطقون به) فی مقام الاحتجاج و ترفعون من المعاندین الشّبه و اللّجاج كما قال اللّه سبحانه و تعالی: فانّما یسّرناه بلسانک لتبشّر به المتّقین و تنذر به قوما لدّا.

(و) الثالث انّكم (تسمعون به) الخطابات الالهیّه و التّكالیف الشّرعیّه تطیعونها و تؤمنون بها و تصلون إلی المراتب العالیه العلیّه تنزیل من الرّحمن الرّحیم كتاب فصّلت آیاته قرآنا عربیّا لقوم یعلمون، بشیرا و نذیرا فأعرض أكثرهم فهم لا یؤمنون.

(و) الرابع انّه (ینطق بعضه ببعض و یشهد بعضه علی بعض) أی یفسّر بعضه بعضا و یكشف بعضه عن بعض و یستشهد ببعضه علی بعض فانّ فیه مطلقا و مقیّدا و مجملا و مبیّنا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها، بعضها یكشف القناع عن بعض و یستشهد ببعضها علی المراد ببعض آخر.

(و) الخامس أنّه (لا یختلف فی اللّه) قال الشّارح البحرانی: لما كان مدار الكتاب علی بیان القواعد الكلّیه الّتی بها یكون صلاح نوع الانسان فی معاشه و معاده، و كانت غایه ذلک الجذب إلی اللّه سبحانه و الوصول إلی جواره، لم یكن فیه لفظ یختلف فی الدّلاله علی هذه المقاصد، بل كلّه متطابق الألفاظ علی مقصود واحد، و هو الوصول إلی الحقّ سبحانه بصفه الطهاره عن نجاسات هذه الدّار

و إن تعدّدت الأسباب الموصله إلى ذلك المقصود انتهى.

و محصّله أنّه لا يختلف فى الدّلاله على المقاصد الموصله إلى اللّه سبحانه و الأظهر أنّ المراد به أنّه لا يختلف فى الجذب إلى اللّه، لأنه معجز النّبوه المقصود بها الايصال إلى اللّه سبحانه كما قال تعالى: أفلا يتدبّرون القرآن و لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، أى لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه و بلاغته و معانيه كما فى الكشّاف، فكان بعضه بالغا حدّ الاعجاز، و بعضه قاصرا عنه يمكن معارضته، و بعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه، و بعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه، و بعضه دالاّ على معنى صحيح عند علماء المعانى، و بعضه دالاّ على معنى فاسد غير ملتئم، فلمّا تجارب كلّه بلاغه معجزه فائته «فائقه ظ» لقوى البلغاء و تناصر صحّه معان و صدق اخبار علم أنّه ليس إلاّ من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، و عالم بما لا يعلمه أحد سواه.

السّادس أنّه (و لا يخالف بصاحبه عن اللّه) أى لا يسدّه عنه سبحانه و لا يضلّه عن سبيله فانّه يهدى للّتى هى أقوم، و من اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم.

قال الشارح المعتزلى إنّ هذا الكلام فصل آخر مقطوع عما قبله و متّصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغه، و كذلك قال فى قوله (قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم) أنّه إلى آخر الفصل كلام مقطوع أيضا.

أقول: إن ثبت التقطيع فهو و إلاّ فجهه ارتباط هذا الكلام بما قبله هو أنّه لما وصف كتاب اللّه سبحانه بأوصاف الكمال تنبيها على وجوب اتباعه و الاعتصام به للاشاره إلى الحقّ و هدايته إلى مكارم الأخلاق، أردفه بتوبيخ السّامعين و تقريعهم على ارتكاب رذائل الأخلاق و اتّباع الشيطان، و المراد أنّكم اتّفقتم على الحقد و الحسد بحيث لم ينكره منكم أحد.

(و نبت المرعى على دمنكم) يحتمل أن يكون المراد بالدّمن الحسد فيكون قوله: نبت المرعى جاريا مجرى المثل اشاره إلى طول الزّمان أى طال حقدكم

ص:۳۱۸

و حسدكم و دام حتّى صار بمنزله الأرض الجامده التى ينبت عليها النّبات، و يجوز أن يكون المراد بها المزابل و مواضع البعره فاستعير للقلوب باكتنافها بالخباثه الباطنيّه و تضمّنها الضغائن و الأحقاد كما يكتنف المزابل بالكثافات و الخباثات الظاهره فيكون قوله: نبت المرعى، أيضا مثلا لأنّ المقصود به الاشاره إلى عدم الانتفاع بذلك المرعى لأنّه لا وقع له و لا يرغب إليه كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إيّاكم و خضراء الدّمن.

و قال الشّارح البحرانى: قوله: نبت المرعى آه، يضرب مثلا للمتصالحين فى الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم، و وجه مطابقه الممثّل أنّ ذلك الصّلح سريع الزّوال لا أصل له كما يسرع جفاف النّبات فى الدّمن، و الأظهر ما قلناه.

(و تصافيتم على حبّ الآمال) أى كنتم فى مقام الصّفا ظاهرا على محبّه ما يأمل و يرجو كلّ منكم من صاحبه من جلب نفع أو دفع ضرّ (و تعاديتم فى كسب الأموال) لأنّ عمده الخصومات و العداوات إنّما تكون فى مال الدّنيا و متاعها فكلّ من أهلها يجذبه إلى نفسه و يضنّ به على غيره.

(لقد استهام بكم الخبيث) أى طلب منكم أن تهيموا و تتحيّروا أو جعلكم هائمين متحيّرين أو اشتدّ عشقه و محبّته لكم (و تاه بكم الغرور) أى أضلّكم الشّيطان اللّعين و جعلكم تائهين ضالّين (و اللّه المستعان) فى كلّ حال (على نفسى و أنفسكم) من سوء الأعمال.

الترجمه

بعضى ديگر از آن خطبه است كه فرمود:

و بدرستى دنيا منتهاى نظر جاهل است، نمى بيند چيزى را كه از پس دنيا است و شخص با بصيرت مى گذرد از دنيا نظر او، و ميداند كه سراى حقيقى در پس اين دار فنا است، پس صاحب بصيرت رحلت كننده است از دنيا، و بى بصيرت نظرش مصروف بدنيا است و عاقل توشه گيرنده است از دنيا، و جاهل توشه گيرنده است

ص:۳۱۹

از برای دنیا.

و بدانید که نیست هیچ چیزی مگر این که صاحب آن نزدیک است که سیر شود از آن و ملال آورد از او مگر زندگانی دنیا بجهه آنکه نمی یابد از برای خود در مرگ آسایشی، و جز این نیست که آن بمنزلهٔ حکمت است چنان حکمتی که آن زندگی قلب مرده است، و بینائی چشم کور، و شنوائی گوش کر، و سیرابی تشنگانست، و در اوست بی نیازی تمام، و سلامتی از أسقام.

او کتاب پروردگار است که می بینید بأو، و گویا می شوید و می شنوید بأو و ناطق و مصدّق است بعضی از او ببعضی، و اختلاف ندارد در جذب نمودن خلق بسوی خدا، و خلاف نمی کند با صاحب خود از خدا، و بضلالت نمی اندازد او را بتحقیق که متفق شده اید بر حقد و حسد که در ما بین شما است، و رسته است گیاه بر روی حسد شما، و با صفا میباشد در محبت امیدهائی که از یکدیگر دارید، و با عداوت می باشید در کسب نمودن مالها، بتحقیق که شما را متحیّر کرده است إبلیس خبیث، و بضلالت افکنده است شما را شیطان لعین، و خداوند تعالی یاری خواسته شده است از او بر نفس من و بر نفسهای شما در جمیع کارها.

و من کلام له علیه السّلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فی

اشاره

الخروج الی غزو الروم بنفسه و هو المأه و الرابع

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و قد توکّل اللّه لأهل هذا الدّین باعزاز الحوزه، و ستر العوره و الّذی نصرهم و هم قلیل لا ینتصرون، و منعهم و هم قلیل لا

يمتنعون، حى لا يموت إنّك متى تسر إلى هـذا العدوّ بنفسك، فتلقهم بشخصك فتنكب لا تكن للمسلمين كانفه دون أقصى بلادهم و ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلا محربا، و أحفز معه أهل البلاء و النّصيحه، فان أظهر اللّه فذاك ما تحبّ، و إن تكن الاخرى كنت ردء للنّاس و مثابه للمسلمين.

اللغه

قوله (و قد توكّل اللّه) و عن بعض النّسخ بدله كفل اللّه أى صار كفيلا و (الحوزه) النّاحيه و حوزه الاسلام حدوده و نواحيه و (كانفه) أى عاصمه حافظه من كنفه أى حفظه و آواه، و يروى كهفه بدل كانفه و هى ما يلجأ إليه و (المحرب) بكسر الأوّل و سكون الثانى و فتح الثّالث صاحب الحرب و فى بعض النسخ مجرّبا بضم الأوّل و الجيم المعجمه و فتح الراء المشدّده و (الرّدء) العون قال اللّه تعالى:

فأرسله معى ردءا.

الاعراب

الذى نصرهم مبتدأ و خبره حىّ، و جمله و هم قليل آه حاليّه معترضه بين المبتدأ و الخبر، و تنكب بالجزم معطوف على تسر، و الفاء فى قوله: فابعث، فصيحه، و الباقى واضح.

المعنى

اعلم أنّ هـذا الكلام قاله عليه السّلام لعمر بن الخطّاب كما أشار إليه السيّد (ره) ارشادا له إلى وجه المصلحه و تعليما له ما فيه صلاح الامّه، و كان ذلك فى غزاه

فلسطين التى فتح فيها بيت المقدس فأراد عمر أن يشخص بنفسه لما طال الحرب على المسلمين و ضاق الأمر عليهم و كتبوا إليه: إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فاستشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى الشّخوص إلى العدوّ فلم يره صلاحا لما فيه من الخوف على بيضه الاسلام بالنّكته التى أشار إليها فى ضمن هذا الكلام بعد تقديم مقدّمه مهّدها بقوله عليه السّلام:

(و قد توكّل اللّه لأهل هذا الدّين) أى صار وكيلا لهم قائما عليهم (باعزاز الحوزه) و البيضه و الجمعيّه (و ستر العوره) و ممّا لا ينبغى اطّلاع العدوّ عليه من الفضائح و القبائح (و الذى نصرهم و هم قليل لا ينتصرون و منعهم و هم قليل لا يمتنعون حيّ لا يموت) لا يخفى ما هذه الجمله من حسن الخطابه حيث أورد المسند إليه موصولا لزياده التّقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الكلام، و هو الحثّ على التوكّل على اللّه و الاعتماد عليه و مزيد الثقه به ثمّ أكدّ ذلك المعنى بالجمله الحاليّه و باتيان المسند بما يجرى مجرى المثل السّائر و المراد أنّ من نصرهم فى حال قلّتهم و عدم تمكّنهم من انتقام الأعداء و منعهم فى حال ضعفهم و عدم قدرتهم على الامتناع من سيف المعاندين حيّ لا يموت فهو أولى فى حال كثرتهم بالحفظ و الحمايه و الاعزاز و النصره.

ثمّ أشار إلى وجه المصلحه و النّكته فى المنع عن الخروج فقال (انّك متى تسر إلى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفه دون أقصى بلادهم) يعنى أنّ الجهاد على وجهين فيمكن إداله الكفّار من المسلمين و يمكن إداله المسلمين من الكفّار فلو خرجت بنفسك و لا قيت العدوّ و أصابتك النكبه لم تبق للمسلمين جهه عاصمه يعتصمون بها و لا ملجأ يستندون إليه (و ليس بعدك مرجع يرجعون إليه) و فى ذلك خوف على بيضه الاسلام.

ثمّ أشار إلى ما هو الأصلح و أقرب إلى الحزم بقوله (فابعث إليهم) أى إلى الأعداء (رجلا محربا) إى ذا خبره و بصيره بالحروب أو رجلا جرّب بكثره الوقايع و الحروب و حصل الوثوق و الاعتماد عليه (و احفز) أى ادفع معه (أهل) النّجده و (البلاء و النّصيحه) أى المختبرين المجرّبين بالنّصح (فان أظهر) ك (اللّه) و نصرك

ص:٣٢٢

(فـذاک مـا تحبّ و إن تکن الاـخری) أی النّکبه و الانکسـار (کنت ردءا للنـاس) و عونا لهم (و مثابه) أی مرجعا (للمسـلمین) و مأمنا یأوون إلیه.

الترجمه

از جملهٔ کلاـم آن امـام أنـام است در آن حال که مشورت نمود باو عمر بن خطّاب در باب بیرون رفتن بسوی غزوهٔ روم بنفس خود پس فرمود آن بزرگوار:

بتحقیق که وکیـل شـده است خـدای تبـارک و تعالی از برای أهل این دین با عزیز نمودن و غالب گردانیـدن ناحیـهٔ مسـلمین و پوشانیدن عورت مؤمنین، و آن پروردگاری که یاری کرد مسـلمانان را در آن حال که اندک بودند و قدرت نداشـتند بر انتقام و حفظ نمود ایشان را در حالتی که اندک بودند و تمکّن نداشـتند از دفع دشمنان از خودشان زنده ایست که هرگز نمی میرد، بدرستی که هرگاه روانه شوی تو بسوی این دشـمن بنفس خود پس برسی بایشان و مصیبتی بتو وارد بیاید و مغلوب شوی نمی باشـد از برای مسـلمانان پنـاهی نزد منتهـای ولایتهـای ایشـان، و نباشـد بعـد از تـو مرجعی که بـازگشت نماینـد بسـوی او، پس برانگیزان بسوی دشـمنان مردی جنـگ دیـدهٔ کاردان، و دفع کن باو اهل آزمایش و نصـیحت را، پس اگر غالب گردانـد تو را خداونـد تعـالی پس اینست آن چیزی که می خواهی، و اگر باشـد امر بطور دیگر باشـی تو یـاور و مـدد مردمان و مرجع و پناه برای مسلمانان و پناه گاه ایشان.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الخامس و الثلاثون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی باختلاف یسیر تطلع علیه.

قال السید (ره) و قد وقعت مشاجره بینه و بین عثمان، فقال المغیره بن الأخنس

أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام للمغيره:

يـا بن اللّعين الابتر و الشّجره الّتى لا أصل لها و لا فرع أنت تكفينى فو اللّه ما أعزّ اللّه من أنت ناصـره، و لا قام من أنت منهضه، اخرج عنّا أبعد اللّه نواك، ثمّ ابلغ جهدك فلا أبقى اللّه عليك إن أبقيت.

اللغه

(الأبتر) المنقطع عن الخير و قيل الأبتر الّذى لا عقب له و منه الحمار الأبتر الّذى لا ذنب له، قوله: (و لا قام) فى بعض النسخ و لا أقام بالهمزه و (النّوى) القصد الّذى ينويه المسافر من قرب أو بعد هكذا فى شرح البحرانى، و قال الطريحى: النّوى بالفتح البعد و منه حديث علىّ للمغيره بن الأخنس أبعد اللّه نواك من قولهم بعدت نواهم إذا بعدوا بعدا شديدا، و فى بعض النسخ أبعد اللّه نوأك بفتح النّون و سكون الواو و بعدها همزه و هو النّجم و جمعه أنواء و هى النّجوم الّتى كانت العرب تنسب اليها و كانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعد اللّه نوأك، أى خيرك.

قال أبو عبيده فى محكىّ كلامه: هى أى الأنواء ثمانيه و عشرون نجما معروفه المطالع فى أزمنه السّنه يسقط منها فى كلّ ثلاث عشره ليله نجم فى المغرب مع طلوع الفجر و يطلع الآخر مقابله من ساعته، و انقضاء هذه الثمانيه و العشرين مع انقضاء السّنه و كانت العرب فى الجاهليّه إذا سقط منها نجم و طلع الآخر قالوا لا بدّ أن يكون عند ذلك مطر فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى النّجم و يقولون و مطرنا بنوء كذا قال: و يسمّى نوءا لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب نأى الطالع بالمشرق، و ذلك النهوض هو النّوء فسمّى النّجم به.

و قوله: (ثمّ ابلغ جهدك) أمر من افعل أو فعل و كلاهما مروىّ، و الجهد بالضمّ الطّاقه و بالفتح المشقّه و هما مرويّان أيضا و (أبقيت) على فلان أى راعيته و رحمته

ص:۳۲۴

الاعراب

قوله أنت تكفينى، جمله استفهاميّه محذوفه الأداه، و جمله ما أعزّ اللّه آه تحتمل الخبر و الدّعاء، و قوله إن أبقيت متعلّقه محذوف بقرينه سابقه أى إن أبقيت علىّ.

المعنى

اشاره

قال الشّارح المعتزلى: اعلم أنّ هذا الكلام لم يكن بحضره عثمان و لكن أعوانه روى عن إسماعيل بن خالد عن الشّعبى أنّ عثمان لمّا كثرت شكايته من علىّ عليه السّلام أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ شكا إليه عليّا، فقال زيد بن ثابت الانصارى و كان من شيعته و خاصّته، أفلا أمشى إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتى إليك؟ قال: بلى، فأتاه زيد و معه المغيره بن الأخنس بن شريق الثقفى و عداده فى بنى زهره و امه عمّه عثمان بن عفّان فى جماعه، فدخلوا فحمد زيد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فانّ اللّه قدّم لك سلفا صالحا فى الاسلام و جعلك من الرّسول بالمكار الّذى أنت به فأنت للخير كلّ الخير أهل، و أمير المؤمنين عثمان ابن عمّك و ولىّ هذه الامّه فله عليك حقّان: حقّ الولايه، و حقّ القرابه، و قد شكاك إلينا أنّ عليا يعرض و يردّ أمرى علىّ، و قد مشينا إليك نصيحه لك و كراهيّه أن يقع بينك و بين ابن عمّك أمر نكرهه لكما، قال: فحمد علىّ عليه السّلام و أثنى عليه و صلّى على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

أمّا بعد فو اللّه ما أحبّ الاعتراض و لا الرّد عليه إلاّ أن يأبى حقّا للّه لا يسعنى أن أقول فيه إلاّ بالحقّ، و واللّه لأكفّن فيه ما وسعنى الكفّ.

فقال المغيره بن الأخنس و كان رجلا و قاصا و كان من شيعه عثمان و خلصائه إنّك و اللّه لتكفنّ عنه أو لتكفّن عنه فانّه أقدر عليك منك عليه و إنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعذارا ليكون الحجّه عندهم عليك.

فقال له علىّ عليه السّلام يابن اللّعين الأبتر و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع

ص:۳۲۵

أنت تكفّنی فواللّه ما أعزّ اللّه امرأ من أنت ناصره، اخرج أبعد اللّه نواک ثمّ اجهد جهدک فلا أبقی اللّه علیک و لا علی أصحابک إن ابقیتم.

فقال له زید: إنّا و اللّه ما جئناک لتکون علیک شهودا و لا لیکون مشینا إلیک حجّه، و لکن مشینا فیما بینکما التماس الأجر و أن یصلح اللّه ذات بینکما و یجمع کلمتکما، ثمّ دعا له و لعثمان و قام فقاموا معه، إذا عرفت هذا فلنرجع إلی شرح ما أورده السّیّد (ره) فأقول:قوله علیه السّلام للمغیره:(یابن اللّعین الأبتر)لأجل أنّ أباه و هو الأخنس بن شریق کان من أکابر المنافقین ذکره أصحاب الحدیث کلّهم فی المؤلّفه قلوبهم الّذین أسلموا یوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم و أعطاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مأئه من الابل من غنائم حنین یتألّف بها قلبه، و ابنه أبو الحکم بن الأخنس قتله أمیر المؤمنین علیه السّلام یوم احد کافرا فی الحرب، و هو أخو المغیره و الحقد الذی کان فی قلب المغیره إنّما کان من هذه الجهه.

و أمّا وصفه بالأبتر کوصف العاص بن وائل به فی قوله سبحانه: انّ شانئک هو الأبتر، فلانقطاعه عن الخیر کلّه فیکون إطلاقه علیه حقیقه، أو لأنّ من کان عقبه ضالاّ خبیثا فهو کمن لا عقب له بل من لا عقب له خیر منه فیکون اطلاقه علیه علی سبیل الاستعاره.

و کذلک قوله(و الشجره الّتی لا أصل لها و لا فرع)استعار له لفظ الشجره الموصوفه بما ذکر إشاره إلی حقارته و دنائته، لأنّ الشّجره الّتی لیس لها فرع و لا قرار ساقطه عن درجه الاعتبار حقیره فی الأنظار، و لذلک ضربت مثلا للکلمه الخبیثه فی الآیه الشّریفه: و مثل کلمه خبیثه کشجره خبیثه اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار.

و یحتمل أن یکون المراد بالوصفین نفی صفه الکمال، بمعنی أنّها لیس لها أصل ثابت و لا فرع مثمر فیلا حظ ذلک فی المستعار له و یکون عدم ثبوت أصله اشاره إلی الطعن فی نسبه، فقد قال جمع من النّسابین إنّ فی نسب ثقیف طعنا،

و قد فصّله الشّارح المعتزلى فى الشّرح و يكون عدم ثبوت فرعه إشاره إلى أنّ عقبه ضالّ خبيث عادم الخير و النّفع.

ثمّ استفهم على سبيل الانكار و الاستحقار فقال (أنت تكفينى) قال الشارح المعتزلى بعد ما أورد الروايه المتقدّمه: و هذا الخبر يدلّ على أنّ اللّفظه أنت تكفّنى و ليست كما ذكره الرّضى أنت تكفينى، لكن الرّضى طبق هذه اللّفظه على ما قبلها و هو قوله: أنا أكفيكه، و لا شبهه أنّها روايه اخرى (فو اللّه ما أعزّ اللّه من أنت ناصره و لا قام من أنت منهضه) أى مقيمه و ذلك لأنّ العزّه و القوّه للّه سبحانه و النّصره و الخذلان بيد اللّه، فمن أعزّه اللّه فهو المنصور. و من أذّله فهو المقهور، و إن ينصركم اللّه فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الّذى ينصركم من بعده.

ثمّ طرده و أبعده و دعا عليه بقوله:(اخرج عنّا أبعد اللّه نواك) أى مقصدك أو خيرك أو طالعك (ثمّ ابلغ جهدك) أى غايتك و طاقتك فى الأذى (فلا أبقى اللّه عليك إن أبقيت) علىّ أى لا رعاك و لا رحمك إن أشفقت علىّ.

تنبيه

ينبغى أن نذكر ههنا طرفا من مشاجره أمير المؤمنين عليه السّلام مع عثمان اللّعين ممّا أورده المخالف و المؤالف:

فأقول: روى المحدّث العلاّمه المجلسى (ره) فى البحار من الامالى باسناده عن عبد اللّه بن أسعد بن زراره عن عبد اللّه بن أبى عمره الأنصارى قال: لمّا قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرنى أىّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: مهاجرى، قال: لست بمجاورى، قال: فالحق بحرم اللّه فأكون فيه، قال: لا، قال: فالكوفه أرض بها أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال: لا، قال: فلست بمختار غيرهنّ، فأمره بالمسير إلى الرّبذه فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لى اسمع و أطع و انفذ حيث قادوك و لو لعبد حبشى

ص:۳۲۷

مجدع، فخرج إلى الرّبذه فأقام هنا مدّه. ثمّ دخل المدينه فدخل على عثمان و النّاس عنده سماطين فقال: إنّک أخرجتنی من أرض إلی أرض ليس بها زرع و لا ضرع إلاّ شويهات و ليس لی خادم إلاّ همرره و لا ظلّ إلاّ ظلّ شجره، فأعطنی خادما و غنيمات أعيش فيها، فتحوّل وجهه عنه إلى السّماط الآخر فقال مثل ذلک فقال له حبيب بن سلمه: لک عندی يا أبا ذر ألف درهم و خادم و خمسمائه شاه، قال أبو ذر: أعط خادمک و ألفک و شويهاتک من هو أحوج إلى ذلک منّی، فانّی إنّما أسأل حقّی فی کتاب اللّه، فجاء علیّ عليه السّلام فقال له عثمان: ألا تغنی عنها سفيهک هذا قال: أیّ سفيه؟ قال: أبو ذر، قال علیّ عليه السّلام: ليس بسفيه سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على أصدق لهجه من أبی ذر، أنزله بمنزله مؤمن آل فرعون إن يک کاذبا فعليه کذبه و إن يک صادقا يصبکم بعض الذی يعدکم قال عثمان: التراب فی فيک، قال علیّ: عليه السّلام بل التّراب فی فيک، انشد باللّه من سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول ذلک لأبی ذر، فقام أبو هريره و عشره فشهدوا بذلک قول علیّ عليه السّلام قال ابن عبّاس: کنت عند أبی على العشاء بعد المغرب إذ جاء الخادم فقال:

هذا أمير المؤمنين بالباب، فدخل عثمان فجلس فقال له العبّاس تعشّ، قال: تعشّيت فوضع يده فلما فرغنا من العشاء قام من کان عنده و جلست و تکلّم عثمان فقال:

يا خال أشکو اليک ابن أخيک يعنی عليّا فانّه أکثر فی شتمی و نطق فی عرضی و أنا أعوذ باللّه فی ظلمکم بنی عبد المطلب إن يکن هذا الأمر لکم فقد سلّمتموه إلى من هو أبعد منّی و إن لا يکن لکم فحقّی أخذت، فتکلّم العبّاس فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذکر ما خصّ اللّه به قريشا منه و ما خصّ به بنی عبد المطلب خاصّه ثمّ قال: أما بعد فما حمدتک لابن أخی و لا حمدت ابن أخی فيک، و ما هو وحده فقد نطق غيره فلو أنّک هبطت ممّا صعدت و صعدوا ممّا هبطوا لکان ذلک أقرب، فقال: أنت ذلک يا خال، فقال: أتکلّم بذلک عنک؟ قال: نعم أعطهم عنّی ما شئت، و قام عثمان فخرج، فلم يلبث أن رجع فسلّم و هو قائم ثمّ قال:

يا خال لا تعجل بشیء حتّى أعود إليک، فرفع العبّاس يديه و استقبل القبله فقال:

اللّهم اسبق لی ما لا خیر لی فی إدراکه، فما مضت الجمعه حتّی مات.

و روی الشّارح المعتزلی نحوه عن الزّبیر بن بکار فی الموفقیات و زاد فیه بعد قوله لا تعجل یا خال حتّی اوذنک، فنظرنا فاذا مروان بن الحکم جالسا بالباب ینتظره حتّی خرج فهو الذی فشاه عن رأیه الأوّل فأقبل علی أبی فقال یا بنیّ ما إلی هذه من أمره شیء ثمّ قال یا بنی أمسک علیک لسانک حتّی نری ما لا بدّ منه.

و روی الشّارح أیضا عن الموفقیات عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علیّ ابن أبی طالب علیه السّلام قال: أرسل إلیّ عثمان فی الهاجره فتقنّعت بثوبی و أتیته فدخلته و هو علی سریره و فی یده قضیب و بین یدیه مال دثر صبرتان من ورق و ذهب، فقال:

دونک خذ من هذا حتّی تملأ بطنک فقد أحرقتنی، فقلت وصلتک رحم إن کان هذا المال ورثته، أو أعطاکه معط، أو اکتسبته من تجاره کنت أحد رجلین: إمّا أخذ و شکر، أو أوفر و أجهد، و إن کان من مال اللّه و فیه حقّ المسلمین و الیتیم و ابن السّبیل فو اللّه ما لک أن تعطیه و لا لی أن آخذه، فقال: أبیت و اللّه، إلاّ ما أبیت ثمّ قال: إلیّ بالقضیب، فضربنی فو اللّه ما ارّد یده حتّی قضی حاجته، فتقنّعت بثوبی و رجعت إلی منزلی و قلت: اللّه بینی و بینک إن کنت أمرتک بمعروف و نهیتک عن منکر.

أقول: و الأخبار فی هذا المعنی کثیره و دلالتها علی معاداه عثمان لأمیر المؤمنین علیه السّلام و إنزاله له منزله العدوّ صریحه جلیّه، و کفی بذلک له ألیم العقاب و سوء المآب.

الترجمه

از جمله کلام آن امام أنام است و بتحقیق که واقع شده بود منازعه میان او و میان عثمان پس گفت مغیره بن اخنس عثمان را من کفایه میکنم از تو او را یعنی نمی گذارم از أمیر المؤمنین صدمه و آسیبی بتو برسد پس فرمود أمیر المؤمنین بمغیره:

ای پسر ملعون بی منفعت و درختی که نه ریشه دارد مر او را و نه شاخ تو،

ص:۳۲۹

کفایت میکنی مرا، پس قسم بخدا که عزیز و غالب نگردانید خدا کسی را که تو یاری دهندهٔ اوئی، و بر نخواست کسی که تو برخیزاننده اوئی، بیرون برو از خانه ما دور گرداند خداوند تعالی مقصد تو را، پس از آن برس بنهایت سعی خود، پس رحمت نکند و رعایت نکند تو را خدا اگر مهربانی کنی تو با من.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و السادس و الثلاثون من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

قاله (علیه السلام) لما تخلف عن بیعته عبد اللّه بن عمر و سعد بن أبی وقاص و جماعه اخری و رواه فی الارشاد باختلاف تطلع علیه.

لم تکن بیعتکم إیّای فلته، و لیس أمری و أمرکم واحدا، إنّی أریدکم للّه و أنتم تریدوننی لأنفسکم، أیّها النّاس أعینونی علی أنفسکم و أیم اللّه لانصفنّ المظلوم من ظالمه، و لأقودنّ الظّالم بخزامته حتّی أورده منهل الحقّ و إن کان کارها.

اللغه

(الفلته) الأمر یقع من غیر تدبّر و لا رویّه و (خزمت) البعیر بالخزامه و هی حلقه من شعر تجعل فی وتره انف البعیر لیشدّ فیها الزّمام و یسهل قیاده و (الورد) حضور الماء للشّرب و الایراد الاحضار و (المنهل) المشرب من نهل الماء کفرح شربه.

الاعراب

قوله: و أیم اللّه لفظه أیم من کلمات القسم، و قد مضی بعض الکلام فیها فی شرح

ص:۳۳۰

الخطبه الخامسه و شرح الفصل الثانی من الخطبه الثّانیه و التسعین.

و أقول هنا: إنّ فیها اثنتین و عشرین لغه قال فی القاموس: و الیمین القسم مؤنّث لأنّهم کانوا یتماسحون بأیمانهم فیتحالفون، الجمع ایمن و ایمان و أیمن اللّه و أیم اللّه و یکسر أوّلهما و أیمن اللّه بفتح المیم و الهمزه و یکسر و أیم اللّه بکسر الهمزه و المیم، و قیل ألفه ألف وصل و هیم اللّه بفتح الهاء و ضمّ المیم و أم اللّه مثلّثه المیم و إم اللّه بکسر الهمزه و ضمّ المیم و فتحها و من اللّه بضمّ المیم و کسر النّون و من اللّه مثلّثه المیم و النّون و م اللّه مثلّثه و لیم اللّه و لیمن اللّه اسم وضع للقسم و التّقدیر ایمن اللّه قسمی.

و قال ابن هشام فی المغنی: أیمن المختصّ بالقسم اسم لا حرف خلافا للزجاج و الرّمانی مفرد مشتقّ من الیمن و همزته وصل لا جمع یمین و همزته قطع خلافا للکوفیّین و یردّه جواز کسر همزته و فتح میمه، و لا یجوز مثل ذلک فی الجمع من نحو أفلس و اکلب و قول نصیب:

فقال فریق القوم لما نشدتهم نعم و فریق لیمن اللّه ما ندری

فخذف ألفها فی الدّرج و یلزمه الرّفع بالابتداء و حذف الخبر و اضافته إلی اسم اللّه سبحانه خلافا لابن درستویه فی إجازه جرّه بحرف القسم و لابن مالک فی إجازته إضافته إلی الکعبه و کاف الضّمیر، و جوّز ابن عصفور کونه خبرا و المحذوف مبتدأ أی قسمی ایمن اللّه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام له علیه السّلام لجمهور أصحابه الذین کان غرضهم فی بیعته و اتّباعه علیه السّلام حطام الدّنیا لا إحیاء شرائع الدّین و إقامه معالم الشرع المبین کما یرشد إلیه ما سیأتی من قوله: أنتم تریدوننی لأنفسکم، إذا عرفت ذلک فأقول:

قوله(لم تکن بیعتکم إیّای فلته)فیه تعریض ببیعه أبی بکر و إشاره إلی قول عمر فیها، فقد روت العامه و الخاصه عن عمر أنّه قال: إنّ بیعه أبی بکر کانت فلته وقی اللّه شرّها و من عاد إلی مثلها فاقتلوه، و فی بعض الرّوایات فمن دعاکم

إلى مثلها فاقتلوه، و قد رواه الشّارح المعتزلى فى شرح الخطبه السّادسه و العشرين بعدّه طرق و أطنب الكلام فى بيان معنى الفلته و لا حاجه بنا إلى إيراد ما أورده.

و مقصود أمير المؤمنين عليه السّلام أنّ بيعتكم إيّاى لم تكن بغته و من غير تدبّر و رويّه و إنّما كانت عن تدبّر و اجتماع رأى منكم فليس لأحدكم بعدها أن ينكث و يندم (و ليس أمرى و أمركم واحدا) إشاره إلى اختلاف مقاصده و مقاصدهم و تفريق بينهما، و جهه التّفريق ما أشار إليها بقوله:(إنّى اريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم) يعنى إنّما اريدكم لاقامه أمر اللّه و إعلاء كلمه اللّه و تأسيس أساس الدّين و انتظام قوانين الشّرع المبين و أنتم تريدوننى لحظوظ أنفسكم من العطاء و التقريب و ساير المنافع الدّنيويه.

(أيّها النّاس أعينونى على أنفسكم) لمّا كان وظيفته الدّعوه إلى اللّه و الدلاله إلى سبيل اللّه و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر جعل طاعتهم له و امتثالهم لأوامره و انتهائهم عن المنكرات إعانه منهم له لحصول غرضه و فراغه عن تعب الطلب.

ثمّ أشار إلى قيامه بوظائف العدل فقال (و أيم اللّه لأنصفنّ المظلوم) أى أحكم فى ظلامته بالعدل و الانصاف و آخذ حقّه (من ظالمهو لأقودّن الظّالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها)جعل الظالم بمنزله الابل الصّعب التى لا تنقاد إلاّ بالخزامه على سبيل الاستعاره بالكنايه و ذكر الخزامه تخييل و القود ترشيح. أى لأذللنّ الظالم و أقودنّه بالمقود حتّى يخرج من حقّ المظلوم و يردّ عليه مظلمتهو ان كان كارهاله

تكمله

هذا الكلام رواه المفيد فى الارشاد قال: و من كلامه عليه السّلام حين تخلّف عن بيعته عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب و سعد بن أبى وقاص و محمّد بن مسلمه و حسّان بن ثابت و اسامه بن زيد ما رواه الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من سمّيناه أمير المؤمنين عليه السّلام و توقّفوا عن بيعته حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس إنكم بايعتمونى على ما بويع عليه من كان قبلى و إنما الخيار للنّاس قبل أن يبايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم، و إنّ على الامام الاستقامه و على الرّعيّه التسليم، و هذه بيعه عامّه من رغب عنها رغب عن دين الاسلام و اتّبع غير سبيل أهله، و لم تكن بيعتكم إيّاى فلته و ليس أمرى و أمركم واحدا، و انّى اريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم و أيم اللّه لأنصحنّ للخصم و لأنصفنّ للمظلوم، و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمه و اسامه و عبد اللّه و حسّان بن ثابت امور كرهتها و الحقّ بينى و بينهم.

الترجمه

از جملۀ كلام آن امام انام است كه فرموده: نبود بيعت شما با من چيزى كه بدون تروى و تدبّر واقع شده باشد، و نيست كار من و كار شما يكى، بدرستى من مى خواهم شما را از براى خدا، و شما مى خواهيد مرا از براى حظهاى نفوس خودتان أى مردمان إعانت نمائيد مرا بر قهر و غلبۀ نفسهاى خود، و قسم بذات پاک خداوند هر آينه البته حكم انصاف ميكنم در حقّ مظلوم از ظالم او، و هر آينه البته مى كشم ظالم را بحلقۀ بينى او تا اين كه وارد نمايم او را بآبش خور حق و اگر چه باشد آن ظالم كراهت دارنده.

و من كلام له عليه السّلام فيمعنى طلحه و الزبير و هو المأه

اشاره

و السابع و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

و الأشبه انّه ملتقط من خطبه طويله قدّمنا روايتها فى شرح الخطبه الثانيه و العشرين بطرق عديده فليتذكّر و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا، و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه، و دما هم سفكوه، فإن كنت شريكهم

ص:۳۳۳

فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، و إن كانوا ولّوه دونى فما الطّلبه إلاّ قبلهم و إنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم، و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست و لا لبّس علىّ و إنّها للفئه الباغيه فيها الحمأ و الحمه و الشّبهه المغدفه، و إنّ الأمر لواضح، و قد راح الباطل عن نصابه، و انقطع لسانه عن شغبه، و أيم اللّه لافرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه، لا يصدرون عنه برىّ، و لا يعبّون بعده فى حسى. منها:

فأقبلتم إلىّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعه البيعه، قبضت كفّى فبسطتموها، و نازعتكم يدى فجاذبتموها، أللّهمّ إنّهما قطعانى، و ظلمانى، و نكثا بيعتى، و ألبّا النّاس علىّ فاحلل ما عقدا، و لا تحكم لهما ما أبرما، و أرهما المسائه فيما أمّلا و عملا، و لقد استثبتهما قبل القتال، و استأنيت بهما قبل الوقاع، فغمطا النّعمه، و ردّا العافيه.

اللغه

(النّصف) محرّكه اسم من الانصاف و هو العدل و (الطّلبه) بكسر اللاّم المطلوب و (لبّست) بالبناء للفاعل و (لبّس) بالبناء للمفعول، قال الشّارح المعتزلى، و لبّست على فلان الأمر و لبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف و لكنّ

ص:٣٣٤

الموجود فی ما رأیته من النسخ بالتشدید قال الفیروزآبادی: لبس علیه الأمر یلبسه خلطه و ألبسه غطّاه، و أمر ملبس و ملتبس بالأمر مشتبه التّلبیس و التّخلیط و التدلیس، و قال بعض الشّارحین: التّشدید للتکثیر.

و (الحماء) بالتّحریک کالحماه بالتاء الأسود المنتن، قال سبحانه: من صلصال من حماء مسنون، و یروی حما مقصوره، و (الحمه) بضمّ الحاء و فتح المیم و تخفیفها العقرب و کلّشیء یلسع أو یلدغ و (المغدفه) بفتح الدّال الخفیفه من اغدفت المرأه قناعها أرسلته علی وجهها، و عن بعض النّسخ بکسر الدال من أغدف اللّیل إذا أظلم و (النّصاب) الأصل و المرجع.

(و الشّغب) بسکون الغین المعجمه تهییج الشرّ من شغب الحقد شغبا من باب منع و فی لغه ضعیفه بالتحریک و ماضیها شغب بالکسر کفرح و (افرطنّ) بضم الهمزه من باب الافعال من أفرطت المزاده أی ملاتها، و یروی بفتح الهمزه و ضمّ الرّاء من فرط زید القوم أی سبقهم فهو فرط بالتحریک و (الماتح) المستقی من فوق و (العبّ) شرب الماء من غیر مصّ أو تتابع الجرع.

(الحسی) فی النّسخ بکسر الحاء و سکون السّین قال الشّارح المعتزلی:

ماء کامن فی رمل یحفر عنه فلیستخرج و جمعه أحساء و فی القاموس الحسی کالی سهل من الأرض یستنقع فیه الماء أو غلظ فوقه رمل یجمع ماء المطر و کلّما نزحت دلوا جمت اخری جمعه احساء و حساء و (العوذ) بالضمّ الحدیثات النتّاج من النوق و الظباء و کلّ انثی کالعوذ ان جمعا عائذ کحائل و حول و راع و رعیان و (المطافیل) کالمطافل جمع المطفل و زان محسن ذات الطّفل من الانس و الوحش و (التّألیب) النحریض و الافساد و (أحکم) الشیء أتقنه و (أبرم) الحبل جعله طاقین ثمّ فتله و أبرم الأمر أحکمه.

و (استتبتهما) فی بعض النّسخ بالثاء المثلّثه من ثاب یثوب أی رجع و منه المثابه للمنزل، لأنّ النّاس یرجعون إلیه فی أسفارهم و فی بعضها استتبتهما بالتاء المثناه من تاب یتوب أی طلبت منهما أن یتوبا و (استأنیت) من الاناه و استانی

بفلان انتظر به و (غمط) فلان بالنّعمه إذا لم يشكرها و حقّرها من باب ضرب و سمع

الاعراب

قال الشّارح المعتزلی: نصفا علی حذف المضاف أی ذا نصف أی حکما منصفا عادلا یحکم بینی و بینهم.

أقول: و الأولی أن یقدّر المضاف المحذوف لفظ الحکم أی حکم نصف و عدل إذ علی ما ذکره الشّارح یحتاج إلی حذف موصوف ذا و هو تکلف مستغنی عنه فتأمل و عن فی قوله: عن نصابه، إمّا بمعناها الأصلیّ أو بمعنی بعد کما فی قوله تعالی: عمّا قلیل لتصبحنّ نادمین، و قوله: و لأفرطنّ لهم حوضا، قد مضی اعرابه فی شرح الخطبه العاشره، و جمله أنا ماتحه، فی محلّ النّصب صفه لحوضا، و جمله لا یصدرون عنه حال من الضمیر فی ماتحه، و البیعه البیعه، منصوبان علی الاغراء

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام له علیه السّلام کما نبّه علیه السیّد (ره) وارد فیمعنی طلحه و الزّبیر أی القصد فیه متوجّه إلیهما و الغرض منه تقریعهما و توبیخهما و توبیخ سائر أصحاب الجمل و ابطال ما نقموه علیه و ردّ ما تشبّثوا به فی خروجهم عن ربقه طاعته.

و أشار علیه السّلام إلی وجه البطلان بقوله (و اللّه ما أنکروا علیّ منکرا) قبیحا یعنی أنّ ما زعموه منکرا من قتل عثمان و التّسویه فی العطاء فلیس هو بمنکر فی الواقع حتّی یرد علیّ إنکارهم، و إنّما حملهم علی الانکار الحسد و حبّ الاستیثار بالدّنیا و التفضیل فی العطاء (و لا جعلوا بینی و بینهم نصفا) أی حکما عدلا (و انهم لیطلبون حقّا هم ترکوه) قال الشّارح المعتزلی: أی یظهرون أنّهم یطلبون حقّا بخروجهم إلی البصره و قد ترکوا الحقّ بالمدینه، و قیل: المراد بالحقّ نصره عثمان و إعانته

أقول: و الظاهر أنه أراد بالحقّ حقّ القصاص، يعنى أنّهم يطلبون حقّ القود من قاتلى عثمان و لكنّهم هم الذين تركوه حيث أمسكوا النكير على قاتليه، فتقديم المسند إليه للتّخصيص ردّا عليهم إلى زعمهم انفراد أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه بترك الحقّ.

و مثله قوله (و دما هم سفكوه) أى لا غيرهم و أراد به دم عثمان، و يدلّ على سفكهم دمه و كونهم أشدّ النّاس تحريضا عليه ما قدّمناه فى شرح الخطبه الثانيه و العشرين و الكلام الثلاثين.

و يدلّ عليه أيضا ما رواه فى شرح المعتزلى و غيره أنّ عثمان قال: ويلى على ابن الخضرميّه، يعنى طلحه أعطينه كذا و كذا ذهبا و هو يروم دمى يحرض على نفسى اللّهم لا تمتّعه به.

قال الشّارح و روى النّاس الذين صنفوا فى واقعه الدّار أنّ طلحه كان يوم قتل عثمان مقنّعا بثوب قد استتر به عن أعين النّاس يرمى الدّار(۱) السّهام، و أنّه لمّا امتنع على الّذين حصروه الدّخول من باب الدّار حملهم طلحه إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

و رووا أيضا أنّ الزّبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم، فقالوا: إنّ ابنك يحامى عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدء بابنى إنّ عثمان لجيفه على الصّراط غدا، و قال مروان بن الحكم يوم الجمل: و اللّه لا أترك ثارى و أنا أراه و لأقتلنّ طلحه بعثمان فانّه قتله ثمّ رماه بسهم فأصاب مأبضه(۲) فنزف الدّم(۳) حتّى مات.

فقد ظهر من ذلك أنّه لا ريب فى إغرائهم و تحريضهم و دخولهم فى دم عثمان فلا يجوز لهم المطالبه بدمه منه، لأنّ دخولهم فيه إمّا أن يكون بالاشتراك، أو

ص:۳۳۷

۱- (۱) أى دار عثمان التى حصروه فيه، منه.

۲- (۲) المأبض كمجلس باطن الركبه و من البعير باطن المرفق، ق

۳- (۳) نزف فلان دمه اذا سال حتى يفرط، لغه

يكون بالاستقلال، و على التّقديرين فيبطل المطالبه.

أمّا على التّقدير الأول فلما أشار إليه بقوله (فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه) و ليس لأحد الشّريكين أن يطالب الشّريك الآخر بل اللاّزم له أن يبدء بنفسه و يسلّمها إلى أولياء المقتول ثمّ بالشريك الآخر.

و أمّا على التّقدير الثّانى فلما أشار إليه بقوله (و إن كانوا و لوّه) و باشروه (دونى فما الطّلبه) أى المطلوب (إلاّ قبلهم) فاللاّزم عليهم أن يخصّوا أنفسهم بالمطالبه وحدهم (و إنّ أوّل عدلهم) الّذى جعلوه عذرا فى نقض البيعه و الخروج إلى البصره حيث قالوا إنّما خرجنا للأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامه العدل و إماته الباطل و إحياء الحقّ (للحكم على أنفسهم) و الانكار للمنكر الذى أتوا به و اقتصاص الدّم الذى هجموا عليه قبل الانكار، و الحكم على غيرهم لأنّ النّهى عن المنكر إنّما هو بعد التّناهى (و انّ معى لبصيرتى) و عقلى (ما لبّست و لا لبّس علىّ) و قد مضى معنى هذه الفقره فى شرح الخطبه العاشره.

و يحتمل احتمالا قويّا أن يكون المراد أنّه ما لبّست على نفسى و لا على النّاس أمرى و أمورهم و لم يلبس أيضا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأمر علىّ بل ما أقدم عليه فى أمرى و أمر النّاس و ما أخبرنى به النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله هو الحقّ و بالاتباع أحقّ، و فى هذا الكلام تعريض عليهم بأنّهم غابت عنهم عقولهم و تاهت حلومهم، و أنّ ما أقدموا عليه أمر ملتبس، و أنّ خروجهم إنّما هو بهوى النّفس و النّاس مدلّسون ملبّسونثمّ قال:(و إنّها للفئه الباغيه) يعنى أنّ هذه الفئه للفئه الّتى أخبرنى رسول اللّه ببغيها و خروجها علىّ حيث قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تذهب اللّيالى و الأيام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوأب امرأه من نسائى فى فئه باغيه، على ما تقدّم فى روايه الاحتجاج فى التّنبيه الثانى من شرح الكلام الثّالث عشر، و قد قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: له عليه السّلام غير مرّه أنّك ستقاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين، أو ما هذا معناه.

و تقدّم فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الثّالثه فى روايه غايه المرام

ص:٣٣٨

أنّ امّ سلمه قالت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا رسول اللّه من النّاكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينه و ينكثون بالبصره، و لسبق عهد هذه الفئه أتى بها معرّفه بلام العهد.

و قوله:(فيها الحماء و الحمه)قال الشارح البحرانى: استعاره للغلّ و الفساد الذى كان فى صدور هذه الفئه، و وجه الاستعاره استلزامه لتكدير الاسلام و إثاره الفتنه بين المسلمين كما تكدّر الحماه الماء و تخبثه و استلزامه للأذى و القتل كما يستلزم ذلك سمّ العقرب.

و قال الشّارح المعتزلى: أى فى هذه الفئه الفساد و الضّلال و الضّرر، و إذا أرادت العرب أن تعبّر عن الضّلال و الفساد قالت الحماء مثل الحماه بالتاء و يروى فيها الحما بألف مقصوره و هو كنايه عن الزّبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرّجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا و أقفاء، و ما كان بسبب المرأه فهم الأحمات، و قد كان الزّبير من عمّه رسول اللّه و قد كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله أعلم عليّا بأنّ فئه من المسلمين تبغى عليه أيّام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه فكنّى علىّ عليه السّلام عن الزّوجه بالحمه، و هى سمّ العقرب و ظهر أنّ الحماء الذى أخبر النّبى صلّى اللّه عليه و آله بخروجه مع هؤلاء البغاه هو الزّبير ابن عمّته.

أقول: و هذا ألطف ممّا ذكره البحرانى، و يؤيد ما قاله من أنّه كنّى عن الزّوجه بالحمه ما يرويه السيّد (ره) عنه فى أواخر الكتاب من قوله: المرأه عقرب حلوه اللّبسه، أى حلوه اللّسعه.

و قوله:(و الشبهه المغدفه) أى الشّبهه الخفيه المستوره التى لبّسوا بها على أكثر النّاس من طلب دم عثمان و من روى بكسر الدّال فالمراد الشّبهه المظلمه اى الموقعه فى ظلمه الجهاله التى لم يهتد فيها أكثر الخلق حتّى قتلوا بسببها كما لا يهتدى فى ظلمه اللّيل.

ثمّ قال (و انّ الأمر لواضح) أى عند ذوى العقول لعلمهم بأنّى على الحقّ و أنّ الباغين علىّ على الباطل و أنّ خروجهم بعد بيعتهم إنّما هو لمحض الغلّ

و الحسد و الاستيثار بالدّنيا عن اتّباع الهوى (و قد راح) أى تنحّى و بعد (الباطل) أى باطلهم (عن نصابه) و أصله يعنى ما أتوا به من الباطل لا أصل له(و انقطع لسانه عن شغبه)استعاره بالكنايه حيث شبّه الباطل بحيوان ذى لسان فأثبت له اللّسان تخييلا و ذكر الشّغب ترشيح.

و محصّل المراد أنّه بعد وضوح الأمر فىّ و فى أنّى على الحقّ لم يبق للباطل أصل و قد خرس و اعتقل لسانه عن تهيّج شرّه، و يحتمل أن يكون المرد بالباطل الباطل الّذى كان له رواج فى زمن المتخلّفين الثلاثه، أى قد زال الباطل بعد موتهم و بيعه النّاس إلىّ عن أصله و تزعزعت أركانه و انهدم بنيانه و انقطع لسانه بعد ما هيّج شرّه فلا اعتداد بنكث هؤلاء القوم و بغى هذه الباغيه.

ثمّ هدّدهم بقوله (و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه) و قد سبق شرح هذه الفقره فى شرح الخطبه العاشره و قوله (لا يصدرون عنه بريّ) يعنى أنّ هذا الحوض ليس كسائر الحياض الحقيقيه التى يردها الظّمان فيصدر عنها بريّ و يروى غلّته، بل الواردون إليه أن لا يعود (و لا يعبّون بعده فى حسى) أى لا يشربون بعده بارد الماء ابدا لهلاكهم و غرقهم فى ذلك الحوض.

و قال السيد (ره) (منها) هكذا فى أكثر ما عندنا من النّسخ، و الأولى منه بدله كما فى بعضها و لعلّ الأوّل من تحريف النّساخ لأنّ العنوان بقوله:

و من كلام، فلا وجه لتأنيث الضّمير الرّاجع إليه و الغرض بهذا الفصل تأكيد الاحتجاج على الفئه الباغيه بنحو آخر و هو قوله: (فأقبلتم إلىّ)للبيعه مزدحمين منثالين(إقبال العوذ المطافيل)أى الوالدات الحديثات النتاج و ذات الطّفل على أولادها و تشبيهه إقبالهم باقبالها لأنّها أكثر إقبالا و أشدّ عطفا و حنّه على أولادها.

(تقولون البيعه البيعه) أى هلمّ البيعه أقبل إليها و فائده التكرار شدّه حرصهم إليها و فرط رغبتهم فيها (قبضت كفّى) و امتنعت (فبسطتموهاو نازعتكم يدى)من التّوسع فى الاسناد أى نازعتكم بيدى و تمنّعت (فجاذبتموها) فبايعتم عن جدّ و طوع منكم و كره و زهد منّى

ص:۳۴۰

ثمّ شكا إلى اللّه سبحانه من طلحه و الزّبير بقوله (اللّهمّ إنّهما قطعانى) أى قطعا رحمى لأنّهما كانت لهما رحم ماسه به عليه السّلام لكونهم جميعا من قريش مضافا إلى ما للزّبير من القرابه القريبه فانّه كان ابن عمّه أمير المؤمنين و امّه صفيه بنت عبد المطّلب عليه السّلام (و ظلمانى) فى خروجهما إلىّ و مطالبه ما ليس لهما بحقّ (و نكثا بيعتى) و نقضاها (و ألبّا النّاس) و أفسداهم (علىّ).

ثمّ دعا عليهما بقوله (فاحلل ما عقدا) من العزوم الفاسده الّتى أضمراها فى نفوسهم (و لا تحكم لهما ما أبرما) أى لا تجعل ما أبرماه و أحكماه فى أمر الحرب محكما مبرما (و أرهما المسائه فيما أمّلا و عملا) أى أرهما المسائه فى الدّنيا و الآخره و لا تنلهما آمالهما و اجزهما السّوءى بأعمالهما و أفعالهما.

ثمّ اعتذر من قتاله معهما بانّه انّما قام بالقتال بعد اكمال النّصح و الموعظه و اتمام الحجّه قاصرا على البغى فيكون اللاّئمه فى ذلك راجعه اليهما لا- إليه و الذّنب عليهما لا عليه و هو معنى قوله (و لقد استتبتهما قبل القتال) أى طلبت منهما أن يرجعا عن البغى أو يتوبا عن ذنبهما استعطافا لهما (و استأنيت بهما قبل الوقاع) أى تأنّيت و تثبّت بهما قبل وقاع الحرب لعلّهما يرجعا إلى الحقّ (ف) لم يقبلا نصحى و لم يسمعا قولى بل أصرّا على البغى و المخالفه و (غمطا النّعمه) اى استحقرا ما أنعم اللّه عليهما و هو قسمتهما من بيت المال و طلبا الزّياده و التّوفير (و ردّا العافيه) أى السّلامه فى الدّنيا و الدّين فكان عاقبتهما أنّهما فى النّار خالدين.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله عليه السّلام: اللّهم إنّهما قطعانى إلى قوله و عملا- امّا و صفهما بما وصف به من القطع و الظلم و النّكث و التأليب فقد صدق عليه السّلام فيه، و أمّا دعاؤه فاستجيبت له و المسائه التى دعا بهما مسائه الدّنيا لا مسائه الآخره، فانّ اللّه قد وعدهما على لسان رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالجنّه و إنّما استوجبا بالتوبه التى ينقلها أصحابنا عنهما فى كتبهم و لولاها لكانا من الهالكين.

أقول: ظاهر قول الامام علیه السّلام و أرهما المسائه هو الاطلاق و تقییدها بمسائه الدنیا لا دلیل علیه، و أمّا وعد اللّه لهما بالجنّه فغیر ثابت و مدّعیه کاذب لأنّ المدّعی إنّما استند فیه إلی حدیث العشره الذی قدّمنا فی التذییل الثّانی من شرح الکلام الثالث و الأربعین ضعفه و بطلانه و أنّه ممّا تفرّد المخالفون بروایته.

و نزید علی ما قدّمنا ما قاله الشّیخ (ره) فی محکیّ کلامه من تلخیص الشافی عند الکلام علی بطلان هذا الخبر إنّه لا یجوز أن یعلم اللّه مکلّفا لیس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنّه، لأنّ ذلک یغریه بالقبیح و لیس یمکن أحدا ادّعاء عصمه التّسعه و لو لم یکن إلّا ما وقع من طلحه و الزّبیر من الکبیره لکفی، و قد ذکرنا أنّ هذا الخبر لو کان صحیحا لاحتجّ به أبو بکر لنفسه و احتجّ به له فی السقیفه و غیرها، و کذلک عمر و عثمان.

و ممّا یبیّن أیضا بطلانه إمساک طلحه و الزبیر عن الاحتجاج به لما دعوا النّاس إلی نصرتهما و استنفارهم إلی الحرب معهما، و أیّ فضیله أعظم و أفخم من الشّهاده لهما بالجنّه، و کیف یعدلان مع العلم و الحاجه عن ذکره إلّا لأنّه باطل، و یمکن أن یسلّم مسلّم هذا الخبر و یحمله علی الاستحقاق فی الحال لا العاقبه فکانّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أراد أنّهم یدخلون الجنّه إن وافوا بما هم علیه، و یکون الفائده فی الخبر إعلامنا بأنّهم یستحقّون الثواب فی هذا الحال، هذا.

و أمّا قول الشّارح إنّهما استوجبا الجنّه بالتّوبه الّتی ینقلها أصحابنا عنهما ففیه إنّا قدّمنا فی شرح الکلام الثامن بطلان توبه الزّبیر، و فی شرح الکلام الثانی عشر بطلان توبه طلحه، و أقول هنا: قال الشّیخ (ره) فی محکیّ کلامه من تلخیص الشافی بعد کلام طویل له علی بطلان توبتهما ترکناه حذرا من الاطاله و الاطناب ما لفظه:

و روی الشّعبی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال: ألا إنّ أئمه الکفر فی الاسلام خمسه: طلحه، و الزّبیر، و معاویه، و عمرو بن العاص، و أبو موسی الأشعری، و قد روی مثل ذلک عن عبد اللّه بن مسعود.

و روى نوح بن درّاج عن محمّد بن مسلم عن حبّه العرنى قال: سمعت عليّا عليه السّلام حين برز أهل الجمل يقول: و اللّه لقد علمت صاحبه الهودج أنّ أهل الجمل ملعونون على لسان النّبى الامّى و قد خاب من افترى، و قد روى هذا المعنى بهذا اللّفظه أو بقريب منه من طرق مختلفه.

و روى البلادرى فى تاريخه باسناده عن جويريه بن أسماء أنّه قال: بلغنى أنّ الزبير حين ولى و لم يكن بسط يده بسيفه اعترضه عمّار بن ياسر بالرّمح و قال أين يا أبا عبد اللّه و أنت ما كنت بجبان و لكنى احسبك شككت؟ قال: و هو ذاك و مضى حتّى نزل بوادى السّباع فقتله ابن جرموز، و اعترافه بالشكّ يدلّ على خلاف التوبه لأنّه لو كان تائبا لقال له فى الجواب ما شككت بل تحقّقت انّك و صاحبك إلى الحقّ و أنا على الباطل و قد ندمت على ما كان منّى و أىّ توبه لشاكّ غير متحقّق.

فهذه الأخبار و ما شاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبه، و إذا تعارضت الأخبار فى التوبه و الاصرار سقط الجميع و تمسكنا بما كنّا عليه من أحكام فسقهم و عظيم ذنبهم، و ليس لهم أن يقولوا إنّ كلّ ما رويتموه من طريق الآحاد و ذلك إنّ جميع أخبارهم بهذه المثابه، و كثير ممّا رويناه أظهر ممّا رووه و أفشى و إن كان من طريق الآحاد فالأمر ان سيّان.

و أمّا توبه طلحه فالأمر فيها أضيق على المخالف من توبه الزّبير، لأنّ طلحه قتل بين الصّفين مباشرا للحرب مجتهدا فيها و لم يرجع عنها حتّى أصابه السّهم فأتى على نفسه، و ادّعاء توبه مثل هذا مكابره، و ليس لأحد أن يقول إنّه قال بعد ما أصابه السهم:

ندمت ندامه الكسعى لمّا رأت عيناه ما صنعت يداه

لأنّ هذا بعيد عن الصّواب و البيت المروىّ بأن يدلّ على خلاف التّوبه أولى لأنّه جعل ندامته ندامه الكسعى و خبر الكسعى معروف لأنّه ندم بحيث لا ينفعه النّدم و حيث فاته الأمر و خرج عن يده، و لو كان ندم طلحه واقعا على وجه التوبه

الصحيحه لم يكن مثل ندامه الكسعى، بل كان شبيها لندامه من تلافى ما فرط فيه على وجه ينتفع به.

و روى حسين الأشفر عن يوسف البزاز عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال أمير المؤمنين عليه السّلام لطلحه و هو صريع فقال: اقعدوه، فأقعد، فقال عليه السّلام: قد كان لك سابقه لكن دخل الشّيطان فى منخريك فأدخلك النّار، انتهى كلامه رفع مقامه و قد ظهر بذلك بطلان توبتهما كما توهّمه الشّارح المعتزلى وفاقا لأصحابه المعتزله و تبيّن أنّهما فى النار خالدين ببغيهم على الامام المبين، هذا.

و ندامه الكسعى يضرب بها المثل فيقال: أندم من الكسعى، و هو محارب بن قيس من بنى كسع حىّ من اليمن كان يرعى إبلا بواد معشب فرأى نبقه على صخره فأعجبته فقطعها و اتّخذ منها قوسا، فمرّت به قطعان من حمر الوحش ليلا فرمى عشرا فأنفذها و أخرج السّهم فأصاب الجبل فارى نارا فظنّ أنّه أخطا، ثمّ مرّ قطيع آخر فرماه كالأوّل و فعل ذلك مرارا فعمد إلى قوسه فكسره من حنقه، فلما أصبح و أى الحمر قتلن مضرّجه بالدّم فندم و عضّ إبهامه فقطعها

الترجمه

از جمله كلام آن امام أنام است عليه الصّلاه و السّلام در معنى و مقصودى كه متعلّق است بطلحه و زبير و وارد است در مذمت و توبيخ ايشان و ابطال دعويشان در مطالبه خون عثمان مى فرمايد:

قسم بخدا انكار نكردند بر من فعل منكر قبيح را، و قرار ندادند در ميان من و ميان خودشان حكم عدلى را، و بدرستى كه ايشان طلب ميكنند حقّى را كه خود آنها ترک كرده اند، و خونى را كه خود آنها ريخته اند آنرا، پس اگر باشم من شريک ايشان در آن خون پس بدرستى كه مر ايشان راست نصيبشان از آن خون، و اگر مباشر شدند آنرا بدون من پس نيست مطلوب ايشان مگر پيش خودشان، و بدرستى كه اول عدالت ايشان حكم كردن است بر خودشان، و بدرستى كه با من است بصيرت

من تلبیس نکرده ام و تلبیس کرده نشده بر من، و بدرستی که این جماعت همان جماعت طاغیهٔ باغیه است که پیغمبر خدا صلّی اللّه علیه و آله خبر داده بود، در این جماعت است گل سیاه متغیر و زهر عقرب و شبهٔ صاحب ظلمت، و بدرستی که امر در این شبهه واضح است، و بتحقیق که کنار شده است باطل از أصل خود، و بریده شده زبان آن از برانگیختن شر و فساد خود، و سوگند بخدا هر آینه پر می سازم بجهت ایشان حوض جنگیرا که منم کشندهٔ آب آن در حالتی که بر نگردند از آن حوض سیراب و نیاشامند بعد از آن آب خوشگوار.

بعضی از این کلام در ردّ ایشانست بطرز آخر که می فرماید:

پس اقبال کردید بطرف من مثل اقبال شتران نوزایندگان صاحبان طفل بر اولاد خود در حالتی که می گفتید بیا ببیعت اقبال کن ببیعت، بهم گرفتم و قبض نمودم کف خود را پس بسط کردید شما آنرا، و منازعه کرد با شما دست من پس کشیدید دست مرا، پروردگارا بدرستی که طلحه و زبیر قطع رحم کردند از من و ظلم کردند بر من و شکستند بیعت مرا و تحریص و تحریک کردند خلق را بر محاربهٔ من، پس بگشای آنچه که بسته اند آن را از عزمهای فاسده، و محکم نساز از برای ایشان آنچه که استوار کرده اند آن را از رأیهای باطله، و بنمای بایشان پریشانی را در آنچه که امید دارند و در آنچه که عمل می آرند، و بتحقیق که طلب کردم از ایشان باز گشتن ایشان را از بغی و ظلم پیش از مقاتله، و منتظر شدم و توقّف نمودن بایشان پیش از محاربه، پس حقیر شمردند نعمت را و کفران نمودند و رد کردند سلامتی را و خود را بورطهٔ هلاکت أفکندند.

و من خطبه له علیه السّلام فی ذکر الملاحم و هی المأه و الثامنه

اشاره

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین: الفصل الاول

اشاره

یعطف الهوی علی الهدی إذا عطفوا الهدی علی الهوی، و یعطف الرّأی علی القرآن إذا عطفوا القرآن علی الرّأی. منها:

حتّی تقوم الحرب بکم علی ساق بادیا نواجذها، مملوّه أخلافها، حلوا رضاعها، علقما عاقبتها، ألا و فی غد و سیأتی غد بما لا تعرفون، یأخذ الوالی من غیرها عمّالها علی مساوی أعمالها، و تخرج له الأرض أفالیذ کبدها، و تلقی إلیه سلما مقالیدها، فیریکم کیف عدل السّیره، و یحیی میّت الکتاب و السّنّه.

اللغه

(السّاق) ما بین الرکبه و القدم و الجمع سوق قال سبحانه: فطفق مسحا بالسّوق و الأعناق، و السّاق أیضا الشدّه و منه قوله تعالی: و یوم یکشف عن ساق، أی عن شدّه، قال الفیروزآبادی: و التفت السّاق بالسّاق آخر شدّه الدّنیا بأوّل شدّه الآخره و (النّواجذ) أقصی الأضراس و (الأخلاف) جمع الخلف بالکسر

ص:۳۴۶

کحمل و أحمال و هو من ذوات الخف و الظّلف کالثدی للانسان و (العلقم) الحفظل و قیل قثاء الحمار و یقال لکلّ شیء مرّ.

و (الأفالیذ) جمع أفلاذ و أفلاذ جمع فلذ و هی القطعه من الکبد، هکذا فی شرح المعتزلی، و فی المصباح للفیومی: الفلذه القطعه من الشیء و الجمع فلذ کسدره و سدر، و قال الفیروزآبادی: الفلذ بالکسر کبد البعیر و بهاء القطعه من الکبد و من الذّهب و الفضّه و اللّحم و الأفلاذ جمعها کالفلذ کعنب و من الأرض کنوزها و (الکبد) بفتح الکاف و کسرها و ککتف معروف و (المقالید) المفاتیح

الاعراب

إذا ظرف للزّمان المستقبل و النّاصب فیها شرطها علی مذهب المحقّقین فتکون بمنزله متی و حیثما و ایّان و جزائها علی قول الأکثرین کما عزاه إلیهم ابن هشام و الأظهر هنا أن یکون ناصبها یعطف لحقّ التّقدم و لما حقّقه نجم الأئمه حیث قال: العامل فی متی و کلّ ظرف فیه معنی الشّرط شرطه علی ما قال الأکثرون و لا یجوز أن یکون جزاؤه علی ما قال بعضهم کما لا یجوز فی غیر الظّروف أ لا تری انک لا تقول أیّهم جاءک فاضرب، بنصب أیّهم، و أمّا العامل فی اذا فالأکثرون علی أنّه جزاءه، و قال بعضهم: هو الشّرط کما فی متی و اخواتها، و الأولی أن نفصّل و نقول: إن تضمّن إذا معنی الشّرط فحکمه حکم اخواته فی متی و نحوها و إن لم یتضمّن نحو إذا غربت الشّمس جئتک بمعنی أجیئک وقت غروب الشّمس فالعامل هو الفعل الذی فی محلّ الجزاء و ان لم یکن جزاء فی الحقیقه دون الذی فی محلّ الشّرط و هو مخصّص للظّروف انتهی.

و من المعلوم أنّ إذا فی هذا المقام من قبیل إذا فی قوله: إذا غربت الشّمس جئتک، و لیس فیها معنی الشّرط، و الباء فی قوله: حتّی تقوم الحرب بکم بمعنی فی بدلیل قوله تعالی لا تقم فیه أبدا لمسجد اسّس علی التّقوی من أوّل یوم أحقّ أن تقوم فیه، فتکون للظرفیّه المجازیّه.

ص:۳۴۷

و باديا و مملوّه و حلوا و علقما منصوبات على الحال و العامل تقوم، و المرفوعات بعدها فواعل و رفع علقما لما بعده مع كونه اسما جامدا لأنّه بمعنى المشتق، أى مريره عاقبتها.

و قوله: فى غد متعلّق بقوله يأخذ، و تقدّمه للتوسّع، و جمله و سيأتى غد بما لا تعرفون معترضه بين الظروف و المظروف، و سلما منصوب على الحال من فاعل تلقى و لا بأس بجموده لعدم شرطيّه الاشتقاق فى الحال أو لتأويله بالمشتق أى تلقى مستسلما منقادا كما فى قوله اجتهد و حدك أى متوحّدا، و قوله فيريكم كيف عدل السّيره، الفاء فصيحه و كيف خبر مقدّم و هو ظرف عند سيبويه و موضعها نصب و ما بعدها مبتدأ و الجمله فى محلّ النّصب مفعول ثان ليريكم، و علق عنها العامل لأجل الاستفهام، و المعنى يريكم عدل السّيره على أى نحو.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه حسبما ذكره السّيد (ره) وارده فى ذكر الملاحم أى الوقايع العظيمه المتضمّنه للقتل و الاستيصال، و اتّفق الشراح على أنّ هذا الفصل منها اشاره إلى ظهور القائم المنتظر عجّل اللّه فرجه و سهل اللّه مخرجه و جعلنا اللّه فداه و منحنا اتّباع آثاره و هداه.

فقوله (يعطف الهوى على الهدى) يريد به أنه عليه السّلام إذا ظهر يردّ النفوس الهائره عن سبيل اللّه التابعه لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسده و مذاهبها المختلفه إلى سلوك النّهج القويم و الصّراط المستقيم، فتهدى الامم بظهوره و تسفر الظّلم بنوره و ذلك (إذا عطفوا الهدى على الهوى) أى إذا ارتدّت تلك النّفوس عن اتّباع أنوار هدى اللّه تعالى فى سبيله الواضح إلى اتّباع أهوائها فيجدّد الشّريعه المحمّديّه بعد اندحاضها، و يبرم عقدها بعد انتقاضها، و يعيدها بعد ذهابها و انقراضها.

(و يعطف الرّأى على القرآن) أى يردّ الآراء الفاسده المخالفه للقرآن

ص:۳۴۸

علیه و یأمر بالرّجوع إلیه، و یأخذ ما وافق الکتاب و طرح ما خالفه فی کلّ باب و ذلک (إذا عطفوا القرآن علی الرّأی) و تأوّلوه علی ما یطابق مذاهبهم المختلفه و آرائهم المتشتّته فانّ فرق الاسلام من المرجیه و المشبّهه و الکرامیّه و القدریه و المعتزله و غیرها قد تمسّک کلّ علی مذهبه الفاسد و استشهد علی رأیه الکاسد بآیات الکتاب و زعم أنّ ما رآه و دان به إنّما هو الحقّ و الصّواب مع أن کلاّ منهم قد حاد عن سوی الصّراط، و اعتسف فی طرفی التّفریط و الافراط، لعدو لهم عن قیّم القرآن، و استغنائهم عن خلیفه الرّحمن، و ترکهم السؤال عن أهل الذّکر و الرجوع إلی ولیّ الأمر، و إنّما یعرف القرآن من خوطب به و من نزل ببیته، و هم أهل بیت النّبوّه و معدن الوحی و الرّساله، فمن رجع فی تفسیره إلیهم کالشّیعه الامامیّه فقد اهتدی، و من استغنی برأیه عنهم فقد ضلّ و غوی، و من فسّره برأیه فلیتبوّء مقعده النار، و لیتهیأ غضب الجبار.

و الفصل الثّانی منها اشاره إلی الفتن التی تظهر عند ظهور القائم علیه السّلام و هو قوله علیه السّلام(حتّی تقوم الحرب بکم علی ساق)أراد به اشتدادها و التحامها، قال الشّارح البحرانی و العلاّمه المجلسی: و قیامها علی ساق کنایه عن بلوغها غایتها فی الشدّه.

و أقول: و التّحقیق أنّه ارید بالسّاق الشدّه فیکون تقوم بمعنی تثبت فیکون مجازا فی المفرد و یکون المجموع کنایه عن اشتدادها، و ان ارید بالسّاق ما بین القدم و الرّکبه فیکون الکلام من باب الاستعاره التّمثیلیّه حیث شبّه حال الحرب بحال من یقوم و لا یقعد، علی حدّ قولهم للمتردّد: أراک تقدّم رجلا و تؤخّر اخری، و لا تجوّز علی ذلک فی شیء من مفرداته.

و کذا لو قلنا إنّ المجموع مرکّب من تلک المفردات موضوع للافاده المرکّب من معانیها، و لم یستعمل فیه و استعمل فی مشابهه علی طریق التّمثیل بأن شبّه ثبات الحرب و استقرارها بصوره موهومه و هی قیامها علی ساق، فعبّر عن المعنی

الأوّل بالمركّب الموضوع للمعنى الثّانى، كما ذهب عليه جماعه من الاصوليين من أنّ المركّبات موضوعه بازاء معانيها التركيبيّه كما أنّ المفردات موضوعه بازاء معانيها الافراديّه.

و يمكن أن يقال: إنّ الحرب نزلت منزله انسان ذى ساق على سبيل الاستعاره بالكنايه، و يكون ذكر السّاق تخييلا و القيام ترشيحا و كيف كان فالمراد الاشاره إلى شدّتها.

و هو المراد أيضا بقوله(باديا نواجذها)لأنّ بدو النّواجذ و ظهورها من أوصاف الأسد عند غضبه و افتراسه، فأثبته للحرب على سبيل التخييل بعد تنزيلها منزله الأسد المغضب باعتبار الشدّه و الأذى على الاستعاره بالكنايه.

و قال الشّارح المعتزلى: و الكلام كنايه عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غايه الضّحك أن تبدو النّواجذ، و اعترض عليه البحرانى بأنّ هذا و إن كان محتملا إلاّ أنّ الحرب مظنّه إقبال الغضب لا إقبال الضّحك فكان الأوّل أنسب، أقول:

و يستظهر الثانى بجعله من باب التّهكم.

و قوله(مملوّه أخلافها)تأكيد ثالث لشدّتها نزّلها منزله الناقه ذات اللّبن فى استعدادها و استكمالها عدّتها و رحالها كما تستكمل النّاقه باللّبن و تهيّئوه لولدها، و ذكر الأخلاف تخييل و المملوّه ترشيح.

و أراد بقوله:(حلوا رضاعها و علقما عاقبتها) أنّها عند اقبالها تستلذّ و تستحلى بطمع الظّفر على الأقران و الغلبه على الشجعان، و يكون آخرها مرّا لأنّه القتل و الهلاك، و مصير الاكثر إلى النّار، و بئس القرار و فى هذا المعنى قال الشّاعر:

الحرب أوّل ما تكون فتيه تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتّى إذا اشتعلت و شبّ ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها و تنكّرت مكروهه للشمّ و التقبيل

ثمّ أشار إلى بعض سيره القائم فقال (ألا و فى غد و سيأتى غد بما لا تعرفون)

تنبيه على عظم شأن الغد الموعود بمجيئه و على معرفته بما لا يعرفون (يأخذ) أى يؤاخذ (الوالى من غيرها عمالها على مساوى أعمالها) قال الشّارح المعتزلى هذا الكلام منقطع عمّا قبله، و قد كان تقدّم ذكر طائفه من النّاس ذات ملك و امره فذكر عليه السّلام أنّ الوالى من غير تلك الطائفه يعنى الامام الذى يخلفه فى آخر الزمان يأخذ عمّال هذه الطائفه بسوء أعمالهم أى يؤاخذهم بذنوبهم.

أقول: و من هذه المؤاخذه ما ورد فى روايه أبى بصير و من غيره من أنّه عليه السّلام إذا ظهر أخذ مفتاح الكعبه من بنى شيبه و قطع أيديهم و علّقها بالكعبه و كتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبه.

و ورد الأخبار أيضا بملك الجبابره و الولاه السّوء عند ظهوره عليه السّلام فى النبوى الذى رواه كاشف الغمّه من كتاب كفايه الطّالب عن الحافظ أبى نعيم فى فوائده و الطّبرانى فى معجمه الأكبر عن جابر بن عبد اللّه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: سيكون بعدى خلفاء و من بعد الخلفاء أمراء و من بعد الامراء ملوك جبابره، ثمّ يخرج المهدى من أهل بيتى يملاها عدلا كما ملئت جورا.

(و تخرج له الأرض أفاليذ كبدها) استعار لفظ الكبد لكنوز الأرض و خزائنها و الجامع مشابهه الكنوز للكبد فى الخفاء و بذلك الاخراج فسّر قوله تعالى:

و أخرجت الأرض أثقالها، فى بعض التّفاسير (و تلقى إليه سلما) أى منقادا(مقاليدها)و مفاتيحها قال الشّارح البحرانى: أسند لفظ الالقاء إلى الأرض مجازا لأنّ الملقى للمقاليد مسالما هو أهل الأرض و كنّى بذلك عن طاعتهم و انقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه.

أقول: و الأقرب أن يراد بالقاء المقاليد فتح المداين و الأمصار.

و قد اشير إليهما أعنى إخراج الكنوز و إلقاء المقاليد فى روايه نبويّه عاميّه و هى ما رواه فى كشف الغمّه عن الحافظ أبى نعيم أحمد بن أبى عبد اللّه باسناده عن أبى أمامه الباهلى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بينكم و بين الروم أربع هدن يوم

الرّابعه على يـد رجل من آل هرقل يدوم سـبع سـنين فقال له رجل من عبد القيس يقال له للمسـتورد بن غيلان: يا رسول اللّه من إمام النّاس يومئذ؟ قال: المهدى من ولدى ابن أربعين سـنه كان وجهه كوكـب درّى فى خدّه الأيمن خال أسود عليه عبائتان قطوا نيّتان كأنّه رجال من بنى إسرائيل يستخرج الكنوز و يفتح مدائن الشّرك.

(فيريكم كيف عدل السيره) أى العدل فى السيره أو السيره العادله (و يحيى ميّت الكتاب و السّنه) أى يعمل بهما و يحمل النّاس على أحكامهما بعد اندراس أثرهما و هو إشاره إلى بعض سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقه أحكامه.

و قـد اشير إلى نبـذ منهـا و من علامات ظهورها فيما رواه كاشف الغمّه عن الشّـيخ المفيـد (ره) فى كتاب الارشاد قال: قال: فأمّا سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقه أحكامه و ما يبيّنه اللّه تعالى من آياته فقد جاءت الآثار به حسب ما قدّمناه.

فروى المفضّـل بن عمر الجعفى قـال: سـمعت أبـا عبـد اللّه جعفر بن محمّـد عليهمـا السّـلام يقول: إذا أذن اللّه تعـالى للقـائم فى الخروج صعد المنبر فدعى النّاس إلى نفسه و ناشدهم اللّه و دعاهم إلى حقّه و أن يسير فيهم بسنّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعمل فيهم بعمله، فيبعث اللّه تعالى جبرئيل حتّى يأتيه فنزل على الحطيم و يقول له: إلى أىّ شـىء تـدعو؟ فيخبره القائم عليه السّـلام، فيقول جبرئيل أنا أوّل من يبايعک و ابسط يدک فيمسح على يده و قد وافاه ثلاثمائه و سـبعه عشر رجلا فيبايعونه و يقيم بمكّه حتّى يتمّ أصـحابه عشـره آلاف و روى محمّد بن عجلان عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: إذا قام القائم عليه السّلام دعى النّـاس إلى الاسـلام جديـدا، و هـديهم إلى أمر قـد دثر فضـلّ عنه الجمهور، و إنّما سـمّى القائم مهـديّا لأنّه هـدى إلى أمر مضلول عنه، و سمّى بالقائم لقيامه بالحقّ.

و روى أبو بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا قام القائم هدم المسجد الحرام

ص:۳۵۲

حتّی یردّه إلی أساسه، و حوّل المقام إلی الموضع الذی کان فیه، و قطع أیدی بنی شیبه و علّقها بالکعبه، و کتب علیها هؤلاء سرّاق الکعبه.

و روی أبو الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام فی حدیث طویل أنّه إذا قام القائم فیخرج منها بضعه عشر ألف أنفس یدعون التبریه، علیهم السّلاح، فیقولون له:

ارجع من حیث جئت فلا حاجه بنا إلی بنی فاطمه، فیضع علیهم السّیف حتّی یأتی إلی آخرهم ثمّ یدخل الکوفه فیقتل فیها کلّ منافق مرتاب، و یهدم قصورها و یقتل مقتاتلها حتّی یرضی اللّه عزّ و جلّ.

و روی أبو خدیجه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: إذا قام القائم جاء بأمر جدید کما دعی رسول اللّه فی بدو الاسلام إلی أمر جدید.

و روی علیّ بن عقبه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إذا قام القائم حکم بالعدل و ارتفع فی أیّامه الجور و امنت به السبل و اخرجت الأرض برکاتها و ردّ کلّ حقّ إلی أهله و لم یبق أهل دین حتّی یظهروا الاسلام و یعترفوا بالایمان أما سمعت اللّه عزّ و جلّ یقول:

و له أسلم من فی السّموات و الأرض طوعا و کرها و إلیه یرجعون، و حکم فی النّاس بحکم داود و حکم محمّد صلّی اللّه علیهما فحینئذ یظهر الأرض کنوزها و تبدی برکاتها فلا یجد الرّجل منکم یومئذ موضعا لصدقته و لا لبرّه، لشمول الغنی جمیع المؤمنین ثمّ قال علیه السّلام إنّ دولتنا آخر الدّول و لم یبق أهل بیت لهم دوله إلّا ملکوا قبلنا لئلّا یقولوا إذا رأو سیرتنا إذا ملکنا سرنا مثل سیره هؤلاء، و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

و العاقبه للمتّقین.

و روی کاشف الغمّه أیضا عن الشّیخ الطبرسی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: المنصور القائم منّا منصور بالرّعب، مؤیّد بالنّصر، تطوی له الأرض، و تظهر له الکنوز و یبلغ سلطانه المشرق و المغرب و یظهر اللّه دینه علی الدّین کلّه و لو کره المشرکون فلا یبقی علی وجه الأرض خراب إلّا عمّر، و ینزل روح اللّه عیسی بن مریم فیصلّی خلفه.

قال الرّاوی: فقلت یابن رسول اللّه و متی یخرج قائمکم؟ قال: إذا تشبّه

الرّجال بالنّساء و النّساء بالرجال و اكتفى الرّجال بالرجال و النّساء بالنساء، و ركب ذوات الفروج السّروج، و قبلت شهاده الزّور و ردّت شهادات العدل، و استخفّ الناس بالرّياء و ارتكاب الزّناء و أكل الرّبا، و اتقى الأشرار مخافه ألسنتهم، و خرج السّفيانى من الشّام، و اليمانى من اليمن، و خسف بالبيداء، و قتل غلام من آل محمّد بين الرّكن و المقام و اسمه محمّد بن الحسن النّفس الزكيه، و جاءت صيحه من السّماء بأنّ الحقّ معه و مع شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فاذا خرج أسند ظهره إلى الكعبه و اجتمع عليه ثلاثمأه و ثلاثه عشر رجلا، فأوّل ما ينطق به هذه الآيه:

بقيّه اللّه خير لكم إن كنتم مؤمنين، ثمّ يقول: أنا بقيه اللّه و خليفته و حجّته عليكم فلا يسلّم عليه مسلّم إلاّ قال: السّلام عليك يا بقيّه اللّه فى الأرض، فاذا اجتمع له العدّه عشره آلاف رجل فلا يبقى فى الأرض معبود من دون اللّه من صنم إلاّ وقعت فيه نار فاحترق، و ذلك بعد غيبه طويله ليعلم اللّه من يطيعه بالغيب و يؤمن به.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الفصل من الخطبه: هذا اشاره إلى إمام يخلقه اللّه تعالى فى آخر الزّمان و هو الموعود به فى الأخبار و الآثار انتهى.

أقول: لا خلاف بين العامّه و الخاصّه فى أنّ اللّه يبعث فى آخر الزّمان حجّه يملاء الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و أنّه المهدى من أولاد فاطمه سلام اللّه عليها، و إنّما وقع الخلاف فى وقت ولادته و تعيين أمّه و أبيه.

فذهب العامه إلى أنّه يخلقه اللّه فى مستقبل الزّمان و أنّه غير موجود الآن استنادا إلى حجج ضعيفه و وجوه سخيفه مذكوره فى محالّها، و عمده أدلّتهم استبعاد طول عمره الشّريف، فانّ بنيه الانسان على ما هو المشاهد بالعيان يأخذها السّن و يهدمها طول العمر و العناصر لا يبقى تركيبها أزيد من العمر المتعارف.

و ذهبت الخاصّه إلى أنّه الامام الثانى عشر صاحب الزّمان محمّد بن الامام حسن العسكرى ابن الامام على الهادى ابن الامام محمّد الجواد ابن علىّ الرّضا ابن

الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصّادق ابن الامام محمّد الباقر ابن الامام علىّ زين العابدين ابن الامام الحسين الشّهيد ابن الامام علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام، و امّه نرجس امّ ولد و أنّه حىّ موجود الآن غائب عن أعين النّاس لمصالح اقتضت غيبته.

فإمامته و غيبته من ضروريّات مذهب الاماميّه و عليه دلّت الأخبار المتواتره من طرقهم و من طرق العامّه، و قد دوّنوا فيها أى فى الغيبه الكتب، و صنّفوا فيها التصانيف مثل كتاب محمّد بن إبراهيم النعمانى الشهير بالغيبه، و كتاب الغيبه للشيخ أبى جعفر الطوسى و كتاب إكمال الدّين و إتمام النّعمه للشّيخ الصّدوق، و المجلّد الثالث عشر من بحار الأنوار للمحدّث العلاّمه المجلسى و غيرها.

بل من العامه من صرّح بتواتر الأخبار عندهم بذلك و استدلّ على إمامته بروايات كثيره و براهين محكمه: مثل الشّيخ أبى عبد اللّه محمّد بن يوسف بن محمّد الگنجى الشّافعى فى كتاب البيان فى أخبار صاحب الزّمان فى الجواب عن الاعتراض فى الغيبه، و كمال الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن طلحه بن محمّد بن الحسن النصيبى الشافعى فى كتاب مطالب السؤول فى مناقب الرّسول، و إبراهيم بن محمّد الحموينى فى كتاب فرايد السّمطين فى فضل المرتضى و البتول و السّبطين.

و قد أورد المحدّث العلامه السّيد هاشم البحرانى أكثر ما أورده فى كتاب غايه المرام و كذلك علىّ بن عيسى الإربلى فى كشف الغمّه، و قد كفانا سلفنا الصّالحون و مشايخنا الماضون مؤنه الاستدلال فى هذا المقال، و قد أوردوا فى كتبهم شبه العامّه و أجابوا عنها بوجوه شافيه وافيه، و لا حاجه بنا إلى ايرادها إلاّ الجواب عن قولم:

إنّه لا يمكن أن يكون فى العالم بشر له من السّنّ ما تصفونه لامامكم و هو مع ذلك كامل العقل صحيح الحسّ.

و محصّل الجواب أنّ من لزم طريق النّظر و فرّق بين المقدور و المحال لم ينكر ذلك إلاّ أن يعدل عن الانصاف إلى العناد و الخلاف، لأنّ تطاول الزّمان للدّنيا فى وجود الحياه و مرور الأوقات لا تأثير له فى القدره، و من قرء الأخبار و نظر فى كتاب المعمّرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العاده به، و قد نطق الكتاب

الکریم بذکر نوح و أنّه لبث فی قومه ألف سنه إلاّ خمسین عاما، و قد تظافرت الأخبار بأنّ أطول بنی آدم عمرا الخضر علیه السّلام، و أجمعت الشّیعه و أصحاب الحدیث بل الامّه بأسرها ما خلا المعتزله و الخوارج علی أنّه موجود فی هذا الزّمان کامل العقل صحیح الحسّ معتدل المزاج، و وافقهم علی ذلک أکثر أهل الکتاب.

و فی حدیث الصّدوق باسناده عن الصّادق علیه السّلام و أمّا العبد الصّالح أعنی الخضر علیه السّلام فانّ اللّه ما طوّل عمره لنبوّه قدّرها له، و لا کتاب نزّله علیه، و لا لشریعه ینسخ بها شریعه من کان قبله من الأنبیاء و لا لامامه یلزم عباده الاقتداء بها، و لا لطاعه یفرضها له، بل إنّ اللّه تبارک و تعالی لما کان فی سابق علمه أن یقدّر من عمر القائم ما یقدّر من عمر الخضر، و ما قدّر فی أیّام غیبته ما قدّر و علم ما یکون من انکار عباده بمقدار ذلک العمر فی الطّول، قدّر عمر العبد الصّالح فی غیر سبب یوجب ذلک إلاّ لعلّه الاستدلال به علی عمر القائم، و لیقطع بذلک حجّه المعاندین، لئلاّ یکون للنّاس علی اللّه حجّه.

و لا خلاف أیضا أنّ سلمان الفارسی أدرک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد قارب أربعمائه سنه، فهب أنّ المعتزله و الخوارج یحملون أنفسهم علی دفع الأخبار فکیف یمکنهم دفع القرآن فی عمر نوح و فی دوام أهل الجنّه و النّار، و لو کان ذلک منکرا من جهه العقول لما جاء به القرآن، فمن اعترف بالخضر علیه السّلام لم یصحّ منه هذا الاستبعاد، و من أنکره فحجّته الأخبار و الآثار المنبئه عن طول عمر المعمّرین زائدا علی قدر المعتاد المتعارف.

و قال محمّد بن یوسف بن محمّد الگنجی الشافعی: و أمّا بقاء المهدیّ علیه السّلام فقد جاء فی الکتاب و السّنه، أمّا الکتاب فقد قال سعید بن جبیر فی تفسیر قوله عزّ و جل:

لیظهره علی الدّین کلّه و لو کره المشرکون، قال: هو المهدی علیه السّلام من عتره فاطمه، و قد قال مقاتل بن سلیمان فی تفسیر قوله عزّ و جل: و إنّه لعلم للسّاعه، قال هو المهدیّ یکون فی آخر الزّمان و یکون بعد خروجه قیام السّاعه و اماراتها و أمّا السّنه فقد تقدّم فی کتابنا هذا من الأحادیث الصحیحه الصّریحه انتهی.

ص:۳۵۶

و لا حاجه بنا إلى اطاله الكلام فى هـذا المقام و ذكر وجوه النقض و الابرام، لأنّ فى كتب علمائنا الصّالحين هـدايه للمسترشد، و غنيه للطالب، و إبطالا لقول المنكر المجاحد، و لنعم ما قيل فيه عليه السّلام:

بهم عرف النّاس الهدى فهداهم يضلّ الّذى يقلى و يهدى الذى يهوى

موالاتهم فرض و حبّهم هدى و طاعتهم قربى و ودّهم تقوى

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن امـام عاليمقـام است در ذكر واقعـات عظيمه و فتن كـثيره كه واقع مى شود در زمـان آينـده در وقت ظهور امام زمان و ولىّ حضرت سبحان عجّل اللّه فرجه مى فرمايد كه:

بر مى گرداند صاحب الزّمان عليه السّلام هواى نفس مردمان را بر هدايت در زمانى كه بر گردانند هدايت را بر هوى، و بر مى گرداند رأى خلق را بر طبق قرآن در وقتى كه برگردانند قرآن را بر طبق رأى.

بعضى از اين خطبهٔ اشارتست بشدّه أيام ظهور آن بزرگوار مى فرمايد:

تا اين كه قائم شود محاربه بشـما بر ساق خود در حالتى كه ظاهر شده باشد دندانهاى آن حرب چون شير غضـبناك، و در حالتى كه پر شده باشد پسـتانهاى آن و شـيرين باشد شـيردادن آن و تلخ باشد عاقبت آن، آگاه باشيد در فردا و زود باشد بيايد فردا بحيثيتى كه نمى شناسـيد شـما مؤاخذه ميكند والى كه از غير آن طائفه است كه در روى زمين سـلطنت مى نمايند عمّال و امراء ايشـان را بر بـديهاى عملهـاى ايشان، و خارج ميكنـد از براى آن بزرگوار زمين جگرپارها يعنى خزائن و دفائن خود را، و بينـدازد بسـوى او در حـالتى كه اطـاعت كننـدهٔ است كليـدهاى خود را، پس بنمايـد بشـما كه چگـونه است عـدالت در روش مملكت دارى و رعيّت پرورى، و زنده كند مردهٔ كتاب خدا و سنت خاتم الأنبياء را، يعنى أحكام متروكهٔ قرآن و سنّت نبوى را احيا مى نمايد، و رواج مى دهد و بر پا مى دارد.

ص:۳۵۷

الفصل الثانی منها

اشاره

کأنّی قد نعق بالشّام، و فحص برایاته فی ضواحی کوفان، فعطف علیها عطف الضّروس، و فرش الأرض بالرّؤوس قد فغرت فاغرته، و ثقلت فی الأرض وطأته، بعید الجوله، عظیم الصّوله، و اللّه لیشرّدنّکم فی أطراف الأرض حتّی لا یبقی منکم إلاّ قلیل کالکحل فی العین، فلا تزالون کذلک حتّی تؤب إلی العرب عوازب أحلامها، فالزموا السّنن القائمه، و الآثار البیّنه، و العهد القریب الّذی علیه باقی النّبوّه، و اعلموا أنّ الشّیطان إنّما یسنّی لکم طرقه لتتّبعوا عقبه.

اللغه

(نعق) الرّاعی ینعق من باب ضرب نعیقا صاح بغنمه و زجرها و (فحصت) عن الشّیء و تفحّصت استقصیت فی البحث عنه، و فحص المطر التّراب قلبه و فحص فلان أسرع و (ضواحی) البلد نواحیه البارزه لأنّها تضحی و قیل ما قرب منه من القری و (الضّروس) النّاقه السّیئه الخلق و (فغر) الفم فغرا من باب نفع انفتح و فغرته فتحته یتعدّی و لا یتعدّی و (شرد) البعیر شرودا من باب قعد ندّ و نفر و شرّدته تشریدا و (عزب) الشیء عزوبا من باب قعد أیضا بعد و عزب من بابی قتل و ضرب غاب و خفی فهو عازب و الجمع عوازب و (سنّاه) تسنیه سهّله و فتحه و (العقب) مؤخر القدم.

الاعراب

الباء فی قوله: بالشام، بمعنی فی، و فی قوله: و فحص برایاته، للمصاحبه

ص:۳۵۸

أو زائده و قال الشّارح المعتزلی: ههنا مفعول محذوف تقديره و فحص النّاس براياته أی نحاهم و قلبهم يمينا و شمالا.

أقول: إن كان فحص بمعنی أسرع فلا حاجه إلی حذف المفعول و علی جعله بمعنی قلب فيمكن جعل براياته مفعولا و الباء فيها زائده، و قوله: بعيد الجوله منصوب علی الحال و كذلك عظيم الصّوله و يرويان بالرفع فيكونان خبرين لمبتدأ محذوف، و إضافتها لفظيّه لأنّها من إضافه الصّفه إلی فاعلها.

قال نجم الأئمه الرّضی: و أمّا الصفه المشبّهه فهی أبدا جائزه العمل، فاضافتها أبدا لفظيّه، و الفاء فی قوله: فالزموا فصيحه.

المعنی

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام الظاهر أنّه اشاره إلی السّفيانی كما استظهره المحدّث العلاّمه المجلسی طاب ثراه، و قال أكثر الشّراح إنّه إخبار عن عبد الملک بن مروان، و ذلک لأنّه ظهر بالشّام حين جعله أبوه الخليفه من بعده و سار لقتال مصعب بن الزبير إلی الكوفه بعد قتل مصعب مختار بن أبی عبيده الثقفی فالتقوا بأرض مسكن بكسر الكاف من نواحی الكوفه، ثمّ قتل مصعبا و دخل الكوفه فبايعه أهلها، و بعث الحجّاج بن يوسف إلی عبد اللّه بن الزّبير بمكّه فقتله و هدم الكعبه و ذلک سنه ثلاث و سبعين من الهجره، و قتل خلقا عظيما من العرب فی وقايع عبد الرّحمن بن الأشعث.

إذا عرفت ذلک فلنعد إلی شرح كلامه عليه السّلام فنقول قوله (كأنّی به) أی كانّی ابصر بالشخص الذی يظهر و أراه رأی العين (قد نعق) و صاح بجيشه للشخوص (بالشّام و فحص) أی أسرع (براياته فی صواحی كوفان) أی أطراف الكوفه و نواحيها البارزه(فعطف عليها عطف الضّروس)شبّه عطفه أی حمله بعطف النّاقه السّيئه الخلق التی تعضّ حالبها لشده الغضب و الأذی الحاصل منه كما فيه.

(و فرش الأرض بالرّؤوس) استعاره تبعيّه أی غطّاها بها كما يغطی المكان

ص:٣٥٩

بـالفراش، أو اسـتعاره بالكنـايه حيث شبّه الرّؤوس بالفراش فى كون كلّ منهما ساترا لوجه الأرض و مغطيّا لها فيكون ذكر فرش تخييلا و الأظهر جعله كنايه عن كثره القتلى فيها (قد فغرت فاغرته) استعاره بالكنايه حيث شبّه بالسّبع الضارى يصول و ينفتح فمه عند الصّيال و الغضب فاثبت الفغر تخييلا.

(و ثقلت فى الأرض وطأته) كنـايه عن استيلائه و تمكنه فى الأرض لا عن ظلمه و جوره كما توهّمه الشّارح المعتزلى إذ لا ملازمه بين ثقل الوطى و الجور عرفا كما هو ظاهر (بعيد الجوله) أى جولان خيوله و جيوشه فى البلاد و اتساع ملكه أو جولان رجاله فى الحروب بحيث لا يتعقّبه السكون (عظيم الصّوله) أى صياله فى القتال.

و لما فرغ من صفاته العامّه أشار إلى ما يفعله بهم مفتتحا بالقسم البارّ تحقيقا لوقوع المخبر به و تحقّقه لا محاله فقال(و اللّه ليشردّنكم)أى يطردنكم و يذهبنّ بكم(فى أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلّا قليل كالكحل فى العين)شبّه النّاجى من شرّهم بالكحل بالاشتراك فى القلّه (فلا تزالون كذلک) مشرّدين مطرودين منقضين محتقرين (حتّى تؤب) و ترجع (إلى العرب عوازب أحلامها) أى ما كان ذهب من عقولهم العمليه فى نظام أحوالهم و انتظام امورهم.

قال الشارح المعتزلى: و العرب ههنا بنو العبّاس و من اتّبعهم من العرب أيّام ظهور الدّوله كقحطبه بن شبيب الطّائى و ابنيه حميد و الحسن و كبنى رزيق بتقديم الراء المهمله منهم طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبى و عدادهم فى خزاعه و غيرهم من العرب من شيعه بنى العبّاس و قد قيل إنّ أبا مسلم أيضا عربىّ أصله، و كلّ هؤلاء و آباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين فى دوله بنى اميّه لم ينهض منهم ناهض و لا وثب إلى الملک واثب إلى أن أفاء اللّه تعالى هؤلاء ما كان ذهب و عزب عنهم من إبائهم و حميتهم فغاروا للدّين و المسلمين من جور بنى مروان و ظلمهم و قاموا بالأمر و أزالوا تلک الدّوله التى كرهها اللّه تعالى و أذن فى انتقالها.

ثمّ أمرهم باتّباع السّنه النبويّه و سلوک جادّه الشّريعه بقوله (فالزموا السّنن القائمه و الآثار البيّنه) أى الواضحه الرّشد (و العهد القريب الذى عليه باقى النّبوه) يعنى عهده و أيّامه عليه السّلام.

قال الشّارح المعتزلى: و كأنه عليه السّلام خاف من أن يكونوا باخباره لهم بأنّ دوله هذا الجبّار تنقضى إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها يتوهّمون وجوب اتّباع ولاه الدّوله الجديده فى كلّ ما تفعله، فوصّيهم بهذه الوصيّه، أنّه إذا تبدّلت تلك الدّوله فالزموا الكتاب و السنّه و العهد الّذى فارقتكم عليه.

ثمّ نبّه على خدع الشيطان و تسهيله طرق المعاصى ليتتبّعوا عليها و يحذروا منها فقال (و اعلموا أن الشّيطان يسنى) و يسهل (لكم طرقه لتتّبعوا عقبه) حتّى يوقعكم فى العذاب الأليم و الخزى العظيم.

الترجمه

اين فصل از خطبه اشارتست بفتنهٔ سفيانى كه قبل از ظهور امام زمان عليه السّلام خروج خواهد كرد، يا بفتنهٔ عبد الملك بن مروان عليه اللّعنه و النّيران مى فرمايد كه:

گويا مى نگرم باو در حالتى كه فرياد كند در شام و بر گرداند علمهاى خود را يا سرعت مى كند با علمهاى خود در أطراف شهر كوفه، پس حمله مى كند بر آن أطراف مثل حمله كردن ناقهٔ بد خلق گزنده بدندان بر دوشندگان خود، و فرش ميكند زمين را با سرهاى مردمان در حالتى كه گشاده شود دهان او بجهت استيصال قبائل مثل سبع صائل، و سنگين باشد در زمين قدم نهادن او در حالتى كه دور و دراز باشد جولان او در شهرها، و بزرگ باشد حملهٔ او، قسم بذات پاك خدا كه كه البته پراكنده گرداند شما را در أطراف زمين بظلم و جفاء تا اين كه باقى نماند از شما مگر اندكى مانند سرمه در چشم، پس ثابت مى باشيد تا اين كه باز گردد

بسوی جماعت عرب عقلهای غایب شدۀ ایشان، و چون که حال بر این منوال باشد پس لازم شوید بر سنّتهای ثابته، و نشانهای واضحه و بر عهد و پیمان نزدیک که بر او است باقی پیغمبری، و بدانید که بدرستی شیطان ملعون جز این نیست که آسان می گرداند از برای شما راههای خود را تا تبعیّت نمائید در عقب او.

و من کلام له علیه السّلام فی وقت الشوری و هو المأه

اشاره

و التاسع و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

لن یسرع أحد قبلی إلی دعوه حقّ، و صله رحم، و عائده کرم، فاسمعوا قولی، و عوا منطقی، عسی أن تروا هذا الأمر من بعد هذا الیوم تنتضی فیه السّیوف، و تخان فیه العهود، حتّی یکون بعضکم أئمّه لأهل الضّلاله، و شیعه لأهل الجهاله.

اللغه

(العائده) المعروف و الصّله و العطف و المنفعه و منه یقال: فلان کثیر العائده و هذا أعود أی أنفع و (عوا) جمع ع أمر من وعیت الحدیث وعیا من باب وعد حفظته و تدبّرت فیه و (نضوت) السّیف من غمده و انتضیته أخرجته.

الاعراب

قوله: إلی دعوه حقّ فی بعض النّسخ دعوه بالتّنوین فیکون حقّ صفه له

ص:۳۶۲

و فی بعضـها بالاضافه و الاضافه محضه و كذلک الاضافه فی صـله رحم و عائده كرم، و عسـی فی قوله: عسی أن تروا للاشفاق فی المكروه.

المعنی

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السّيّد (ره) و نبّه عليه الشارح المعتزلی من جمله كلام قاله لأهل الشّوری بعد وفات عمر، و قد مضـی أخبـار الشّوری و مناشـداته عليه السّـلام مع أهـل الشوری فی التّـذييل الثّـانی و الثالث من شـرح الفصل الثالث من الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه و فيها كفايه لمن أراد الاطلاع.

و أقول: ههنا: إنّ غرضه عليه السّـلام بهـذا الفصل من كلامه تنبيه المخاطبين و تحذيرهم من الاقدام علی أمر بغير تدبّر و تثبّت و رويّه، و نهيهم عن التّسـرع و العجله كيلاـ يكون بيعتهم فلته فيتورّطوا فی الهلكـات و يلقوا بأيـديهم إلی التّهلكه و قـدّم جمله من فضائله تحريصا لهم علی اسـتماع قوله و ترغيبا علی حفظ منطقه فقال (لن يسرع أحد قبلی إلی دعوه حقّ) أی لن يبادر أحد قبلی إلی اجابه الـدّعاء الحقّ فما لم أجب إليه لا يكون حقا أو لن يسـبقنی أحد إلی أن يدعو إلی حقّ فما لم ادع إليه لا يكون حقّا، و فی بعض النّسخ لم يسـرع بدل لن يسرع فيكون الغرض أن نظری كان فيما مضی إلی الحقّ فكذلک يكون فيما يستقبل، و كيف كان فالمقصود به الاشاره إلی كونه مع الحقّ و كون الحقّ معه كما هو منطوق الحديث النّبوی المعروف بين الفريقين.

(و صـله رحم و عائـده كرم) أی معروف و إحسـان و انعـام (فاسـمعوا قولی) فـانّ الرّشـد فی سـماعه (و عوا منطقی) فـانّ النّفع و الصّـلاح فی حفظه، و إنّمـا أمرهم بالحفـظ و السّـماع ليتنبّهوا علی عاقبه امورهم و ما يترتّب عليها من الهرج و المرج فكانّه يقول إذا كان بناء الأمر أی بناء أمر الخلافه علی الخبط و الاختلاط و التّقلب فيه علی أهله و مجاذبه من لا يستحقّه:

ف (– عسی أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم) بحال (تنتضی) و تشتهر

(فيه السّيوف و تخان فيه العهود) قال الشّارح البحرانى: و هو اشاره إلى ما علمه من حال البغاه عليه و الخوارج و النّاكثين لبيعته، فقوله:(حتّى يكون بعضكم أئمه لأهل الضّلاله و شيعه لأهل الجهاله) غايه للتغلّب على هذا الأمر و أشار بالأئمّه إلى طلحه و الزّبير و بأهل الضلاله إلى أتباعهم و بأهل الجهاله إلى معاويه و رؤساء الخوارج و سائر بنى اميّه، و بشيعه أهل الجهاله إلى اتباعهم انتهى.

أقول: و فيه ما لا يخفى، لأنّ هذا الكلام إنّما قاله فى وقت الشّورى حيث ما أرادوا عقد البيعه لعثمان، و كان مقصوده به الايقاف عن بيعته و التحذير عنه بما كان يترتّب عليها من المفاسد و يتعقّبها من المضارّ، فلا ارتباط لخروج الخوارج و نكث الناكثه و بغى القاسطه بهذا المقام حتّى يكون كلامه عليه السّلام إشاره إليها، لعدم ترتّب تلك الامور على بيعه عثمان، و إنّما ترتّبت على بيعته عليه السّلام كما هو واضح.

نعم لو كان يقوله لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان مثل ما تقدّم فى الخطبه الاحدى و التّسعين لم يتأمل فى كونه إشاره إلى ما قاله الشّارح، و بعد ذلك كلّه فالأولى أن يجرى كلامه مجرى العموم من دون أن يكون إشاره إلى خصوص حال طائفه مخصوصه.

و إن كان و لا بدّ فالأنسب أن يشاربه إلى ما ترتّب من بيعه عثمان من المفاسد فيكون المراد بالسّيوف المنتضاه ما سلّت يوم الدّار لقتل عثمان، و بالعهود التى خينت فيها ما عهده عثمان لأهل مصر أو خيانته فى عهود اللّه عزّ و جلّ و أحكامه، و خيانه طلحه و الزّبير و أمثالهما فى ما عقدوا و عهدوا من بيعه عثمان، و يكون قوله: أئمه لأهل الضّلاله، اشاره إلى طلحه و الزبير حيث كانا أشد النّاس إغراء على قتل عثمان و تبعهما أكثر النّاس، و وصفهم بالضّلاله باعتبار عدم كون قتلهم له على وجه مشروع ظاهرا و قوله: شيعه لأهل الجهاله، إشاره إلى مروان و أضرابه من شيعه عثمان و تبعه الحامين له و الذّابين عنه.

و يمكن ما قاله الشّارح بأنّ فساد النّاكثين و القاسطين و المارقين ممّا تولّد

من بيعه عثمـان و نشأ من خلافته، و ذلك لأنه فضّل فى العطاء و راعى جانب بنى اميّه و بنى أبى معيط على سائر الناس، فلما قام أمير المؤمنين عليه السّلام بالأمر تمنّى طلحه و الزبير منه أن يعامل معهما معامله عثمان لأقربائه من التفضيل فى العطاء و التّقريب، فلمّا لم يحصل ما أملا نكثا، و تبعهما من كان غرضه حطام الـدّنيا، و كذلك أقرّ معاويه على عمل الشّام حتّى قويت شوكته، فلمّا نهض أمير المـؤمنين بالخلافه أبى و استكبر مـن الـبيعه لـه و بغى و أجـابه القاسـطون فكـانت وقعـه صـفين و منهـا كـان خروج الخوارج، فهذه المفاسد كلّها من ثمرات الشجره الملعونه و معايب الشورى، و اللّه العالم

الترجمه

از جملهٔ كلام هدايت نظام آن امام انام است در وقت شورى مى فرمايد كه:

هرگز مبادرت نمى كنـد احـدى پيش از من بسوى دعوت حق و برعايت صـله رحم و بر احسان و كرم، پس گوش كنيد گفتار مرا، و حفظ نمائيد سخنان مرا، مبادا كه ببينيد اين أمر خلافت را كه كشيده مى شود در او شمشيرها، و خيانت كرده شود در او عهدها، تا آنكه باشد بعضى از شما پيشوايان أهل ضلالت و گمراهى و شيعيان أهل جهالت و نادانى.

و من كلام له عليه السّلام فى النهى عن غيبه الناس و هو المأه

اشاره

و الاربعون من المختار فى باب الخطب

و إنّما ينبغى لأهل العصـمه و المصنوع إليهم فى السّلامه أن يرحموا أهل الذّنوب و المعصيه، و يكون الشّكر هو الغالب عليهم، و الحـاجز لهم عنهم، فكيـف بالعـائب الّـذى عـاب أخـاه، و عيّره ببلواه، أ مـا ذكر موضع ستر اللّه عليه من ذنوبه ممّـا هو أعظم من الذّنب الّذى عابه به،

ص:۳۶۵

و كيف يـذمّه بـذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصى اللّه فيما سواه ممّا هو أعظم منه، و أيم اللّه لئن لم يكن عصاه فى الكبير و عصاه فى الصّغير لجرأته على عيب النّاس أكبر، يا عبـد اللّه لا تعجل فى عيب أحـد بـذنبه، فلعلّه مغفور له، و لا تأمن على نفسك صغير معصيه فلعلّك معذّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، و ليكن الشّكر شاغلا له على معافاته ممّا ابتلى به غيره.

اللغه

(صنع) إليه معروفا من باب منع صنعا بالضّم فعله و الاسم الصنيع و الصنيعه و (عافاه) اللّه من المكروه معافاه و عافيه وهب له العافيه من العلل و البلاء كأعفاه

الاعراب

قوله: و يكون الشكر هو الغالب، بنصب الغالب خبر يكون و على ذلك فلفظ هو قبله فصل أتى به للدّلاله على أنّ ما بعده خبر لا تابع له، و له فائده معنويّه نشير إليه فى بيان المعنى، و على مذهب البصريّين لا محلّ له من الاعراب، لأنّه عندهم حرف، و قال الكوفيّون: له محلّ فقال الكسائى: محلّه باعتبار ما بعده، و قال الفرّاء: باعتبار ما قبله، فمحلّه بين المبتدأ و الخبر رفع، و بين معمولى ظنّ نصب، و بين معمولى كان كما فى هذا المقام رفع عند الفرّاء، و نصب عند الكسائى، و بين معمولى انّ بالعكس هذا و فى بعض النّسخ الغالب بالرّفع فيكون هو مبتدأ و الغالب خبره و الجمله خبر يكون.

ص:۳۶۶

و قوله: فكيف بالغـائب، الباء زائـده فى المبتـدأ و كيف خبر له قـدّم عليه، و هو ظرف على مـذهب الأخفش و اسم على مـذهب سيبويه، فمحلّه نصب على الأوّل، و على الثّانى رفع و يتفرّع على ذلك أنّك إذا قلت كيف زيـد فمعناه على الأوّل على أىّ حال زيد، و على الثّانى أ صحيح زيد مثلا أم مريض.

و أمّا فى قوله و كيف يذمّه فهو حال كما نبّه عليه ابن هشام حيث قال:

و يقع أى كيف خبرا قبل مـا لا ـ يستغنى عنه نحو كيف أنت و كيف كنت. و منه كيف ظننت زيـدا و كيف أعلمته فرسك لأنّ ثانى مفعولى ظنّ و ثالث مفعولات اعلم خبران فى الأصل، و حالا قبل ما يستغنى عنه نحو كيف جاء زيـد أى على أىّ حاله جاء زيد، انتهى.

و الاستفهام هنا خارج مخرج التّعجب كأنّه عليه السّلام يتعجّب من غيبه الغائب لأخيه و من مذمه المذنب لمثله، و من هذا القبيل قوله سبحانه: كيف تكفرون باللّه، فانّه اخرج أيضا مخرج التعجّب.

و أ مـا فى قوله: أ مـا ذكر موضع ستر اللّه عليه، حرف عرض بمنزله لو لا فيختصّ بالفعل قال ابن هشام و قـد يـدّعى فى ذلك أنّ الهمزه للاستفهام التقريرى مثلها فى ألم و ألا و أنّ مانا فئه، انتهى، و أراد بالتّقرير التّقرير بما بعد النّفى.

و قـد يقـال إنّهـا همزه الانكـار، أى لانكـار النّفى و قـال التفتازانى: و أما العرض فمولـد من الاسـتفهام، أى ليس بابا على حـدّه، فـالهمزه فيه همزه الاسـتفهام دخلت على النّفى و امتنع حملها على حقيقه الاسـتفهام لأنّه يعرف عـدم النزول مثلا فالاسـتفهام عنه يكون طلبـا للحاصـل فتولّـد منه بقرينه الحـال عرض النزول على المخـاطب و طلبه، و هى فى التحقيق همزه الانكار، أى لا ينبغى لك أن لا تنزل، و انكار النّفى اثبات، انتهى.

و قـال بعض المحقّقين: إنّ حروف التّحضـيض تختصّ بالجمـل الفعليّه الخبريّه فـاذا كـان فعلهـا مضارعـا فكونهـا لطلب الفعـل و الحضّ عليه ظاهرا، و أما إذا كان ماضيا فمعناها اللّوم على ترك الفعل إلاّ أنّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على

أنّه ترک شيئا يمكن تـداركه فی المسـتقبل، فكأنّهـا من حيث المعنى للتحضـيض على فعـل مثل ما فات، و ليكن هـذا على ذكر منک ينفعک فی معرفه المعنى.

و مـن فی قـوله: من ذنـوبه، إمّـا للابتـداء كمـا فی قـوله: إنّه من سـليمان، أو لبيـان الجنس أعنی موضـع أو للتّبعيض أو زائـده فی المنصوب كما فی قوله: ما اتّخـذ اللّه من ولـد، إلاّ أنّه على قول من يجوز زيادتها فی الاثبات أی ستر اللّه عليه ذنوبه، و قوله: ممّا هو أعظم، إمّـا بـدل من ذنوبه أو من زائـده، و يؤيّـده مـا فی بعض النّسـخ من حـذف من فيكون ما هو أعظم مفعول ستر فافهم و تدبّر.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام كما نبّه عليه السّيد (ره) وارد فی مقام النّهی عن غيبه النّاس، و هی من أعظم الموبقات الموقع فی الهلكـات و الموجب لانحطـاط الـدّرجات لأنّ المفاسـد الّتی تترتّب على ارتكابهـا أكثر من المفاسـد التی تترتّب على سـائر المنهيات، و ضرره ضرر نوعی، و ضرر سائر المعاصی شخصیّ غالبا.

بيان ذلک كما قاله الشّارح البحرانی أنّه لمّا كان من المقاصـد المهمّه للشّارع اجتماع النّفوس على همّ واحـد و طريقه واحـده، و هی سـلوک سبيـل اللّه بسائر وجوه الأوامر و النّواهی و لن يتمّ ذلک إلاّ بتعاون هممهم و تصافی بواطنهم و اجتماعهم على الالفه و المحبّه حتّى يكونوا بمنزله عبـد واحـد فی طاعه مولاه، و لن يتم ذلک إلاّ بنفی الضّـغائن و الأحقاد و الحسـد و نحوه، و كانت الغيبه من كلّ منهم لأخيه مثيره لضـغنه، و مسـتدعيه منه مثلها فی حقّه، لاجرم كانت ضـدّ المقصود الكلّی للشّارع فكانت مفسـده كليّه، انتهى.

أقول: هذا هو محصّل قوله سبحانه: تعاونوا على البرّ و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان، و ستعرف إن شاء اللّه معنى الغيبه و الأدلّه الوارده فی ذمّها

ص:۳۶۸

و مفاسدها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيّد (ره).

و هو قوله:(و انّما ينبغى لأهل العصمه) و هم الّذين عصمهم اللّه من المعاصى و وقيهم من الجرائر بجعل نفوسهم الأمّاره مقهوره لقوّتهم العقلانيّه بما عرّفهم من معايب المعاصى و منافع الطّاعات فحصل لهم بذلك ملكه الارتداع عن الذّنوب و الامتناع عن اقتحام المحارم و هم (المصنوع إليهم فى السّلامه) أى الّذين اصطنع اللّه سبحانه إليهم و أنعم عليهم بالسّلامه من الانحراف عن صراطه المستقيم و الاعتساف عن نهجه القويم، و من الخروج من النّور إلى الظّلمات و الوقوع فى مهاوى الهلكات (أن يرحموا أهل الذّنوب و المعصيه) لمّا رأوا منهم الخطيئه و العصيان و الغرق فى بحر الذّل و الهوان و التّيه فى وادى الضّلال و الخذلان، و الرّحمه منهم إنّما يحصل بانقاذهم الغريق من البحر العميق و إرشاد التّائه إلى الرّشاد بالتنبّه على السّداد فى العمل و الاعتقاد.

(و يكون الشّكر) منهم على ما اصطنع اللّه إليهم (هو الغالب عليهم) و الاتيان بضمير الفصل لقصد تخصيص المسند إليه بالمسند أى قصر المسند على المسند إليه على حدّ قوله سبحانه: اولئك هم المفلحون، قال صاحب الكشاف فى هذه الآيه:

فائده الفصل الدّلاله على أنّ الوارد بعده خبر لا صفه، و التّوكيد أى توكيد الحكم بما فيه من زياده الرّبط لا التوكيد الاصطلاحى إذ الضمير لا يؤكّد الظّاهر، و ايجاب أنّ فائده المسند ثابته فى المسند إليه دون غيره يعنى أنّ اللّازم على أهل العصمه أن يكون شكرهم على نعم اللّه سبحانه و من أعظمها عصمته له من الاقتحام فى المعاصى هو الغالب عليهم دون غيره، و الشّاغل لهم عن حصائد الألسنه و عن التّعريض بعيوب النّاس (و الحاجز لهم عنهم) و عن كشف سؤاتهم و عوراتهم.

و إذا كان اللازم على أهل العصمه مع ما هم عليه من العصمه و ترك المعاصى ذلك (فكيف ب) من هو دونهم من اسراء عالم الحواس و الآخذين بهوى الأنفس و المتورطين فى الجرائم و موبقات العظائم أعنى (العائب الذى عاب) و اغتاب (أخاه) بما يكرهه (و عيّره) و قرّعه (ببلواه) يعنى أنّ اللائق بحال أهل العصمه إذا كان

ص:۳۶۹

ترک التّعرض بعیوب النّاس فغیرهم مع ما علیهم من العیب أولی بترک التّعرض و أحری.

و قوله (أما ذکر موضع ستر اللّه علیه من ذنوبه) توبیخ و لوم لهم علی ترک الذّکر و تحضیض علی تدارکه فی المستقبل یعنی أنّه ینبغی له أن یذکر مکان ستر اللّه علیه ذنوبه مع علمه و إحاطته سبحانه بها صغائرها و کبائرها و بواطنها و ظواهرها و سوالفها و حوادثها، و قد ستر علیه من ذنوبه (مما هو أعظم من الذّنب الذی عابه به) فاذا ذکر معامله اللّه سبحانه مع عبده هذه المعامله و ستره علیه جرائمه و جرائره و عدم تفضیحه له مع علمه بجمیع ما صدر عنه من الخطایا و الذّنوب فکیف به (و کیف یذمّه بذنب قد رکب مثله) و لا یذمّ نفسه (فان لم یکن رکب) مثل (ذلک الذّنب بعینه فقد عصی اللّه سبحانه فیما سواه ما هو أعظم منه و أیم اللّه) قسما حقا (لئن لم یکن عصاه فی الکبیر و عصاه فی الصغیر لجرأته علی عیب النّاس) و غیبتهم (أکبر) و محصّل المراد أنّه لا یجوز لأحد أن یغیب أخاه لأنّه إمّا أن یکون بذنب و قد ارتکب الغائب مثله أو أکبر منه أو أصغر، فان کان بذنب قد ارتکب مثله أو أکبر کان له فی عیب نفسه شغل عن عیب غیره.

و فیه قال الشّاعر:

و إذا جریت مع السّفیه کما جری فکلا کما فی جریه مذموم

و اذا عتبت علی السّفیه و لمته فی مثل ما تأتی فأنت ظلوم

لاتنه عن خلق و تأتی مثله عار علیک إذا فعلت عظیم

إلی آخر الأبیات التی مرّت فی شرح الفصل الثانی من الخطبه المأه و الرابعه و إن کان بذنب ارتکب أصغر منه فهو ممنوع أیضا، لأنّ جرئته علی الغیبه و إقدامه علیها أکبر المعاصی باعتبار ما یترتّب علیها من المفاسد و المضارّ الدّنیویّه و الاخرویّه.

ثمّ نادی علیه السّلام نداء استعطاف فقال (یا عبد اللّه لا تعجل فی عیب أحد بذنبه

ص:۳۷۰

فلعلّه مغفور له) و لعلّه تائب عنه (و لا تأمن على نفسك صغير معصيه فلعلّك معذّب عليه) و معاتب به.

ثمّ أكّد لهم الوصيّه بقوله (فليكفف من علم منكم عيب غيره) عن غيبته و توبيخه و تفضيحه (ل) مكان (ما يعلم من عيب نفسه و ليكن الشّكر شاغلا له على) ما أنعم اللّه سبحانه به عليه من (معافاته) و عصمته له (ممّا ابتلى به غيره)

تنبيه

اشاره

فى تحقيق معنى الغيبه و الأدلّه الوارده فى حرمتها و ما يترتّب عليها من العقوبات و دواعيها و مستثنياتها و علاجها و كفارتها.

و قد حقّق الكلام فيها علمائنا البارعون قدّس اللّه أرواحهم فى كتب الأخلاق و الفقه فى مقدّمات أبواب المعايش بما لا مزيد عليه، بل قد أفرد بعضهم لتحقيقها رساله مستقلّه فأحببنا أن نورد بعض ما فيها حسب ما اقتضته الحال و المجال لكونها من أعظم عثرات الانسان و أوبق آفات اللّسان، فأقول و باللّه التّوفيق:

الكلام

فى المقام فى امور:

الامر الاول

فى تحقيق معناها، فأقول: قال الفيومى اغتابه اغتيابا إذا ذكره بما يكره من العيوب و هو حقّ و الاسم الغيبه فان كان باطلا فهو الغيبه فى بهت، و فى القاموس غابه عابه و ذكره بما فيه من السوء، كاغتابه و الغيبه بالكسر فعله منه، و عن الصّحاح الغيبه أن يتكلّم خلف انسان مستور بما يغمّه لو سمعه، فان كان صدقا سمّى غيبه فان كان كذبا سمّى بهتانا.

و عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سأله أبو ذر عن الغيبه: أنّها ذكرك أخاك بما يكرهه.

و فى روايه اخرى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أ تدرون ما الغيبه؟ فقالوا: اللّه و رسوله أعلم، قال:

ذكرك أخاك بما يكره، قيل أرأيت إن كان فى أخى ما أقول، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهتّه.

و الظاهر أن يكون المراد بالذكر فی كلامه و كلام غيره كما فهمه الأصحاب الأعمّ من الذكر القولی و إن كان عباره الصّحاح تفيد الاختصاص، فكلّ ما يوجب التذكر للشّخص من القول و الفعل و الاشاره و غيرها فهو ذكر له، و ممّن صرّح بالعموم ثانی الشهيدين و صاحب الجواهر و شيخنا العلاّمه الأنصاری فی المكاسب.

قال الغزالی: إنّ الذكر باللّسان إنّما حرم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه، فالتّعريض به كالتّصريح، و الفعل فيه كالقول، و الاشاره و الايماء و الغمز و الهمز و الكتابه و الحركه و كلّ ما يفهم المقصود فهو داخل فی الغيبه، فمن ذلك قول عايشه دخلت علينا امرأه فلمّا ولّت أومأت بيدی أنّها قصيره فقال عليه السّلام اغتبتها، و من ذلك المحاكاه كأن يمشی متعارجا أو كما يمشی لأنّه أعظم فی التّصوير و التّفهيم و لما رأی صلّی اللّه عليه و آله عايشه حاكت امرأه قال صلّی اللّه عليه و آله و سلّم ما يسرّنی انّی حاكيت انسانا ولی كذا و كذا، و كذلك الغيبه بالكتابه فانّ القلم أحد اللّسانين.

قال شيخنا العلاّمه الانصاری: و من ذلك تهجين المطلب الذی ذكره بعض المصنّفين بحيث يفهم منه الازراء بحال ذلك المصنّف فانّ قولك: إنّ هذا المطلب بديهی البطلان تعريض لصاحبه بأنّه لا يعرف البديهيات، بخلاف ما إذا قيل إنّه مستلزم لما هو بديهی البطلان، لأنّ فيه تعريضا بأنّ صاحبه لم ينتقل إلی الملازمه بين المطلب و بين ما هو بديهیّ البطلان، و لعلّ الملازمه نظريّه، هذا.

و المراد من الأخ فی النبويّين كما صرّح به غير واحد من الأعلام هو المسلم فانّ غيبه الكافر و إن تسمّی غيبه فی اللّغه إلاّ أنّها لا يترتّب عليها حكم الحرمه إذ لا اخوّه بينه و بين المسلم، بل لا خلاف فی جواز غيبتهم و هجوهم و سبّهم و لعنهم و شتمهم ما لم يكن قذفا و قد أمر رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم حسّانا بهجوهم، و قال: انّه أشدّ عليهم من رشق النّبال.

و بذلك يظهر اشتراك المخالفين للمشركين فی جواز غيبتهم كما يجوز لعنهم لانتفاء الاخوّه بينهم و بين المؤمنين، و لذلك قال ثانی الشّهيدين فی حدّها: و هو

القول و مـا فى حكمه فى المؤمن بمـا يسوءه لو سـمعه مع اتّصـافه به، و فى جامع المقاصـد و حـدّها على ما فى الأخبار أن يقول المرء فى أخيه ما يكرهه لو سـمعه ممّا فيه، و من المعلوم أنّ اللّه تعالى عقد الاخوّه بين المؤمنين بقوله: إنّما المؤمنون اخوه، دون غيرهم و كيف يتصوّر الاخوّه بين المؤمن و المخالف بعد تواتر الرّوايات و تظافر الآيات فى وجوب معاداتهم و البراءه منهم.

فانقـدح بـذلك فساد ما عن الأردبيلى و الخراسانى (ره) من المنع عن غيبه المخالف نظرا إلى عموم أدلّه تحريمها من الكتاب و السـنّه لأنّ قوله تعالى: و لا يغتب، خطاب للمكلّفين أو لخصوص المسلمين، و على التّقديرين فيعمّ المخالف و السّنه أكثرها بلفظ النّاس و المسلم و هما معا شاملان للجميع و لا استبعاد فى ذلك اذ كما لا يجوز أخذ مال المخالف و قتله لا يجوز تناول عرضه.

و وجه ظهور الفساد أنّ ذيل الآيه مفيد لاختصاص الخطاب بالمؤمنين، لأنّ تعليل النّهى عنها بأنّها بمنزله أكل لحم الأخ يدلّ على اختصاص الحرمه بمن كان بينه و بين المغتاب اخوّه كما أشرنا.

قال شيخنا العلامه و توهّم عموم الآيه كبعض الرّوايات لمطلق المسلم مدفوع بما علم بضروره المذهب من عدم احترامهم و عدم جريان أحكام الاسـلام عليهم إلاّ قليلا مما يتوقّف استقامه نظام معاش المؤمنين عليه، مثل عدم انفعال ما يلاقيهم بالرّطوبه، و حلّ ذبايحهم و مناكحهم و حرمه دمائهم، لحكمه دفع الفتنه و فسادهم لأنّ لكلّ قوم نكاح أو نحو ذلك.

و قال صاحب الجواهر بعـد نقل كلام الأردبيلى: و لعلّ صـدور ذلك منه لشـدّه تقدّسه و ورعه، لكن لا يخفى على الخبير الماهر الواقـف على مـا تظـافرت به النّصـوص بـل تواترت من لعنهم و سبّهم و شـتمهم و كفرهم و أنّهم مجوس هـذه الامّه و أشـرّ من النّصارى و أنجس من الكلاب أنّ مقتضى التّقدّس و الورع خلاف ذلك، و صدر الآيه: الّذين آمنوا، و آخرها التشبيه بأكل لحم الأخ «إلى أن قال» و على كلّ

حال فقد ظهر اختصاص الحرمه بالمؤمنين القائلين بامامه الأئمه الاثنى عشر دون غيرهم من الكافرين و المخالفين و لو بانكار واحد منهم.

ثمّ الظّاهر من المؤمن المغتاب بالفتح أعمّ من أن يكون حيّا أو ميّتا ذكرا أو انثى بالغا أو غير بالغ مميّزا أو غير مميّز، و قد صرّح بالعموم شيخنا السيّد العلاّمه طاب رمسه فى مجلس الدّرس، و مثله كاشف الرّيبه حيث صرّح بعدم الفرق بين الصّغير و الكبير و ظاهره الشّمول لغير المميّز أيضا.

و قال شيخنا العلاّمه الأنصارى (قد): الظاهر دخول الصّبى المميّز المتأثّر بالغيبه لو سمعها، لعموم بعض الرّوايات المتقدّمه و غيرها الدّاله على حرمه اغتياب النّاس و أكل لحومهم مع صدق الأخ عليه كما يشهد به قوله تعالى: و إن تخالطوهم فاخوانكم فى الدّين، مضافا إلى إمكان الاستدلال بالآيه و إن كان الخطاب للمكلّفين بناء على عدّ أطفالهم منهم تغليبا و امكان دعوى صدق المؤمن عليه مطلقا أو فى الجمله.

و على ما ذكرناه من التّعميم فلا بدّ أن يراد من السّماع فى تعريفهم لها بأنّها ذكر المؤمن بما يسوءه لو سمعه الأعمّ من السّماع الفعلى، و المراد بالموصول فيما يسوءه ما يكره ظهوره سواء كره وجوده كالجذام و البرص و نحوهما أم لا كالميل إلى القبائح.

و المستفاد من بعض الرّوايات كغير واحد من الأصحاب عدم الفرق فى ما يكره بين أن يكون نقصا فى الدّين أو الدّنيا أو البدن أو النّسب أو الخلق أو الفعل أو القول أو ما يتعلّق به من ثوبه أو داره أو دابّته أو غير ذلك.

أمّا فى الدّين فكقولك هو سارق أو كذّاب أو شارب الخمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصّلاه أو الزّكاه أو لا يحسن الرّكوع أو السّجود أو لا يحترز من النّجاسات أو ليس بارّا بوالديه.

و أمّا فى الدّنيا فكقوله إنّه قليل الأدب متهاون بالنّاس أو لا يرى لأحد

على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحقّ على النّاس أو أنّه كثير الكلام أو كثير الأكل أو كثير النّوم ينام فى غير وقته.

و أما البدن فكما تقول إنّه طويل أو قصير أو أعمش أو أحول أو أقرع أو لونه أصفر أو أسود و نحو ذلك ممّا يسوئه.

و أمّا النسب فكقولك: أبوه فاسق أو خسيس أو حجام أو زبّال أو ليس بنجيب.

و أما الخلق فبأن تقول إنّه سيّ ء الخلق بخيل متكبّر مختال مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهوّر و ما يجرى مجرى ذلك.

و أما الفعل فامّا أن يكون متعلّقا بالدّين أو الدّنيا و قد مرّ مثالهما.

و أمّا القول فكقولك إنّه كذّاب أو سبّاب أو أنّه تمتام أو أعجم أو ألكن أو ألثغ أو أليغ و نحو ذلك.

و أمّا فى ثوبه فكقولك إنّه واسع الكم طويل الذّيل و سخ الثّياب و نحوها.

و أمّا فى داره فكما تقول أنّه مفحص قطاه أى فى الصّغر أو كدير النّصارى أو نحوهما.

و أمّا فى دابّته فكقولك لحصانه إنّه برذون أو لبغلته إنّها بغله أبى دلامه أى كثيره العيوب و لأبى دلامه ذلك قصيده فى ذكر معايبها منها قوله:

أرى الشّهباء تعجن اذ غدونا برجليها و تخبزنا بيدين

الثانى فى الأدله الدالّه على حرمه الغيبه

و ما ترتّب عليها من الذّم و العقوبه فأقول: إنّها محرّمه بالأدلّه الأربعه أعنى الكتاب و السنّه و الاجماع و العقل، فأمّا الاجماع فواضح، و أمّا العقل فلأنّها موجبه لفساد النظام و انفصام عروه الانتظام، و عليها تبنى القبائح و منها يظهر العدوّ المكاشح على ما مرّ توضيحه فى شرح كلام الامام عليه السّلام

و أما الكتاب

فمنه قوله تعالى: و لا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ أحدكم أن

يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتّقوا اللّه إنّ اللّه توّاب رحيم، فجعل سبحانه المؤمن أخا و عرضه كلحمه و التفكّه به أكلا و عدم شعوره بذلك بمنزله حاله موته.

قال الفخر الرّازى: الحكمه فى هذا التشبيه الاشاره إلى أنّ عرض الانسان كدمه و لحمه و هذا من باب القياس الظّاهر، و ذلك لأنّ عرض المرء أشرف من لحمه، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم النّاس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأنّ ذلك ألم. و قوله: لحم أخيه آكدا فى المنع لأنّ العدوّ يحمله الغضب على مضغ لحم العدوّ فقال تعالى أصدق الأصدقاء من ولدته امّك فأكل لحمه أقبح ما يكون، و قوله تعالى: ميتا، إشاره إلى دفع و هم و هو أن يقال:

القول فى الوجه يولم فيحرم و أما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم، فقال:

أكل لحم الأخ و هو ميّت أيضا لا يؤلم، و مع هذا هو فى غايه القبح لما أنّه لو اطلع عليه لتألّم كما أنّ الميّت لو أحسّ بأكل لحمه لآلمه ذلك هذا.

و الضّمير فى قوله: فكرهتموه، إمّا راجع إلى الأكل المستفاد من أن يأكل، أو إلى اللّحم، أى فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيّا، أو الميت فى قوله ميّتا، و التّقدير أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتا متغيّرا فكرهتموه فكأنّه صفه لقوله ميتا و يكون فيه زياده مبالغه فى التّحذير يعنى الميته إن اكلت لسبب كان نادرا و لكن إذا أنتن و أروح و تغيّر لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغى أن تكون الغيبه.

و الفاء فيه يفيد التعلّق و ترتّب ما بعدها على ما قبلها، و هو من تعلّق المسبّب بالسّبب و ترتّبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب، لأنّ المشى يورث التّعب فكذا الموت يورث النفره و الكراهه إلى حدّ لا يشتهى الانسان أن يبيت فى بيت فيه ميّت فكيف يقربه بحيث يأكل منه، ففيه إذا كراهه شديده فكذلك ينبغى أن تكون حال الغيبه.

و من الكتاب أيضا قوله سبحانه: ويل لكلّ همزه لمزه، قال اللّيث: الهمزه هو الّذى يعيبك بوجهك، و اللّمزه الّذى يعيبك بالغيب، و قيل: الهمز ما يكون

باللّسان و العين و الاشاره، و اللّمز لا يكون إلاّ باللّسان، و قيل: هما بمعنى واحد.

و منه أيضا قوله: لا يحبّ اللّه الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم، و قوله:

إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشه فى الّذين آمنوا لهم عذاب أليم روى فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قال فى مؤمن ما رأته عيناه و سمعته أذناه فهو من الّذين قال اللّه عزّ و جلّ إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشه.

و أما السنه

فيدلّ عليها منها أخبار لا تحصى.

مثل ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الغيبه أسرع فى دين الرّجل المسلم من الاكله فى جوفه.

قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الجلوس فى المسجد انتظار الصّلاه عباده ما لم يحدث، قيل يا رسول اللّه و ما يحدث؟ قال: الاغتياب.

و فيه مسندا عن مفضّل بن عمر قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروّته ليسقط من أعين النّاس أخرجه اللّه من ولايته إلى ولايه الشّيطان فلا يقبله الشيطان.

و فى الوسائل من المجالس باسناده عن أبى بصير عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله فى وصيّه له قال:

يا أبا ذر إيّاك و الغيبه فانّ الغيبه أشدّ من الزّنا، قلت: و لم ذاك يا رسول اللّه؟ قال لأنّ الرّجل يزنى فيتوب إلى اللّه فيتوب اللّه عليه، و الغيبه لا تغفر حتّى يغفرها صاحبها يا أبا ذر سباب المسلم فسوق و قتاله كفر و أكل لحمه من معاصى اللّه و حرمه ماله كحرمه دمه، قلت: يا رسول اللّه و ما الغيبه؟ قال: ذكرك أخاك بما يكرهه، قلت يا رسول اللّه فان كان فيه الذى يذكر به؟ قال: اعلم أنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه.

و فى الوسائل عن الحسين بن سعيد فى كتاب الزهد مسندا عن زيد بن علىّ عن آبائه عليهم السّلام عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: تحرم الجنّه على ثلاثه: على المنّان، و على

المغتاب، و على مدمن الخمر.

و فيه أيضا عن أبى عبد اللّه الشّامى عن نوف البكالى أنه قال: أتيت أمير المؤمنين و هو فى رحبه مسجد الكوفه فقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته فقال: و عليك السّلام و رحمه اللّه و بركاته، فقلت: يا أمير المؤمنين عظنى، فقال:

يا نوف أحسن يحسن إليك «إلى أن قال» قلت زدنى قال: اجتنب الغيبه فانّها ادام كلاب النّار، ثمّ قال: يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبه.

و فى المكاسب لشيخنا العلاّمه الأنصارى طاب رمسه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنه خطب يوما فذكر الرّبا و عظّم شأنه فقال: إنّ الدّرهم يصيبه الرّجل أعظم من ستّه و ثلاثين زنيه، و إنّ أربى الرّبا عرض الرّجل المسلم.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من اغتاب مسلما أو مسلمه لم يقبل اللّه صلاته و لا صيامه أربعين صباحا إلاّ أن يغفر له صاحبه.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع اللّه بينهما فى الجنّه، و من اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمه بينهما، و كان المغتاب خالدا فى النّار و بئس المصير.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبه، فاجتنب الغيبه فانها ادام كلاب النّار.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مشى فى غيبه أخيه و كشف عورته كانت أوّل خطوه خطاها وضعها فى جهنّم.

و روى أنّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّه و إن لم يتب فهو أوّل من يدخل النّار.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّ الغيبه حرام على كلّ مسلم و إنّ الغيبه ليأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب.

قال شيخنا (قد): و أكل الحسنات إمّا أن يكون على وجه الاحباط لاضمحلال ثوابها

ص:۳۷۸

فى جنب عقـابه، أو لأنها تنقل الحسـنات إلى المغتاب كما فى غير واحـد من الأخبار و من جملتها النبوى يؤتى بأحـد يوم القيامه فيوقف بين يـدى الرّب عزّ و جلّ و يدفع إليه كتابه فلا يرى حسـناته فيه، فيقول إلهى ليس هذا كتابى لا أرى فيه حسـناتى، فيقال له: إنّ ربّـك لاـ يضـلّ و لاـ ينسـى ذهب عملـك باغتياب النّاس، ثمّ يؤتى بآخر و يـدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيره فيقول إلهى ما هذا كتابى فانّى ما عملت هذه الطاعات، فيقال له: إنّ فلانا اغتابک فدفع حسناته إليک.

و فى عقاب الأعمال باسـناده عن أبى برده قال: صـلّى بنا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ثمّ انصـرف مسرعا حتّى وضع يده على باب المسـجد ثمّ نادى بأعلى صوته: يا معشر النّاس لا يدخل الجنّه من آمن بلسانه و لم يخلص الايمان إلى قلبه، لا تتّبعوا عورات المؤمنين فانّه من تتبّع عورات المؤمنين تتبّع اللّه عورته و من تتبّع اللّه عورته فيفضحه و لو فى جوف بيته.

و فيه أيضا باسـناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أربعه تؤذون أهـل النّـار على مـا بهم من الأذى يسـقون من الحميم و الجحيم ينادون بالويل و الثبور فيقول أهل النّار بعضـهم لبعض: ما لهؤلاء الأـربعه قـد آذونـا على مـا بنا من الأذى: فرجل معلّق عليه تابوت من جمر، و رجل تجرى أمعاؤه صديـدا و دما أسودنتنا، و رجل يسيل فوه قيحا و دما، و رجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعـد قد آذانا على ما بنا من الاذى؟ فيقول: إنّ الأبعد مات و فى عنقه أموال النّاس لم يجد لها فى نفسه أداء و لا وفاء، ثمّ يقال للّذى يجرى امعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعـد كان لا يبالى أين أصاب البول من جسـده، ثمّ يقال للّـذى يسـيل فوه قيحا و دما: ما بال الأبعـد قد آذانا على مـا بنـا من الأـذى؟ فيقول: إنّ الأبعـد كـان يحاكى فينظر إلى كلّ كلمه خبيثه و يحاكى بها ثمّ يغتاب النّاس، ثمّ يقال للّـذى يأكل لحمه:

ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الاذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم النّاس بالغيبه و يمشى بالنّميمه.

ص:۳۷۹

و فی الأنوار النّعمانیه للمحدّث الجزائری عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: مررت لیله اسری بی إلی السّماء علی قوم یخمشون وجوههم بأظافیرهم، فقلت: یا جبرائیل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذین یغتابون النّاس و یقعون فی أعراضهم.

و فیه أیضا و روی أنّه أمر بصوم یوم و قال: لا یفطرنّ أحد حتّی آذن له، فصام النّاس حتی إذا أمسوا جعل الرّجل یجیء فیقول: یا رسول اللّه ظللت صائما فأذن لی لأفطر فیأذن له، و الرّجل و الرّجل حتّی جاء رجل فقال: یا رسول اللّه فتاتان من أهلی ظللتا صائمتین فانّهما تستحیان أن یأتیانک فأذن لهما أن تفطرا فأعرض عنه، ثمّ عادوه فأعرض عنه، ثمّ عادوه فقال صلّی اللّه علیه و آله إنّهما لم تصوما و کیف صام من ظلّ هذا الیوم یأکل لحوم النّاس اذهب فمرهما إن کانتا صائمتین أن تستقیا فرجع إلیهما فأخبرهما فاستقائتا فقاءت کلّ واحده منهما علقه من دم، فرجع إلی النّبیّ فأخبره، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: و الّذی نفس محمّد بیده لو بقیتا فی بطونهما لأکلتهما النّار.

و فی روایه أنّه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلک و قال: یا رسول اللّه إنّهما و اللّه لقد قائتا و کادتا أن تموتا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ائتونی بهما فجاءتا فدعی بقدح فقال لإحداهما قیئی فقاءت من قیح و دم صدید حتّی ملأت القدح، و قال للاخری قیئی، فقاءت کذلک، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ هاتین صامتا عمّا أحل اللّه و أفطرتا علی ما حرّم اللّه علیهما، جلست إحداهما علی الاخری فجعلتا تأکلان لحوم النّاس، و رواهما الغزالی فی إحیاء العلوم عن أنس مثلهما.

قال شیخنا العلاّمه طاب رمسه: ثمّ إنّه قد یتضاعف عقاب المغتاب إذا کان ممّن یمدح المغتاب فی حضوره، و هذا و إن کان فی نفسه مباحا إلاّ أنّه إذا انضمّ مع ذمه فی غیبته سمّی صاحبه ذا اللسّانین یوم القیامه و تأکّد حرمته و لذا ورد فی المستفیضه أنّه یجیء ذو اللّسانین یوم القیامه و له لسانان من نار، فانّ لسان المدح فی الحضور و إن لم یکن لسانا من نار إلاّ أنّه إذا انضمّ إلی لسان الذّم فی الغیاب صار کذلک.

ص:۳۸۰

و عن المجالس بسنده عن حفص بن غياث عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام عن علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من مدح أخاه المؤمن فى وجهه و اغتابه من ورائه فقد انقطعت العصمه بينهما.

و عن الباقر عليه السّلام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين يطرى أخاه شاهدا و يأكله غائبا إن اعطى حسده و إن ابتلى غضبه.

الثالث فى دواعى الغيبه

و هى كثيره و قد أشار إليها الصّادق عليه السّلام اجمالا بقوله: الغيبه تتنوّع عشره أنواع شفاء غيظ، و مساعده قوم، و تصديق خبر بلا كشف، و تهمه، و سوء ظنّ، و حسد و سخريه، و تعجّب، و تبرّم، و تزيّن، رواه فى المكاسب و الأنوار النّعمانيّه و أمّا تفصيلها فقد نبّه عليه أبو حامد الغزالى فى احياء العلوم و قال:

فالاول تشفى الغيظ

و ذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فانّه إذا هاج غضبه يشتفى بذلك مساويه فيسبق اللّسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمّ دين رادع، و قد يمتنع تشفّى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب بالباطن فيصير حقدا ثابتا، فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد و الحسد من البواعث العظيمه على الغيبه.

الثانى موافقه الأقران و مجامله الرفقاء و مساعدتهم على الكلام

، فانّهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنّه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه و نفروا عنه، فيساعدهم و يرى ذلك من حسن المعاشره و يظنّ أنّه مجامله فى الصّحبه، و قد يغضب رفقائه فيحتاج إلى أن يغضب بغضبهم إظهارا للمساهمه فى السّراء و الضراء، فيخوض معهم فى ذكر العيوب و المساوى.

الثالث أن يستشعر من انسان أنّه سيقصده و يطول لسانه عليه

أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهاده فيبادره قبل أن يقبح هو حاله، و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدى بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصّدق الأوّل و يستشهد به و يقول ما من عادتى الكذب فانّى أخبرتكم بكذا و كذا عن أحواله فكان كما قلت.

الرابع أن ينسب إلى شىء فيريد أن يتبرّء منه فيذكر الذى فعله

و كان من حقّه أن يبرّى نفسه و لا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله.

الخامس إراده التصنّع و المباهات

و هو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول:

فلان جاهل و فهمه ركيك، و غرضه فى ضمن ذلك فضل نفسه و يوهم أنّه أفضل منه أو يحذّر أن يعظّم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس الحسد و هو أنّه ربما يحسد من يثنى الناس عليه

و يحبّونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمه عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلّا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند النّاس حتّى يكفّوا عن إكرامه و الثناء عليه.

السابع اللّعب و الهزل و المطايبه

و ترجيه الوقت بالذكر و تزيين الوقت بالذّكر فيذكر غيره بما يضحك النّاس على سبيل المحاكاه و منشاؤه التّعجب و التعجيب.

الثامن السّخريه و الاستهزاء استحقارا له

فانّ ذلك قد يجرى فى الحضور و يجرى أيضا فى الغيبه و منشاؤه التكبّر و استصغار المستهزء به.

التاسع الرّحمه

و هو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص، و هو أن يغتمّ بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمّنى أمره و ما ابتلى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام و يلهيه الغمّ عن الحذر من ذكر اسمه، فيصير بذكره مغتابا فيكون غمّه و رحمته خيرا لكنّه ساقه الشيطان إلى شرّ من حيث لا يدرى و الترحّم و الاغتمام ممكن من دون ذكر اسمه فهيّجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه و ترحّمه.

العاشر الغضب للّه تعالى

و هو كسابقه فی غموض ادراكه و خفائه على الخواص فضلا عن العوام فانّه قد يغضب على منكر قارفه انسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه و كان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف و النّهی عن المنكر، و لا يظهر على غيره أو يستره و لا يذكر اسمه بالسّوء.

الرابع فی عدم جواز استماع الغیبه

قال شیخنا فی المکاسب: یحرم استماع الغیبه بلا خلاف، فقد ورد أنّ السّامع للغیبه أحد المغتابین، و الأخبار فی حرمته کثیره إلّا أنّ ما یدلّ علی کونه من الکبائر کالرّوایه المذکوره و نحوها ضعیفه السّند.

أقول: و من جمله الأخبار الدّالّه علی حرمته ما رواه الصّدوق فی عقاب الأعمال باسناده عن أبی الورد عن أبی جعفر علیه السّلام: قال من اغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره اللّه و أعانه فی الدّنیا و الآخره، و من لم ینصره و لم یدفع عنه و هو یقدر علی نصرته حقّره اللّه عزّ و جلّ فی الدّنیا و الآخره.

و فیه أیضا فی حدیث طویل عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: و من ردّ عن أخیه غیبه سمعها فی مجلس ردّ اللّه عزّ و جلّ عنه ألف باب من الشرّ فی الدّنیا و الآخره و إن لم یرد عنه کان علیه کوزر من اغتاب.

و فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن شعیب بن واقد عن الحسین بن زید عن الصّادق عن آبائه علیهم السّلام فی حدیث المناهی إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نهی عن الغیبه و الاستماع إلیها، و نهی عن النّمیمه و الاستماع إلیها، و قال لا یدخل الجنّه قتات، یعنی نمّاما، و نهی عن المحادثه التی یدعو إلی غیر اللّه، و نهی عن الغیبه و قال:

من اغتاب امرء مسلما بطل صومه و نقض وضوئه و جاء یوم القیامه یفوح من فیه رائحه أنتن من الجیفه یتأذّی به أهل الموقف، و إن مات قبل أن یتوب مات مستحلاّ لما حرّم اللّه عزّ و جلّ، ألا و من تطوّل علی أخیه فی غیبه سمعها فیه فی مجلس فردّها عنه ردّ اللّه عنه ألف باب من الشرّ فی الدّنیا و الآخره، فان لم یردّها و هو قادر علی ردّها کان علیه کوزر من اغتابه سبعین مرّه.

قال شیخنا: و لعلّ وجه زیاده عقابه أنّه إذا لم یردّه تجرّی المغتاب علی الغیبه فیصّر علی هذه الغیبه و غیرها، ثمّ قال: و الظاهر أنّ الرّد غیر النّهی عن الغیبه و المراد به الانتصار للغائب بما یناسب تلک الغیبه، فان کان عیبا دنیویّا انتصر له بأنّ العیب لیس إلّا

ما عاب اللّه به من المعاصی التی من أکبرها ذکرک أخاک بما لم یعبه اللّه به، و إن کان عیبا دینیّا وجّهه بمحامل تخرجه عن المعصیه فان لم یقبل التوجیه انتصر له بأنّ المؤمن قد یبتلی بالمعصیه فینبغی أن یستغفر له و یهتم له، لا ـ أن یعیّر علیه، لأنّ تعییرک إیّاه لعله أعظم عند اللّه من معصیته و نحوه.

ثمّ اعلم أنّ المحرم إنّما هو سماع الغیبه المحرّمه دون ما علم حلّیتها و لو کان متجاهرا عند المغتاب مستورا عند المستمع و قلنا بجواز الغیبه حینئذ للمتکلّم فالأقوی جواز الاستماع لأنّه قول غیر منکر، فلا یحرم الاصغاء إلیه للأصل و الرّوایه الدّاله علی کون السّامع أحد المغتابین تدلّ علی أنّ السّامع لغیبه کقائل تلک الغیبه، فان کان القائل عاصیا کان المستمع کذلک، فیکون دلیلا علی الجواز فیما نحن فیه.

الخامس فی مستثنیات الغیبه

أی الموارد التی یجوز فیها الغیبه جوازا بالمعنی الأعمّ، فانّ المستفاد من الأخبار أنّ حرمتها إنّما هو لأجل ما فیها من هتک عرض المؤمن و انتقاصه و تأذیه فلو لم توجب هتکا لکونه مهتوکا بدونها ککونه متجاهرا بالفسق أو لم یقصد بها الانتقاص بالذات فلا.

قال فی جامع المقاصد: و ضابط الغیبه کلّ فعل یقصد به هتک عرض المؤمن و التفکّه به أو إضحاک النّاس منه، و أمّا ما کان لغرض صحیح فلا یحرم کنصیحه المستشیر و التظلّم آه.

قال شیخنا العلامه: حرمه الغیبه لأجل انتقاص المؤمن و تأذّیه منه، فاذا فرض هناک مصلحه راجعه إلی المغتاب بالکسر أو الفتح أو ثالث دلّ العقل أو الشّرع علی کونها أعظم من مصلحه احترام المؤمن بترک ذلک القول فیه وجب کون الحکم علی طبق أقوی المصلحتین کما هو الحال فی کلّ معصیه من حقوق

اللّه و حقوق النّاس.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ مسوّغاتها امور.

الاول التظلّم

، أی تظلّم المظلوم بـذکر ظلم الظّالم عند من یرجو رفعه الظلم منه قال سبحانه: لا یحبّ اللّه الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم، فعن تفسیر القمّی أی لا یحبّ أن یجهر الرّجل بالظلم و السّوئه و یظلم إلاّ من ظلم، فاطلق أن یعارض بالظلم.

قال شیخنا العلاّمه: و یؤید الحکم فیه إنّ فی منع المظلوم من هذا الذی هو نوع من التّشفی حرجا عظیما، و لأنّ فی تشریع الجواز مظنّه ردع للظّالم و هی مصلحه خالیه عن مفسده فیثبت الجواز، لأنّ الأحکام تابعه للمصالح، و یدلّ علیه ما روی عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مطل الواجد یحلّ عقوبته و عرضه.

الثانی نصح المستشیر

، فانّ النّصیحه واجبه للمستشیر فانّ خیانته قد تکون أقوی مفسده من مفسده الغیبه فقد قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لفاطمه بنت قیس المشاوره فی خطابها: معاویه صعلوک لا مال له و ابو الجهم لا یضع العصا علی عاتقه، قال شیخنا: و کذلک النّصح من غیر استشاره، فانّ من أراد تزویج امرأه و أنت تعلم بقبائحها التی یوجب وقوع الرّجل فی الغیبه و الفساد لأجلها فلا ریب انّ التنبیه علی بعضها و إن أوجب الوقیعه فیها أولی من ترک نصح المؤمن، مع ظهور عدّه من الأخبار فی وجوبه.

الثالث الاستفتاء

بأن یقول للمفتی: ظلمنی فلان حقّی فکیف طریقی فی الخلاص، قال أبو حامد الغزالی و المحدّث الجزائری: و الأسلم التّعریض، بأن یقول ما قولک فی رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، و لکن التّعیین مباح بهذا القدر، و قیّده شیخنا العلاّمه بما إذا کان الاستفتاء موقوفا علی ذکر الظالم بالخصوص، و إلاّ فلا یجوز، و ظاهر الأخبار کظاهر کثیر الأصحاب هو الاطلاق.

و استدلّوا علیه بما روی عن هند زوجه أبی سفیان أنّها قالت للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی أنا و ولدی أ فآخذ من غیر علمه؟

ص:۳۸۵

فقـال صـلّی اللّه علیه و آله: خـذی مـا یکفیـک و ولـدک بالمعروف، فـذکرت الظلم و الشـحّ لها و لولـدها و لم یزجرها إذ کان قصدها الاستفتاء.

و بصحیحه عبد اللّه بن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: جاء رجل إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال: إنّ أمّی لا یدفع ید لا مس، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: احبسها، قال: قد فعلت، فقال:

فـامنع من یـدخل علیهـا، قال: قـد فعلت، قال: فقیّـدها فانّک لا تبرّها بشـیء أفضل من أن تمنعها عن محارم اللّه، و احتمال کونها متجاهره مدفوع بالأصل.

الرابع تحذیر المسلم

من الشـرّ و عن الوقوع فی الضّـرر لدنیا أو دین، لأنّ مصـلحه دفع فتنه الشّر و الضّرر أولی من هتک شرّ المغتاب مثل من یرید أن یشتری مملوکا و أنت تعلم بکونه موصوفا بالسّـرقه أو بعیب آخر، فسـکوتک عن ذکر عیبه إضـرار بالمشتری، و کذلک المبتدع الذی یخاف من إضـلاله النّاس، فاذا رأیت من یتردّد إلی مبتدع أو فاسق و خفت أن یتعدّی إلیه بدعته أو فسقه فلک أن تکشف مساویه.

و یدلّ علیه ما عن الکافی بسـنده الصّـحیح عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام قال: قال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله: إذا رأیتم أهل الرّیب و البـدع من بعـدی فـأظهروا البراءه منهم و أکثروا من سبّهم و القول فیهم و الوقیعه و باهتوهم کیلا یطمعوا فی الفساد فی الاسلام، و تحذرهم النّاس و لا تتعلّموا من بدعهم یکتب اللّه لکم بذلک الحسنات و رفع لکم به الدّرجات، هذا.

و ربّما یجعل هذا المورد من باب نصح المستشیر بعد تعمیمه بالنّسبه إلی النصح المسبوق بالاستشاره و غیره.

الخامس قصد ردع المغتاب عن المنکر الذی یفعله

إذا لـم یمکـن الرّدع إلاّـ بـه فـانّه أولی من سـتر المنکر علیه فهـو فی الحقیقه إحسـان فی حقّه، مضافـا إلی عمـوم أدلّه النّهی عن المنکر.

السادس باب التّرجیح و التّعدیل فی الرّوایه

لأجل معرفه قبول الخبر و عدمه و معرفه صلاحیّته للمعارضه و عدمها، و إلاّ لانسدّ باب التّعادل و التّراجیح الذی

هو أعظم أبواب الاجتهاد و جرت السّيره عليه من قديم الزّمان كجريانها على الجرح فى باب الشهاده و على ترجيح ما دلّ على وجوب اقامتها على ما دلّ على حرمه الغيبه على وجه الاشكال فيه، و إلّا لضاعت الحقوق فى الدّماء و الأموال و غيرها و لغلب الباطل، و يلحق بذلك الشّهاده بالزّنا و غيره لاقامه الحدود.

السابع دفع الضّرر عن المغتاب

فى دم أو عرض أو مال و عليه يحمل ما ورد فى ذمّ زراره من عدّه أحاديث و قد ورد التّعليل بذلك فى بعض الأحاديث و يلحق بذلك الغيبه للتّقيه على نفس المتكلّم أو ماله أو عرضه، فانّ الضّرورات تبيح المحظورات.

الثامن ذكر الشخص بعينه الّذى صار بمنزله الصّفه المميّزه

الّتى لا يعرف إلاّ به كالأعمش و الأعرج و الأشتر و الأحول و نحوها، فلا بأس به إذا صارت الصّفه فى اشتهار يوصف بها الشّخص إلى حيث لا يكره ذلك صاحبها، و عليه يحمل ما صدر عن العلماء الأعلام.

التاسع إظهار العيوب الخفيّه

للمريض عند الطبيب للمعالجه.

العاشر ردّ من ادّعى نسبا ليس له

فانّ مصلحه حفظ الانساب أولى من مراعات حرمه المغتاب.

الحادى عشر إذا علم اثنان عن رجل معصيه

و شاهداها فأجرى أحدهما ذكره فى غيبه ذلك العاصى جاز، لأنّه لا يؤثر عند السّامع شيئا و إن كان الأولى تنزيه اللّسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض الصّحيحه خصوصا مع احتمال نسيان المخاطب لذلك أو خوف اشتهاره

الثانى عشر غيبه المتجاهر بالفسق

فى ما تجاهر به، فانّ من لا يبالى بظهور فسقه بين النّاس لا يكره ذكره بالفسق و قد قال الامام عليه السّلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمه له و لا غيبه، و فى روايه اخرى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبه له، و أمّا جواز غيبته فى غير ما تجاهر به فقد منع منه

الشّهيد الثّانى و حكى عن الشهيد الأوّل أيضا و استظهر الفاضل النراقى الجواز.

ص:۳۸۷

قال شيخنا العلامه الأنصارى (قد): ظاهر الرّوايات النّافيه لاحترام المتجاهر و غير السّاتر هو الجواز، و استظهره فى الحدائق من كلام جمله من الأعلام، و صرّح به بعض الأساطين، قال شيخنا العلامه: و ينبغى الحاق ما يتستّر به بما يتجاهر فيه إذا كان دونه فى القبح، فمن تجاهر و العياذ باللّه باللّواط جاز اغتيابه بالتّعريض للنّساء الأجانب، و من تجاهر بقطع الطرق جاز اغتيابه بالسّرقه، و من تجاهر بكونه جلاد السّلطان يقتل النّاس و ينكلهم جاز اغتيابه بشرب الخمر، و من تجاهر بالقبايح المعروفه جاز اغتيابه بكلّ قبيح، و لعلّ هذا هو المراد بمن ألقى جلباب الحياء لا من تجاهر بمعصيه خاصّه و عدّ مستورا بالنّسبه إلى غيرها كبعض عمّال الظّلمه، هذا.

و هذه الموارد المذكوره هو المعروف استثناؤها بين جمع من الأصحاب، و بعضهم قد زادوا عليها، و بعضهم قد نقصوا و لا حاجه إلى الاطناب بعد ما عرفت أنّ مدار الحرمه على قصد الانتقاص و الأذى بالذات، و اللّه العالم.

السادس فى معالجه الغيبه

و علاجها إنّما هو بالعلم بما يترتّب عليها من المفاسد الدنيويه و الأخرويّه و بالتدبّر فى المضار المترتّبه عليها عاجلا و آجلا.

اما المضار الدنيويه فهو أنّها تورث العداوه و الشّحناء و توجب غضب المغتاب فيكون فى مقام المكافاه و المجازاه لشنيع قولك فيغضبك و يؤذيك و يهينك و من ذلك تنبعث الفساد و ربّما يؤل الأمر إلى ما لا يمكن علاجه، بل قد يؤل إلى القتل و الجرح و الاستيصال و إتلاف الأموال و غيرها.

و اما المضار الاخرويه فيحصل التنبّه عليها بالتفكّر و التدبّر فى الآيات و الأخبار الوارده فى ذمّها و عقوبتها، و بالعلم بأنّها توجب دخول النّار و غضب الجبار و مقته تعالى و تحبط الحسنات و تنقلها إلى ميزان حسنات المغتاب، فان لم تكن له حسنه نقل اللّه من سيئات خصمه بقدر ما استباحه من عرضه قال صلّى اللّه عليه و آله: ما النّار

فی الیبس أسرع من الغیبه فی حسنات العبد و إن کانت الغیبه فی العیب بالخلق فلیعلم أنّه عیب علی الخالق فانّ من ذمّ الصنعه فقد ذمّ الصّانع، قیل لحکیم:

یا قبیح الوجه، قال: ما کان خلق وجهی إلیّ فأحسنه.

و روی إنّ نوحا علیه السّلام مرّ علی کلب أجرب فقال: ما هذا الکلب؟ فنطق الکلب و قال: یا نبیّ اللّه هکذا خلقنی ربّی فان قدرت أن تغیّر صورتی بأحسن من هذه الصوره فافعل، فندم نوح علی ما قال و بکی أربعین سنه فسمّاه اللّه نوحا و کان اسمه عبد الملک أو عبد الجبّار.

و روی أیضا أنّه مرّ عیسی علیه السّلام و معه الحواریّون بجیفه کلب فقال الحواریّون ما أنتن ریح هذا الکلب، فقال علیه السّلام: ما أشدّ بیاض أسنانه کأنّه نهاهم عن غیبه الکلب و تعییبه، فانظر إلی عظم الخطر فی تعییب النّاس فاذا لم یرض أولیاء الدّین بعیب میته حیوان فکیف بعیب النفوس المحترمه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: طوبی لمن شغله عیب نفسه عن عیوب النّاس، فاذا أردت أن تذکر عیوب صاحبک فاذکر عیوبک قال الشّاعر:

و أجرء من رأیت بظهر غیب علی عیب الرّجال و ذو العیوب

فلربّما تبصر فی عین أخیک القذی و لا تبصر الجذع فی عینک

و مطروفه عیناه عن عیب نفسهفان لاح عیب من أخیه تبصّرا

و قد قیل للرّبیع بن خثیم: ما نراک تعیب أحدا قال: لست راضیا عن نفسی فأتفرّغ لذکر عیوب النّاس ثمّ قال:

لنفسی أبکی لست أبکی لغیرها لنفسی فی نفسی عن النّاس شاغل

نعوذ باللّه من زلّات البیان و هفوات اللّسان و سقطات الألفاظ و رمزات الألحاظ.

السابع فی کفاره الغیبه

قال المحدّث الجزائری (ره) اعلم أنّ الواجب علی المغتاب أن یندم و یتوب و یأسّف علی ما فعل لیخرج من حقّ اللّه تعالی ثمّ یستحلّ المغتاب فیحلّه لیخرج

عن مظلمته و ينبغى أن يستحلّه و هو نادم حزين و إلاّ فالمرائى قد يطلب المحاله فيكون عليه ذنب آخر، و قد ورد فى كفارته حديثان:

أحدهما قوله عليه السّلام: كفّاره من اغتبته أن تستغفر له، و فى حديث آخر كلّما ذكرته، و معنى قوله: كلّما ذكرته على طريقه الغيبه أو كلّما عنّ فى خاطرك أو جرى ذكره على لسانك بعد المحاله الاولى.

الثانى قوله صلّى اللّه عليه و آله: من كانت لأخيه عنده مظلمه فى عرض أو مال فيتحلّلها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار و لا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته.

و جمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثّانى قدّس اللّه روحه بحمل الاستغفار له على من يبلغ غيبه المغتاب فينبغى الاقتصار على الدّعاء له و الاستغفار لأنّ فى محالته إثاره للفتنه و جلبا للضّغائن، و فى حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه لموت أو غيبه، و حمل المحاله على من يمكن الوصول إليه مع بلوغه الغيبه قال الجزائرى و يمكن الجمع بينهما بوجهين:

أحدهما أنّ الاستغفار له كفّاره معجله تكون مقارنه للغيبه و المحاله متأخّره عنه غالبا فيجب عليه المبادره بذلك لعدم توقّفه على التمكن و عدمه، و المحاله إذا تمكّن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحد كما هو مذكور فى القول الأوّل.

الثانى حمل الاستغفار له على الاستحباب و الواجب إنّما هو المحاله لا غير، و إذا جاء إلى المغتاب فينبغى أن لا يظهر له الكلام الذى اغتاب خوفا من إثاره الشحناء و تجديد العداوه، بل يقول له: يا أخى لك حقوق عرضيّه و اريد أن تحالنى منها، و نحو ذلك من العبارات المجمله، و يستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر و المحاله استحبابا مؤكّدا، انتهى.

أقول: و الأظهر فى وجه الجمع ما حكاه عن الشّهيد بل و هو الأقرب.

و التّحقيق ما حقّقه شيخنا العلاّمه الأنصارى (قد) فى المكاسب حيث قال:

مقتضی کون الغیبه من حقوق النّاس توقّف رفعها علی إسقاط صاحبها أمّا کونها من حقوق النّاس فلأنّه ظلم علی المغتاب، و للأخبار فی أنّ من حقّ المؤمن علی المؤمن أن لا یغتابه و أنّ حرمه عرض المسلم کحرمه دمه و ماله و أمّا توقّف رفعها علی إبراء ذی الحقّ فللمستفیضه المعتضده بالأصل، ثمّ ذکر جمله من المستفیضه.

ثمّ قال: و لا فرق فی مقتضی الأصل و الأخبار بین التمکّن من الوصول إلی صاحبه و تعذّره، لأنّ تعذّر البراءه لا یوجب سقوط الحقّ کما فی غیر هذا المقام، لکن روی السّکونی عن أبی عبد اللّه عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إنّ کفاره الاغتیاب أن تستغفر لمن اغتبته کلّما ذکرته، و لو صحّ سنده أمکن تخصیص الاطلاقات المتقدّمه به، فیکون الاستغفار طریقا أیضا إلی البراءه مع احتمال العدم أیضا لأنّ کون الاستغفار کفّاره لا یدلّ علی البراءه، فلعلّه کفّاره للذّنب من حیث کونه حقّا للّه تعالی نظیر کفّاره قتل الخطاء الّتی لا توجب برائه القاتل إلّا أن یدّعی ظهور السّیاق فی البراءه.

ثمّ ذکر کلام الشّهید الثّانی (ره) و جمعه بین الخبرین المتقدّمین المتعارضین علی ما تقدّم ذکره فی کلام المحدّث الجزائری (ره) ثمّ أورد علیه بأنّه إن صحّ النّبوی أی ما رواه السّکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله مسندا، فلا مانع عن العمل به بجعله طریقا إلی البراءه مطلقا فی مقابل الاستبراء، و إلّا تعیّن طرحه و الرّجوع إلی الأصل و اطلاق الأخبار المتقدّمه و تعذّر الاستبراء أو وجود المفسده فیه لا یوجب وجود مبرء آخر.

نعم أرسل بعض من قارب عصرنا عن الصّادق علیه السّلام أنّک إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه و إن لم یبلغه فاستغفر اللّه له.

و فی روایه السّکونی المرویّه فی الکافی فی باب الظلم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و من ظلم أحدا ففاته فلیستغفر اللّه له فانّه کفّاره له.

و الانصاف أنّ الأخبار فی هذا الباب کلّها غیر نقیّه السّند و أصاله البراءه تقتضی عدم وجوب الاستحلال و لا الاستغفار، و أصاله بقاء الحقّ الثّابت للمغتاب

بالفتح على المغتاب بالكسر تقتضى عدم الخروج منه إلاّ بالاستحلال خاصّه، لكن المثبت لكون الغيبه حقّا بمعنى وجوب البراءه منه ليس إلاّـ الأخبار الغير النّقيه السّند، مع أنّ السند لو كان نقيّا كانت الدّلاله ضعيفه لذكر حقوق اخر فى الرّوايات لا قائل بوجوب البراءه منها، فالقول بعدم كونه حقّا للنّاس بمعنى وجوب البراءه نظير الحقوق الماليّه لا يخلو عن قوّه، و امكان الاحتياط فى خلافه بل لاـ يخلو عن قرب من جهه كثره الأخبار الدالّه على وجوب الاستبراء منها بل اعتبار سند بعضها و الأحوط الاستحلال إن تيسّر و إلاّـ فالاستغفار، غفر اللّه لنا و لمن اغتبناه و لمن اغتابنا بحقّ محمّد و آله الطّاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

الترجمه

از جمله كلام آن امام أنام عليه السّلام است در نهى از غيبت مردمان مى فرمايد:

و جز اين نيست كه سزاوار است أهل عصمت و طهارت و كسانى كه انعام شده است ايشان را در سلامتى دين اين كه رحم نمايند گناهكاران و أهل معصيت را، و اين كه شود شكر خدا غالب بر ايشان و مانع ايشان از مذمت گنه كاران، پس چگونه است غيبت كنندۀ كه غيبت برادر خود را كند و سرزنش نمايد او را ببلائى كه گرفتار شده است، آيا بيادش نمى آرد مقام پوشانيدن خداوند تعالى بر او از گناهان او گناهى را كه بزرگتر است از گناهى كه عيب سرزنش نمود برادرشرا باو، و چگونه مذمّت ميكند او را بر گناهى كه مرتكب شده است مثل او را پس اگر نبوده باشد مرتكب آن گناه پس بتحقيق معصيت نموده خداى را در غير آن از گناهى كه بزرگتر است از آن.

و قسم بخدا هر آينه اگر نبوده باشد معصيت نموده خدا را در گناه كبير و عصيان نموده او را در گناه صغير هر آينه جرئت و جسارت او بر عيب و غيبت مردمان بزرگتر است اى بندۀ خدا سرعت مكن در عيب بنده بجهه گناه او پس شايد كه آن گناه آمرزيده شده او را، و أيمن مباش بر نفس خود گناه كوچك را پس شايد تو معذّب

باشی بر آن، پس باید که خود داری نماید آن کسی که داند از شما عیب دیگری را از جهه آنکه میداند از عیب خود، و باید که باشد شکر کردن او مشغول کنندهٔ او بر سلامتی خود از گناهی که مبتلا شده است بأو غیر او.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الحادى و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

أيّها النّاس من عرف من أخيه وثيقه دين و سداد طريق فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، أما أنّه قد يرمى الرّامى، و تخطىء السّهام و يحيل الكلام و باطل ذلك يبور، و اللّه سميع و شهيد، أما أنّه ليس بين الباطل و الحقّ إلّا أربع أصابع، فسئل عن معنى قوله عليه السّلام هذا، فجمع أصابعه و وضعها بين اذنه و عينه ثمّ قال: الباطل أن تقول سمعت، و الحقّ أن تقول رأيت.

اللغه

(وثق) الشىء بالضمّ وثاقه قوى و ثبت فهو وثيق ثابت محكم و (السّداد) بالفتح الصّواب من القول و الفعل و (الأقاويل) جمع أقوال و هو جمع قول و (أخطأ السّهم) الغرض تجاوزه و لم يصبه و (يحيل الكلام) فى أكثر النّسخ باللام مضارع حال بمعنى يستحيل أى يكون محالا قال فى القاموس: و كلّ ما تغيّر أو تحرّك من الاستواء إلى العوج فقد حال و استحال، و قال أيضا: و المحال بالضم من الكلام ما عدل عن وجهه كالمستحيل، أحال أتى به، و فى المصباح المحال

الباطل الغير الممكن الوقوع، و فى بعض النسخ بالكاف مضارع حاك أو أحاك قال فى القاموس: حاك القول فى القلب يحيك حيكا أخذ، و السّيف اثر و الشفره قطعت كأحاك فيهما و (بار) الشىء يبور بورا بالضّم هلك.

الاعراب

إضافه وثيقه دين و سداد طريق من إضافه الصّفه إلى موصوفه و التاء فى الوثيقه للنّقل من الوصفيّه إلى الاسميّه كما قيل أو للمبالغه، و جمله فلا يسمعنّ، فى محلّ الرّفع خبر من و لتضمّن المبتدأ معنى الشّرط اتى بالفاء فى خبره، و الضمير فى قوله: إنّه، للشأن، و الواو فى قوله: و باطل ذلک، للحال.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام النّهى عن التسّرع إلى التصديق بما يقال فى حقّ الانسان الموصوف بحسن الظاهر المشهور بالوثوق و الصّلاح و التدّين ممّا يعيبه و يقدحه، و يدلّ عليه الأدلّه الدّاله على حرمه الاصغاء إلى الغيبه على ما تقدّم فى شرح الكلام السّابق، و إليه اشير فى قوله سبحانه: يا أيّها الّذين آمنوا إن جائكم فاسق بنبا فتبيّنوا أن تصيبوا قوما بجهاله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين إذا عرفت ذلک فأقول قوله:(أيّها النّاس من عرف من أخيه وثيقه دين و سداد طريق) أى دينا محكما و طريقا صوابا، قيل المراد بوثيقه الدّين اللّزوم للأحكام الشرعيّه و التقييد لا كمن يعبد اللّه على حرف فان أصابه خير اطمأنّ به و إن أصابته فتنه انقلب على وجهه.

و لعلّ المراد بوثيقه الدّين العقيده و بسداد الطريق حسن العمل كما يشعر به ما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال لابنه الحسن عليه السّلام:

يا بنيّ ما السّداد؟ فقال: يا أبتى السداد دفع المنكر بالمعروف، أى من عرف من أخيه المؤمن حسن الاعتقاد و العمل (فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال) أى أقاويلهم الّتى توجب شينه و تهدم مروّته و تسقطه عن أعين النّاس.

ص:۳۹۴

روی الصّدوق فی عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن الفضیل عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیهما السّلام قال: قلت له: جعلت فداک الرّجل من اخوانی بلغنی عنه الشیء الذی أکرهه فأسأله عنه فینکر ذلک و قد أخبرنی عنه قوم ثقات، فقال علیه السّلام لی:

یا محمّد کذّب سمعک و بصرک عن أخیک و إن شهد عندک خمسون قسامه و قال لک قولا فصدّقه و کذّبهم، و لا تذیعنّ علیه شیئا تشینه به و تهدم به مروّته فتکون من الذّین قال اللّه: إنّ الّذین یحبّون أن تشیع الفاحشه فی الّذین آمنوا لهم عذاب ألیم فی الدّنیا و الآخره.

و فی الوسائل عن العیاشی فی تفسیره عن الفیض بن المختار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: لمّا نزلت المائده علی عیسی قال للحواریّین: لا تأکلوا منها حتّی آذن لکم، فأکل منها رجل فقال بعض الحواریّین: یا روح اللّه أکل منها فلان، فقال له عیسی علیه السّلام: أکلت منها؟ فقال: لا، فقال الحواریّون: بلی و اللّه یا روح اللّه لقد أکل منها، فقال عیسی علیه السّلام: صدّق أخاک و کذّب بصرک.

ثمّ علّل علیه السّلام عدم جواز استماع أقاویل الرّجال و تصدیقها بالمثل الّذی ضربه بقوله (أما أنّه قد یرمی الرّامی و تخطیء السهام) یعنی أنّه ربما یرمی الرّامی سهمه فلا یصیب الغرض بل یخطیه (و) کذلک قد یتکلّم إنسان بکلام یعیب به علی غیره أو یغتابه ف (یحیل الکلام) و یستحیل و یعدل عن وجه الصّواب و یخالف الواقع و لا یعیبه إما لغرض شخصیّ فاسد للقائل فی المقول علیه من العداوه و الشحناء و الحسد و نحوها فیرمیه بالعیب و یطعنه بالغیب لذلک، و إمّا لشبهه منه فیه بأن یشتبه الأمر علیه فیظنّ المعروف منکرا مثل ما لو رأی فی ید أحد قاروره مملوّه یشرب منها فظنّها خمرا و هو خلّ فیتّهمه بشرب الخمر.

و لذلک ورد فی الأخبار المستفیضه حمل فعل المسلم علی الصّحه مثل ما رواه فی الکافی عن الحسین بن المختار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی کلام له: ضع أمر أخیک علی أحسنه حتّی یأتیک ما یغلبک منه، و لا تظنن بکلمه خرجت من أخیک سوءا و أنت تجد لها فی الخیر محملا.

و عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان فى قلبه كما ينماث الملح فى الماء.

هذا كلّه على روايه يحيل باللّام و أمّا على الرّوايه الاخرى فالمراد به التنبه على أنّ ضرر الكلام أقوى من ضرر السهام، و تأثيره أشدّ من تأثيرها، و ذلك لأنّ الرّامى قد يرمى فتخطئ سهامه و لا تصيب الغرض، و أمّا الكلام فيؤثر لا محاله و إن كان باطلا لأنّه يلوث العرض فى نظر من لا يعرفه و يسقط محلّ المقول فيه و منزلته من القلوب.

ثمّ قال تهديدا أو تحذيرا و تنبيها على ضرر ذلك الكلام الفاسد و القول الباطل على سبيل إرسال المثل (و باطل ذلك يبور و اللّه سميع و شهيد) يعنى أنّ الغرض و الغايه من ذلك القول الّذى يعاب به باطل نشأ من الحقد و الحسد أو التّصادم فى مال أو جاه أو نحو ذلك من الأغراض الباطله، و الباطل انّما يبور أى يهلك و يفنى كما قال تعالى: إنّ الباطل كان زهوقا، و وزره يدوم و يبقى لأنّه بعين اللّه السميع البصير الشّاهد الخبير بمحاسن الأفعال و الأقوال و مقابحها المجازى بالحسنات عظيم الثواب و بالسيّئات أليم العقاب.

ثمّ نبّه على الفرق بين الحقّ و الباطل بقوله (أما أنّه ليس بين الحقّ و الباطل إلّا أربع أصابع فسئل عليه السّلام عن معنى قوله هذا) لاجماله و إبهامه (فجمع أصابعه) الأربع (و وضعها بين أذنه و عينه ثمّ قال: الباطل أن تقول سمعت، و الحقّ أن تقول رأيت) يعنى أنّ الباطل هو المسموع و الحقّ هو المرئى، فتسامح عليه السّلام فى التفرقه بما ذكر تعويلا على الظهور، ضروره أنّ الباطل ليس قولك سمعت، و لا الحقّ قولك رأيت، لأنّ قولك إخبار عن نفسك بالسّماع أو الرّؤيه، و الحقّ و الباطل و صفان للمخبر عنه لا الخبر كما هو ظاهر.

فان قلت: كيف يقول الباطل ما يسمع و الحقّ ما يرى مع أنّ كثيرا من المسموعات حقّ لا ريب فيه، فانّ جلّ الأحكام الشرعيّه قد ثبت علينا بطريق النّقل

و السماع، و كذلك كثير من العقائد الاصوليه كنبوّه نبينا و معجزاته و كذا نبوّه سائر الأنبياء و إمامه الأئمه و معجزاتهم عليهم السّلام و أخبار المعاد من الحشر و النّشر و البعث و الحساب و الجنّه و النّار و غيرها.

قلت: قد أجاب عنه الشّارح المعتزلى بأنه ليس كلامه فى المتواتر من الأخبار و إنّما كلامه فى الأقوال الشّاذّه الوارده من طريق الآحاد الّتى تتضمّن القدح فيمن قد علمت «غلبت خ» نزاهته، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك.

و أجاب الشّارح البحرانى بأنّ قوله: الباطل أن تقول سمعت، لا يستلزم الكلّيه حتّى يكون كلّ ما سمعه باطلا، فانّ الباطل و المسموع مهملان يعنى انه ليس بقضيه كلّيه بل كلام خطابى مهمل يصدق بجزئى.

أقول: و لعلّ مرادهما أنّ اللاّم فى قوله: الباطل و الحقّ، للعهد و مراده عليه السّلام ليس تعريف مطلق الباطل و الحقّ بل التفرقه فى افراد ما يعاب به الغير و يتضمّن قدحه بأنّه على قسمين: أحدهما ما سمعته من غيرك، فهو باطل لأنّ من جاءك به فاسق لا يمكن الرّكون إليه فلا بدّ من الحكم ببطلان خبره و إن كان ما خاله صدقا فى نفس الأمر و الواقع، و ثانيهما ما أبصرته بعينك فهو الحقّ.

فان قلت: كيف التوفيق بين قوله عليه السّلام ذلك المفيد لحقيّه المرئى و بين روايتى عقاب الأعمال و الوسائل المتقدّمتين فى شرح قوله عليه السّلام: فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، حيث أمر فيهما بتكذيب البصر فيما شاهدته.

قلت: لا منافاه بينهما، لأنّ المراد بتكذيب البصر فيهما عدم ترتيب الآثار على العيب الذى رآه و النّهى عن إذاعته و إفشائه للغير، لا أنّ ما رآه ليس بحق و محصلهما وجوب ستر ما رآه من أخيه و عدم هتك عرضه عند الغير، مثلا إذا رأى أنّه يشرب الخمر فان وجد لفعله محملا صحيحا كأن يحتمل أنّه خلّ أو أنّ شربه للدواء و العلاج، فلا بدّ من حمل فعله على الصّحه، و إن لم يجد له محملا فيحكم فى نفسه بفسق الشّارب، و لا يأتمنه فى امور يشترط فيها العداله، و مع

ذلک فلا یجوز إظهار ما فعله لغیره تنقیصا له علی ما تقدّم فی شرح الکلام السّابق و اللّه العالم.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن قدوه أنام است که فرموده:

ای مردمـان هر کس که شـناخت از برادر مؤمن خودش دین محکم و راه راستی را پس بایـد البتّه نشـنود در حق او گفتارهـای مردمان را، آگاه شویـد که گاهست می انـدازد اندازنـده و خطا می کند تیرها و محال میباشد سـخن و حال این که باطل کلام فاسـد و تبـاه می شود و خـدای تعـالی شـنونده است کلاـم بـدگو را و شاهـد است بر آن و جزا دهنـده است بـآن، آگاه باشـید بـدرستی که نیست میان حق و باطل مگر چهار انگشت پس سؤال کرده شـد از آن حضـرت از معنی این فرمایش او، پس جمع فرمود انگشـتان مبـارک خود را و نهـاد آنها را میان گوش و چشم خود بعـد از آن فرمود باطل آنست که گوئی شـنیدم، و حق آنست که گوئی دیدم، یعنی مادامی که عیب أحدیرا با چشم خود ندیدهٔ و یقین نکردهٔ بمجردّ شنیدن از دیگران باور مکن

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الثانی و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و الظّاهر أنّه ملتقط من کلام طویل له علیه السّلام قدّمنا روایته فی شـرح الکلام المأه و السّادس و العشـرین من البحار من کتاب الغارات لابراهیم بن محمّد الثقفی من کتاب الکافی لمحمّد بن یعقوب الکلینی علی اختلاف عرفته.

و لیس لواضع المعروف فی غیر حقّه و عنـد غیر أهله من الحظّ فیما أتی إلّا محمـده اللّئام، و ثناء الأشـرار، و مقاله الجهّال ما دام منعما علیهم

ص:۳۹۸

ما أجود يده و هو عن ذات اللّه بخيل، فمن آتاه اللّه مالا فليصل به القرابه، و ليحسن منه الضّيافه، و ليفكّ به الأسير و العانى، و ليعط منه الفقير و الغارم، و ليصبر نفسه على الحقوق و النّوائب ابتغاء الثّواب فإنّ فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا، و درك فضائل الآخره إنشاء اللّه.

اللغه

قال الفيومى (المحمده) بفتح الميم نقيض المذمّه، و نقل ابن السرّاج و جماعه بالكسر و (الغارم) من عليه الدّين و (صبرت) صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع قال تعالى: و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم، و يستعمل تاره بعن كما فى المعاصى، و تاره بعلى كما فى الطاعات، و (النّوائب) جمع النائبه و هى النازله التى تنوب على الانسان و تنزل عليه.

الاعراب

قوله و مقاله الجهّال ما دام منعما عليهم، ما ظرفيّه مصدريّه، و دام فعل ناقص و اسمه ضمير مستتر عايد إلى واضع المعروف، و منعما خبره، و إنّما جعلت ما مصدريّه لأنّها تؤل بمصدر مضاف إليه الزّمان أى مدّه دوامه منعما، و سميّت ظرفيّه لنيابتها عن الظرف، و هو المدّه، فأصل ما دام منعما مدّه ما دام منعما، فحذف المضاف أعنى المدّه و ناب المضاف إليه و هو ما و صلتها عنها فى الانتصاب على الظرفيه كما ناب المصدر الصّريح عن ظرف الزّمان فى نحو جئتك صلاه العصر أى وقت صلاه العصر، فعلى هذا يكون قوله: ما دام منعما، ظرفا للمقاله و منصوبا بها و قيدا لها و جمله ما أجود يده، فى محلّ النّصب مقول القول أى مقالتهم ذلك، و الواو

فی قوله، و هو حالیه، و الفاء فی قوله: فمن أتاه، فصیحه، و عطف العانی علی الأسیر للتفسیر، و الفاء فی قوله: فانّ فوزا، للسببیّه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام له علیه السّلام وارد فی معرض الذّم علی صرف المال فی غیر أهله و الحثّ علی صرفه فی وجوه البرّ و مصارف الخیر.

أمّا الأوّل أعنی صرف المال لغیر مستحقّه فقد نبّه علی خساسه ثمرته و زهاده منفعته بقوله (و لیس لواضع المعروف) أی البرّ و الاحسان (فی غیر حقّه) أی غیر المحلّ الّذی هو حقیق به و حقّ له (و عند غیر أهله) و مستحقّه من الحظّ و النصیب فیما أتی و جاء به (إلّا محمده اللّئام) الموصوفین بدنائه النّفس و رزاله الطبع (و ثناء الأشرار) و الفجّار (و مقاله الجهّال ما دام منعما علیهم ما أجود یده) یعنی أنّ الجهله و السفهه یصفونه بالکرم و الجود و یقولون إنّه جواد ما دام إنعامه علیهم حتّی إذا انقطع انعامه عنهم یبدلون الشّکر بالکفران، و الثناء بالمذمّه، بل ربّما یجعلون الشّر عوض الشکر استجلابا لذلک الانعام المنقطع، و استعاده له فهذا الرّجل و إن کان السفله و السّفهاء یصفونه بالجود لجهلهم بوضع الأشیاء فی مواضعها التی هی مقتضی العقل و الشّرع، و لکنّه لیس بجواد فی نفس الأمر و عند اولی الألباب العارفین بمواضع الأشیاء و مواضعها التی یحسن وضعها فیها، بل یصفونه العقلاء بالبخل کما قال علیه السّلام (و هو عن ذات اللّه بخیل) یعنی أنّه بخیل عما یرجع إلی ذات اللّه سبحانه و یحصل رضاه کوجوه البرّ الواجبه و المندوبه من الصدّقات و صله الرّحم و الضیافه و الحقّ المعلوم للسّائل و المحروم و نحوها.

و توضیح المرام موقوف علی تحقیق الکلام فی معنی الجود و البخل.

فنقول: المال خلق لحکمه و مقصود و هو صلاحه لحاجات الخلق، و یمکن إمساکه عن الصّرف إلی ما خلق للصّرف إلیه و یمکن بذله بالصّرف إلی ما لا یحسن

ص:۴۰۰

الصّرف إليه، و يمكن التّصرّف فيه بالعدل و هو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، و يبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل، و البذل حيث يجب الامساك تبذير و إسراف، و الوسط بينهما و هو الجود و السّخاء محمود قال سبحانه: و الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما، فالوسط بين الاسراف و الاقتار هو الجود، و هو أن يقدّر بذله و امساكه بقدر الواجب.

و الواجب قسمان: واجب بالشّرع و واجب بالمروّه و العاده، فمن منع واحدا منهما فهو بخيل، و لكنّ المانع من واجب الشرع أبخل كالمانع من أداء الزّكاه و نفقه عياله الواجبى النفقه، و أما واجب المروّه فهو ترك المضايقه و الاستقصاء فى المحقرات، فانّ ذلك مستقبح و يختلف استقباحه باختلاف الأحوال و الأشخاص فيستقبح من الغنى ما لا يستقبح من الفقير من المضايقه، و كذلك من الرّجل مع أهله و أقاربه ما لا يستقبح مع الأجانب، و كذلك يستقبح المضايقه من الجار فى حقّ الجار دون البعيد، و فى الضيافه دون المعامله، و بالنسبه إلى العالم دون الجاهل و هكذا.

فمن أدّى واجب الشّرع و واجب المروّه اللاّئقه فقد تبرّء من البخل، نعم لا يتّصف بصفه الجود و السّخاء ما لم يبذل زياده على ذلك لطلب الفضيله و نيل الدّرجات، فاذا اتّسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع و لا يتوجّه إليه الملامه فى العاده فهو جواد بقدر ما تتّسع له نفسه من قليل أو كثير، و درجات ذلك متفاوته غير محصوره، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العاده و المروّه هو الجود، و لكن يشترط فيه أمران:

أحدهما أن يكون عن طيب نفس و الثّانى أن لا يكون عن طمع عوض و لو ثناء و محمده و شكرا، فانّ من طمع فى الشّكر و الثّناء ممّن يحسن إليه أو من غيره فانّه بيّاع ليس بجواد، فانّه يشترى المدح بماله، و المدح لذيذ و هو مقصود فى نفسه و كذلك لو كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامه الخلق أو دفع شرّ، فكلّ ذلك ليس من

الجود لأنّه مضطرّ إليه بهذه البواعث نعم لو لم يكن غرضه إلّا الثّواب فى الآخره و تحصيل رضاء اللّه سبحانه و اكتساب فضيله الجود و تطهير النّفس من رذاله الشّح فهو الجواد و الموصوف بالسخاء.

إذا عرفت ذلک فقد ظهر لک أنّ وضع المعروف فى غير حقّه و عند غير أهله أو لرجاء العوض و المنفعه فليس جوادا فى الحقيقه و عند أهل المعرفه و البصيره، كما نبّه به الامام عليه السّلام و نهى عنه.

ثمّ أرشد عليه السّلام إلى ما ينبغي القيام به لمن آتاه اللّه المال و الثّروه بقوله (فمن آتاه اللّه مالا فليصل به) الرّحم و (القرابه) فقد روى فى الوسائل من الكافى باسناده عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أىّ الصّدقه أفضل، فقال: على ذى الرّحم الكاشح.

و بهذا الاسناد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: الصّدقه بعشره و القرض بثمانيه عشر و صله الاخوان بعشرين و صله الرّحم بأربعه و عشرين.

و فى الوسائل أيضا عن الصّدوق قال: قال عليه السّلام لا صدقه و ذو رحم محتاج و باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السّلام عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث المناهى قال: و من مشى إلى ذى قرابه بنفسه و ماله ليصل رحمه أعطاه اللّه عزّ و جلّ أجر مأئه شهيد و له بكلّ خطوه أربعون ألف حسنه و محى عنه أربعون ألف سيّئه، و رفع له من الدّرجات مثل ذلک، و كان كأنّما عبد اللّه عزّ و جلّ مأئه سنه صابرا محتسبا، هذا.

و قد مضى جمله من منافع صله الرّحم و مضارّ القطيعه و الأخبار المتضمّنه لهذا المعنى فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثّالثه و العشرين فليراجع.

(و ليحسن منه الضّيافه) قال الصّادق عليه السّلام لحسين بن نعيم الصحّاف فى حديث رواه فى الكافى: أ تحبّ إخوانک يا حسين؟ قلت: نعم، إلى أن قال أ تدعوهم إلى منزلک؟ قلت: نعم ما آكل إلّا و معى منهم الرّجلان و الثلاثه و الأقلّ و الأكثر، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: أما إنّ فضلهم عليک أعظم من فضلک عليهم، فقلت: جعلت

فداك أطعمهم طعامى و أوطئهم رحلى و يكون فضلهم علىّ أعظم قال: نعم إنّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك و مغفره عيالك، و إذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك و ذنوب عيالك.

(و ليفكّ به الأسير و العانى و ليعط منه الفقير و الغارم) أى المديون (و ليصبر نفسه على الحقوق) الواجبه و المندوبه كالزّكاه و الصّدقات، أى ليحبس نفسه على أدائها، و إنّما سمّى حبسا لأنّه خلاف ما يميل إليه الطّبع و النفس الاماره (و النّوائب) التى تنزل به من الحوادث و المهمّات الموجبه لغرمه.

كما فى حديث الجهاد عن أبى الحسن عليه السّلام فى قسمه الغنائم ثمّ قال: و يأخذ يعنى الامام الباقى فيكون بعد ذلك أرزاق أعوانه على دين اللّه و فى مصلحه ما ينويه من تقويه الاسلام و تقويه الدّين فى وجوه الجهاد و غير ذلك ممّا فيه مصلحه العامه قال الشّارح البحرانى: و أشار بالنّوائب إلى ما يلحق الانسان من المصادرات التى يفكّ بها الانسان من أيدى الظالمين و ألسنتهم، و الانفاق فى ذلك من الحقوق الواجبه على الانسان، انتهى.

و الأظهر التّعميم حسب ما ذكرنا و لمّا أشار إلى المواضع التى يحسن وضع المال فيها و صرفه إليها أردفه بقوله (ابتغاء الثواب) تنبيها على أنّ حسنه إنّما يكون إذا قصد به وجه اللّه سبحانه و طلب جزائه لا عن قصد رياء و سمعه.

ثمّ نبّه على ما يترتّب على هذه الخصال الحسنه من الأجر الجميل و الجزاء الجزيل بقوله (فانّ فوزا بهذه الخصال) الخمس (شرف مكارم الدّنيا و درك فضائل الآخره إنشاء اللّه) لأنها توجب الذكر الجميل و الجاه العريض فى الاولى و الثواب الجزيل الموعود لاولى الفضل و التّقى فى العقبى، هذا.

و انّما أتى فوزا بالتنكير و لم يقل فانّ الفوز بهذه الخصال قصدا إلى التّقليل يعنى أنّ قليل فوز بهذه يوجب شرف الدّنيا و الآخره كما فى قوله تعالى، و رضوان من اللّه أكبر، أى رضوان قليل منه سبحانه أكبر من ذلك كلّه على ما ذهب إليه صاحب التّلخيص.

ص:۴۰۳

و هـذا أقرب و أولى بـل أظهر ممّا قاله الشّارح المعتزلی فی وجه تعلیل التنکیر حیث قال: قوله: فانّ فوزا أفصـح من أن یقول فانّ الفوز أو فإنّ فی الفوز کما قال الشّاعر:

إنّ شواء و نشوه و خبب البازل الأمون من لذّه العیش للفتی فی الدّهر و الدّهر ذو فنون

و لم یقل إنّ الشواء و النشوه، و السـرّ فی هـذا أنّه کأنّه یجعل هـذا المصدر و هذا الشواء شـخصا من جمله اشـخاص داخله تحت نوع واحـد و یقول: إنّ واحـدا منهـا أیّهـا کـان فهو من لـذّه العیش و إن لم یحصـل له کـلّ أشـخاص و ذلک النوع و مراده علیه السّـلام تقریر فضـیله هذه الخصال فی النفوس أی متی حصل للانسان فوز بأیّها فقد حصل له الشّـرف، و هذا المعنی و إن أعطاه لفظه الفوز بالألـف و اللاّـم إذا قصـد بهـا الجنسـیّه إلاّـ أنّه قـد یسـبق إلی الـذّهن منهـا الاسـتغراق لا الجنسـیه فأتی بلفظه لا توهم الاستغراق و هی اللّفظه المنکره، و هذا دقیق و هو من لباب علم البیان، انتهی.

و فیه أوّلا أنّ الذّوق السّلیم یحکم بأنّ القصد فی التنکیر هنا إلی التقلیل لا إلی الافراد کما فی جاء رجل من أقصی المدینه و فی قوله: و اللّه خلق کلّ دابّه من ماء، أی کلّ فرد من أفراد الدّواب من فرد من أفراد الماء أی النطفه المختصّه به فتأمّل تعرف.

و ثانیـا أنّ قوله: و هـذا المعنی و إن أعطـاه لفظه الفوز ممنوع، لظهور أنّ النکره هو الفرد المنتشـر، و البعض الغیر المعیّن المعرّف بلام الجنس موضوع لماهیّه من حیث هی و بینهما بون بعید.

و ثالثا أنّ قوله: قد یسبق إلی الذّهن منها الاستغراق لا الجنسیه، یدفعه أنّ المتبادر من المعرّف باللاّم المفرد هی الماهیه لا بشرط، و بعباره اخری المتبادر السّابق إلی الذّهن من المفرد المحلّی باللاّم هی نفس الحقیقه، من دون نظر إلی الافراد کلاّ أو جزء، فمن أین یسبق إلی الذّهن الاستغراق إن هو إلاّ توهّم فاسد و به یظهر فساد ما زعمه الشّارح البحرانی أیضا حیث قال: و إنّما نکّر الفوز

لأنّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الّذى يحصل بأىّ شخص كان من أشخاصه و هذا و إن كان حاصلا مع الألف و اللّام لتعريف تلك الطبيعه إلاّ أنّ ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعه و المعهود الشخصى فكان موهما لفوز شخصىّ، و ذلك كان الاتيان به منكرا أفصح و أبلغ انتهى.

وجه ظهور الفساد منع اشتراك المعرّف بلام الحقيقه بين تعريف الطّبيعه و المعهود الشخصى ذهنيّا كان أو خارجيّا، بل هو حقيقه فى الأوّل فقط، و مجاز فى غيره، و انفهامه منه محتاج إلى القرينه، و ليست فليس، مضافا إلى ما استظهرناه من افاده التنكير للتقليل لا النوع فى ضمن أىّ شخص فافهم و تبصّر.

تذنيب فى الاخبار الوارده فى ذمّ وضع المعروف فى غير موضعه و مع

غير أهله

ففى الوسائل من الكافى باسناده عن سيف بن عميره قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لمفضّل بن عمر: يا مفضّل إذا أردت أن تعلم أشقىّ الرّجل أم سعيد فانظر سيبه و معروفه إلى من يصنعه فان كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنّه إلى خير و إن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنّه ليس له عند اللّه خير.

و من الكافى عن العدّه عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد بن سنان عن مفضّل ابن عمر قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرّجل أم إلى شرّ فانظر أين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، و إن كان يضع معروفه مع غير أهله فاعلم أنّه ليس له فى الآخره من خلاق.

و فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن قتاده بن عمرو و أنس بن مالك عن أبيه جميعا فى وصيّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام قال: يا علىّ أربعه تذهب ضياعا:

الأكل على الشّبع، و السّراج فى القمر، و الزّرع فى السبخه، و الصّنيعه عند غير أهلها.

و فيه من مجالس ابن الشّيخ عن أبيه عن أبى محمّد الفحام عن المنصورى عن

عمّ أبيه عن الامام علىّ بن محمّد عن أبيه عن آبائه واحدا واحدا عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: خمس تذهب ضياعا: سراج تفسده فى شمس، الدّهن يذهب و الضّوء لا ينتفع به، و مطرجود على أرض سبخه المطر يضيع و الأرض لا ينتفع بها، و طعام يحكمه طاهيه يقدم إلى شبعان فلا ـ ينتفع به، و امرأه تزف إلى عنين فلا ـ ينتفع بها، و معروف يصطنع إلى من لا يشكره.

الترجمه

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن امام علیه الصّلاه و السّلام در ارشاد مردمان بر مواقع و مصارف احسان می فرماید:

و نیست مر نهندهٔ احسان را در غیر محلی که لایق است بأو در نزد غیر أهل و مستحق آن از حظ و نصیب در آنچه آورده مگر ستایش لئیمان و ثناء شریران و گفتار جاهلان مادامی که احسان کننده است بر ایشان: چه سخی نموده دست او را و حال آنکه آن شخص بخیل است از ذات باری تعالی، پس هر که عطا کند او را خداوند سبحانه مالی را پس باید وصل نماید آن را بأقربا و أقوام خود و باید که نیک سازد از آن مهمانی را، و باید که برهاند بآن اسیر و دست گیر را، و باید که بدهد از آن فقیر قرض دار را، و باید که حبس نماید نفس خود را بر أداء حقوق واجبه و مندوبه و حوادثات روزگار، بجهه طلب ثواب از حضرت پروردگار، پس بدرستی که فائز شدن باین خصلتها بزرگواری مکرمتهای دنیا است، و رسیدن بفضیلتهای عقبی إنشاء اللّه تعالی.

هنا انتهى الجزء الثامن من هذه الطبعه الجديده القيمه و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و عن و الديه و ذلک فى اليوم الرابع و العشرين من المحرم سنه «۱۳۸۱» و يليه انشاء اللّه الجزء التاسع و اوله أول المختار المأه و الثالث و الاربعين، و الحمد للّه كما هو أهله

ص:۴۰۶

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹